

الأوائل

لابني هلال العسكري

تحقيق وضبط وتعليق
د. محمد السيد الوكيل

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية



الأوائل

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

طنطا : ٣٣ شارع بطرس أمام مدرسة المعلمات ت : ٣٧٢٨٩١
المنصورة : مساكن الشاوي بجوار مسجد التوحيد ت : ٣٥٣٦٩٥



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وأما بعد

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب الأوائل لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تخرج على القراء الكرام في ثوب جديد ، وقد اهتمت فيها بتدقيق كثير من التحقيقات والتعليقات التي أتاحت لي فرصة مراجعتها ، كما اهتمت بإثبات كثير من الفقرات التي سقطت من الطبعة الأولى .

ولما كان ضبط آيات القرآن الكريم ضرورة حتمية ليتمكن القارئ الكريم من قراءتها صحيحة كما رويت عن أئمة القراء ، وكما وردت في المصحف الشريف كان لابد من الاهتمام بضبطها ، والعناية بوضع علامات الاعراب على حروفها حتى يتحقق الغرض من الضبط .

وكما اهتمت بضبط الآيات القرآنية الشريفة اهتمت كذلك بضبط ماورد في ثنايا الكتاب من الشعر حتى تسهل قراءته آملاً أن يجد القارئ الكريم في هذه الطبعة مايرغبه في استيعاب ما حواه هذا الكتاب النفيس من العلوم والمعارف . نفع الله به ، وأجزل لمؤلفه ومحققه المثوبة والأجر إنه سميع قريب مجيب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

المحقق

دكتور

محمد السيد الوكيل

جدة فى يوم الأربعاء ١ من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٦ هـ

١٣ من شهر نوفمبر عام ١٩٨٥ م



مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه ونهج نهجه واتبع هداه .

أما بعد . فإن إحياء التراث العلمى لكل أمة حتم واجب على أبنائها ، وإن تخليد آدابها فريضة لا يستطيع القيام بها إلا أهلها ، كما ان العناية بابرار هذا التراث العلمى الأدبى فى ثوب قشيب شىء لا بد منه — لاسيما الكتب التى لم تزل تطوى عليها المكتبات العتيقة أجنتها ، وتوارىها بين أحشائها من المخطوطات التى لم يقدر لها بعد الخروج من مخابئها لترى النور ، ولم تهياً لها العقول التى تتناولها بالتحقيق والتصحيح والتعليق ..

وان كتابنا — الأوائل — هذا الذى بين أيدينا لهو أحد هذه الكتب وهو كتاب كما سبرى القارىء فريد فى تبويبه ، ظريف فى عرضه تليد فى أحداثه ، وهو فوق ذلك مزيج من الأدب الذى تستمتع العقول بتحصيله ، والتاريخ الذى تتوق النفوس إلى الوقوف على حقائقه ، وقد عهد إلى سعادة مدير الجوازات والجنسية بالمدينة المنورة السيد أسعد طرازونى بتصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه ، وقدم إلى نسخة مخطوطة يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٢٦٧ هـ ، وعدد صفحاتها ثلاثمائة صفحة ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا ، وبالاطلاع على النسخة وجدت فى ذيلها ما يشير الى أنها أخذت من نسخة خطية موجودة فى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وذهبت الى المكتبة ووجدت النسخة وليس فيها ما يشير الى تاريخ خطها ، ولكنى وجدت فى نهايتها تعليقا لأحد قرائها يدعو لكاتبها بطول العمر وأرخه بعام ١١٥٣ هـ ،

ففهمت من ذلك أن كاتبها كان حيا حتى ذلك التاريخ ، ويتضح من ذلك أنها نسخت منذ مائتين وخمسة وثلاثين عاما تقريبا ، وعدد صفحاتها أربعمائة وثمانون صفحة ، ومسطرتها ثمانية عشر سطرا ، فاستخرت الله وعزمت أن أعتمد عليها في التصحيح والتحقيق رغم خطها الذي لا يقرأ إلا بصعوبة ومشقة ، وذلك لعدم نقط الحروف أولا ولعدم الفوارق التي تميز بين الحروف ثانيا حتى يشتهه عليك الكاف واللام كما يلتبس عليك الميم والراء في آخر الكلمة ، ومشينا خطوات في التحقيق لا بأس بها رغم كل هذه الصعوبات ، ثم فوجئنا بسقوط فقرات اختل لفقدها المعنى واضطرب لسقوط التركيب ، وأصبحنا كمن يقرأ ألغازا لا يجد لها حلا ، ورحنا نفتش عن نسخة أخرى ، وفي اليوم التالي بشرني الأستاذ عبد الحميد السنارى الموجه الدينى بمنطقة المدينة المنورة التعليمية بوجود نسخة مخطوطة بخط فارسى قديم يصعب قراءته ، والنسخة موجودة بمكتبة مدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة ، وعدد صفحاتها ثلاثمائة وأربع وثمانون صفحة ، ومسطرتها سبعة عشر سطرا .

ولا يفوتنى هنا أن أسجل ما للأستاذ عبد الحميد من فضل كبير ، فقد ساعدنى كثيرا بوقته وجهده وعلمه طوال فترة المقابلة التى قضاهامعى فى المكتبات المختلفة ، واعانتنا النسخة الأخيرة على استكمال كثير من الفقرات والكلمات التى فقدت فى النسخة الأولى ، ومع هذا فكنا نتعثر فى كلمات لانستطيع قراءتها أحيانا ، وأحيانا لانجد لها فى معجمات اللغة معنى لتحريف فيها ، وكثيرا ماكانت تواجهنا جمل غير مستقيمة المعنى لما فيها من تقديم وتأخير ، فأما الكلمات التى لم استطع قراءتها فكنت أقرأ ما قبلها وما بعدها واضع مكانها كلمة مناسبة يستقيم بها المعنى دون خلل او اضطراب ، وأما الكلمات التى لم أقف على معناها فى المعجمات فقد أشرت إليها فى التعليق بقولى (هكذا وجدت فى الأصل ولعل المراد كذا) ، وأما الجمل التى اختل معناها لاختلال تركيبها فكنت أقدم ما يستحق التقديم وأؤخر ماحله التأخير حتى يستقيم المعنى ، كما شرحت الكلمات الصعبة فى ذيل كل صفحة ، ومع هذا فانى أشعر أنه لايد من هفوات يدركها ذوو البصائر والمعرفة ، والأمل

التماس العذر عند العثور عليها فقد بذلت جهد استطاعتي وما قصرت في شيء
أستطيعه ، وأما الناشر فاني أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء ، فقد أخرج الى النور
كتابا كاد الدهر أن يطوى صفحاته عليه فينسى .

نبذة تاريخية :

قال صاحب كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون : علم الأوائل علم
يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب ، وهو من فروع
علم التاريخ والمحاضرات ، وفيه كتب كثيرة منها كتاب الأوائل لأبي هلال
الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ هـ ، وهو أول من صنف فيه ،
ولخصه الإمام جلال الدين السيوطي ، وسماه بالوسائل ، وللطبراني ولأبي
القاسم الراشدي وللجلال بن خطيب داريا رحمهم الله تعالى . وجاء في هامش
لطائف المعارف لمحققه الأستاذين ابراهيم الاياري وحسن كامل الصيرفي ،
أول من ألف هذا الفن — الأوائل — ابن قتيبة الدينوري سنة ٢٧٦ هـ . في
كتاب المعارف ، وابن رسته أبو علي احمد بن عمر في القرن الثالث في كتابه
الاعلاق النفيسة ، والطبراني سليمان بن احمد بن أيوب سنة ٣٦٠ هـ . وله
كتاب الأوائل ، وأبو هلال الحسن العسكري بعده سنة ٣٩٥ هـ . وله كتاب
الأوائل ايضا ، وقد لخصه الجلال السيوطي سنة ٩١١ هـ وسماه (الوسائل الى
معرفة الأوائل) ، ومن قبل السيوطي وبعد العسكري القاضي بدر الدين محمد
الشبلي سنة ٧٦٩ هـ . وله كتاب (محاسن الوسائل في علم الأوائل) ، ثم ابن
خطيب داريا محمد بن احمد بن سليمان بن يعقوب سنة ٨١٠ هـ . وكتاب لم
يعرف اسمه ، وبعده الحافظ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن حجر
سنة ٨٥٢ هـ . واسم كتابه (اقامة الدلائل على معرفة الأوائل) ، ثم القاضي
علي دده سنة ٩٩٨ هـ . واسم كتابه (محاضرة الاوائل ومسامرة الأواخر) ، ثم
المولى عثمان بن محمد المعروف بلوفاكين زاده الرومي سنة ١٠١٣ هـ . وله
كتاب (أزهار الخمائل في وصف الأوائل) ، ثم بعد هذا أرجوزة تسمى
(وسائل السائل الى معرفة الأوائل) .

ونرى من هذا العرض ان صاحب كشف الظنون يقول : ان العسكرى
 اول من ألف فى هذا الفن ، ومحققى لطائف المعارف يقولان : ان ابن قتيبة هو
 أول من ألف فى هذا الفن ، ولاخلاف بينهما عند التحقيق ، فان ابن قتيبة فى
 كتابه المعارف تكلم عن الأوائل عرضا ولم يفرد لها كتابا ، وهو متقدم على
 العسكرى ، وأما العسكرى فقد أفرد لها كتابا خاصا ، وعلى هذا يكون ابن قتيبة
 أول من كتب فى هذا الفن والعسكرى أول من ألف فيه كتابا خاصا كما بين
 ذلك فى مقدمة كتابه .

ومؤلف كتابنا :

هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال
 اللغوى العسكرى قال أبو طاهر السلفى : وكان لأبى أحمد تلميذ وافق اسمه
 اسمه واسم أبيه اسم أبيه وهو عسكرى أيضا ، وربما اشتبه ذكره بذكره فاذا قيل
 الحسن بن عبد الله العسكرى الأديب فهو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد
 بن يحيى بن مهران أبو هلال اللغوى العسكرى . نسبة الى عسكر مكرم — وقد
 وجدت فى شذرات الذهب كنية للآخر تغاير كنية صاحبنا فهذا أبو هلال وذاك
 أبو أحمد .

قال أبو طاهر : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الايوردي
 — رحمه الله — بهذان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معا وقال : كان
 يبرز (يتبرز)^(١) احترازا من الطمع والدناءة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب
 والشعر ، روى أبو الغنائم بن حماد المقرئ املاء قال : أنشدنا أبو هلال
 الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تخطأك شَبَابٌ وَفَشَاكَ مَشِيبٌ
 فَأَنْتَ مَا لَيْسَ يَمْضَى وَمَضَى مَا لَا يَمْوُتُ
 فَتَاهَبْ لِسَقَامٍ لَيْسَ يَشْفِيهِ طَبِيبٌ

(١) يلبس الثياب الجميلة حتى لايتهم بالطمع والدناءة رغم فقره .

لَا تَوْهَّنُهُ بَعِيدَا إِنَّمَا الْآتَى قَرِيبٌ

ومن شعر أبي هلال فى تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة قوله :

وَعُيُومًا مُطَرَّرَاتٍ الْحَوَاشِي

بِوَمِيضٍ مِنَ الْبُرُوقِ وَخَفَوِ^(١)

كَلَمًا أَرْحَتْ السَّمَاءُ غُرَاهَا

جَمَعَ الْقَطْرُ بَيْنَ سَفْلٍ وَعُلُوِّ

وَهِيَ تُغَطِّيكِ حِينَ هَبَّتْ شَمَالًا

بَرْدَ مَاءٍ فِيهَا وَرِقَّةٌ جَوِّ

وَتَرَى الْأَرْضَ فِي مَلَأَةٍ تَلْجُ

مِثْلَ رَبِطٍ لَبِستَه فَوْقَ قَرَوِ

فَاسْتَعَارَ الْمُرَارُ^(٢) مِنْهَا لِبَاسًا

سَوْفَ يُمْنَى مِنَ الرِّيحِ بِنَصْوِ^(٣)

فَكَأَنَّ الْكَافُورَ مَوْضِعُ تَرْبِ

وَكَأَنَّ الْجُمَانَ^(٤) مَوْضِعُ قَرَوِ^(٥)

وَلِيَالٍ أَطْلَنَ مُدَّةَ دَرَسِ

مِثْلَمَا قَدْ مَدَدَنَ فِي عُمرٍ لَهُوَ

وقد روى عن أبى هلال أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ .

مؤلفاته :

ومؤلفاته كثيرة وفى فنون مختلفة فله فى اللغة كتاب .

(١) اللمعان الضعيف .

(٢) المراد بها طيب الرائحة وفى اللسان المرار شجر مر .

(٣) النضو الخلع .

(٤) الجمان حب اللؤلؤ .

(٥) القرو حوض طويل مثل النهر ترده الابل .

- ١ — التلخيص .
 - ٢ — وكتاب صناعتى النظم والنثر
وله فى الأدب .
 - ٣ — جمهرة الأمثال .
 - ٤ — ومعانى الأدب .
 - ٥ — وكتاب التبصره .
 - ٦ — وشرح الحماسة .
 - ٧ — والدرهم والدينار .
 - ٨ — واعلام المعانى فى معانى الشعر .
 - ٩ — والفرق بين المعانى .
 - ١٠ — وديوان شعر .
 - ١١ — ونوادر الواحد والجمع .
 - وله فى التاريخ .
 - ١٢ — من احتكم من الخلفاء الى القضاة .
 - ١٣ — والأوائل ،
 - وله فى تفسير القرآن الكريم كتاب .
 - ١٤ — المحاسن فى خمسة مجلدات ،
 - وله فى فنون مختلفة .
 - ١٥ — العمدة .
 - ١٦ — وفضل العطاء على العسر .
 - ١٧ — وما تلحن فيه الخاصة .
- وزاد صاحب البغية على هذه الكتب رسالة فى العزلة والاستئناس
بالوحدة .
- ويبدو أن المؤلف رحمه الله كان رقيق الحال ، وكان يكتسب قوته
بكدّه ، نلمح ذلك فى شعره الذى ضاق فيه بالحياة وتبرم بأهلها ، وروى ياقوت

فى معجم الأءباء عن أبى طاهر السلفى قال : ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحء بءسءر قال : أنشدنا أبو حكيم العسكرى اللغوى قال : أنشدناه أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه بالعسكر :

إذا كان مالى مال من يلفظ العجم^(١)
وخالى فىكم حال من حاك أو حجم
فأين التفاعى بالأصالة والحبى
وما ربح كفى من العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس ينصر حالى
فلا يلغن القراطس والحبز والقلم

كذلك تءل الآيات الآتية على انه كان يمارس البيع والشراء بنفسه ، وأنه كان فى مجءمع لا يقءر العلماء والأءباء اسءمع اليه يقول :

جلوسى فى سوق أبيع وأشءرى
ءليل على أن الأنام قروء
ولا خير فى قوم تءل كرامهم
ويعظم فىهم نءلهم ويسوء
ويهجوهم عنى رءاة كسوتى
هجاء قىحا ما عليه مزىء

قال ياقوت فى معجمه (واما وفاته فلم يبلغنى فيها شىء غير انى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه . وفرغنا من املاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثائة) وكتاب الأوائل هو آخر ما صنف المؤلف ، ولم يعثر على أثر فى التصنيف بعء هذا العام ، ولهذا فان ياقوت يرى انه ءوفى سنة ٣٩٥ هـ . رحمه الله رحمة واسعة وقد مءحه أحد

(١) فى القاموس المعجم نوى كل شىء .

الشعراء بقوله :

وَأَحْسَنُ مَا قَرَأْتُ عَلَى كِتَابٍ
بِخَطِّ الْعَسْكَرِيِّ أَبِي هِلَالٍ
وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ
لَمَا قَائِلْتُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ
فَإِنَّ النَّاسَ يَنْهَزُمُونَ مِنْهُ
وَقَدْ ثَبَتُوا لِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

المحقق



مقدمة المؤلف

رب يسر وأعن

الحمد لله الذى رفع رتبة الأدب وذويه ، وأعلى منزلة العلم وحامله ، وجعلهم للدين قواما ، وللمحاسن نظاما ، ففهم بهم الغيب ، وأنطق العبي ، وصيرهم ورثة انبيائه ، وأئمة لأوليائه ، وحججا على أعدائه ، وألبسهم العز ما أبقاهم ، وخلد ذكرهم حين أفناهم ، فأعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ، وذلك من أعظم النعم عليهم ، وأفضل المنن لديهم ، ولما فى بقاء الذكر من الجمال وفى خلود الاسم من الكمال ، قال ابراهيم عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه : ﴿ وَأَجْعَلْ لى لِسَانَ صِدِّقٍ فى الآخِرِينَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ^(٢)

فقرعهم باعراضهم عما فيه ذكرهم ، وتباهتهم ^(٣) عما فيه جميل ذكره ، ﴿ وَإِنَّهُ لَدِكِّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(٤) فامتن عليهم بالقرآن لما لهم فيه من بقاء الذكر ، وجميل النشر ، وقد قال الأول : ذكر الرجل عمره الثانى ، قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَرْءَ تَخْلُدُ بَعْدَهُ
أَحَادِيثُهُ وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِخَالِدٍ

(١) الشعراء الآية (٨٤) .

(٢) المؤمنون الآية (٧١) .

(٣) هكذا أثبتت فى الاصل ولعل المعنى مأخوذة من بهت أى دهش وتحير .

(٤) الزخرف الآية (٤٤) .

وقال آخر :

وما الخيرُ في طولِ الحياةِ إذا امُرُّ
مضى ثم لم يُذكرَ بخيرِ عواقبه

وقال آخر :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَّاهُ
فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرَهَا مَنشُورُ

وقال آخر :

فَإِنْ يَكُ أَفْتَنَهُ اللَّيَالِي وَمُرُّهَا
فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا

وقال آخر

عَرَضْتُ وَجْهِي وَدَنَا الطَّلَاقِي
وَالْمَالُ يَفْنَى وَالنَّاءُ بَاقِي

وقال آخر :

فَاتَّشُوا عَلَيْنَا لِأَبَا لِأَيِّكُمْ
بِإِحْسَانِنَا إِنَّ النَّاءَ هُوَ الْخُلْدُ

ومما يقرب منه قول زهير :

فَلَوْ كَانَ حَمْدُ النَّاسِ يُخْلِدُ لَمْ يَمُتْ
وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
وَلَكِنْ فِيهِ بَاقِيَاتٌ وَرَائِيَّةٌ
فَوَرِّثَ بَيْتِكَ بَعْضُهَا وَتَرَوُدُ
تَرَوُدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ
وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَعْهَدٍ

وقال الأسدى :

فإني أحب الخلد لو أستطيعه
وكالخلد عندي أن أموت ولم أَلَمْ

وقال آخر :

وإذا بلغتم أهلكم فتحدثوا
ومن الحديث مهالك وخلود

وقال بعضهم : (لان أذكر في شر خير لى من ألا أذكر في شر
ولاخير^(١))

وسمعت رجلا يقول : (لأن أكون رأسا فى الضلالة أحب الى من أن
أكون ذنبا فى الهداية^(٢)) .

والنباة الباقية التى لاتدركها الايام ، والذكر العالى الذى لا يحطه مرور
الزمان ، نباة العلماء وذكر الحكماء ، لأنه يسير فى الأوقات من غير دافع
يرده ، ولا مانع يصده ، وتؤمن عليه غارة الليالى والأيام ، وجناية السنين
والاعوام فى دروس آثاره وطموس أنواره ، وقليل العلم كثير بل ليس من العلم
قليل ، وخير العلم ماينفع وأنفعه مايحاضر به ، ولا يعتاض عند مطلبه ، وأجل
مايعين على حفظه حسن تصنيفه ، وبراعة تلوينه وتأليفه واولى مايصنف منه
ماتعظم الحاجة اليه ، ويكثر تطلع النفوس الى معرفته والوقوف عليه ، وإن أغفل
إتقانه الأولون ، وأخل باستقصائه المتقدمون .

قال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل — أيده الله — : وقد رأيت
أكثر الخاصة وجل العامة لهجين بالسؤال عن أوائل الأعمال ، ومتقدمات
الأسماء والأفعال ، ولم يجدوا فى ذلك كتابا يجمع فنونها ويحوى ضرورها

(١ — ٢) هاتان العبارتان لا يليق أن يتصف بمضمونها عاقل لانهما مخالفتان للعقل والشرع الا أننا
اقتناهما لامانة النقل .

بأخبارها وشرح وجوهها وأبوابها إلا نبذا متفرقة في تضاعيف الصحف وابتداء الكتب لم تذكر أسبابها ولم تشرح أبوابها ، فعملت كتابي هذا مشتملا على هذا النوع من الأخبار وحاويا لهذا الفن من الآثار ، مشروحا ملخصا ، ومهذبا مخلصا ، لا يشوبه كدر ولا يرهق وجهه قتر ، ليكون عوناً على المذاكرة وقوة للمؤانسة ، وجعلته عشرة أبواب :

الباب الأول : في الأخبار عما كان من قريش وفيهم من أوائل الأعمال وابتداءات الأمور في الجاهلية وما حدث بمكة منها .

الباب الثاني : فيما جاء من ذلك عن عامة أهل الجاهلية بعد قريش من العرب

الباب الثالث : فيما جاء من ذلك منسوباً إلى النبي — ﷺ —

الباب الرابع : فيما روى عن الصحابة والتابعين — رضي الله عنهم —

الباب الخامس : فيما جاء عن الملوك في الإسلام .

الباب السادس : فيما جاء منه عن الأمراء والرؤساء في الإسلام .

الباب السابع : فيما جاء منه عن القضاة والعلماء والأدباء .

الباب الثامن : فيما جاء منه عن النساء خاصة .

الباب التاسع : في الأخبار عما جاء منه عن العجم خاصة .

الباب العاشر : في أشياء مختلفة رويت عن العرب والعجم ولم ينفرد

كل نوع منها بنفسه فجعلتها باباً واحداً وبالله التوفيق .



الباب الأول

فيما جاء من ذلك عن قريش

أول ما تحرك أمر قریش

وأخذ شأنهم یرتفع وذكركم ینتشر حین قدم قصی مكة من عند أمه فاطمة بنت سعد بن سیل الأزدي أزد شنوءه ، وكان كلاب أبو قصی تزوجها فولدت له زیدا (وهو قصی) وزهرة ثم هلك كلاب وزهرة قد شب وزید صغیر ، فقدم ربیعة بن خزام العذری مكة فتزوج فاطمة وحملها الى قومه وحمل زیدا لصغره ، فولدت فاطمة لربیعة رزاحا وشب زید فسمته قصیا لبعده داره ، -- والقصو البعد -- فنازع رجلا من عذرة فقال له العذری : الحق بقومك فليست منا ، فأتى أمه فسألها عن قومه فأخبرته بما كان من أمرها وأمره ، فشخص مع الحجاج الى مكة ، فلم یلبث ان اجتمع مع أبی غبشان سلیم بن عمرو الخزاعی علی شراب ، فلما سكر أبو غبشان اشترى منه قصی ولاية البيت بزق خمر وقعود ، فقیل : أخسر من أبی غبشان ، وأحمق من أبی غبشان وأندم من أبی غبشان ، فجرت أمثالا . قال بعضهم :

بَاعَتْ خُرَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ
بِزَقٍّ^(١) خَمْرٍ فَبُسَّتْ صَفْقَةَ الْبَادِي
بَاعَتْ سَدَائِهَا بِالْخَمْرِ وَانْقَرَضَتْ
عَنِ الْمَقَامِ وَظَلَّ الْبَيْتُ وَالنَّادِي

(١) الزق جلد يجز ولا ينتف ويستعمل لحمل الماء والخمر ونحو ذلك .

وقال آخر :

أَبُو عُثْمَانَ أَظْلَمُ مِنْ قُصَيٍّ
وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرٍ خِزَاعَةُ
فَلَا تَلْحُوا^(١) قُصَيًّا فِي شِرَاهُ
وَلَوْمُوا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ

وقال آخر :

إِذَا فَخَرْتُ خِزَاعَةً فِي قَدِيمٍ
وَجَدْنَا فَخَرَهَا شَرَبَ الْخُمُورِ
وَيَبِغَا كَعْبَةَ الرَّحْمَنِ جَمْعًا
بِزَقِّ بَنِي مُفْتَحَرٍ الْفَجْجُورِ

وقال آخر :

بَاعَتْ خِزَاعَةُ بَيْتَ اللَّهِ صَاحِبَهُ
بِزَقِّ خُمِرٍ فَلَا فَارُؤَا وَلَا رَيْحُوا

فتحزبت خزاعة على قصي ، فاستنصر أخاه من أمه رزاحا . فأقبل بمن معه ، وجمع قصي كنانة فنفوا خزاعة عن مكة ، وجمع قريشا من رؤوس الجبال وشعابها فأنزلهم الأبطح ، فسمى مجمعا ، قال مطرود :

قُصَيٌّ أَبُوكُمْ^(٢) كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا
بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ

(١) لاتسوا

(٢) في سبط النجوم أبوكم قصي .

ثم قال أبو تمام :

أَذْرِيسُ ضَاعَ الْمَجْدُ بَعْدَكَ كُلُّهُ
وَرَأَى الَّذِي يَرْجُوهُ بَعْدَكَ أَضْيَعُ
مَشَوْا فِي زَوَايَا نَعْشِهِ وَكَأَنَّمَا
قُرَيْشٌ قُرَيْشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعُ
وَيَسْطُ كَفًّا فِي الْخُطُوبِ^(١) كَأَنَّمَا
أَنَامِلُهَا فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ أَذْرُعُ

ففتش قصي عن أجلة قومه فسمى قريشا ، والتقريش التفتيش قال الحرث بن حلزة :

أَنِيهَا الْمُبْلَغُ الْمُقَرَّشُ عَنَّا
عِنْدَ عَمْرُو وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ

وقيل : كان قريش اسما للنضر بن كنانة واشتقاق من التقرش وهو التكسب وكانت قريش تجارا ، وقيل التقرش التجمع .

وكانت صوفة تجيز الناس من عرفة الى جمع ومن جمع الى منى ، فاذا رمى الناس الجمار أخذت ناحيتي العقبة ، فيقولون : أجزى صوفة ، فلا يجوز أحد حتى تجوز صوفة ، وكانوا يرون ذلك دينا ، فاعترضهم قصي بمن معه وانهزمت صوفة وخلت مكة والموسم لقصي ، فكان أول من نال الملك من ولد النضر بن كنانة فقال رزاح بن ربيعة :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَعَادَى
مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجَنَابِ
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةٍ قَادِرِينََا
بَنَى الدُّفَرَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ

(١) في الديوان : وتيسط كفا في الحقوق .

وَقَامَ بَنُو عَلِيٍّ إِذْ رَأَوْنَا
 عَلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الظَّرَابِ^(١)
 فَأَمَّا صُوفَةُ^(٢) الْخُنْثَى فَخَلَّوْا
 مَنَازِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ

وقال رزاح أيضا :

أَجَبْنَا قُصِيًّا عَلَى نَأْيِهِ^(٣)
 عَلَى الْخَيْلِ تُرْدَى رَعِيلاً رَعِيلاً
 نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ
 وَنُكْمِي^(٤) النَّهَارَ إِلَى أَنْ يَزُولَا
 وَرَدْنِ سِرَاعاً كَوَرْدِ الْقَطَا
 يُورَعْنَ^(٥) مَيْلاً وَيَرْكُضْنَ مَيْلاً
 بِأَنْبَاءِ سَعْدٍ وَأَشْيَاعِهَا
 نَجُوبُ الْخُرُونِ وَنَطْوَى السُّهُولَا
 فَصَبَّحْنَ مَكَّةَ قَبْلَ الْغَطَاطِ^(٦)
 فَدَسْنَ لِحْزَاعَةَ دَوْسًا وَيِيلاً
 حَبَطْنَهُمْ بِصِلَابِ النَّسُورِ
 كَحَبِطِ الْغَرِيزِ الْقَوِيِّ الدَّلِيلَا
 وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَا قَدْ جَعَلْنَ
 لَصُوفَةِ مِنْهَنْ يَوْمًا طَوِيلَا

(١) الابل الطراب القصيرة الغليظة .

(٢) أبو حنيفة من مضر وهو الغوث بن مر .

(٣) الرعيل الجماعة المتقدمة من الخيل أو الرجال .

(٤) نكمت نستتر .

(٥) يحسن عن السير باللحم .

(٦) هو القطا أو ضرب منه وهو طائر .

وَكُنَّا لَهُ جُنَّةً فِي اللَّقَاءِ وَسَيْفًا يُمْنَى يَدَيْهِ صَقِيلًا

فلما استوى أمر مكة لقصى بنى دار الندوة ، فكانت قريش تقضى فيها أمورها ، فلا تنكح ولا تشاور فى أمر ولا حرب الا فيها ، وهى دار الامارة ، وبابها فى المسجد حيال الكعبة .

ثم قال لقريش انتم جيران الله والحجاج زوار الله فهم أضيافه واحق الاضياف بالكرامة أضيافه ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، ففرض عليهم فرضا يدفعونه اليه . فيصرفه فى إقامة الحجاج فجرى ذلك الى اليوم إلا أن الخلفاء هم الذين يقيمونها .

وكان قصى فى زمن بهرام جور وهو بهرام بن يزدجر .

وقصى أول من احتفر بالابطح سقاية للحجاج وسماها العجول وقال :

سَقَى اللَّهُ الْعَجُولَ بَرْغَمَ عَادٍ
وَكَانَتْ مِنْ زِيَادَتِهِ الْعَجُولُ

فلم يزل يشرب منها حتى سقط فيها رجل من بنى جعيل فعطلت ، وكانت زمزم زمن جرهم .

وهو أول من ثرد الثريد بعد ابراهيم — عليه السلام — وعاب بعض الشعوية العرب باتخاذ الثريد وقال : لا بد أن يفضل من العرب اذا أكلوا فضلة مرق تجعل لمسكين قال : فأرادت العرب ألا يبطل عليهم ذلك فثردوا فيه قال : وليس من طعام العجم . واحتج بما أخبرنا به أبو أحمد بن الحسين بن عبد الله ابن سعيد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن على قال : قال حصين لفيروز أحب أن أتغذى عندك ، قال : فما تشتهى ؟ قال : ثريدا : قال : انى أكره أن أضع على مائدتى طعام الكلاب ولكنى أتحمّل ذلك لك .

قال أبو هلال : — أيده الله تعالى — لو كان الثريد طعاما خبيثا مكروها لكان ما يقال فيه شائعا ، فأما وهو طعام مشتهى طيب فلا اعتراض على العرب في اتخاذ طعام طيب ، وليس ترك العجم اياه قدحا فيه فكم من شيء مختار قد تركته العجم غفلة عنه أو جهلا به ، وليس ثردهم في المرق يدل على أنهم أرادوا منع ما يفضل منه .

أول من أخذ الايلاف لقريش هاشم بن عبد مناف

والايلاف كتاب أمان يؤمنهم بغير حلف ، فأما الولا فندارك^(١) لمعان البرق ولا يكاد يخلف ، والآلق — بالقاف — أن يلمع لمعة بعد لمعة وربما أخلف ، أخبرنا غير واحد عن ابن دريد وغيره عن أبي حاتم العيشي ومحمد بن سلام قال : كانت قريش تجارا وكانت تجارتهم لاتعلو مكة وما حولها ، فخرج هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر ، وكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله ، وكان من أتم الناس وأجملهم ، فذكروا ذلك لقيصر فأحضره ، فلما رآه استجهره^(٢) وكلمه فأعجبه ، فلما رأى مكانه عنده قال : أيها الملك ، ان قومي تجار العرب فان رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمنهم فيقدمون عليك بما تستظرف من أمتعة الحجاز فيكون أرخص لكم ، فكتب كتاب أمان لمن يخرج منهم ، فخرج هاشم به فكلما مر بحى من العرب أخذ من أشرافهم الأمان حتى قدم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أوتوا به قط بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم هاشم يجوزهم ويوفيههم إيلامهم حتى ورد بهم الشام ، وفي ذلك يقول القائل :

تَحْمَلُ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ
وَأَغْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ قَيْصِرٍ

(١) تنابعه .

(٢) استعظمه .

ثم خرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدا لمن
 اتجر اليهم من قريش ، وكان أكبر ولد أبيه ، ويسمى الفيض ، وهلك بردمان
 من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى ملك الحبشة وأخذ لهم ايلافا
 ثم ورد مكة وهلك بها وقبره بالحجون ، وخرج نوفل بن عبد مناف وكان
 أصغر ولد أبيه فأخذ لهم عهدا من كسرى ، ثم قدم مكة ورجع الى العراق
 فمات بسلمان فاتسعت قريش في التجارة وكثرت أموالها ، فبنو عبد مناف
 أعظم قريش بركة في الجاهلية والاسلام . وفيهم يقول الشاعر :

كَانَتْ قُرَيْشٌ يَنْصَةُ فَتَلَقَّتْ
 فَالْمُحُ^(١) خَالِصَةُ لِعَبْدِ مَنَافٍ

وقال مطرود بن كعب يرثيهم :

يَا عَيْنُ جِدْدِي وَأَذْرَى الدَّمْعِ وَانْهَمِلِي^(٢)

وَابْكِي عَلَى الْبَيْضِ مِنْ سِرِّ الْمُغِيرَاتِ
 وَابْكِي لَكَ الْوَيْلُ أَمَا كُنْتَ فَاقِدَةً

لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقَى الثِّيَابِ
 وَهَاشِمٍ فِي ضَرْيَحٍ وَسَطَ بَلَقَعَةٍ

تُسْفَى^(٣) الرِّيَاحُ عَلَيْهِ وَسَطَ غَزَاتِ^(٤)
 تُبْكِيَنَّ عَيْنَ الْعَلَا إِذْ كَانَ مَضْرَعُهُ

سَمَحَ السَّجِيَّةِ بِسَامِ الْعَشِيَّاتِ
 وكان هاشم يسمى أبا فضلة ، واسمه عمرو .

(١) خلاصة كل شيء .

(٢) صى .

(٣) تحمل اليه التراب .

(٤) هي بلدة غزة من فلسطين توفي فيها هاشم بن عبد مناف .

وروى بعض الشيوخ عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال :
خرجت وجماعة من قريش الى العراق فى تجارة ، فلما دنونا من الأرياف خرج
قوم فقطعوا علينا فدخلنا المدائن مخففين ، قال : فكنت أطوف بها أطلب رجلا
يفهم عنى ما أقول فأسترشده فى أمرنا فلا أجد ، حتى مررت بصائغ سقطت
مطرقة فقال : بسم الله ، وأخذها فدنوت منه ، فذكر انه نصرانى من أهل
الحيرة ، فشكوت اليه ما لقينا فقال : سر الى باب الملك فان المتظلم لا يمنع
منه ، فلما ادخلت اليه وذكرت أمرنا دفع إلى ألف درهم وأخرجت ، فعدت
اليوم الثانى فتكلمت فدفع إلى ألف درهم أخرى وأخرجت ، وكذلك فى اليوم
الثالث ، فلما أمرت بالخروج وقد دفع الى ألفا أخرى أو مأت اليه انى لم أحضر
لطمع ، فعلم أن الترجمان يخون ويؤدى خلاف ما أورد عليه ، فأحضر ترجمانا
آخر فأدى ما قلت ، فقال : لاتبرحوا البلد ، فلم نلبث الا قليلا حتى أدخلنا اليه ،
فاذا اللصوص والترجمان مكتوفون بين يديه وأمتعنا موضوعة ، فقيل لنا : هل
تفقدون شيئا منها ؟ قلنا : مفرقة ، فطالبهم بها فقالوا : لا نعرف لها موضعا
ونعوضهم عنها مفرقة فضة ، ثم اشترى منا تجارتنا بريح وافر ، فذكرت
ما أعطيت فى الأيام الثلاثة ، فقيل : هى لك لا يسترد ما أعطيناه ، وأقمنا حتى
أصلحنا أمورنا وخرجنا ، فاذا اللصوص والترجمان مصلوبون فى المكان الذى
قطعوا علينا فيه .

أول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب

أخبرنا جماعة من مشايخنا قالوا : لقي عبد المطلب من قريش أذى كثيرا
حين أقام سقاية زمزم ، وحسدوه حسدا شديدا لانصراف الناس اليها عن
غيرها . لمكانها من المسجد الحرام ، ولأنها بئر اسماعيل عليه السلام ، فنذر
لئن ولد له عشرة نفرأ بلغوا معه حتى يمنعه ليزبحن أحدهم لله عند الكعبة ،
فلما توافى بنوه عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله به
فأطاعوه ، وقالوا : كيف نصنع ؟

قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا وليكتب عليه اسمه ثم ليأتني به ففعلوا ، فدخل بهم على هبل وكان أعظم أصنام قريش يضربون عنده بقداحهم لحوائجهم ، فقال عبد المطلب للسادن : أضرب على بنى هؤلاء بأقداحهم ، ودخل الكعبة فقام يدعو الله فضرب بها عليهم فخرج القدح على عبد الله ، — وكان أحب ولده إليه — وكان هو وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو ابن عابد المخزومي ، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به الى أساف ونائلة وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحهم ليذبحه ، فقامت اليه قريش فقالوا : لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ، ولكن فعلت هذا لايزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟

ولو كان فداه أموالنا أفديننا ، وانطلق الى الحجاز فان فيه عرافة فاستخرها ، فانطلق حتى قدم عليها فقالت : كم الدية فيكم ؟ قال : عشر من الابل ، قالت : فارجع الى بلادك ثم قرب صاحبك وعشرا من الابل واضربن عليه وعليها بالقداح فان خرجت عليه فزده عشرا من الابل حتى يرضى ربك ، فان خرجت على الابل فانحرها عنه ، فقد رضى ربك ، ونجى ولدك ، فخرج حتى أتى مكة ثم قرب عبد الله وعشرا من الابل وضرب فخرجت القداح على عبد الله فزاد عشرا ، فما زال يزيد حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل ، فقالت قريش : قد انتهى رضى ربك .

فقال : والله ما أنصفت ربي ، خرجت على عبد الله تسع مرات فلم أذبحه ، وخرجت على الابل مرة فأذبحها ، لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا فخرجت القداح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها بائس ولا سبع ، وولد رسول الله ﷺ — بعد خمس سنين من هذه القصة .

أول من سن الدية كذلك النضر بن كنانة

وذلك انه قتل أخاه فوداه مائة من الابل فجرت سنة .

قال الكميت :

أَبُونَا الَّذِي سَنَّ الْمِئِينَ لِقَوْمِهِ
دِيَاتٍ وَعَدَاهَا سُلُوفاً^(١) مِئِنُهَا
فَسَلَّمَهَا وَاسْتَوْتَقَ النَّاسُ لِلَّذِي
تَعَلَّلَ لَمَّا سَنَّ فِيهَا حُرُوبَهَا
غَنَائِمُ لَمْ تُجْمَعِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا
مَسَائِلُ بِالْإِلْحَاقِ شَتَّى ضُرُوبَهَا

وقال أبو اليقظان : اول من سنّها كذلك أبو سيارة العدوانى ، وهو الذى كان يفيض بالناس من المزدلفة الى منى على حمار أسود أربعين سنة ، فقالت العرب : أصبح من غير^(٢) أبى سيارة ، فجرت مثلاً قال : وكان من دعائه اللهم حبب بين نساتنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل المال فى سمحائنا .

وكان خالد بن صفوان والفضل الرقاشى يختاران ركوب الحمير ، ويجعلان أبا سيارة قلوّة فيه . قال بعضهم لخالد وهو على حمار : ما هذا الركب ؟ قال : غير من نسل الكداذ اضم^(٣) السربال ، مفتول الاجلاد^(٤) ، محملح القوائم ، يحمل الرحلة ، ويبلغ العقبة ، ويقل داؤه ، ويخف دواؤه ، ويمنعنى أن أكون جباراً فى الأرض أو أكون من المفسدين ، ولولا ما فى الحمار من المنفعة ، ما امتطى أبو سيارة ظهر غير أربعين سنة .

وأما الفضل فانه سئل عن ركوبه الحمار فقال : أقل الدواب مؤونة ، وأسهلها جماحاً ، وأسلمها صريعاً ، وأحفظها مهوى ، وأقربها مرتعاً ، يرى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويسمى مقتصدًا وقد أسرف فى يمنه ، ولو شاء أبو

(١) السلوف من الابل التى تكون فى اوائل الابل عند ورود الماء .

(٢) الحمار .

(٣) هكنا وجدت مكتوبة ولعل الاصل من نسل الكراز أى الماهر الاصيل .

(٤) أعضاء الجسم .

سيارة ان يركب فى الموسم جملا مهريا^(١) أو فرسا أعوجيا^(٢) لفعل .

فسمع كلامه أعرابى فقال : الحمار شنار ، والعر عار ، منكر الصوت بعيد الفوت ، متزلق فى الوحل متلوث فى الضحل ،^(٣) ان وقفته أدلى ، وان أطلقتة ولى ، مسايه مشرف ، وراكبه مقرف ، كثير الروث قليل الغوث ، سريع الفواره ،^(٤) بطيء فى الغاره لا ترقأ به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، ولا يحلب فى إناء .

وقال بعضهم فى وصف بغلة : تطأطأت عن خيلاء الخيل ، وارتفعت عن ذلة العير .

أول من خضب بالوسمة^(٥) من قريش عبد المطلب

حدثنا الشيخ أبو أحمد قال : حدثنا محمد بن يحيى عن الفضل بن الحبيب عن الرياشى عن العتبى قال : وفد عبد المطلب على بعض ملوك اليمن فرآه قد شاب ، فأمر له بخضاب أسود فاختضب به ، فلما رآه عبد المطلب حسنا قال :

فَلَوْ دَامَ لِي هَذَا الشَّبَابُ حَمْدُهُ
وَكَانَ بَدِيلًا مِنْ حَبِيبٍ قَدْ انْصَرَمَ
تَمَتَّعْتُ مِنْهُ وَالْحَيَاءُ قَصِيرَةٌ
وَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ يَلِيهِ أَوْ هَرَمٍ

(١) نسبة الى مهره بن حيدان من عرب اليمن وكانت لا يضارعها شيء فى السرعة .

(٢) ضامرا .

(٣) الماء القليل .

(٤) ما يفور من القدر .

(٥) الوسمة شجر له ورق يتخذ خضابا ولعله الحناء أو الكتم .

أول ما عظم أمر قریش فسميت آل الله وقرابینه

حين هزم الله جيش الفيل ، وكان من أول حديثهم أن تبعاً دخل في اليهودية في أيام قباز ، وكان لدوس — رجل من يهود نجران — ضيعة يخرج بنوه إليها ليلاً فيجرون فيها من الماء أكثر مما يخصصها ، فاجتمعت نصارى نجران فقتلوهم ، وطلبوا أباهم دوساً فأعجزهم ، فقالوا له : أقبل فقال : لا يقبل المرء على الموت ، فذهبت مثلاً . فقالوا : إلى أين عن ليهوك وغنائك ؟ فقال : الأحياء يعون . فسار حتى دخل على ذي نواس وكان تهود ، فشكى إليه ما أصيب به ، فخرج إلى أهل نجران فحاصروهم ثم عاهدهم ، فلما تمكن منهم أوقع بهم وهم مغترون ، فلم ينج منهم إلا الشريد .

فلحق بعضهم بالنجاشي ومعه الإنجيل قد أحرق أكثره ، فلما رآه ساءه ، فكاتب ملك الروم بذلك واستدعى من جهته سفناً يحمل فيها الرجال إلى اليمن ، وبلغ ذاك ذانواس فصنع مفاتيح كثيرة فلما دنا منه جيش الحبشة أرسل إليهم بها ، وقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن فخذوا المال والأرض وأنا طوع لكم ، فاطمأنوا وتفرقوا في المخاليف^(١) يجبون ، فارسل ذو نواس إلى المقابلة إذا كان يوم كذا فاذبحوا كل ثور أسود فيكم ، فعلموا الذي أراد فقتلوهم فلم يبق منهم إلا القليل ، وبلغ النجاشي ذلك فجهز إليهم سبعين ألفاً عليهم أبرهة ومولى بن حزام ، وأمرهم ألا يقبلوا صلحاً .

فعلم ذو نواس أنه لا قبل له بهم ، فركب حتى أتى البحر فأقحم فرسه فيه ففرق ، وملك الحبشة اليمن ، ونزل أبرهة صنعاء في قصر غمدان ، فكتب إليه النجاشي : من نزل منزل الملوك تجبر ، فاهدم ما أشرف من حيطان غمدان حتى توازى به حيطان بلدك ففعل ، ثم انصرف عامة الجيش إلى الحبشة .

وأقام بها أبرهة ملكاً مستبداً بالأموال ، فبعث إليه النجاشي بأرياط ، فلما

(١) المراد بها البقاع التي تجتمع فيها المساكن والقرى .

نزل به دعاه الى المبارزة فطمع أرباط فيه ، — وكان أقوى منه — وكمن له أبرهة عبدا من عبيده ، فلما بادره أرباط وثب العبد فطعنه فقتله ، وصفت اليمن لابرهة ، وحكم العبد فقال : أريد الا تدخل امرأة على زوجها حتى ابتدء بها ، فقال : لك ذلك ، ففعل بذلك زمانا حتى ثارت به أهل اليمن فقتلوه ، فقال لهم أبرهة : قد آن لكم ان تكونوا أحرارا ، فلما عرف النجاشي عصيان أبرهة حلف على وطء بلاده وجز ناصيته وارقة دمه ، فحلق أبرهة شعره وأخذ جزءا من دمه وبعضا من تراب بلده ، وكتب الى النجاشي : انما انا عبدك وقد بلغت عنى الكذب ، وقد جززت ناصيتي وبعثت بها اليك وبدمي لتريقه وتراب أرضي لتطأه فتبر يمينك فأعجبه ذلك وأمسك عن الاساءة اليه ، فاستجمع ملك اليمن لابرهة .

وبنى كنيسة صنعاء على علوة من غمدان ، فاشتغل بينها عشر سنين ، فلما أتمها رأى الناس شيئا لم يروا مثله قط ، وأراد صرف حجاج العرب اليها ، حتى دخلها نفر من بنى كنانة من قريش وأحدثوا بها ، فغضب أبرهة وعزم على غزو مكة وهدم الكعبة ، فخرج بجيش كثيف وتبعه الفساق من خثعم عليهم نفيل بن حبيب وبنو أمه من بنى الحرث بن كعب ، فسار حتى نزل الطائف ، وفيها بيت يعبد فعزم على هدمه ، فقال له مسعود بن معتب : ان رأيت أن تمضى لقصدك ، فاذا رجعت رأيت فينا رأيك ، فخرج نحو مكة ، فلما شارفها أخذ أموال قريش فاستاقها وهم بالمسير ، فخرج اليه أبو طالب ^(١) — وكان له ولأهله فيها ابل — فقال : خل عنها ، فلها من لو أراد منعها ، فأمر له بإبله ، وخرج حتى قام بفناء البيت يدعو الله تعالى ويقول :

لَا هُمْ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ

فَأَمَّنْهُ فَغَجَّ حَلَاكُكَ ^(٢)

(١) الاظهر أنه عبد المطلب كما جاء فى كتاب سمط النجوم العوالى .

(٢) الحلال بالكسر متاع الرجل .

لَا يَغْلِبَنَّ صَلَاتُهُمْ وَمَحَالَّتُهُمْ أَبَدًا مَحَالَّكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَفَيْتَهُمَا فَمَرَّ مَا بَدَا لَكَ

بَدَا لَكَ ثُمَّ صَارَ أُبْرَهَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَغْمَسِ ^(١) نَكَصَ الْفِيلُ فَزَجَرُوهُ وَأَدْخَلُوا
الْحَدِيدَ فِي أَنْفِهِ حَتَّى خَزَمُوهُ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ ، ثُمَّ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الْجَرَادِ
فَقَذَفَتْهُمْ بِحِجَارَةٍ فِي أَرْجُلِهَا فَوَلَّوْا هَارِبِينَ ، ثُمَّ هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ وَفِيهِمْ أُبْرَهَةُ ، فَلَمَّا
دَفَعَ اللَّهُ عَنْ قُرَيْشٍ شَرَّهُمْ قَالَتِ الْعَرَبُ : قُرَيْشُ آلِ اللَّهِ وَقَرَابِينُهُ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ
ظَالِمٍ :

فَإِنْ يَكُ مِنْهُمْ أَصْلَى فَمِنْهُمْ
قِرَاشٌ لِلَّهِ بَنُو قُصَيٍّ

وَقَالَ أَبُو الصَّلْتِ ^(٢) التَّقْفَى فِي شَأْنِ الْفِيلِ :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّيَ بَاقِيَاتٌ
مَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
حَسَّ الْفِيلُ بِالْمُغْمَسِ حَتَّى
ظَلَّ يَحْجُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسَلْتِ :

وَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومٍ ^(٣) مُهْدِي الْكَتَائِبِ
كَتَائِبُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَحْلُهُ
عَلَى الْعُدْوَاءِ فِي رُؤُوسِ الْمَرَاقِبِ ^(٤)

(١) اسم مكان بين مكة والطائف ولكنه قريب من مكة .

(٢) في سمط النجوم ان القائل أمية بن أبي الصلت .

(٣) هو أبرهة الأشرم .

(٤) العدواء المركب غير المظمتن والمراد الفيل والمراقب جمع مرقب وهو المكان العالي الذي يقف عليه

الحارس ليراقب العدو .

فَلَمَّا أَجَازُوا بَطْنَ نُعْمَانَ رَدَّهُمْ جُيُوشُ الْإِلَهِ تَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ^(١)

وولد رسول الله ﷺ بعد خمسين يوما من طارقة الفيل ، قدم الفيل مكة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم ، وولد النبی يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وهو اليوم العشرون من نيسان سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من سنى ذى القرنين ، والشمس فى الثور ، قال أبو الحسن النساب : رواه لنا أبو أحمد عنه ولد — عليه السلام — يوم الإثنين السابع عشر من ذى ماه ، وهو اليوم العاشر من نيسان ، وقد مضت من ملك أنوشروان أربع وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، وكان — ﷺ — يقول : (ولدت فى زمن الملك العادل أنوشروان) ، ومن أيام ملوك الروم على عهد قسطة ،^(٢) ومن أيام ملوك اليمن من أول سنة من ملك أبرهة ، كذا قال وهو مخالف لما تقدم ، ومن أيام ملوك العرب بالعراق لثمان سنين وثمانية أشهر من ملك أبى هند عمرو بن هند ، وملك الشام يومئذ أبو الريان الحارث الوهاب .

أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من يندفع من عرفة فهى توفد إلى الآن قصى

وهى إحدى نيران العرب ، ونيران العرب هى نار الاستمطار ، ونار التحالف ونار الأهبة للحرب ، ونار الطرد ، ونار الحرس ، ونار السعالى ، ونار الاسد ، ونار القرى ، ونار السليم ونار العذاء ، ونار الوسم .

فأما نار الاستمطار : فكانوا فى الجاهلية الاولى اذا احتبس المطر

(١) الساف الريح التى تحمل التراب والحاصب الطير التى رمتهم بالحجارة .

وفى الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣

فلما أتاكم نصر ذى العرش رُدُّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصِبٍ

فَوَلَّوْا سَراعا هارين ولم يُؤْتِ إلى أهله ملجئ غير عصائب

(٢) لعله قسطنطين .

يجمعون البقر ، ويعقدون في أذنانها وعراقيبها السلع والعشر ،^(١) ويصعدون بها في الجبل الوعر ، ويشعلون فيها النار ، ويرعمون أن ذلك أسباب المطر .

قال أمية بن أبي الصلت :

سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرٌ مَا
عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْيَقُورَا

وقال الودّاع الطائي :

لَأَدْرُدُ رِجَالِ خَابِ سَعْيِهِمْ
يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعَشْرِ
أَجَاعِلُ أَنْتَ يَيَقُوراً مُسَلَّعَةً^(٢)
ذَرِيعَةً لَكَ يَنِيَّ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

اليقور والباقر والبقر سواء .

وأما نار التحالف : فانهم كانوا يوقلونها ، ويعقدون حلفهم عندها ، ويذكرون ، منافعها ، ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد ، ويهلون على من يخلف على الغنم ،^(٣) قال أبو هلال : وانما كانوا يخصصون النار بذلك دون غيرها من المنافع ، لان منفعتها تختص بالانسان لا يشركه فيها شيء من الحيوان ، قال أوس بن حجر :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ
كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهُولِ خَالِفُ

وكانوا يقولون عند عقد الحلف : الدم الدم ، الهدم الهدم ، — بالفتح — ومابل بحر صوفة ، ومارسا ثبير ، أو غيره من الجبال كل قبيلة كانوا

(١) هما نوعان من الشجر .

(٢) أى معلق بها أغصان السلع .

(٣) المراد ويهلون على من يغدر .

يذكرون الجبال التي يعرفونها .

وأما نار الطرد : فانهم كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه ، قال شاعر قديم :

وَجَمَّةُ أَقْوَامٍ حَمَلَتْ فَلَمْ تُكُنْ
لِتُوقِدْ نَاراً خَلْفَهُمْ لِلشَّدَمِ

والجممة الجماعة يمشون في الدم والصلح .

قال بشار :

صَحَوْتُ وَأَوْقَدْتُ لِلْجَهْلِ نَاراً
وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا

وأما نار الأهبة للحرب : فانهم كانوا إذا أرادوا حرباً ، أو توقعوا جيشاً ، أوقدوا نارا على جبلهم ، ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتونهم قال عمرو بن كلثوم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَارٍ^(١)
رَقَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَّيَا

وإذا جد الامر أوقدوا نارين ، قال الفرزدق :

لَوْلَا فَوَارِسُ ثَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ
نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلِّ مَكَانٍ
ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا
نَارَيْنِ أَشْرَقَتَا عَلَى النِّيرَانِ

وأما نار الحرس : فكانت في بلاد عيس ، فإذا كان الليل فهي نار تسطع ، وفي النهار دخان يرتفع ، وربما نذر منها عتق فأحرق من صوبها ،

(١) جبل كانوا يوقنون عليه غداة الغارة .

فحفر لها خالد بن سنان فدفنها ، فكانت معجزة له ، وأهل النظر ينكرون نبوته ، ويقولون : انما كان أعرايا من أهل البادية ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ^(١) .

وقال خلیل العبی :

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ مِنْ غَيْرِ قَرْيَةٍ
وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كَرَبِ النَّحْلِ

وقال :

كَتَارِ الْحَرَّتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ
نُصِمُ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ

وأما النار التي تنسب الى السعالی ^(٢) : فهو شيء يقع للمتغرب والمتغفر قال أبو المطران عبيد بن أيوب :

لِلَّهِ دُرُّ الْغُولِ أَيُّ رَفِيقَةٍ
لِصَاحِبِ دُرٍّ ^(٣) خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ
أَرَأَيْتَ يَلْخَنِي بَعْدَ لَخْنِي وَأَوْقَدْتُ
حَوَالِي نِيرَانًا ثُبُوحٌ وَتَرْهَرُ

وأما نار الصيد : فنار توقد للظباء لتعشى اذا نظرت اليها ، ويطلب بها ايضا ييض النعام ، قال الطفيل :

عَوَارِبُ لَمْ تُسْمَعْ ثُبُوحُ مَقَامِهِ
وَلَمْ تَرَ نَارًا ثَمَّ حَوْلَ مُحَرَّمٍ

(١) سورة يوسف الآية (١٠٩) .

(٢) الغول وأنثاه .

(٣) الدو البرية والمعنى ان النار خير رفيق للسارى فى البرية خائفا جائعا لانها تنير له فيذهب خوفه ويظهر عليها فيذهب جوعه .

سَوَى نَارٍ يَبْضُ أَوْغْزَالٌ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُسِ ^(١) الْمُتَاجِرِ نَوَامٍ

وأما نار الأسد : فانهم يوقدونها اذا خافوه ، وهو اذا رأى النار استهالها ، فشغلته عن السابلة ، قال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدث له فكر يصده عن ارادته ، والضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق ، وتنبأ بعضهم فقيل له ما علامتك ؟ وكان بقربه غدیر فيه ضفادع تنق ليلا قال : أمر ضفادع هذا الغدير بالسكوت فتسكت ، ثم قال لعلامه خذ السراج وامض ، فقل لها فلتسكت ، فسكت . لما رأت السراج ، ففتن القوم ، وكان مسيلمة قد عمد الى يبضه فجعلها فى خل ، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس . وتركها ، فجفت فيها وعادت الى هيئتها ، وكذلك تكون وأتى بها جماعته وأهل بيته ، فدعاهم الى تصديقه فكذبوه فأخرجها ، فلما نظروا اليها تحيروا وصدقوه ، وهم أعراب جهال لا يعرفون وجوه الأمور ، وأخذ حماما مقاصيص ودخل بيتا ، وزعم انه يناجى الله لينبت أجنحتها فى الحال ، فغرز فى أجنحتها ريشا أعده عنده ، ثم أخرجها وخلاها فطارت فزادت فتنة القوم ، وكانوا من أجهل الناس ومن جهلهم انهم اتخذوا إلها من الحيس ^(٢) فعبدوه دهرا ، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه ، فقال رجل من بنى تميم يهجوهم :

أَكَلْتُ خَيْفَةَ رَبِّهَا زَمَنَ التَّقَحُّمِ ^(٣) وَالْمَجَاعَةِ
لَمْ يَخْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ

واما نار الحَبَّاجِ ^(٤) : فكل نار لأصل لها ، مثل مايتقدح من نعال الدواب وغيرها ، قال أبو حية :

(١) البقر الوحشى .

(٢) طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

(٣) زمن الشلة .

(٤) النار الخفية ويضرب بها المثل فى الضعف .

وَأَوْقَدَ نِيرَانَ الْجَبَابِ وَالْتَقَى
غَضًّا^(١) تَتَرَأَى يَنْهَنُّ وَلَاؤْلَهُ

والعرب تسمى البرق نارا ، قال الشاعر :

نَارٌ يَعُودُ بِهَا لِلْعُودِ جَدُّهُ
وَالنَّارُ تَلْفَحُ عِيدَانًا فَتَحْرِقُ

ونار اليراعة : وهو طائر صغير ، اذا طار بالليل حسبته شهابا ،
والطرب^(٢) من الفراش اذا طار بالليل حسبته شرارة ، وتقول العرب : أكذب من
تلمع ، وهو حجر يلعب من بعيد واذا دنوت منه لم تر شيئا .

ونار القرى : توقد للأضياف ، قال الشاعر :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ رِيحٍ
إِذَا النِّيرَانُ جَلَّتْ الْقِنَاعُ^(٣)
وَمَا أَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ سَوَامًا^(٤)
وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

وأخذه الأشجع فقال :

تُرُومُ الْمُلُوكِ مِدَى جَعْفَرٍ
وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَكَيْفَ يَتَأَلَوْنَ غَايَاتِهِ
وَهُمْ يَجْمَعُونَ وَلَا يَجْمَعُ

(١) هو من أجود أنواع الوقود عند العرب .

(٢) هكذا وجدت في الأصل ولعل المراد نوع من الفراش .

(٣) جللت عمت والقناع طبق يوضع فيه الطعام .

(٤) المراد السائمة وهي الماشية .

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَى
وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وقال ابن ميادة :

يَدَاهُ يَدٌ تَهْلُ بِالْخَيْرِ وَالتَّدَى
وَأُخْرَى شَدِيدٌ بِالْأَعَادَى ضَرِيرُهَا
وَنَارَاهُ نَارٌ زَادَ كُلَّ مَدْفَعٍ
وَأُخْرَى يُصِيبُ الْمُجْرِمِينَ سَعِيرُهَا

وقال الأعشى :

يَشِبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانَهَا
وَبَاتَ عَلَى النَّارِ التَّدَى وَالْمَحَلُّ

والمحلل المملوح وكان هذا البيت يستحسن حتى قال الحطيئة :

مَتَى ثَابِتُهُ تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

فعفى على الاول ، هكذا قالوا ، وعندى ان الاول أحسن وأعذب .

ونار الحرب : مثل وليس بحقيقة .

ونار السليم ، توقد للملذوغ اذا سهر ، وللمجروح اذا نرف ،
وللمضروب بالسياط ، ولمن عضه الكلب ،^(١) لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر حتى
يؤديهم الى الهلكة : قال المجروح :

أَبَا ثَابِتٍ أَنَا إِذَا يَسْبِقُونَا
سَتَرْكَبُ خَيْلَ أَوْيَبُهُ نَائِمٌ

(١) هو داء يصيب الانسان اذا عضه الكلب .

لَدَامِيَّةٌ تُعْشِي الْفَرَّاشَ رَشَاشُهَا
يَبِيْتُ لَهُ ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ

والمنزوف اذا نام أصابه الكزاز^(١).

ونار الفداء : وذلك ان الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة
للفداء والاستنهاب ، فكروها ان يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن ، وفي الظلمة
فيخفي قدر ما يحسبون لانفسهم من الصفى ، فيوقدون النار لعرضهن ، وذلك
قول الأعشى :

وَهَذَا الَّذِي أَغْطَاهُ بِالْجَمْعِ رَبُّهُ
عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا
نِسَاءُ بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أُوَارَةٍ^(٢)
عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فِتْيَاتُهَا

ونار الوسم : يقال للرجل ما نارك ؟ أى ، ماسمة إبلك ؟ وقرب بعض
الصوص أبلا للبيع ، فقيل له : مانارك ؟ وكان قد أغار عليها من كل وجه ،
وانما سئل عن ذلك لانهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم أبليهم من لؤمها فقال :

يَسْأَلُنِي الْبَاعَةُ أَيْنَ نَارُهَا
إِذْ رَغَزْغَوْهَا فَسَمَتْ أَبْصَارُهَا
كُلُّ نِجَارٍ إِيْلَى نِجَارُهَا
وَكُلُّ دَارٍ لِأَنَاسٍ دَارُهَا
وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا

(١) هو انقباض ويبوسة تصيب أعضاء المنزوف .

(٢) أوارة اسم جبل كانت عنده معركة بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل .

وقال آخر :

يَسْقُونَ آبَالْهُم بِالنَّارِ
وَالنَّارُ قَدْ تُسْقَى مِنَ الْأَوَارِ

يقول لما رأوا نارها خلوا لها المنهل فشربت لغز أصحابها .

أول من سمي الجمعة جمعة وكانت تسمى عروبة كعب بن لؤي

وذلك أنه جمع قريشا وخطبهم فقال : اسمعوا وعوا ، وتعلموا تعلموا ، وتفهموا تفهموا ، ليل داج ،^(١) ونهار ساج ،^(٢) والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك الى بلى ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، وأصلحوا أعمالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ؟! أم ميت نشر ؟ الدار أمامك ، والظن خلاف ماتقولون ، زينوا حرمكم وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتي له بناء عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم قال :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاجْتِلَافٌ حَوَادِثُ

سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوبُهَا وَمَرِيرُهَا

يُؤُوبَانِ^(٣) بِالْأَخْدَاتِ حِينَ تَأْوَبَا

وَبِالنَّعَمِ الضَّافِي عَلَيْنَا سُرُورُهَا

صُرُوفُ^(٤) وَأَنْبَاءٌ ثَقَلَتْ أَهْلَهَا

لَهَا عَقْدٌ مَا يُسْتَحَلُّ مَرِيرُهَا^(٥)

عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَيْرُهَا

(١) مظلم .

(٢) ساكن .

(٣) يرجعان .

(٤) المراد نوايب الدهر وأحداثه .

(٥) المرير المحكم والمراد أن عقدها لاتحل .

ثم قال أيضا :

يَا لَيْتِي شَاهِدَ النَّجْوَى لِذَغْوَتِهِ
(١) خَيْرَ الْعَشِيرَةِ يَنْبَغِي الْحَقُّ جَذَلَانَا

ولعروية نظائر من الاسماء التي كانت تستعمل ثم ترك استعمالها ، فمن ذلك
أسماء الايام كلها ، وعروية منها ، فقد كانوا يسمون الأحد الأول ، والإثنين أهون ،
والثلاثاء جبار ، والاربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروية ، والسبت شيار ،
وأنشد الاعشى .

أَأْمَلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْمِي
بَأَوَّلٍ أَوْ بِأَهْوَنٍ أَوْ جُبَارٍ
أَوْ التَّالِي دِبَارُ أَوْ فَيَوْمِي
بِمُؤْنَسٍ أَوْ عُرُوبَةٍ أَوْ شِيَارٍ

وكانوا يقولون الاتاة ، فتركوها وقالوا : الخراج ، والمكس فتركوه وقالوا :
الضريبة وقالوا : أنعم الله صباحك ومساك وتركوا أن يقولوا للملك أبيت اللعن وأن
يقولوا للصاحب والسيد والملك أربابا ، وأن يقولوا للجارية غلامه وللمرأة رجلة ، وكل
ذلك كان مستعملا في الجاهلية قال امرؤ القيس :

أَلَا أُنْعِمُ صَبَاحاً أَنِيهَا الطَّلُّ (٢) الْبَالَى

وقال الحارث بن حلزة :

رَبُّنَا وَابْنُنَا وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الشَّاءُ (٣)
وقال آخر : يُهَانُ لَهَا الْعَلَامَةُ وَالْعَلَامُ

(١) جذلانا أى فرحاً .

(٢) الموضع المرتفع الشاخص من الآثار .

(٣) فى المعلقة شرح الزوزنى (ملك مقسط وأفضل الخ) .

وقال آخر : لَمْ يُرَاغُوا حُرْمَةَ الرَّجُلِ^(١)

وقد حدثت في الاسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان آخر ، فأول ذلك القرآن^(٢) والسورة^(٣) والآية^(٤) والتميم ، قال تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾^(٥) أى تحروه ، ثم كثر ذلك حتى سمي التمسح تيمما ، والفسق وهو الخروج من طاعة الله تعالى ، وانما كان ذلك في الرطبة اذا خرجت من قشرها ، والفأرة اذا خرجت من جحرها ، وسمى اظهار الايمان مع اسرار الكفر نفاقا ، والسجود لله ايمانا ، وللوثن كفرا ، ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئا .

ومنه تسمية الرجل الذى أدرك الجاهلية والاسلام مخضرا ، وأصله من خضرت الغلام أى خنته ، والأذن إذا قطعت من طرفها شيئا وتركته ينوس^(٦) ، وكان زمان الجاهلية قطع عليه وقال بعضهم : الخضرة الابل التى نتجت من العرب واليمانية ، ف قيل : رجل مخضرم اذا عاش في الجاهلية والاسلام وهذا أعجب^(٧) القولين إلى ، وكان أهل الجاهلية يقولون رجل صروره اذا بلغ النهاية في العبادة ، فصار ذلك في الاسلام اسما لمن لم يحج ، وكانوا يسمون قوام البيت السدنة ، ف قيل في الإسلام الحجة ، ومن الاسماء المستحدثة تسمية الفرج المتاع والعورة ، وأصل العورة الانكشاف والامكان ، يقال أعور الفارس اذا بدا موضع منه للطنع والضرب ، وأعور البيت اذا أمكن السراق ، وفي القرآن ﴿ إِنَّ يُوْنُسَ عَوْرَةً ﴾^(٨) أى معورة ممكنة لمن أرادها ، وعورة الثغر المكان الذى اذا انكشف وظهر

(١) الشطر الأول من البيت : خرقوا جب فئاتهم

(٢) هى فى الأصل مصدر قرأ ومعناها الجمع وضم الشئ بعضه الى بعض ثم سمي كلام الله قرآنا .

(٣) والسورة فى الأصل ما ارتفع من البناء وحسن او المنزلة ثم سميت بها القطعة المستقلة من القرآن .

(٤) والآية فى الأصل العلامة ثم سميت بها الجملة المستقلة من القرآن المفصلة بفصل لفظى .

(٥) النساء الآية (٤٣) والمائدة الآية (٦) .

(٦) يتحرك ويتذبذب متديلا .

(٧) أحب القولين الى .

(٨) الاحزاب الآية (١٣) .

للعذو خيف من جهته ، ومن ذلك الغائط^(١) والنجو^(٢) والعذرة^(٣) لنزيل الانسان ،
والملاسة للنكاح ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .

أول قسامة كانت

مأخبرنا به أحمد قال : أخبرنا الهذلي قال : أخبرنا أبو عبد الله الجهني قال :
كان من حديث عمرو بن علقمة وخداش بن عبد الله ان خداشا خرج الى الشام في
ركب قريش واستأجر ، عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف ، فلما كان
ببعض الطريق نزلوا منزلا ، وانطلق خداش بظهره يرعاه ، وترك عند عمرو ناقة
مهزولة ، وأمره أن يعلفها ، وفي عنقها حبل ، فمر قوم على عمرو فاستعانوه وقد
شردت أبلهم ، فطرح لهم الحبل الذي في عنق الناقة ، فلما جاء خداش قال : أين
الحبل ؟ فأخبره أنه أعاره رجلا ، فقال : ماحمك على ما صنعت ؟ وقد نزلنا أرضا
لأنجد فيها مستعانا ، فضربه بعضا فشجه ، فضمن^(٤) من ضربته ، وجعل يجد وجعا
كأنه ينزل الى صدره .

فكتب عمرو كتابا الى أبي طالب وأبي سفيان بن حرب وبنى عبد مناف ،
أنه كان من أمرى كذا وكذا ، فان رجع اليكم ولست معه فقد قتلني ، فاطلبوا
بدمي ، ثم استعرض قوما فدفعه اليهم فبلغوا بنى عبد مناف ، فلما قدم خداش وليس
معه عمرو سألوه عنه ، فقال : مات فقالوا : كذبت بل قتلته ، فطلبوا العقل ، فأبى
عليهم ، فقال : مامكت إلا أياما حتى مات فتحاكموا الى الوليد بن المغيرة ، وهو
يومئذ حكم قريش ، فقضى على خداش ورهطه بالقسامة ، أن يحلف خمسون رجلا
ما قتلنا صاحبكم ، فحلفوا كلهم إلا حويطب بن عبد العزى ، افتدت أمه بميمته
بأربعين أوقية ورقا ، والأوقية أربعون درهما ، وكان أكثر قريش ريعا بمكة فهلك الذين

(١) هو الأصل للمطمئن من الأرض المنخفض منها ثم سمي به الخارج من دبر الانسان .

(٢) والنجو في الأصل الخارج من الانسان ثم أطلق على زيل الرجل .

(٣) هي كالنحو تماما في الأصل والاطلاق .

(٤) أصابه مرض يجد وجعه الحين بعد الحين .

حلفوا جميعا ، وورثهم حويطب فذلك قول أنى طالب :

أَفِي فَضْلِ حَبْلٍ لِأَبَاكَ ضَرَبْتَهُ
بِمَنْسَأَةٍ قَدْ جَاءَ حَبْلٌ وَأَخْبَلٌ
هَلُمَّ إِلَى حُكْمِ ابْنِ صَخْرَةَ إِنَّهُ
سَيَحْكُمُ فِيمَا بَيْنَنَا ثُمَّ يَغْدِلُ
كَمَا كَانَ يَقْضِي فِي أُمُورِ تَوْبِنَا
فَيَعْمَلُ لِلْأَمْرِ الْحَسِيمِ فَيَفْصِلُ

وصخرة هي أم الوليد فقال أبو الوليد أحد بنى عامر بن لؤى :

أَنْدَعُو إِلَى حُكْمِ بْنِ صَخْرَةَ أَنْفَا
أُمَاهُ^(١) لِحُكْمِ الْعَبْدِ وَالْعَبْدِ أُنْذَلُ
خِدَاشٌ إِذَا مَا هَاجَتِ الْحَرْبُ فَارِسٌ
وَعِنْدَ بَنِي سَجْعٍ بِمَكَّةَ يَعْمَلُ
أَبَا طَالِبٍ مَا كُنْتُ تُعَلِّمُ أَنَّهُ
خِدَاشٌ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ مُحْجَلٌ

قال العباس بن عبد المطلب في ذلك وقد روى لغيره

أَيَا قَوْمَنَا إِنْ تُنْصِفُونَا فَأَنْصِفَتْ
قَوَاطِعُ^(٢) فِي أَيْمَانِنَا تُقَطِّرُ الدَّمَ
تَرْكَنَاهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَنَا
لِيَدَى رَحِمٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَخْرَمًا

(١) هكنا وجدت في الاصل ولعلها آه لحكم العبد والمعنى أشكر وأتوجع .

(٢) قواطع جمع قاطع وهو السيف .

وَزَعْنَاهُمْ^(١) وَزَعِ التَّوَامِسُ^(٢) بِالْقَنَّا
وَكَلَّ سُرَيْجِي^(٣) إِذَا هَزَّ صَمَمًا
فَلَا تَرْجُوْنَا حَاصِنٌ بَعْدَ طَهْرِهَا
لَيْنٌ نَحْنُ لَمْ نَثَّارُ مِنَ الْقَوْمِ عُلْقَمًا
أَبَا طَالِبٍ لَا تَقْبَلِ التَّصَفَّ مِنْهُمْ
وَإِنْ أُنْصَفُوا حَتَّى تَعْقُ وَتُظْلِمًا

وغلط عمر بن شبه من هذا الخبر في ثلاثة مواضع قال : المقتول علقمة بن المطلب وهو عمرو بن علقمة وانما زل لما سمع قول العباس « لئن نحن لم نثار من القوم علقما » وانما اراد عمرو بن علقمة فلم يستو له البيت فذكر علقمة اضطرارا وقال علقمة ابن أخت أبي طالب وليست تعرف لابي طالب أخت كانت عند المطلب بن عبد مناف ثم قال وقضى فيه الوليد وهو غلط ولا يشك أهل الاخبار أنه قضى بالقسامة وأنه اول قسامة قضى بها .

اول من خلع نعليه لدخول الكعبة الوليد بن المغيرة

فخلع الناس نعالهم فى الاسلام ، وكانت قريش يقولون : لا وثوبى الوليد الخلق منهما والجديد ، وكانوا عملوا له تاجا ليتوجه به ، فجاء الاسلام فانتقض أمره ، وكان من قبل يسمى ريحانة قريش ، أخبرنى بعض البصريين قال : دخل رجل منا مشهدا بالبصرة فمشى بنعليه حتى تخطى الى المحراب ، فوثب عليه القوم يضربونه فقال : اسمعوا عذرى فان تصورتموه والافشأنكم ، انا رجل منكم يعنى من الشيعة وقد جعلت لله على نفسى الا أمر بهذا المشهد الا أدخله متبركا به متقربا الى الله فيه ، واجترت هذا الوقت وانا جنب ، فلم أخلع نعلى لئلا تمس رجلى أرضه ، فخلوه واعتذروا اليه ، فلم أر اجهل منهم ، نعموا

(١) حسنا أولهم عن آخرهم .

(٢) التوامس المفسلون .

(٣) نوع من السيوف منسوب الى رجل اسمه سريج وكان ماهرا فى صنعها .

عليه ما هو في سعة من فعله ، وعذروه في المحذور .

ومثله ما سمعت أصحابنا يتحدثون ان جماعة دخلوا على بعض المتكلمين ببغداد ، فوجدوه يأكل في يوم من شهر رمضان ، فلما أنكروا عليه قال : أخبركم أنى لست أشك في الله — تعالى — ولكنى أشك في النبوة ، فبلغ بعض الشيوخ قوله فقال : مارأينا رجلا نقم عليه الفسق واعتذر بالكفر غيره ، وقريب منه ما أخبرنا أبو احمد قال : أخبرنا الجوهري قال : أخبرنا عمر بن شبة عن صلت بن مسعود عن احمد بن شوية عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال : قدم معاوية مكة أو قال المدينة ، فأتى المسجد فقعده في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأقبلوا اليه ، وأعرض ابن عباس عنه ، فقال : وأنا أحق بهذا الامر من هذا المعرض وابن عمه ، فقال : ابن عباس ولم ؟ ألتقدم في الاسلام ؟ أم سابقة مع رسول الله ؟ أم قرابة منه ؟ قال : لا . ولكن ابن عمي المقتول ظلما ، قال فهذا أحق به ، يريد ابن أبي بكر ، قال : إن أباه مات موتا قال : فهذا أحق به ، يريد ابن عمر ، قال : ان أباه قتله كافر ، قال فذاك أدحض لحجتك ان المسلمين عتبوا على ابن عمك فقتلوه في كلام هذا معناه .

اول من حرم الخمر في الجاهلية الوليد بن المغيرة

وقيل اول من حرمها قيس بن عاصم ، وكان يأتيه خمار فيبتاع منه الخمر ، ولا يزال في جواره حتى ينفذ ما عنده ، فشرب ذات يوم فسكر سكرا شديدا ، فجذب ابنته ، وتناول ثوبها ، وأذهب ماله ومال الخمار ، وانشأ يقول وهو يضربه .

مِنْ تَاجِرٍ فَاجِرٍ جَاءَ آلَاءُ بِهِ
كَأَنَّ لِحِيَّتَهُ أَذْنَابُ أَجْمَالٍ
جَاءَ الْحَبِثُ بِمِيسَانِيَةٍ^(١) تَرَكَتْ
صَخْبِي وَأَهْلِي بِلَا عَقْلِ وَلَا مَالٍ

(١) المراد الخمر المنسوبة إلى ميسان وهي ناحية معروفة بين البصرة وواسط .

فلما صحا أخبرته ابنته بما صنع ، وما قال ، فألى أنه لا يذوق الخمر أبدا ، وقال :

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً^(١) وَفِيهَا
خِصَالُ تَفْسِدِ الرَّجُلِ الْحَلِيمِ
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَاحِبًا
وَلَا أُسْقَى بِهَا أَبَدًا سَقِيمًا
وَلَا أُعْطَى بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي
وَلَا أَذْغُرُ لَهَا أَبَدًا نَدِيمًا

ودخل حارثة بن بدر الغساني على زياد وفي وجهه أثر ، فقال له : زياد :
ما هذا الاثر في وجهك ؟ قال : ركبت فرسا لي أشقر فحملني حتى صدم بي
الحائط ، فقال له زياد : انك لو ركبت الاشهب لم يصبك مكروه ، وقيل
لاعرابي ، لم لا تشرب^(٢) الخمر ؟ قال : لأشرب ما يشرب عقلي .

وممن اشتدت رغبته في الخمر حتى بلغت الغاية ، ابن هرمة دخل على
المنصور فأنشده :

لَهُ لَحَظَاتٌ مِنْ حِفَا فِي سَرِيرِهِ
إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ^(٣)
فَأُمُّ الَّذِي أَمَنْتَ أَمَنَةً الرَّدَى^(٤)
وَأُمُّ الَّذِي حَاوَلْتَ بِالْكُلِّ ثَاكِيلٌ^(٥)

فأعجب بها المنصور وقال : ما طلبتك ؟ قال : تكتب الى عاملك

(١) في نهاية الأرب : (رأيت الخمر جامحة) .

(٢) هكنا وجدت في الأصل والاصح (لم لا تشرب الخمر) ؟ او نحو ذلك .

(٣) فيها عقوبة للمسيء وثواب للمحسن .

(٤) الردى الهلاك .

(٥) الثكلي المرأة التي فقدت ولدها .

بالمدينة الا يحدنى اذا وجدنى سكرانا ، قال : لا أعطل حدا من حدود الله ، قال : يحتال لى فكتب الى عامله ، من أتاك باين هرمة سكرانا فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان العون^(١) إذا مروا به يقول من يشتري مائة بثمانين ؟ فيتركونه ويمضون .

ومما يجرى مع هذا ما أخبرنا به أبو احمد قال : أخبرنا الكرمانى قال : أخبرنى أبو جعفر بن العينى عن أبيه قال : حدثنا دعبل الشاعر أنه اجتمع هو ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس فى مجلس لهم ، فقال له أبو نواس : مجلسنا هذا قد شهد اجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده ، فليأت كل امرئ منكم بأحسن ماقاله ، فلينشده فأنشد أبو الشيص :

وَقَفَّ الْهَوَى بِى حَيْثُ أَتَيْتَ فَلَيْسَ لى
مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِى هَوَاكَ لَذِيذَةً
حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِى الْيَوْمُ
أَشْبَهْتُ أَغْدَايَ فَصِرْتُ أَجْبُهُمْ
إِذْ كَانَ حَظِّى مِنْكَ حَظِّى مِنْهُمْ
وَأَهْنَيْتِ فَأَهْنَتْ نَفْسِى صَاغِرًا
مَأْمَنُ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ

فجعل أبو نواس يعجب من هذا الشعر ، حتى لا يكاد ينقضى عجبه ، وأنشد مسلم أبياتا من شعره الذى يقول فيه :

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ^(٢) فِى يَوْمِ ذِى رَهْجٍ^(٣)
كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

(١) مساعنو الأمير .

(٢) مهج جمع مهجة وهى الروح .

(٣) الفتنة والشغب .

فقال له أبو نواس : هات ياأبا على ، وكأني بك قد جئتنا بأمر الفلا .

لَا تُعْجِبْنِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ
ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فقلت : كأنك كنت فى نفسى ، ثم سألوه ان ينشدهم ، فأنشدهم :

لَا تَبْكُ لَيْلَى وَلَا تُطْرَبُ إِلَى هِنْدٍ
وَأَشْرَبَ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأْساً إِذَا تَرَلَّتْ فِي حَلْقٍ شَارِبَهَا
أَبْصَرْتُ جَمراً يَبْهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ
وَالْخُمُرُ يَا قُوَّةَ وَالْكَأْسُ لُؤْلُؤَةٌ
مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةٍ الْقَدِّ^(١)
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْراً وَمِنْ يَدِهَا
خَمْراً فَمَالِكُ مِنْ سُكَّرِينَ مِنْ بُدْ
لِي نَشْوَتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ^(٢) وَاحِدَةٌ
شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ دُونِهِمْ وَخِدَى

قال : فقاموا فسجدوا له ، قال : أفعلتموها أعجمية ؟ لا كلمتكم ثلاثا وثلاثا وثلاثا ثم قال : تسعة أيام ، وهجر الاخوان كبيرة ، وفى هجر بعض يوم استصلاح للفساد ، وعقوبة على الهفوة ، ثم التفت الينا فقال : أعلمتم ان رجلا عتب^(٣) على أخ له فى المودة ، فكتب اليه المعتوب عليه ، ياأخى ، أن أيام العمر أقل من أن تحتل الهجرة ، قال أبو هلال : فأخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

الْذَمُّ أَقْصَرُ مُدَّةٍ مِنْ أَنْ يُمَحَقَّ بِالْعِتَابِ

(١) الممشوقة الطويلة مع رقة والقدر الاعتدال .

(٢) الندمان جمع نديم وهو الرفيق الذى يجالس على الشراب .

(٣) خطاب الصديق فى بعض ما يلام عليه ثقة فى محبته رجاء استصلاحه .

وقال في معناه :

لَا تَغْنِ الدَّهْرَ عَلَى مَبْتَلَى يَرْجُوكَ أَنْ تُكْفِيَهُ الدَّهْرَ
وَعُدْ إِلَى الْوَصْلِ فَعَمُرُ الْفَتَى أَقْصَرُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْهَجَرَ

أول من قطع في السرقة الوليد بن المغيرة

قطع رسول الله - ﷺ - في الاسلام ، وجاء به القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ^(١) وكانت قریش تحكم بذلك ، وروى العلماء أن بيت مقيس بن عبد القيس السهمي كان مألفا ^(٢) لشبان قریش ، وكان له قينتان ^(٣) ، يقال لهما : اسماء وعثمة يغنيانهم ، وكان ديك وديك الخزاعيان يخدمانهم ، فنقد شراهم ذات يوم ونفقتهم ، فعمد أبو لهب وكان من جملةهم الى غزال كان في الكعبة فتناوله ليلا ، وكسره وأخذ ما فيه من ذهب وياقوت ، وكان له قرطان وهبهما لأسماء وعثمة ، ثم صاروا الى غير نزلت بالابطح ^(٤) تحمل الخمر ، فاشتروا كل خمر فيها فشربوها شهرا ، ثم مر العباس بن عبد المطلب بدور بنى سهم عشيا ، فسمع القينتين تغنيان بقول الشاعر :

إِنَّ الْغَزَالَ الَّذِي كُنْتُمْ وَحْلِيَّتَهُ
تَقْنُونَهُ لِحُطُوبِ الدَّهْرِ وَالْغَيْرِ ^(٥)
طَافَتْ بِهِ غَضَبَةٌ مِنْ شَرِّ قَوْمِهِمْ
أَهْلُ التَّقَى وَالْعُلَى وَالْيَتِ ذِي السُّرْرِ
وَأَسْتَقْسِمُوا فِيهِ بِالْأَزْلَامِ ^(٦) عَلَيْكُمْ
أَنْ تَخْضَرُّوا بِمَكَانِ الرَّأْسِ وَالْأَثَرِ

(١) سورة المائدة الآية (٣٨) .

(٢) مكانا لاجتماعهم .

(٣) مغنيتان .

(٤) مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى .

(٥) غير الدهر أحداثه .

(٦) الازلام جمع زلم وهو السهم الذي ليس عليه ريش .

فعرف العباس أبا طالب ، فجاء فى نفر حتى دنوا من الباب ، فسمعوا أبا
سامع يقول للقيتين : غياهم بقولى :

أَبْلُغْ بَنِي النَّضْرِ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا
أَنَّ الْغَزَالَ وَبَيْتَ اللَّهِ — وَالرُّكْنَ
أَمْسَتْ قِيَانُ بَنِي سَهْمٍ تَقَسَّمُهُ
لَمْ يَغْلُ عِنْدَ نَدَامَاهُنَّ فِي الثَّمَنِ
وَقَهْوَةٌ مَرَّةً تُغْلَى التَّجَارُ^(١) بِهَا
غَايَةً عُنُقَتْ فِي الدِّنِّ مِنْ زَمَنِ

فلما صحوا ، هرب بعضهم ، وأخذت القيتان ، فوجد عندهما
القرطان ، فقالتا : انما نحن أمتان فخليتا ، وأخذ ديك فقطعت يده ، وتجاफوا عن
أبى لهب لشرفه ، وكان الغزال أهدها الى البيت اسفنديار الفارسى حين سمع
بذكر البيت يحج إليه .

أول من كسا البيت

أخبرنا أبو احمد قال : أخبرنا عبد الله بن العباس ، قال : حدثنا الفضل بن
عبد العزيز قال : حدثنا ابراهيم الجوهري قال : قال الواقدي : حدثني حزام بن
هشام عن أبيه قال : نهى رسول الله — ﷺ — ان يسب أسعد الحميري وهو
تبع ، وقال : انه أول من كسا البيت ، وزاد غيره فقال : هو أبو كرب وهو أول
من جعل للبيت مفتاحا ، وقال :

وَكَسَّوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ
مَلَاءَ مُقَصَّبًا وَبَرُودًا^(٢)

(١) القهوة الخمر والمعنى رفع التجار ثمنها .

(٢) الملاء ربيعة ذات لفقين والبرود جمع برد وهو ثوب مخطط او كساء من الصوف الاسود يلتحف به .

وَنِطَاعاً مِنْ الْخِصَافِ^(١) قَرَشْنَا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ أَقْلِيداً^(٢)

وقال فهاتان منقبتان لليمن ليس في العرب لها أخت ولا سنة .

حدثنا بإسناده عن الواقدي قال : حدثني اسماعيل بن ابراهيم بن أبي ربيعة عن أبيه قال : كسى البيت في الجاهلية الانطاع ، ثم كساه النبي — ﷺ — الثياب اليمانية ، ثم كساه عمر وعثمان القباطي ،^(٣) ثم كساه الحجاج ديباجا ،^(٤) والصحيح ان أول من كساه الديباج ابن الزبير ، وقيل يزيد بن معاوية ، وقيل عبد الملك ، وأول من خلق البيت ابن الزبير ، وأول من أحرمه يزيد بن معاوية ، وهم الذين كانوا يسترون البيت .

أول من نسأ النسيء القلمس

وهو حذيفة^(٦) بن عبد فقيم وتوارثه بنوه فكان آخرهم الذي أدرك الاسلام أبو ثمامة .

أخبرنا أبو احمد قال : أخبرنا عبد الله عن الفضل عن إبراهيم عن الواقدي قال : كانت العرب اذا فرغوا من حجهم اجتمعوا بمنى اليه — يعنى القلمس فأحل لهم من الشهور مألحل ، وحرم ما حرم ، فأحلوا مألحل ، وحرموا ما حرم ، وكان اذا حرم أربعة الاشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى حرم الله حرموها ، فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفراً

(١) النطع بساط من الجلد ولكنه هنا مصنوع من الخوص .

(٢) مفتاحا .

(٣) ثياب من كتان نسبة الى القبط .

(٤) الحرير الخالص .

(٥) طيبه بالخلوق وهو نوع من الطيب أغلب أجزائه الزعفران .

(٦) فى سمط النجوم أول من نسأ النسيء من مضر مالك بن كنانة والقلمى هو والحارث ابن مالك بن كنانة .

فحرموه ، لتواطىء عدة أربعة الأشهر ، فلما أرادوا الصدر^(١) اجتمعوا اليه فقال : انى أحللت دماء المحلين من طىء وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وانما أحل دماء طىء وخثعم لأنهما يصيبان الناس فى الأشهر الحرم ، قال جندل الطعان يفتخر بالنسئ :

لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّ أَنْ قَوْمِي
كِرَامُ النَّاسِ إِنْ لَهُمْ كِرَامًا
وَأَيُّ النَّاسِ فَأَثْوَبَا بَوْقِرٍ^(٢)
وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ يَعْلِكَ لِحَامًا^(٣)
أَلَسْنَا النَّاسِيَيْنِ^(٤) عَلَى مَعَدَّ
شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا

أول من بوب بمكة بابا حاطب بن أبى بلتعة

وفيه نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُقُونِ الْيَهُمَ بِالْمَوَدَّةِ﴾^(٥) وكان كتب الى أهل مكة يعرفهم ان رسول الله — ﷺ يريد غزوهم ، فأنزل الله تعالى هذه السورة واحتج بها المرجئة^(٦) وقالوا : هذا فعل مثل هذا الفعل ولم يخرج من الايمان ، قيل لهم : قال — تعالى — فى آخر الآية : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ افتسمونه ضبالا؟ فان قالوا نعم . قلنا : فى الخروج من اسم الايمان مثل ذلك ، فان قيل : هذا يعنى أنه من يفعله بعد النهى والوعيد قلنا مثله .

(١) الرجوع من السفر .

(٢) الوقر الوقار وهو الرزاة والحلم .

(٣) علك الشيء مضغه ولاكه .

(٤) النسئ التأخير والمراد تأخير حرمة الأشهر الحرم الى الأشهر الحلال ليستريحوا ما حرم عليهم فيها .

(٥) سورة الممتحنة الآية (١) .

(٦) هم فرقة من المسلمين كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة كما كانوا لا يحكمون على صاحب الكبيرة فى الدنيا بشئ ويرجئون أمره الى الله فى الآخرة .

أول من سقف بها بيتا وكانوا ينزلون العريش

وأول من اتخذ بها روشنا^(١) بدليل بن-ورقاء الخزاعي ، وهو أول من بنى بها بيتا مربعا ، وكانوا لا يبنون بها بيتا مربعا لان الكعبة مربعة فلا يبنون بها بيتا رفعا لشأنها وتشريفها لامرها ، وأول من بنى بها بيتا سعد بن سهم فقال عبد الله بن وداعة يفتخر :

وَسَعَدُ السُّعُودِ جَامِعُ الشَّمْلِ إِنَّهُ
بَدَأَ الْحِلْفَ وَالْأَخْلَافَ أَهْلُ خِلَافٍ
وَأَوْتَقَ عَهْدَ الْحِلْفِ وَالْوَدَّ بَيْنَهُمْ
بِأَمْرِ حَصِيفٍ^(٢) فِيهِمْ وَنِصَافٍ
وَذَلِكَ مَا أَرْسَى نَبِيرٌ^(٣) مَكَائَهُ
وَمَابِلُ بَحْرٍ صَوْفَةٌ بِنِطَافٍ
وَأَوَّلُ مَنْ بَوَّبَ بِمَكَّةَ يَتَهُ
وَسَوَّرَ فِيهَا مَسْكًا بِأَنَافٍ
وَآكْرَمَ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ أُبُوَّةً
وَأَمَجَدَ أَمَّا عَطَفَتْ بِعِطَافٍ
فَذَاكَ ابْنُ نَعْمٍ^(٤) سَادَ غَيْرَ مُكَلِّفٍ
وَلَكِنْ بِأَفْضَالٍ^(٥) وَقَضِلَ عَفَافٍ

والنطاف جمع نطفة وهي الماء يقال نطفة عذبة أى ماء عذب .

(١) الروشن فتحة فى الجدار كالطاقة .

(٢) جيد محكم .

(٣) نبير اسم جبل .

(٤) مكنا وردت ولعلها فذاك ابن سهم .

(٥) فى نسخة بأفعال .

ومن أوائل أفعالهم حلف الفضول

اخبرنا أبو أحمد قال : اخبرنا ابو عمر القاضي قال : حدثنا عبد الله ابن شبيب عن ابي بكر بن ابي شيبه عن عبد الله بن عروة عن حكيم ابن حزام ، واخبرناه عن الطوس عن الزبير بن بكار عن رجل عن محمد بن حسن عن محمد بن فضالة عن هشام بن عروة عن عائشة ، واخبرناه عن ابي بكر بن دريد عن ابي حاتم عن أبي عبيدة ، يزيد بعضهم على بعض ، فجعلت أحاديثهم حديثا واحدا ، ان رجلا من بنى زيد من مذحج قدم مكة بسلعة فباعها من العاص بن وائل ، وكان شريفا فظلمه ثمنها ، وأبت الأحلاف — عبد الدار ومخزوم وجمع — ان يعينوه عليه ، فأوفى الزبيدي على أبي قبيس^(١) عند طلوع الشمس ، وقريش حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بَضَاعُهُ
بِطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّقْرِ
وَمُخْرِمِ شَعْبٍ لَمْ يَقْضِ عُثْرَتَهُ
يَا لِّلرَّجَالِ وَيِنَّ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ
هَلْ مُخْفِرٍ مِنْ سَهْمٍ لِيُخْفِرْتَهُمْ
فَعَادِلٌ أَمْ ضَلَالٌ مَالٌ مُّغْتَمِرٍ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ ثَمَّتْ حَرَامَتُهُ
وَلَا حَرَامَ لِلثَّوْبِ الْفَاجِرِ الْقَدِيرِ

فقال الزبير بن عبد المطلب : ما لهذا مترك ، فاجتمعت زهرة وتيم وأسد في دار عبد الله بن جدعان ، وصنع لهم طعاما ، فتحالفوا ليكونن يدا على الظالم للمظلوم حتى يردوا حقه اليه ، وعلى الناس في المعاش ، فقالت قريش قد دخل هؤلاء في فضل من الامر ، ثم أتوا العاص بن وائل ، فانتزعوا سلعة

(١) اسم جبل بمكة .

الزبيدي من يده فدفعوها اليه ، وقال الزبير وكان صاحب هذا الحلف :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا وَتَعَاقدُوا
أَلَّا يَبِيتَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمٌ

وورد رجل من خثعم مكة ، ومعه بنت له يقال لها القتول ، من أحسن الناس وجها فعلقها^(١) نبيه بن الحجاج ، وغلب عليها أبويها ، فأتى أبوها حلف الفضول ، فحالوا بينها وبينه ، قال نبيه : أتركوها عندى الليلة : فقالوا : ما أجهلك ، ولا شخب^(٢) ناقة ، فقال نبيه :

لَوْلَا الْفُضُولُ وَحِلْفُهَا وَالْخَوْفُ مِنْ غَدَوَانِهَا
لَدَنُوتُ مِنْ أَيْتَانِهَا وَلَطُفْتُ حَوْلَ خَبَائِثِهَا
وَشَرِبْتُ فَضْلَةَ رِيْقِهَا وَلَيْمْتُ فِي أَخْشَائِهَا
وقال :

رَاحَ صَخْبِي وَلَمْ أَحْيِ الْقَتُولَا
لَمْ أَوْدَّغُهُمْ وَدَاعَا جَمِيلَا
إِذْ بَدَأَ لِلْفُضُولِ أَنْ يَمْنَعُوهَا
قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا

وقال النبي ﷺ — : قد شهدت مع عمومتي في دار ابن جدعان من حلف الفضول مالو دعيت عليه اليوم لأجبت ، وما أحب أن سينقضى ولى حمر النعم ، ثم كان بين الحسين — عليه السلام — وبين معاوية كلام في أرض للحسين ، فقال الحسين لابن الزبير خيره في ثلاثة والرابعة الصلح : ان يجعلك او ابن عمر بينى وبينه ، او يقر بحقى ثم يسألنى ان أهبه له ، او يشتريه منى فان

(١) أحياها .

(٢) مقدار حلب الناقة .

أبى فو الذى نفسى بيده لاهتنف عليه بحلف الفضول ، فقال ابن الزبير : والله لعن فعلت وأنا قاعد لأقومن ، او قائم لأمشين ، أو ماش لأشندن ، حتى تفنى روحى مع روحك ، ثم خيره بين ابن الزبير او ابن عمر ، فقال معاوية : لاجاجة لنا فى الصلح ، واشتراها منه ، هكذا رواه لنا أبو أحمد عن الطوسى باسناده الذى تقدم ، ورواه لنا أيضا فى كتاب أمراء المدينة أن هذه القصة كانت للحسين مع الوليد بن عقبة بن أبى سفيان وهو يلى المدينة .

أول من أهذى البدن الى البيت الياس بن مضر

وهو اول من وضع الركن بعد ذهابه فى الطوفان ، وقال بعض المفسرين : إياه عنى الله تعالى فى قوله : ﴿ سلام على إل ياسين ﴾ يعنى الياس بن مضر وأهل دينه جميعهم (بالواو والنون) ^(١) ، كأن كل واحد منهم الياس ، وقال بعضهم الياس والياسين بمعنى واحد ، كما تقول ميكال وميكائيل ، وقرىء على آل ياسين يعنى محمدا — ﷺ — .

أول من غير الحنيفية ويحر البحيرة وسيب السائبة وجعل الوصيلة والحام عمرو بن لحي

وهو عمرو بن ربيعة أبو خزاعة ، وهو أول من ولى البيت منهم ، ثم رحل الى قومه بالشام ورأى الاصنام تعبد فاعجبه عبادتها ، وقدم مكة بهبل ، ودعا الناس الى عبادته والى مفارقتها الحنيفية ، فأجابه الجمهور وأكثره من لم يجربه حتى استمر ^(٢) له مأرأد منه ، وقال النبى — ﷺ — : « أطلعت فى النار فرأيت عمرو بن لحي يجرقصه فيها — والقصب المعا ^(٣) — وكان الأصل فى عبادة الاوثان ، ان قوما من الأوائل اعتقلوا ان الكواكب تفعل أفعالا تجرى فى

(١) الاصح بالياء والنون والآية من سورة الصافات (١٣٠) .

(٢) لعل المقصود حتى استقر له ما أراد .

(٣) المعا واحدة الأمعاء .

النفع والضرر مجرى أفعال الآلهة على حسب مايعتقده بعض أهل التنجيم ، فاتخذوا عبادتها ديناً ، وأراد ملوكهم ورؤساؤهم توكيده في أنفسهم والزيادة فيه عندهم ، وذلك ان الملك يحتاج الى الدين كحاجته الى الرجال والمال ، لأن الملك لا يثبت الا بالتبعية ، والتبعية لا تكون الا بالإيمان ، والإيمان لا يكون إلا لأهل الأديان ، إذا لا يصح أن يحلف الرجل إلا بدينه ومعبوده ، ومن لا يعتقد من أمر الملك بالدين ، فصنعوا لهم الاصنام على صور الكواكب التي يعبدونها بزعمهم ، ليشاهدوها من قرب فتحلوا في نفوسهم ، وتركوا محبتها في قلوبهم ، ثم انتشر ذلك في أكثر الارض ، وعم جل^(١) الأقاليم ، وسمعت المشايخ يذكرون ان بعض المراكب اخطأ السم^(٢) في بعض البحار حتى انتهى أهله إلى جزيرة ، وإذا فيها ناس لم يعرفوا قط أن في الارض ناسا غيرهم ، وعرف بدلائل المكان ان أحدا منا لم يخلص اليهم قط ، وإذا هم يعبدون الاصنام ، ووقفوا من جهتهم بالاشارة الى ان السبب الذي دعاهم الى عبادتها هو الذي ذكرناه في أمر الكواكب وهذا من أعجب ما في هذا الباب والله أعلم .

وزعمت العرب أنها تعبد الاصنام لتشفع لها عند الله ، وهذا مثل ما حكي عن بعض السؤال أنه كان يقول « اللهم ارزق الناس حتى يعطوني » فقال له أبو الحارث حميد : مالك تسأل الله سفتجة^(٣) بالرزق ، سل الله يرزقك ، وكان ينبغي للعرب أن يعبدوا الله ليرحمهم ، ولا يحتاجون الى اقامة شفيع .

وعمر بن لحي اول من بحر البحيرة وسيب السائبة وجعل الوصيلة والحام .

والبحيرة : الناقة اذا نتجت خمسة أبطن ، فان كان الخامس أنثى بحروا

(١) جل يعنى معظم أو أكثر .

(٢) السم^(٢) الطريق .

(٣) السفتجة : ان تعطى مالا لرجل فيعطيك كتابا يمكنك من استرداد المال من عميل له في مكان آخر وذلك هو الحوالة في الفقه الاسلامي .

أذنها أى شقوها ، وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها ، وان كان ذكرا
نحروه للآلهة ، ولحمه للرجال دون النساء .

والسائبة : البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض أو
بلغه منزلة ان يفعل ذلك ، فلا يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبه أحد .

والوصيلة : من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن فان كان السابع
ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء ، وان كان أنثى تركت ، وان كان ذكرا
وأنثى قالوا وصلت أخاها ، فلم تذبح لمكانها وكان لبنها وجميع منافعها حراما
على النساء ، وان وضعته ميتا اشترك فى أكله الرجال والنساء .

وقالوا : السائبة الانثى من الابل ، يسيبها الرجل لآلهته ، ومن البقر والغنم فيكون
ظهورها وأولادها وأصوافها واوبارها وأشعارها للآلهة ، والبانها للرجال دون
النساء .

والحامي : الفحل اذا ركب ولد ولده ، وقالوا : اذا نتج من صلبه عشرة
أبطن قالوا : حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يمنع من كلاً ولا ماء .



الباب الثانى

فيما جاء من ذلك عن عامة أهل
الجاهلية

أول ما قيل الجاهلية

جاءت امرأة الى رسول الله — ﷺ — فقالت : يا رسول الله ، إن إبلا لي أصيبت فى الجاهلية ، فأنزل الله تعالى ﴿ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى ﴾^(١) وكانت قريش تسمى فى الجاهلية العالمية لفضلهم وعلمهم ، قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

أَلَسْنَا أَهْلَ مَكَّةَ عَالَمِيًّا وَأَدْرَكْنَا السَّلَامَ بِهَا رِطَابًا

والسلام الحجارة والعرب تزعم أن الحجارة كانت رطبة لينة قال ابن العجاج :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ زَمَنَ الْفِطْحِلِ^(٢) وَالصَّخْرُ مُتَبَلِّ كَطِينِ الْوَحْلِ

وقال مقاتل بن سليمان : أثرت قدم ابراهيم — عليه السلام — فى الصخر كتأثير أقدام الناس فى ذلك الزمان فى الصخور ، الا أن الله تعالى سوى تلك الآثار وعفاها ومسحها ومحاهها سوى أثر قدم ابراهيم — عليه السلام — تكرمه له ، وارادة لتخليد ذكره وكانوا يقولون ان كل شيء كان يعرف وينطق قال أمية :

بَآيَةِ كَانَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدِّيكِ الْغُرَابِ

(١) سورة الاحزاب الآية (٣٣) .

(٢) فى القاموس دهر لم يخلق فيه الناس أو زمن نوح عليه السلام .

ويقولون ان الاشجار لم يكن لها شوك ، قال الشاعر :

وَكَانَ رَطِيبًا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ حَصِيدًا طَلَحُهَا وَسِيَالُهَا^(١)

وان ذلك انما تغير حين عصى ابن آدم فى قتله أخاه ، وان الأرض لما شربت من دم المقتول عوقبت بعشر خصال : أنبت فيها الشوك ، وصير فيها الفيافي^(٢) . وخرق فيها البحار ، وملح طعمها ، وطعم أكثر مياهاها ، وخلق فيها الهوام والسباع ، وجعلت قرار العاصين ، وصير جهنم فيها ، وجعل ثمرها لا يأتى إلا فى حين ، وجعلت توطأ بالأقدام ، ثم لم تشرب بعد دم أحد من ولده ولا غير ولده ، قال عمر^(٣) لأبى مریم الحنفى : وكان قتل أخاه زيدا يوم اليمامة « انى لاشد بغضا لك من الأرض للدم » فقال أبو مریم : أو يضر بى ذلك ؟ قال لا : قال فلا أبالى ، ويقال : ان الحية كانت مثل الجمل ، وكانت تطير ، فدخل فيها ابليس ، فطار به حتى أدخلته الجنة ، فأغوى آدم ، فسيرت ملعونة ، قال عدى بن زيد :

وَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ^(٤) إِذْ خُلِقَتْ
كَمَا تَرَى نَائَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلًا

قال : فعوقبت بقص جناحيها ، وقطع أرجلها ، واعراء جلدها ، وشق لسانها ، والقاء عداوة الناس عليها ، ونسب الكذب والظلم اليها ، فقليل : أكذب من حية ، وأظلم من حية ، وكذبها ان تنطوى فى الرمل على الطريق فتصير كأنها طبق خيزران ، ومنها حيات بيض تستدير فتحسب خلاخيل أو أساور ، وذلك لتغرى الناس فتهلكهم ، وظلمها أنها لاتمر بجحر فتدخله الا هرب صاحبه منه وخلاه ، الى غير ذلك من حشو كثير وتخليط طويل عريض .

(١) السيال نبات له شوك أبيض طويل اذا نزع خرج منه مثل اللبن .

(٢) المغارة لا ماء فيها (الصحراء) .

(٣) هو ابن الخطاب رضى الله عنه .

(٤) المنقطة بسواد وبياض .

أول من خطب على العصا والراحلة قس بن ساعدة الايادي

وهو أول من أظهر التوحيد بمكة ، وما حولها مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ، ولو لم يكن من فضل قس الا أن النبي ﷺ — روى عنه لكفاه فخرا .

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان عن يحيى ابن عبد الحميد الوراق عن أبي معاوية عن الاعمش عن مسلم بن مسروق عن عبد الله قال : قدم وفد أياد على النبي ﷺ فقال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا : هلك يا رسول الله ، فقال كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ويقول : أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهز ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ،^(١) وأنهار مجرة ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا أثم فيه ، إن الله ديننا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرا ثم انشأ .

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ	مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ	لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا	يَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ	وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقْنْتُ أَنِّي لَأَمَحَالَةٌ	حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

وقال النبي ﷺ : (يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قس بن ساعدة فإن كان قاله الله فهو من أهل الجنة)

(١) مبسطة .

وهو أول من قال (أما بعد) أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم عن العقدي عن بعض رجاله قال : أوصى قس بن ساعدة ولده فذكر الله ثم قال : (أما بعد) — وهو أول من قالها — فإن المعاتفة البقلة ، وترويه المرققة ، ومن عيرك شيئا ففيه مثله ، ومن ظلمك يجد من يظلمه ، وإن عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك ، وإذا نهيت عن شيء فابداً بنفسك ، ولا تجمع مالا تأكل ، ولا تأكل مالا تحتاج إليه ، وإذا أخرت فلا يكونن كنزك الا فعلك ، وكن عف العيلة ، ^(١) مشترك الغنى ، تسد قومك ، ولا تشاور مشغولا وإن كان حازما ، ولا جائعا وإن كان فهما ، ولا مذعورا وإن كان ناصحا ، ولا تدع في عنقك طوقا لا يمكنك نزعها إلا بشق نفسك ، وإذا خاصمت فاعدل ، وإذا قلت فأقصر ، ولا تستودعنَّ سرك أحدا ، فانك ان فعلت ذلك لم تزل وجلا ، وكان المستودع بالخيار ، إن جنى عليك كنت أول ذلك ، وإن وفى لك كان المملوح دونك .

وقالوا : أول من قال (أما بعد) داود عليه السلام وهو قوله تعالى ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ^(٢) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن زياد ابن الخيل عن إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز عن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن جد أبي موسى أنه قال : فصل الخطاب (أما بعد) وقال الشعبي كذلك ، ومعناه أنه يفصل بين الحمد لله وغيره مما ~~يصلح~~ ^(٣) يبتدأ ^(٣) وبين مايجيء بعده من القول ، قال الشاعر :

باسم الذي أنزلت من عنده السور
والحمد لله أما بعد يا عمر
فإن رضى بما يأتى وما يدر
فكن على حدٍ قد ينفع الحد

(١) الفقر والمراد كن عفا عند الفقر .

(٢) سورة ص الآية (٢٠) .

(٣) هكذا وجد فى الاصل ولعل كلمة (به) سقطت من الناسخ .

وقال آخر :

سَأَزْعَى مِنْكَ مَا ضَيَّعْتُ مِنْى
وَهَلْ يُرْعَى لِذِى غَدْرِ ذِمَامُ
وَأَمَّا بَعْدُ فَالْذُّنْيَا عَلَيْنَا
مُكَدَّرَةٌ لِفَقْدِكَ وَالسَّلَامُ

والمراد أنها لاتقع مبتدأة ، ويجوز أن تقع بعد بسم الله الرحمن الرحيم ،
ولابد من مجيء الفاء بعدها ، لأن أما لا عمل لها الا اقتضاء الفاء ، لأن الفاء
تصل بعض الكلام ببعض وصلا لانفصال بينه ولا مهلة فيه ، وأما فاصلة ،
وأثبت بالفاء لرد الكلام على أوله ، وقال الضحاك بن مزاحم : فصل الخطاب
العلم بالقضاء ، وقال شريح والحسن : فصل الخطاب الشهود والايمان ، ذهبا
إلى أنه بهما يجب الحكم وتفصل الأمور .

وهو أول من كتب من فلان إلى فلان ، رأيت فى بعض الكتب أن قسا
كتب إلى بعض من هو على أول من كتب من فلان إلى فلان نحلته ، من قس بن
ساعدة ، إلى فلان بن فلان — وهو أول من كتب بذلك — ورأيت بعده كلاما
زدنا فى اللفظ والوصف عليه ، فأخذت معناه ، وكسوته الألفاظ من عندى ،
وزدت عليه ليحسن ، أما بعد فانك لاتفوتك ربك بنفسك ، فكن عند رضاه ،
وأحذر سخطه يكفك المهم ، ويدراً عنك غائبة الملم ، وانظر ماذا تجرح ^(٢) فإنك
مجزى بما تكدح ^(٣) ، وكن لله يكن لك ، وعليك بالصبر فإنه من أوكد أسباب
النصر ، وإياك والإضاعة ^(٤) فإنه لا يبقى عليها الكثير ، ولا يتبين معها القليل ،

(١) يدفع عنك الامور الشديدة .

(٢) تكتسب من الاثم .

(٣) الكدح إجهاد النفس فى العمل .

(٤) الاسراف .

ولانصحين أحقق^(١) ولا فاجرا ولا بخيلا ، فالأحمق يوثقك ،^(٢) والفاجر يوبقك ،^(٣) والبخيل يسلمك ، واعلم أنه إذا أهملت نفسك لم تجد من يرفعها ، فتول من اصلاحها مالا يقدر عليه غيرك والسلام .

أول من قضى فى الخنى

عامر بن الظرب العدوانى

أخبر أبو أحمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن إبراهيم الجوهري عن الواقدي قال : لم يكن فى العرب عضلة الا أسندت إلى عامر بن الظرب ، سئل عن الخنى^(٤) أتعطى حظ الذكر أم حظ الأنثى ؟ فلم يدر ما يقضى فيه ، فقالت جاريته : اجعله ليقيم فليل ، فإن خرج البول مما يكون للرجال فهو رجل ، وإن خرج مما يكون للنساء فهي امرأة ، فقضى به فاستمر ، ثم ثبت فى الإسلام فى كلام هذا معناه .

وكان يقول فى وصيته : مارأيت شيئا قط خلق نفسه ، ومارأيت موضعا إلا مصنوعا ، ولا جائيا إلا ذاهبا ، ولانعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يميت الناس الداء لحياتهم اللواء ، سيرجع الميت حيا ، ويعود لاشيء شيئا ، فنفرت العرب عنه ، فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يسمعها يقبلها .

أول من رجم فى الزنا

ربيعة بن حذار الأسدى

وذلك أن امرأة منهم هويت^(٦) رجلا ، واحتالت حتى هربت إليه ،

(١) من يعقله خفة .

(٢) يشدك بالقيد .

(٣) يهلكك .

(٤) من له عضو الرجل والمرأة معا .

(٥) فى البيان والتبيين ج ٣ ، ص ٣٦ ، ط القاهرة ، أنها ابنة واسمها (عمرة) وفى الحاشية أنها

(خصلة) وفى الأغاني ج ٣ ، ص ٨٦ ، ط بيروت أن الذى كان بفرع له بالعصا هو الثانى من ولده .

(٦) هويت أى أحببت .

وأومهمم أنها هلكت ، ثم لقيها بعض بنيتها فعرفها ، ورفع أمرها إلى ربيعة بن حدار الأسدي ، فأمر برجمها فرجمت ، وذكر أنها تمارضت ثم تماوتت حتى حملت إلى المقابر فدفت ، فلما انصرف القوم عطف عليها صديقها فأخرجها وذهب بها والله أعلم ، وهذا بعيد ، على أن النساء مع ضعف عقولهن ربما أبدعن في الحيلة وأجدن المكيدة ، ولا تتم حيلهن إلا على الرجال ، لاستضعافهم لهن واستغباتهم إياهن وظنهم أن المرأة ليس لها قوة ولا عزيمة ، ولا يغلبك مثل مغلب .

ومن حيلهن ماحدثنا به أبو القاسم الكاغدي قال : أخبرنا العقدي عن المدائني أن ابن زائدة في فوارس لقوا رجلا بيعض بلاد الشرك معه جارية لم ير مثلها شبابا وجمالا ، فصاحوا به أن خل عنها ومعها قوس فرمى بعضهم فجرحه فهابوا الإقدام عليه ، ثم عاد ليرمى فانقطع وتره ، فأسلم الجارية واشتد في جبل كان قريبا منه ، فابتدروها ^(١) وفي أذنها قرط فيه درة فانتزعها بعضهم فقالت : ماقدر هذه ؟ كيف لو رأيتم درتين في قلنسوته ^(٢) فاتبعوه فقالوا : ألقى مافى قلنسوتك ، وفيها وتر قوس كان أعده ونسيه ، فلماذكروه عقده في قوسه ، فولى القوم ليس لهم هم إلا أن ينجوا بأنفسهم ، وخلوا عن الجارية .

وأخبرنا باسناده عن المدائني قال : كان لرجل من الخوز ضيعة بالبصرة يغشاها في كل حين ، فتزوج بالبصرة فبلغ امرأته الخوزية ذلك ، فلطفت حتى عرفت اسم ولي امرأته ، فافتعلت كتابا منه إلى زوجها تعلمه فيه أنها ماتت ، فينبغي أن ترد البصرة لقبض ميراثها ، فلما أصلح الرجل أمره للخروج قالت له : يا هذا قد أنكرت طول اختلافك إلى البصرة وقد تخوفت أنك تزوجت بها ، فلا تفارقني حتى تطلق كل امرأة لك بالبصرة ، فقال في نفسه : ماعلى أن أرضى هذه بما لا يضرني ، فحلف بالطلاق على كل امرأة بالبصرة ، فلما فرغ قالت

(١) تسابقوا لاختنما .

(٢) نوع من غطاء الرأس وهو على هيئة متعددة .

له : دونك الجهاز فكله فى بيتك ، فقد كفاك الله مؤونة السفر .

وأخبرنا بإسناده عن المدائنى عن خالد بن كلثوم أن الفرزدق كان قد راود امرأة شريفة فى قومها عن نفسها ، وتهدها بالهجاء إن لم تطعه ، فاستعانت بالنوار امرأة الفرزدق ، فقالت النوار : واعديه الليلة وأعلمينى ففعلت ، فجاءت النوار ودخلت الحجلة ، ^(١) وجاء الفرزدق ودخل ونحى السراج .

فلما واقعها قالت : يافاسق ، قال : وأنت هى ما أطيبك حراما وأردأك حلالا .

وأخبرنا بإسناده عن المدائنى عن الأصمعى عن الأخيل بن أبى الأخيل عن أدهم التميمى قال : لقينى كثير عزة فقال : لقينى جميل فى الموضع الذى لقيتنى فيه فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند أمى الحبيبة أعنى بثينة قال : وأين تريد ؟ قلت : إلى الحبيبة أريد عزة ، قال : لا بد من أن ترجع عودك على بدوك فتستجد لى موعدا من بثينة ، فقلت : عهدى بأبيها ، قال : لا بد ، قلت : فمتى آخر عهدك بهم ؟ قال : بالدوم وهم يرحضون ^(٢) ثيابهم ، قال : فأتيت إياها فقال : ماردك يا ابن أخى ؟ قلت أياتا عرضت لى فأحببت عرضها عليك ، فأنشدته :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ أَرْسِلْ صَاحِبِي
عَلَى نَائِي ^(٣) دَارِ وَالْمَوْكَلُ مُرْسَلُ
بَأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا
وَأَنْ تَأْمُرِيَنِ بِالَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ

(١) ستر يضرب للعروس فى جوف البيت .

(٢) يفسلون ثيابهم .

(٣) بعد الدار وفى الاغانى ج ٨ ، ص ١٠٧ ، ط بيروت

فقلت لها يا عزر ارسل صاحبي رسولا اليك والموكل مرسل

وَأَخْرُ عَهْدِي مِنْكَ يَوْمَ لَقِيتِي بِاسْفَلٍ وَأَدَى^(١) الدَّوْمِ وَالتُّوبِ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانب الخدر ، وقالت : أحسأ فقال أبوها : مَهَيْمَ^(٢)
يابثينة ؟ قالت : كلب يأتينا اذا نوم الناس من وراء الراية ، قال : فرجعت إليه ،
فأخبرته أنها وعدته اذا نوم الناس .

وأخبرنا باسناده عن المدائني عن العتيبي قال : كانت امرأة من بعض نساء
أهل الشويرة^(٣) خطبها رجال من قريش منهم عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة ،
فسأل عن أغلب الناس عليها ، فقبل : مولاة لها ، فبذل لها ألفي درهم ان
احتالت في صرفها إليه ، فخلت بها المولاة ، ونصبت ذراعها تحت حنكها
تنظر في وجهها ، وتتنفس الصعداء فقالت : مالك ؟ قالت : أرحمك قالت :
ولم ؟ قالت : إن المرأة لاتنعم إلا بزوج وولد ، قالت : قد خطبني رجال من
قريش فلان وفلان وعبد الله ابن عباس ، فقالت : أف أف^(٤) لاتريدينه ؟ إني
رأيت يبول ، ورأيت بين رجليه رجلا ثالثة ، فردت جميع من خطبها وأجابت
عبد الله ، فلما دخل بها رأته مثل الدر اللطيف فباتت بشر ليلة ، وقالت
لمولاتها : بكم بعنني ؟ قالت : بالفين ، قالت لأكلتيها الا في مرض .

أول من حكم أن الولد للفراش أكثم بن صيفي

وكانت العرب لاتقدم عليه أحدا في الحكمة ، ومن كلامه : أن قول

(١) واد معترض من شمال خيبر الى جنوبها يفصل بين خيبر والموارض .

(٢) كلمة استفهام معناها ، ما الخير .

(٣) هي تصغير شورة ومعناها الحسن والجمال .

(٤) اسم فعل بمعنى (أتضجر) .

الحق لم يدع لى صديقا ، الاقتصاد أبقي للجام ،^(١) من لم يأس^(٢) على مافاتِه
ودع نفسه ، من قنع بما هو فيه غنى ، التقدم قبل التندم ، رأس الأمر خير من
ذنبه ، لن يهلك أمرؤ عرف قدره ، ولم يهلك من مالك ما وعظك ، ويل لعالم
أمر من جاهله ، أخذ بعضهم رأس الأمر خير من ذنبه فقال :

وَرَأْسُ أَمْرِ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ

وقريب منه قول ابن الرومى :

أُبْنَى إِنَّ فَضُولَ الْحِطِّ مَيْسَمَةٌ^(٣)
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بَغْضَ الْحِطِّ وَاتَّركِ
وَكُنْ قَلَنْسُوءَ الْمَمْلُوكِ تَحْطُ بِهِ
وَلَا تُكُونَنَّ نَعْلَى بَذَلَةِ الْمَلِكِ

وقريب من قوله : من لم يأس على مافاتِه ودع نفسه ، قول الآخر : إن
حزنت على مافات فاحزن على مالم يأت ، وقال النابغة :

الْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ يَنْفَعُ رَاعِيَةً^(٤)
وَلَرُبَّ مُطْعَمَةٍ تَعُودُ ذِبَاحًا

أول خلع كان ثم أثبتته الإسلام
ماكان من عامر بن الظرب

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي عن عمر بن
بكير عن الهيثم بن عدى عن مجالد عن الشعبي قال : كان من حديث عامر بن

(١) الجام فى الاصل الكأس والمعنى أن الاقتصاد يبقى على كل شىء حتى التى لا يحتاج اليها الانسان كثيرا .

(٢) يحزن .

(٣) الميسم الآلة التى يوسم بها ولعل المراد منقصة .

(٤) وفى نسخة (اليأس عما فات يعقب راحة) .

الظرب أنه زوج ابنته ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب ، وقال لأُمها حين أراد البناء بها ، قولى لابنتك : لاتنزلن فلاة إلا ومعها ماء ، وأن تكثر استعمال الماء ، فإن الماء جعل للأعلى جلاء وللأسفل نقاء ، وإياك أن تميلى إلى هواك ورأيك ، فإنه لا رأى للمرأة ، ولاتستكرهن زوجها على نفسه ، ولا تمنعه عند شهوته فإن الرضا فى الاتيان عند اللذة ولا تكثر مضاجعته فإن الجسد إذا مل مل القلب ، فلما دخلت الجارية عليه نفرت منه ، ولم ترده فأتى ابن أخيه العم ، فشكا إليه ، فقال له : يا ابن أخى ، إنها وإن كانت ابنتى فإن نصيبك الأوفر ، فأصدقنى فإنه لا رأى لمكروب ، ^(١) وإن صدقتنى صدقتك ، ان كنت نفرتها فاحفظ عصاك عن بكرتك تسكن ، وإن كانت نفرت عنك من غير تنفير منك فذلك الداء الذى لادواء له ، والا يكن وفاق ففراق ، وأجمل القبيح الطلاق ، ولن يترك ^(٢) أهللك مالك ، وقد خلعتها منك ، وأعطيتك مهرها ، وهى فعلت ذلك بنفسها ، فزعم العلماء إن ذلك أول خلع كان .

أول من رفع له الشمع وأول من احتذى بالنعال وأول من وضع المنجنيق
وأول من ملك قضاة بالحيرة جذيمة الأبرش

وكان أبرص فكنى عنه بالأبرش والوضاح ، على أن بعض العرب تتبرك
بالبرص وتمدحه قال ابن حبناء

لَا تُحْسَبَنَّ بَيَاضاً فِي مَنَقَصَةٍ
إِنَّ اللَّهَامِيمَ ^(٣) فِي أَقْرَانِهَا بَلَقُ

(١) فى نسخة (لا رأى لمكروب) .

(٢) ولن ينقصك أهللك من مالك شيئاً .

(٣) اللهاميم أسخياء الناس .

وقال آخر :

يَا كَأْسُ لَا تَسْتَكْرِى لُحُولِي
وَوَضَحًا أَوْفَى عَلَى خَصِيلِي^(١)
فَإِنَّ نَعْتَ الْفَرَسِ الرَّحِيلِي^(٢)
يَكْمُلُ بِالْفَرَّةِ وَالتَّحِيلِي^(٣)

وقال آخر :

أَبْرَصُ قَيَّاضُ الْيَدَيْنِ أَكْلَفُ^(٤)
وَالْبَرَصُ أُنْدَى بِاللَّهِى وَأَعْرِفُ^(٥)
وقال آخر :

نَفَرْتُ سَوْدَةً عَنِّي إِذْ رَأْتُ
صَلَعَ الرَّأْسِ وَفِي الْجِلْدِ وَضَحُ
قُلْتُ يَا سَوْدَةُ هَذَا وَالَّذِى
يُفْرِجُ الْكُرْبَةَ عَنَّا وَالْكَلْخُ
هُوَ زَيْنٌ لِي فِي الْوَجْهِ كَمَا
زَيْنَ الطَّرْفِ نَحَاسِينَ الْقَرْحِ

وزعم أبو نواس أن جذيمة كان يفخر بالبرص ولو كان كذلك لما كنى
عنه بالبرش والوضوح وزعم أن بلعاء بن قيس لما شاع في جلده البرص قيل له
ما هذا ؟ قال : سيف الله جللاه وقال آخر :

لَيْسَ يَضُرُّ الطَّرْفَ تَوَلُّعُ الْبَهَقِ
إِذَا جَرَى فِي حَلْبَةِ الْخَيْلِ سَبَقُ

(١) الوضع البرص والخصيل كل لحم فيه عصب .

(٢) فى نسخة الاصيل .

(٣) الفرة يياض فى جهة الفرس والتحيل يياض فى رجليه .

(٤) علت وجهه حمرة كدرة .

(٥) أندى أكرم واللهم أفضل العطايا واجزلها .

وكان الذى ملك جذيمة على ثغر العرب اردشير بن بابك ، وأنزله
الحيرة ، وكان عقيما لا يولد له ، واختلف فى نسبه فقيل : من
العماليق ،^(١) وقيل : من الأزد ، وقيل : من تنوخ ، وكان شديد الكبر ، فمن
كبره أنه كان ينادم الفرقدين^(٢) ذهابا بنفسه ، يشرب قدحا ، ويصب لكل منهما
قدحا ، قال متمم :

وَكُنَّا كُنُذَمَائِي جُذَيْمَةً حَقَبَةً
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا
فَلَمَّا تَفَرَّقَا كَانِي وَمَالِكَا
لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

حتى نادمه مالك وعقيل ، وفيهما يقول الشاعر :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ غُرُورَةٍ لَأَمِيَا
وَذَلِكَ رُزْءٌ^(٣) لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تُحْسِبْنِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ
وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أَمِيمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمْنِي قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا
خَلِيلَا صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

وجذيمة هو الذى يقول :

أَضْحَى جُذَيْمَةٌ فِي ثُرَيْنٍ مَنَزَلِهِ
قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ مِنْ قَبْلِهِ عَادُ

(١) العماليق قوم من الرعاة كانوا يسكنون بلاد الشام وخاصة فلسطين وهم أولاد عمليق أو عملاق بن

لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

(٢) هما نجمان فى السماء .

(٣) الرزء المصيبة .

وكان من أحسن الناس وجها ، فخطب^(١) الزباء بنت عمرا بن طريف من العماليق ، وكانت على الشام والجزيرة من قبل الروم ، وكانت قد بنت على شاطئ الفرات من الجانبين قصورا ومدائن ، وهى إلى اليوم قائمة خربة ، وكانت حصينة لا يسلكها سالك ، ولا يدركها طالب ، وقد سقفت فى الفرات أنفاقا بين مدينتيها ، تفرع إليها إذا حزبها أمر ، وكانت تغزو من حولها من العرب ، فغزت دومة^(٢) الجندل وتيماء^(٣) ، وهو الأبلق ، فامتنع عليها ، فقالت : « تمرد ماردي^(٤) وعز الأبلق »^(٥) فأرسلتها مثلا ، فاجابت جذيمة ، وكانت بكرا ، فجمع أصحابه فاستشارهم ، فأشاروا عليه بالمضى ، وخالفهم قصير بن سعد اللخمي ، وكان ليبي ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج ، فعصاه وسار حتى كان بمكان يدعى بقة بين هيت والأنبار ، فاستشارهم ، فأشاروا عليه بالشخص إلى إليها ، لما علموا من رأيه فيها ، فقال له قصير : انصرف ودمك فى وجهك فأبى ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » ، فأرسلها مثلا ، وطعن جذيمة حتى عاين مدينتها ، والكتائب دونها هالة ، فقال لقصير : ما الرأى ؟ فقال : (تركت الرأى بيتر بقة) ، ثم قال : وعلى هذا إن لقيتك الكتائب فحيوك تحية الملوك ، وساروا أمامك . فقد كذب ظنى ، وإن أخذوا جنبيك فإنى معرض لك العصا ، وهى (لا يشق غبارها) .

(وكان جذيمة استعمل على ملكه ابن أخته عمرو بن عدى بن النضر بن ربيعة اللخمي ، فلم يشعر ذات يوم أن رأى العصا عليها قصير فقال : (خبر ماجأت به العصا) فأخبره قصير الخبر ، وقال : أطلب بثأرك منها قال : (كيف وهى

(١) جاء فى قصص العرب ان جذيمة قتل أبا الزباء فاحتالت لقتله فبعث اليه تعلمه ان النساء لا يصلحن للملك وانها لم تجد كفوا تتزوجه غيره وقد اختارت ذلك ليضم ملكها الى ملكه ويعظم بذلك أمره فجمع مستشاريه وأخذ رأيهم القصة .

(٢) دومة الجندل : قرية من اعمال المدينة المنورة على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة .

(٣) تيماء : قرية فى أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام .

(٤) ماردي هو حصن أكيدر عبد الملك بدومة الجندل .

(٥) حصن بتيماء .

أمنع من عقاب الجو) ؟ فقال قصير : أما إذا أبيت ، فإنى سأحتال (فدعنى وعداك ذم)^(١) فعمد قصير إلى أنفه فجذعه ، ثم أتى الزباء ، فقالت : (لأمر ما جذع قصير أنفه) فقال : أتهمنى عمرو فى مشورتى على خاله بإتيانك فجذعنى ، فلم تقر نفسى عنك ، وإن لى مالا كثيرا بالعراق ، فأعطينى شيئا ، وأرسلنى بعلة التجارة حتى آتيتك بما قدرت عليه من طرائف العراق ، ففعلت ، فأطرفها وزادها مالا كثيرا ، وقال : هو ربح ، فاعجبها وسرت به ، فردته ثانية ، فأطرفها وزادها ، وتلطف حتى علم موضع الانفاق ، ثم رده ثالثة ، فأتى عمرا فقال : أحمل الرجال فى الصناديق على الابل ، ففعل ، وفيهم عمرو ، فلما وافاها ، نظرت إلى العير ، فقالت : إن العير لتحمل صخرا أو تطأ فى وحل ، وصنع لها رجز فقالت :

مَا لِلْجِمَالِ مَشِيَّهَا وَثِيدًا^(٢) أَجْنَدَلًا^(٣) يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا
أُمَّ صَرْفَانًا^(٤) تَارِزًا شَدِيدًا أُمَّ الرَّجَالِ جُثْمًا قُودًا^(٥)

ودخلت العير المدينة ، وكانت أفواه الجواليق مربوطة من قبل الرجال فحلوها ، ووقعوا إلى الأرض مستلمين ، وشدوا عليها فخرجت هاربة تريد السرب ، فاستقبلها قصير وعمرو فضر بها عمرو فقتلها ، ويقال : بل كان لها خاتم فيه سم فمصته ، وقالت : (ييدى لا ييد عمرو)^(٦) فماتت ، وسييت النزارى ، ونهبت الأموال ، فقالت العرب فى أمرها أشعارا كثيرة : فمن ذلك

(١) هذه الفقرة سقطت من النسخة الأصلية ووجدناها فى النسخة الأخرى .

(٢) بطيئا .

(٣) الصخر العظيم .

(٤) تمرا جافا .

(٥) فى قصص العرب ان قصير هو قاتل الشطر الأخير .

(٦) الجمل التى بين القوسين كلها أمثال .

قول المتلمس :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْثَارِ مَا حَزَّ أَلْفَهُ
قَصِيرٌ وَرَامَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَهْسُ

وقال نهشل :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ
كَمَا لَمْ يُطْعَ بِالْبَقْتَيْنِ قَصِيرُ
فَلَمَّا رَأَى مَاغَبَ أَمْرِي وَأَمْرَهُ
وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورُ
تَمَنَّى أَيْسَاءً أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي
وَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ

وقال عدى بن زيد^(١)

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمُثَرِّي الْمَرْجَى
أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الْأَوَّلِينَا
دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمًا
جُذَيْمَةً يَنْتَحِي عَصَبًا ثِينًا^(٢)
فَطَاوَعَ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصِيرًا
وَكَانَ يَقُولُ لَوْ بَعَّ الْيَقِينَا
وَدَسْتُ فِي صَحِيفَتِهَا إِلَيْهِ
لِيَمْلِكَ بَضْعَهَا وَلِأَنْ تَدِينَا
فَفَاجَأَهَا وَقَدْ جَمَعَتْ قُيُوجًا^(٣)
عَلَى أَبْوَابِ حِصْنِ مُصَلَّتِينَا

(١) وجدنا القصيدة في الكتاب محرفة كثيرا فحققتها في بلوغ الأرب ونقلناها منه .

(٢) ينتحى يعتمد والعصب خيار القوم ، والتبين بكسر الباء والفطن الدقيق والمعنى انه أراد ان يأخذ رأيهم ليعتمد عليه .

(٣) الفيوج جنح فيج وهم رسل السلطان الذين يسعون على أرجلهم .

فَأَزْدَتْهُ وَرُغْبُ النَّفْسِ يُزْدِي
وَيُؤْدِي لِلْفَتَى الْحَيْنُ الْمِينَا
وَحَدَّثَتِ الْعَصَا الْإِتْبَاءَ عَنْهُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا فَرَساً هَجِينَا ^(١)
وَقَلَّدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ ^(٢)
وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِينَا
وَمِنْ حَدَرِ الْمَلَاوِمِ وَالْمَخَازِي
وَهُنَّ الْمُنْدِبَاتُ لِمَنْ مُنِينَا
أُطِفَ ^(٣) لِإِنْفِهِ الْمَوْسَى قَصِيرٌ
لِيَجْدَعَهُ وَكَانَ بِهِ ضَنِينَا
فَأَهْوَاهُ لِمَارِنِهِ ^(٤) فَأَضْحَى
طِلَابُ الْوَثْرِ مَجْدُوعاً مَشِينَا
وَصَادَقَتِ امْرَأاً لَمْ تُحْشَ مِنْهُ
غَوَائِلُهُ وَمَا أَمِنَتْ أَمِينَا
فَلَمَّا أَرْتَدَّ مِنْهَا أَرْتَدَّ صُلْباً
يَجُرُّ الْمَالَ وَالصَّدْرَ الضَّغِينَا ^(٥)
أَتَتْهَا الْعَيْسُ تُحْمِلُ مَادَهَا
وَقَعَّ فِي الْمُسُوحِ الدَّارِ عِينَا
وَدَسَّ لَهَا عَلَى الْإِتْفَاقِ عَمراً
بِشِكْنِهِ ^(٦) وَمَا حَشِيَتْ كَمِينَا

(١) الهجين هو الذي ولدته برذونه من فرس عربي .

(٢) قلدت قطعت والاديم الجلد والرهشان عرقان في باطن الذراعين .

(٣) اطف أهوى بالموسى عليه .

(٤) المارن ما لان من طرف الانف .

(٥) الضفين الذي يعتمد عليه في قضاء الحاجات .

(٦) المراد بسلاحه .

فَجَلَّلَهَا قَدِيمَ الْأَثَرِ عَضْباً
يَصُكُّ بِهِ الْحَوَاجِبَ وَالْجَيْنَا^(١)
فَاضْحَتْ مِنْ خَزَائِنِهَا كَأَن لَمْ
تَكُنْ رَبَّاءَ حَامِلَةً جِينَا
وَأَبْرَزَهَا الْحَوَادِثُ وَالْمَنَائَا
وَأَيُّ مُعَمَّرٍ لَا يُتَلَيَّنَا
وَلَمْ أَجِدِ الْفَتَى يَلْهُو بِشَيْءٍ
وَلَوْ أَتَرَى وَلَوْ وَلَدَ الْبَيْنَا
وَإِنْ أَمْنَهَلْنَ ذَا جِدٍ^(٢) عَرِيضٍ
عَلَقْنَ بِهِ^(٣) وَإِنْ فَرَطْنَ جِينَا
أَلَمْ تَرِ أَنْ رَبَّ الدَّهْرِ يَغْلُو
أَخَا التَّجَدَّاتِ وَالْحِصْنَ الْحَصِينَا

أول عربي لبس الطوق عمرو بن عدى

وكان عدى^(٤) ينادم جذيمة ، فعشقه رقاش أخت جذيمة ، فحملت منه ، فلما خشيت الفضيحة قالت : اذا سكر الملك فاسأله أن يزوجني منك . ففعل ، ودخل عليها من ليلته ، وأصبح هاربا من جذيمة ، فلما استبان حملها قال جذيمة

خَذْنِي رَقَاشُ لَا تُكَذِّبْنِي
الْخُرُّ حَمَلْتُ أَمْ لِهَجِينِ

(١) المعنى أن عمرا علاها بسيفه القاطع فضربها ضرباً شديداً على جبينها وبين حواجبها .

(٢) الجذ الحظ .

(٣) خاصته والمعنى أنه لا بد من خصومة بين الرجل والمرأة مهما طال الامد .

(٤) هو عدى بن النضر بن ربيعة اللخمي .

أُم لِعَبْدِ فَأْتِ أَهْلَ لِعَبْدِ أُم لِدُونِ فَأْتِ أَهْلَ لِدُونِ

فَقَالَتْ : حَمَلْتُ مِمَّنْ زَوْجَتِي مِنْهُ ، فَوَلَدَتْ عَمْرًا ، فَلَمَّا كَبُرَ فَقَدَ مَدَّةً ،
ثُمَّ ظَفَرَ بِهِ مَالِكٌ وَعَقِيلُ النَّدِيمَانِ فَأَتِيَا بِهِ جَذِيمَةً ، فَحَكَمَهُمَا ، فَسَأَلَاهُ مَنْادِمَتَهُ
فَأَجَابَهُمَا إِلَيْهَا ، وَأَرْسَلَ عَمْرًا إِلَى أُمِّهِ ، فَرَزَيْتَهُ وَأَلْبَسْتَهُ طَوْقًا ، فَقَالَ : شَبَّ عَمْرُو
عَنِ الطُّوقِ ، فَسَارَ مِثْلًا فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ جَذِيمَةٍ مَا كَانَ ، قَامَ عَمْرُو مَقَامَهُ ، فَلَمْ
يَزَلْ هُوَ وَوَلَدُهُ وَهُمْ آلُ الْمَنْذَرِ عَلَى الْحَيْرَةِ مِنْ قَبْلِ الْفَرَسِ حَتَّى مَلَكَ قَبَازُ بْنُ
فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامِ جُورَ ، فَأَزَالَهُمْ وَمَلَكَ الْحَرِثُ بْنُ عَمْرُوٍ أَكَلَ الْمَرَارَ
الْكَنْدِي ، فَلَمَّا مَلَكَ أَنُو شُرَوَانَ بْنَ قَبَازَ مَلَكَ عَلَى الْحَيْرَةِ الْمَنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ،
فَلَمَّا أَقْبَلَ هَرَبَ الْحَارِثِ ، وَاتَّبَعْتَهُ خَيْلُ الْمَنْذَرِ فَأَدْرَكُوا ابْنَهُ عَمْرًا فَقَتَلُوهُ ، وَفَازَ
هُوَ ثُمَّ قَتَلْتَهُ كَلْبٌ بِسَخْلَانِهِ .

أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ السِّيَاطَ مَالِكُ الْأَصْبَحِي

وَهُوَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، فَسَمِيَ السُّوْطَ الْأَصْبَحِي قَالَ الرَّاعِي :

أَخْذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ^(١)
بِالْأَصْبَحِيَّةِ ^(٢) قَائِمًا مَغْلُولًا ^(٣)

وَقَالَ فِي لُغْزٍ :

عَلَيْكَ سَلَامٌ الْأَصْبَحِيَّةُ كُلَّمَا
يَحْنُ أَخُو شَوْقٍ لِيُعْدِ دِيَارِ

(١) الْحَيْزُومُ وَسَطُ الصَّدْرِ .

(٢) الْأَصْبَحِيَّةُ السُّوْطُ .

(٣) مَغْلُولًا مَقِيدًا بِالْأَغْلَالِ .

فَأَنْتَ أَحْوَى شَيْنٍ وَخِلْدُنُ^(١) ذَنَاءَةٌ
وَصَاحِبُ عَارٍ وَابْنُ أُمِّ شَتَارٍ^(٢)

أول من اتخذ الرحال العلافية حزم بن ذياب

وكانت العرب تركب المخاصر قال ذو الرمة
وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعُرُوسِ اذْرَعْتُهُ
بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
أَحْمٌ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضٌ صَائِمٌ
وَأَغْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَزْوَعُ مَاجِدٍ^(٣)
وأخذ المعنى البحترى فقال :

أَطْلَبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي
رَابِعُ الْعَيْسِ وَاللَّجِي وَالْيَيْدِ

قال أبو بكر بن دريد : علاف حي من العرب تنسب إليهم الرحال
العلافية .

أول من وضع الكتاب العربي

قيل إسماعيل عليه السلام ، والصحيح عند أهل العلم أنه مرامر بن مرة
وأسلم بن سدرة^(٤) وهما من أهل الأنبار ، وفي مصداق ذلك يقول الشاعر :

(١) الخلدن الصاحب .

(٢) الشنار العار .

(٣) الأحم كلمة من كلمات الاضداد تطلق على الاسود والأبيض والمراد هنا الاسود لمقابلته بالابيض
والاحم الفرس والابيض السيف ومعنى كونه صائما انه غير عامل ، والاعيس الأبيض من الجمال تعلوه
حمره والأروع الماجد هو الشاعر .

(٤) في العقد الفريد الجزء الرابع ص ٢٤٢ تحقيق سعيد الريان زاد منهما شخصا ثالثا سماه (عامر بن
جدرة) .

كَتَبْتُ أَبَا جَادٍ وَحَطَى مُرَامُرُ وَسَوَّدْتُ سِرِّيَالِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

وسئل المهاجرون ، ممن تعلمت الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة وسئل أهل الحيرة عن ذلك ، فقالوا : من أهل الأنبار .

وقالوا : أول من وضعه أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وضعوا الكتاب على أسمائهم ، وكانوا ملوكا ، ^(١) وقد عظم الله أمر الكتابة وفخم شأنها ، فجعل ذكرها في أول ما أنزل من كتابه ، وهو قوله : (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) وأكثر العلماء في وصف الخط ، فمن أجود ما قيل وأوجز قول بعضهم ، الخط مركب البيان ، وقال جعفر بن يحيى : الخط خيط الحكمة ، به تفصل وينظم منشوره فنظمته وقلت :

الْكُتُبُ عَقْدُ شَوَارِدِ الْكَلِمِ
وَالْخَطُ خَيْطُ فَرَائِدِ الْحِكْمِ
بِالْخَطِ نَظْمٌ كُلُّ مُنْتَشِرٍ
مِنْهَا وَفَصْلٌ كُلُّ مُنْتَظَمٍ

وقال بشر بن المعتمر :

القلب معدن ، والخط جوهر ، واللسان مستنيط ، والعلم صانع ، والخط صنعه ، وقال أبو العينا : الخطوط رياض العلوم ، وتخاير غلامان في خطيهما إلى سهل

(١) قال في سبط النجوم العوالي : ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم وهي التاء والخاء والذال والضاد والطاء والعين فسموها الروادف يريد —تخذ ضغط— قال : وكانوا ملوك مدين ورئيسهم كلمن وقد هلكوا يوم الظلة المذكورة في القرآن الكريم وهم قوم شعيب وقالت أخت كلمن تربيته :

كلمن هد ركنى	هلكه وسط المحلّة
سيد القوم أتاه	الحرف نارا وسط ظلّه

بن هرون فقال : هذا وشى محبوك ،^(١) وهذا ذهب مسبوك ، تسابقتما إلى غاية فتوافقتما في نهاية .

ومن فضل حسن الخط أنه يدعو الناظر إلى قراءته ، وإن اشتمل على لفظ مرذول ، ومعنى مجهول ، وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان وفوائد فيرغب الناظر فيه عن المنفعة به لوحشة صورته ، وكان مشايخ الكتاب ودهاة العمال يختارون أن يكون ما يرفعونه من حساباتهم إلى دواوين السلطان بخط قبيح ، ومداد ناضل ،^(٢) لينقل تصفحه فيترك استقصاء النظر فيه .

وقالوا : القلم قيم الحكمة ، وقال بعضهم :

مُسْتَوْدِعٌ قِرْطَاسُهُ حِكْمًا
كَالرُّوضِ فَرَّقَ يَنَّهُ زَهْرُهُ
وَكَأَنَّ أَحْرَفَ خَطِّهِ شَجَرٌ
وَالشُّكْلُ فِي أَضْعَافِهِ ثَمَرُهُ

أول من قال مرحبا وأهلا سيف بن ذى يزن

قالها لعبد المطلب بن هاشم لما وفد إليه مع قريش ليهبثوه برجوع الملك إليه ، وذلك أن عبد المطلب قال له بعد أن دعا له وهنأه : نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجننا لك ، فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة ،^(٣) فقال : وأيهم أنت ؟ فقال عبد المطلب قال : مرحبا وأهلا ، وناقرة ورحلا ، ومناخا سهلا ، وملكا ورحلا ،^(٤) يعطى عطاء جزلا . ومعنى مرحبا ، وجدت رحبا أى سعة ، وأهلا أى وجدت أهلا كأهلك ، وقال الفراء : معناه رحب الله بك وأهلك ، على الدعاء ،

(١) الوشى هو التمنمة والنقش والمحبوك المحكم الصنعة .

(٢) ناضل أى ضعيف باهت .

(٣) المصيبة العظيمة .

(٤) الرichel الذى يعطى عطاء وافرا عظيما .

فأخرجه مخرج المصدر ومعنى ربح واسع

أول من اتخذ أسنة الحديد سيف بن ذى يزن

أمر معصما وهوقين فاتخذها ، وكانت أسنة العرب قبل ذلك قرون البقر الوحش ، وفي مصداق ذلك يقول الشاعر :

تَقَلَّبَ صَفْدَةٌ جُرْدَاءٌ ^(١) فِيهَا
نَقِيعُ السَّمِّ أَوْ قَرْنٌ مُحَسٌّ ^(٢)

أول من حرم القمار أقرع بن حابس

أخبرنا القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم عن العقدي عن أنى جعفر عن المدائنى وغيره قالوا : أول من حرم القمار أقرع بن حابس ، بعث رسول الله ﷺ وأقرع بن حابس حكم العرب في كل موسم بعكاظ ، وهو من المؤلفة قلوبهم وهم : أبو سفيان بن حرب . وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ؟ والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، ومالك بن عوف ، والأقرع بن حابس .

أعطى رسول الله ﷺ — كل واحد من هؤلاء مائة من الإبل ، إلا صفوان بن أمية فإنه أعطاه شعبا ^(٣) بما فيه من نعم وغنم ، فتكلمت الأنصار فقال رسول الله ﷺ : — الا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله ، فرضوا وعندها قال ذو الخويصرة التميمي لرسول الله : هذا عطاء لايراد به وجه الله ، فغضب رسول الله وقال : (اذا لم أعذل فمن ؟) وأعطى عباس بن مرداس أربع قلائص ^(٤) فقال :

(١) الصعدة الجرداء هي عود الرمح المستقيم .

(٢) محس أى قاتل .

(٣) الشعب الطريق في الجبل وفي نسخة أعطاه شعبا بما فيه من نعم وغنم برعاتها .

(٤) القلائص جمع قلوص وهي الناقة الطويلة القوائم الشابة .

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَمِيدِ يَنْ غَيْبَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْقَوْمِ ذَا مَدْرَأٍ فَلَمْ أُعْطِ شَيْئاً وَلَمْ أَمْنَعِ
إِلَّا قَلَابِصَ أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ

فزيد حتى رضى وعبيد اسم فرسه

أول من أحدث الحداء

أخبر أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن يزيد بن حكيم عن الحكم ابن أبان عن عكرمة ، وحدثنا بإسناده عن أبي زيد عن أبي عاصم عن عبد الله بن مجاهد وغيره قالوا : بينا رسول الله ﷺ — سائر إلى تبوك ، إذ سمع حداء فأسرع ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : من مضر ، قال : وأنا من مضر فاحدوا ، قالوا : إنا لأول من حدا بيننا خيار مياسير . قال لبعض أصحابه : ألا تنزل فتسوق ؟ قال : نحن على ظهورها ولاندرى مانقول ، فكيف إذا كنا عند استاهها ؟ فضربه بعضا ، فصاح يابدى ، وسارت الابل ، فضحك رسول الله ﷺ — ونزل رجل من أصحابه يسوق ويقول :

يَا اللَّهُ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا نَصَدَقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فقال رسول الله ﷺ — (رحم الله قائلها) قالوا : وجبت وقائلها : هو عامر بن الأكوع ، ضرب العدو فقصر السيف فأصابه فمات ، وكانوا يكتبون من مات شهيدا ، فشكوا في عامر حتى قال فيه رسول الله ﷺ — هذا القول ، في كلام هذا معناه .

قال الشيخ أبو هلال : — رحمه الله — وأمر الصوت عجب ، منه ما يقتل كصوت الصاعقة ، ومنه ما يسر ويبهج حتى يرقص ، ومنه ما يقلق ، ومنه ما يبكي ، ومنه ما ينزل العقل ويورث العشق ، وقد بكى ما شرحويه من قراءة أبي ، فقليل له : كيف تبكى من كتاب لاتصدق به ؟ قال انما أبكاني الشجا . وبه

ينومون الصبيان ، ويسقون الدواب بالصفير ، وتصر آذانها اذا غنى المكارى ،
وتزيد الابل فى مشيها ونشاطها إذا حدا بها الحادى ، ويستخرج به الحية من
جحرها ، فيظن العامة ان ذلك انما يكون بالرقى ، وليس كذلك ، ولكن
للصوت فى طباعها تأثير ، والرعد الشديد إذا وافق سباحة السمكة فى أعلى
الماء رمت يعضها ، والحمامة ربما رمت يعضها قبل الأجل ، وتسمع الرعد
فيتعضل^(١) عليها أياما بعد طول الأجل ، وإذا قلت الرعود فى السنة قلت
الكماة^(٢) فيها ، وأهل البطائح يبنون حظيرة فى الماء ، ويصيحون حولها
فيجتمع السمك إليها حتى تمتلئ ، وأهل الصناعات اذا خافوا الملل ترغموا ،
وينشط الرهبان أنفسهم بألحان يجعلون الله بها ، ويستريحون من التعب
والسهر إليها ، وللنفس قوى شريفة من الحلم والجود والشجاعة تتحرك
بالنغمات ، ومن الأصوات ما يشجع ويغرى مثل أصوات الدباب والبقوات^(٣)

ولذلك اتخذت فى الحروب ، وقالوا : اذا سمعت الابل ضربا وزمرا
أقبلت وطأطأت رؤوسها حتى كادت تنام ، وعندهم ان المريض اذا سمع
أصوات المزاهر خف ما به ، ويستبدل الطفل اذا سمعها ضحكا ببكائه ،
ويزعمون ان الغناء يفتح أبواب الرأى ، ويسدد الفكر ، وكان الاسكندر اذا
التبس عليه أمر أمر بالغناء ، واذا توجه له الرأى قطعه ، وكانت ملوك العجم اذا
نابتها نائبة لجأوا الى اللهو والغناء ، ويستفتحون به وجوه الرأى ، ولما بلغ
أثر شروان أن خاقان غلب على أرمينية ونهب وسلب استقبله بالملاهى والزمير ،
فظن خاقان ان ذلك استصغارا له ففر منهزما ، ونبذ ما كان أفاده ، فقالت
الاعاجم : ان الملك الموكل بالفرح هو الذى فله^(٤) ودفعه ، وكانوا
يتيمنون^(٥) بعد ذلك بالغناء والملاهى .

(١) تعجز عن البيض بعد استكمال الاجل .

(٢) ثمرة تعيش تحت الارض لونها يميل الى الغيرة يصنع منها طعام للنيد .

(٣) الدباب والبقوات آلات موسيقية (الطبل والنفير) .

(٤) هزيمه .

(٥) يتبركون .

وقالوا لا يكره السماع إلا ذوو الطباع الفاسدة والأنفس الكدرة ، كما أن
الطيب لا يعافه^(١) إلا كل مأووف المشام ،^(٢) وليس طرب من طرب على الغناء
من أجل المعاني ، لأن أكثرهم لا يفضل على معنى ، وليست لأصوات البلابل
والهزارات والقمارى والورشانات معان ، وهى على ما نعرفها معجبة مطربة
مذكرة لمعاهد الآلات وادمان التواصل والاسعاف ، وذلك موجود فى أشعار
العرب ، كقول حميد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقُ إِلَّا حَمَامَةً
دَعَتْ سَاقِ حُرٍّ فِي حَمَامٍ تَرْتَمَا
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَائُهَا
فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَمْ أَرِ مِثْلِي شَاقَّةً صَوْتُ مِثْلِهَا
وَلَا غَرِيًّا شَاقَّةً صَوْتُ أَغْجَمَا

ودخل أبو تمام أبرشهر وهى نيسابور ، فسمع فى بعض لياليه فيها مغنية
تغنى بالفارسية ، فعشق صوتها ، ثم أحضرها ، فلما أكثر منها فتن بها ، وما
كان يعرف شيئا مما تغنى به ، فقال :

حَمْدُكَ لَيْلَةٌ شَرُفَتْ وَطَابَتْ
أَقَامَ سَهَادُهَا^(٣) وَمَضَى كَرَاهَا^(٤)
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءَ كَانَ أَوْلى
بِأَنَّ تَنْقَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا
وَمُسْمِعَةِ تَفُوقِ النَّفْسِ^(٥) حُسْنًا
وَمَنْ تُضْمِنُهُ لَا يُضْمِنُ صَدَاهَا

(١) لا يكره .

(٢) مأووف المشام فاسد حاسة الشم .

(٣) السهاد الأرق .

(٤) النوم .

(٥) هكذا وجدت ولعل المراد تفوق الشمس فصحفت .

مَرَّتْ ^(١) أَوْتَارَهَا فَشَقَّتْ وَشَاقَّتْ
وَلَوْ يَسْتَطِيعُ حَاسِدُهَا فِدَاَهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ
وَرَّتْ ^(٢) كَيْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاَهَا ^(٣)
فَكُنْتُ كَأَنْتِي أَغْمَى مُعْنَى ^(٤)
يُحِبُّ الْغَانِيَاتِ ^(٥) وَلَا يَرَاهَا

أخذه بشار فقال :

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَغْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ
وَالْأَذُنُ تَغْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَخِيَانًا

ويقال : ان من الأحناء الفارسية لحنا يسمى القمى ، لا يسمعه احد الا طرب
عليه ، عرفه أو لم يعرفه ، وان الذى سمعه أبو تمام كان ذلك اللحن .

أول عربى قتل خنقا

عدي بن زيد ويكنى أبا عمرو ، وكان فى ترجمة كسرى ، فأرسله الى قيصر
فحمد أمره وعظم عنده ، وكان يسكن الحيرة ، فوردها وهو من أنبل أهلها ولو اراد
أن يملكه كسرى لفعل ، الا أنه كان مشغوبا بالصيد واللهم ، وأراد كسرى أن
يستعمل عليها ، فاستشاره فأشار بالنعمان بن المنذر ، ثم قدم به عليه ، وقال له :
ان سألك كسرى فقال : أتكفينى العرب وأخوتك ؟ وكانوا مع النعمان اثنا عشر
رجلا ، فقل : اذا أنا لم أكفكمهم فأنا عن غيرهم أعجز ، وقال لآخوته : قولوا :
نكفيك العرب إلا النعمان ، فلما قالوها : انصرف عنهم كسرى ، وأمر عديا ان

(١) مسحت أوتار عودها .

(٢) ورت أى أوقدت .

(٣) الشجر الطرب .

(٤) المعنى الذى يكلف مالا يقدر عليه .

(٥) الغانية المرأة التى استغنت بجمالها عن الزينة .

يملك النعمان فملكه ، فغضب عدى بن أوس من مهنا ، وكان يريد الملك للأسود
 بن المنذر ، فصنع عدى بن زيد طعاما لعدى بن أوس ، ودعاه الى المحالفة الا يبغى
 واحد منهما لصاحبه غائله ، وقام عدى بن زيد فحلف ، فقال عدى بن أوس : وعلى
 مثل ما حلفت لا أزال أبغيك الغوائل حتى أموت ، فما زال النعمان مكرما لعدى بن
 زيد حتى دعاه عدى يوما الى طعام صنعته ، فركب اليه النعمان فاعترضه عدى بن
 أوس فاحتبسه فتعدى عنده ، فاحتفظها عدى بن زيد عليه ، فدعاه النعمان فأبى ان
 يأتيه ، فأمر فسحب من منزله اليه فأثقله بالحديد وحبسه ، وفي ذلك يقول عدى بن
 زيد : وقد ماتت عنده في السجن امرأته أمية :

فَاذْهَبِي يَا أُمِّي^(١) غَيْرَ بَعِيدِ
 لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقَ مَنْ فِي الْوَلَاقِ
 فَاذْهَبِي يَا أُمِّي إِنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 لَمْ يُفَرِّجْ مِنْ ضِيقِ هَذَا الْخِنَاقِ
 قَدْ تَبَثُّ فِي الْخُطُوبِ الَّتِي قَبْ
 لِي لِمَا بَعْدَهَا إِلَى الْيَوْمِ بَاقِ
 لَا تَعْدِي رَبُّ الْمُنُونِ ذَوِي الْخَفْضِ وَلَا مِنْ خِيَانَةِ بَرِّمَاقِ^(٢)
 وقال أيضا :

أَلَا مَنْ مُبْلَغِ الثُّغْمَانِ عَنِّي
 وَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةُ مِنْ مَغِيبِ^(٣)
 أَحْطَى كَانَ سِلْسِلَةً وَغُلًّا
 وَقِيدًا وَآيَانُ لَدَى اللَّبِيبِ^(٤)

(١) في الأغاني ج ٢ ص ١١٦ ، ط بيروت (فاذهي يا أميم) .

(٢) الرماق أن تنظر شزرا نظر العداوة .

(٣) في مختار الأغاني ج ٦ ص ٣٦٢ (وقد تهدي النصيحة بالمغيب)

(٤) في كتاب عدى بن زيد للأستاذ محمد الهاشمي ص ١١٧ (والبيان لدى الطيب) وكذلك في مختار الأغاني

لابن منظور ج ٦ ص ٣٦٢ .

وَهُمْ أَضْحَوْا لَدَيْكَ كَمَا أَرَادُوا
وَقَدْ يُرْجَى التَّوَالُّ مِنَ الْمُثِيبِ

فما زال يسأله الاقالة ويستعطفه في مثل قوله :

أَبْلِغِ التُّعْمَانَ عَنِّي مَا لَكَ
أَلَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي
لَوْ يَغْيِرُ الْمَاءُ خَلْقِي شَرْقِ
كُنْتُ كَالْقَصَانِ بِالْمَاءِ اغْتَصَارِي
نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا
عَمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِي^(١)
لِحُسْنِ الْهَنْءِ^(٢) إِذَا اسْتَهْنَأْنَا
وَدِفَاعاً عَنْكَ بِالْأَيْدِي الْكِبَارِي

ولج النعمان في حبسه ، فكلّم عمرو أخو عدى كسرى فيه فأمر النعمان بتخليته ، فخاف ان يكيده اذا خلاه ، فأرسل اليه من خنقه ، وأعطى الرسول أربعة آلاف مثقال على ان يخبر الرسول كسرى أنه وجدته ميتا ، فعزع كسرى لموته ، فأراد النعمان أن يسكن منه ، فكتب اليه : إني وجدت لعدى ابنا هو له خلف ، فكتب بان يبعثه اليه ففعل ، واسمه زيد فلم يزل يبغى الغوائل للنعمان عند كسرى ، فقال له يوما : رأيت رغبتك في النساء ، وعند آل المنذر منهن ما تشتهي ، الا أنهم يأنفون من مصاهرتك ، فغضب وكتب الى النعمان مع زيد بن عدى وأسوار معه يريد على تزويجه بعض بناته أو أخواته ، فقال النعمان أما وجد الملك في مها السواد^(٣) وفارس ما يكتفى به ؟ فقال زيد للأسوار : أسمع ما يقول ؟ ثم ورد على كسرى فذكر أنه قال : اما للملك في بقر السواد كفاية ؟ وإنما قال النعمان : المها وأراد الحسان حسب ما تقول العرب للمرأة الحسناء مهابة وظبيته ، فغضب كسرى وكتب الى

(١) الإصار جبل صغير يشد به أسفل الحباء .

(٢) الهناء النصر .

(٣) السواد قرى العراق .

النعمان أقبل ، وأحسن بالشر ، فأقى طيئاً وغيرها من القبائل يعوذ بها فلم يقبلوه ، وقالوا لو أطقنا أن نخلصك منه خلصنا أنفسنا منك ، فوضع ماله عند هانيء بن مسعود ، وخرج الى المدائن وقال :

أَسِيرٌ إِلَى كِسْرَى وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
سَيَقْتُلُنِي وَالْمَوْتُ لَا شَكَّ نَازِلٌ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنَّ أَمُوتَ وَإِنَّمَا
حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا لَيَالٍ قَلِيلٌ
وَكَانَ فِرَارِي مِنْهُ غَاراً وَسَبَّةً
فَسَرْتُ وَقَدْ جَاشَتْ عَلَى الْمَرَاجِلِ^(١)
عَرَضْتُ عَلَى جُلِّ الْقَبَائِلِ حَرْبَهُ
فَرَدْتُ عَلَى الْحَرْبِ تِلْكَ الْقَبَائِلُ
فَقَيْسٌ سَرَابٌ لَامِعٌ وَتَمِيمُهَا
هَبَاءٌ مُقِيمٌ وَالْأَعَاصِيرُ وَائِلٌ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي لَيْسَ لِلْمَوْتِ مَدْفَعٌ
فَمَوْتِي وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَيْكَ الرَّدَائِلُ

فلما دخل المدائن لقي زيد بن عدى ، فقال له : أنت فعلت هذا واللات لأسقينك بكأس أهلك ! فقال : أنج نعيم ، فوالله لقد أثبت لك أحيّة لا ينزعها المهر الأرّ ، أى النشيط ، فأمر به كسرى فألقى تحت أرجل الفيلة فقتلته ،^(٢) فقال سلامة بن جندل :

هُوَ الْمُؤَلِّجُ النُّعْمَانَ يَتَأَنَّ سَمَآؤُهُ
لُحُورُ الْقُيُولِ بَعْدَ يَتِّ مُسَرَّدِ

وكان لأبرويز ألف فيل ، واثنان عشرة ألف امرأة وجارية ، وخمسون ألف

(١) جاشت غلت والمراجل القدور والمراد أنه وقع في أمر عصيب يصعب الخروج منه .

(٢) في أيام العرب ص ٢٤ ط الخليلي بالقاهرة إن كسرى أمر بقيده وبعث به إلى السجن وظل هناك حتى ظهر الطاعون فمات في سجنه .

فرس وبرذون^(١) وبغل ، ويذكر من الجواهر والمتاع والآنية ما لم يذكر لاحد من الملوك قبله ولا بعده ، وبلغ جنده فى الشرق والغرب ما لم يبلغ جند ملك قط ، وكان جبارا عاتبا ، فقتله ابنه شيرويه ، — واسمه قباد — ووثب على اخوته فقطع أيديهم وأرجلهم ، ووقع الطاعون فيهم حتى أفناهم .

أول من خرج من تهامة ايام

قال : وكانت مكة وما حولها تجمع ولد نزار فكثرت أباد فضاقت بهم ، فخرجوا الى الارياف حتى نزلت بين الحيرة والبحرين على عهد بنى أسد ، فلما كان زمن سابور ذى الاكتاف أفسدوا وأصابوا الطريق وأغاروا على السواد ، وسابور بالجيل كان يتصيف هناك ، وقال : بل وثب فارسى على امرأة منهم فنكحها ، فوثب أخوها واسمه — أحمد — فنكح أخت الفارسى ، فغضب سابور فجمع لهم وكتب اليهم لقيط بن يعمر الأياد وكان رهينة عند سابور عن أباد لئلا تعتو^(٢) فقال فيها :

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُخْتَلِّهَا الْجَزَعَا
هَاجَتْ لَكَ الْهَمَّ وَالْأَحْزَانُ وَاجْعَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ
شَتَّى وَأُخْكِمَ أَمْرَ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ رَأَمُوا بِهِدَّتِهِ
شَمَّ الشَّمَارِيخُ مِنْ تَهْلَانِ^(٣) لَا نُصَدَّعَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتُونُ الْجَرَابَ لَكُمْ
لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعَا

(١) البرذون دابة الحمل الثقيلة أو الخيول التركية .

(٢) تنجير وتضغى .

(٣) اهدة الصوت القوي يسمع عند سقوط شيء ضخم .

وشم الشماريح أعلى رؤوس الجبال وتهلان اسم جبل .

وَأَنْتُمْ تَخْرُثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفِهِ
 فِي كُلِّ مُعْتَمِدٍ ثَبُغُونَ مَزْدَرَعاً^(١)
 وَتُلْقِحُونَ حِيَالَ الشُّوْلِ آوَةً
 وَتَشْجُونَ بِدَارِ الْقَلْعَةِ الرَّبْعَا^(٢)
 وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً
 لَا تَجْمَعُونَ وَهَذَا الْجَيْشُ قَدْ جَمَعَ
 أَذْكَرَا الْعُيُونِ وَرَاءَ السَّرْحِ وَاخْتَرَسُوا
 حَتَّى تُرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعَا
 فَإِنْ غَلِبْتُمْ عَلَى ضَنْ بِدَارِكُمْ
 فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرِ الْحَازِمِ الْفَرْعَا
 مَالِي أَرَائِكُمْ نِيَاماً فِي بِلْهِنِيَةِ^(٣)
 وَقَدْ تَرُونَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعَ
 وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ مِنْ شَطْرِ أَرْضِكُمْ
 هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ يَعُشَاكُمْ قِطْعَا
 هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِي بَقِيَ مَذَلَّتُهُ
 إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ^(٤) يَوْماً وَإِنْ وَقَعَا
 لَا تَتِمُّرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ
 إِنْ يَظْهَرُوا يَخْتَوُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعَا
 وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُكُمْ
 رَخْبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا

(١) في مختار الأغاني ج ٩ ص ٣٥٠ (في كل معتمد ثبغون مزدرعاً) .

(٢) الشول إناث الإبل التي جف لها ، والخيال منها ما لم يحمل ، ودار القلعة التي تريد الانتقال عنها ، والفصيل ولد الناقة التي ينتج في الربيع .

(٣) بلهنية العيش . خائفه .

(٤) الطائر المراد الحظ والمراد ان ارتفع حظكم أو سقط فالقضاء نازل بكم لا محالة لا محالة وسيلحقكم

عاره .

لَا مُسْرِفًا إِنْ رَحَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ
وَلَا إِذَا غَضَّ مَكْرُوءٌ بِهِ خَشَعًا
مُشَرَّدٌ^(١) النَّوْمِ تَعْنِيهِ أُمُورُكُمْ
يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعًا
مَا أَنْفَكَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ
يَكُونُ مُتَبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا
لَا يُطْعَمُ النَّوْمُ إِلَّا رَيْثَ يَحْفَظُهُ
هَمٌّ يَكَادُ حِشَاءَهُ يَخْطُمُ الظَّلْعَا^(٢)
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ^(٣) مَرِيرُهُ^(٤)
مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا فَحِمًا وَلَا ضَرَعًا^(٥)

هذه أجود أبيات قيلت في صفة صاحب حرب وقائد جيش .
وقال في آخرها

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وَدَى بِلَا دَخَلٍ
فَاسْتَيْقِظُوا إِنْ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا
وهي أجود قصيدة قيلت في الانذار .

فلما بلغهم هربوا ، فتبعهم جند سابور فالتقوا بموضع (دير
الجماجم)^(٦) واصطلمت أباد ، وبدت طائفة منهم فدخلت بلاد الروم ، فطاب

(١) في أيام العرب ص ٣٩ : لا مترفا بدلا من مسرفا .

(٢) في مختار الأغاني ج ٩ ص ٣٥٣ (مسهد النوم) .

(٣) الظلع الضيق .

(٤) الشزر الشدة والصعوبة والميرة العزيمة .

(٥) الفحيم من لا يستطيع الجواب والضرع الضعيف الجبان والمراد أنه خطيب وشجاع ، وفي أيام العرب فحما
بالقاف والفحم الكبير السن .

(٦) دير الجماجم بظاهر الكوفة . على سبعة فراسخ منها في طريق البر إلى البصرة ، والفرسخ ثمانية كيلو مترات
تقريبا فتكون المسافة بين الدير والكوفة ستة وخمسين كيلو مترا تقريبا .

وفي مختار الأغاني ج ٩ ص ٣٥٤ أنه التقى بهم في مكان يقال له : مرج الأكم .

سابور ملكها بهم فأبى أن يسلمهم اليه ، فغزاه حتى أسره فكان محبوسا عنده سبع سنين ، ثم جدعه وخلاه بعد أن عطف عليه ما يؤديه في كل سنة ، فقال الشاعر :

الأخمران أهلكا أياداً وحرماً قومهما السوادا

هو أحمر واحد وهو الرجل الذي أتى الأعجمية ، ضم اليه آخر حاله كحاله فقال : الاخمران ، كما قال : الدبران لدبر واحد ضم اليه مكان آخر فقال : الدبران ، ومن قول لقيط « يكون متبعا طورا ومتبعا » أخذ زياد قوله (الا وأنا قد سسنا وساسنا السائسون وجربنا وجربنا المجربون فوجدنا هذا الامر - يعنى السلطان - لا يصلحه الا شدة في غير عنف ولين في غير ضعف) فلما قضى كلامه قال الاخنف : انما الرجل بجده ، والسيف بحده ، والفرس بشده ، والثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وقد بلغ بك جدك ما ترى ، وأنتك لا تحمد حتى تبلى .

اول من جليت له السيوف سعد بن سهل^(١)

وقد روى فيه شعر لم أرتضه فتركته .



(١) جليت أى صقلت .

الباب الثالث

فيما جاء من ذلك منسوباً إلى النبي
« صلى الله عليه وسلم »

أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم محمد (ﷺ)

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الصولى قال : سألت أبا خليفة عن كتاب بسم الله الرحمن الرحيم قال : سئل ابن عائشة عن ذلك فقال : حدثنى أبى ان قريشا كتبت فى جاهليتها باسمك اللهم ، فكان النبی ﷺ يكتب كذلك ثم أنزلت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَاها ﴾^(١) فأمر ان يكتب فى صدور الكتب بسم الله ، ثم نزلت ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾^(٢) فكتب بسم الله الرحمن ، ثم نزلت ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٣) فجعل ذلك فى صدور الكتب ، ثم كتب فى أول كل سورة من سور القرآن سوى براءة لتشبهها بالانفال ،^(٤) ومعنى بسم الله ، أبدأ ببسم الله .

أول من ختم الكتاب من قريش وأهل الحجاز

محمد - ﷺ -

وذلك حين احتاج الى مكتابة الملوك فقليل له : إنهم لا يقبلون الكتب الا مختومة ، فاتخذ خاتماً من ذهب ، ففشت خواتيم الذهب فى أصحابه ، فطرحه واتخذ خاتماً من ورق ، ونقش عليه محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول

(١) سورة هود الآية ٤١ .

(٢) سورة الاسراء الآية ١١٠ .

(٣) سورة النمل الآية ٣٠ .

(٤) الانفال الغنائم وهو اسم سورة من القرآن الكريم وهى السورة التى تسبق سورة براءة ولذلك قال المفسرون : لم تبدأ براءة ببسم الله لأنها متممة للانفال فهى كجزء منها وقال بعضهم غير ذلك .

سطر والله سطر ، وكان في يده حتى مات ، وفي يد أئى بكر حتى مات ، وفي يد عمر حتى مات ، وفي يد عثمان ست سنين ، فلما كثرت عليه الكتب دفعه الى رجل من الانصار ليختم عنه به ، فأئى قليبا ^(١) لعثمان فسقط الخاتم فيه فالتمسوه فلم يجدوه ، فاتخذ خاتما من ورق ونقش عليه مثل النقش الاول ، واما ديوان الخاتم فأول من اتخذه معاوية ، وولاه عبيد الله بن أوس الغساني وسلم اليه الخاتم وعلى فسه « لكل عمل ثواب » ، وكان سبب ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن أئى زيد عن حمد بن معاوية عن الهيثم بن عدى قال : كان عمر بن سعيد غلاما ليزيد بن معاوية ، فقطع إلى ابن الزبير بعثا عليهم عمرو بن الزبير ، فلما التقوا أسره عبد الله بن الزبير فقال له : قبحك الله أما كان في بلائى عندك ما يكفيك ؟ من كان يطلبه بشئ فليقم ، فجعل الرجل يقول : نتف لحيتى ، وآخر يقول نتف أشفار عينى ، وآخر يقول نزع حلمة ثدى فيؤمرون بالقصاص منه ، فأقام بذلك سنة ، ثم جاء مصعب ابن عبد الرحمن بن عوف فقال : ضربنى مائة سوط وليس بأمر ولم أذنب ذنبا ، فأمره فضربه فنغل ^(٢) جلده فمات ، فلامه الناس على ذلك ، فقال : أنكم لا تدرون ما صنعت به : كتب له معاوية بمائة الف درهم الى زياد فقلب الكتاب فجعلها مائتى الف فدفعها اليه زياد ، فلما رفع محاسبه قال معاوية : ما كتبت له الا بمائة الف ، فنظروا في الديوان فوجدوها مائة الف ، فكتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة يأمره بأخذه بها ، فحبسه فأديتها عنه ، وجعل ديوان الخاتم من يومئذ .

وكان خالد بن الزبير أخو عمرو لأمه ، أمهما بنت خالد بن سعيد قد أعطى عمرا الامان هو وعروة وعبيدة أبناء الزبير ، فاحتقرهم عبد الله في كلام هذا معناه وقال :

حَتَّامٌ لَا أَنْفَكَ حَارِسَ سِكَّةٍ ^(٣)
أَدْعَى فَاسْمَعُ مَذْعَبًا وَأَطِيعُ

(١) القليب البئر وهى بئر أريس الذى يقابل مسجد قباء بالمدينة المنورة .

(٢) نغل جلده فسد او أتنن من شدة الجراح .

(٣) السكة حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم .

يَتَدَاوَلُ النَّاسَ الرِّيَاسَةَ بَيْنَهُمْ
 وَأَرْوَمُ ^(١) حَظَّهُمْ فَلَا أَمْنِيْعُ
 وَأَكْلُفُ الْعِبَاءِ الثَّقِيْلُ وَإِنَّمَا
 يُنَلِّى بِهَا الْإِتْبَاعُ لَا الْمَتَّبِعُ
 فَعَلَيْهِمُ الْأَثْقَالُ يَحْتَمِلُونَهَا
 وَعَلَى الرَّئِيسِ الْخُصْمُ وَالتَّوْقِيعُ

وقال آخر :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُنْفَذُ أَمْرُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا
 أَمْنُنْ بِخَتَمِ صَحِيفَتِي مَا دَامَ هَذَا الطِّينُ رَطْبًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ جَفَافَهُ مِمَّا يُعِيدُ السَّهْلَ صَعْبًا

وقال آخر :

خَتَمْتُ الْفُرَادَ عَلَى سَرِّهَا كَذَلِكَ الصَّحِيفَةُ بِالْخَاتَمِ
 هَوَتْ بِي إِلَى خُبِّهَا نَظْرَةً هَوَيْ الْقَرَّاشَةَ لِلْجَاحِمِ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عمرو بن تركى القاضى عن القحذمى قال :
 كان على خاتم البريد للأكاسرة صورة ذباب ، يريدون بذلك الا يحجب كما ان
 الذباب لا يمكن حجبهِ ، وكانوا لا يمكنون منه الا الوزراء فقط ، أخبرنا أبو أحمد عن
 الجلودى عن زياد بن الخليل عن يزيد بن خالد عن مروان بن عمر العمرى عن محمد
 ابن كعب أنه قال : الأمانة خير من الخاتم والخاتم خير من ظن السوء .

أول ما أوحى اليه (ﷺ) وأنزل عليه من القرآن

أخبرنا أبو أحمد - رحمه الله - قال : حدثنا الجوهري قال : حدثنا عمر ابن
 شبه قال : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا الوليد بن محمد عن الزهرى عن عروة
 عن عائشة قال : وحدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن غير هؤلاء قال : أول ما

(١) وأروم يعنى وأريد .

بدىء به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة ، ثم حجب اليه الخلاء ،
 فينما هو في حراء أتاه جبريل - عليه السلام - فقال له : اقرأ قال : قلت ما أنا
 بقارىء ، فغطني ثم أرسلني وقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله
 تعالى ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(١) فرجع ترجف بوادره ، ^(٢) فأخبر
 خديجة ، فخرجت إلى الراهب وعداس عبد لعتبة بن ربيعة كان يتعبد وإلى ورقة
 بن نوفل فسألتهم عن جبريل - عليه السلام - فقالوا : وماذكرك له ولست من
 أهل ذكره ؟ فألحت عليهم ، فقالوا : أمين الله على وحيه ورسوله إلى رسله ،
 قالت : فان محمدا ذكر أنه أتاه ، فقال : ورقة أخشى أن شيطانا تشبه له
 فرجعت ، وقد أنزل الله تعالى ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
 بِمَجْنُونٍ ﴾ ^(٣) ثم صار النبي ﷺ إلى ورقة بن نوفل وقرأ عليه الآيات ، فقال :
 أشهد ان هذا كلام الله ، وان أدرك زمانك اتبعك ، ثم احتبس الوحي ، فقالت
 قريش : ودعه ربه وقلاه ^(٤) فأنزل الله تعالى ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ،
 مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٥) فمكث سنتين ، ثم أنزل الله تعالى ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا
 تُؤْمَرُ ﴾ ^(٦) فلما فعل اشتدت عليه قريش ، ثم نزل ذكر البعث فأتاه أبى ابن
 خلف بعظم نحر وفته ^(٧) وذراه وقال : أتعدنا ان يحيى الله هذا ؟ فأنزل الله
 تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٨) ثم اشتد عليه أمر قريش حتى أدخل الشعب ،
 ثم كان من أمر الهجرة ما كان فى كلام هذا معناه .

(١) سورة العلق الآيات من ١ - ٥ .

(٢) ترجف تضطرب بشدة والبادر ما يبلو من الانسان عند الحدة والمراد الفرائض وهى اللحمة بين الثدي والكف كما جاء فى رواية أخرى .

(٣) سورة القلم الآية من ١ - ٢ .

(٤) قلاه أبغضه .

(٥) سجد الليل سكن والآية من سورة الضحى من ١ - ٣ .

(٦) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٧) نحر بال وفته كسره بأصابعه قطعاً صغيرة .

(٨) سورة يسن الآيات من ٧٧ - ٧٩ .

أول صلاة صلاها صلاة الاولى وأول صلاة ركع فيها صلاة العصر

أخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا عبدان قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد قال : حدثنا عثمان بن سعيد الاحول قال : حدثني علي بن عباس عن أبي الجحاف عن عبد الكريم مولى زاذان قال : سمعت عليا - عليه السلام - يقول : صليت قبل الناس بتسع سنين ، وأن أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر ، قلت : يا رسول الله ما ماهذا ؟ قال أمرت به . وكانت العرب تأنف من الركوع وتسميه التحنية .

أخبرنا أبو أحمد حدثنا الجوهري قال : حدثنا حماد بن سلمه عن الكلبي ان وفد ثقيف قدموا على رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا محمد ، إنا اخوالك وأصهارك وجيرانك وأشد أهل نجد عليك حربا ، وخيرهم لك سلما ، إن حاربتك حاربك من بعدنا ، وإن سالمناك سالمك من بعدنا ، فاجعل لنا الان نعشر ولا نعشر ولا ننحني ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، فقال : ^(١) لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا تكسروا أصنامكم بأيديكم ولا خير في دين ليس فيه ركوع ، قالوا فمعتنا باللات سنة ، فان خشيت لائمة العرب فقل : الله أمرني بذلك ، فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لا والله ولا نعمت عين ، أحرقتم كبد رسول الله أحرقت الله أكبادكم ، ^(٢) لا والله حتى تدخلوا فيما دخلت فيه العرب فانزل الله ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ ^(٣) ولما وفد عامر بن الطفيل ومعه أريد بن ربيعة أخو ليبد لأمه على رسول الله ، وسأله عامر الخلافة بعده ، وطلب منه المربع ، ^(٤) وأن يكون له الوبر ولرسول الله المدر ، ^(٥) قال له رجل : لو سألت سبابة من سبابة

(١) ارادوا بذلك ان يحصلوا على بعض الامتيازات التي لم يحصل عليها غيرهم من العرب كما صرحت بذلك الروايات الاخرى فطلبوا الا يأخذ منهم العشر ولا يجندوا للحرب ولا يكسروا أصنامهم بأيديهم فأقرهم رسول الله على ذلك الا الصلاة .

(٢) وفي التفسير الكبير للرازي ان عمر بن الخطاب سل سيفه وقال أسعرت قلب نبينا يا معشر قريش أسعرت الله قلوبكم نارا .

(٣) سورة الاسراء الآية (٧٢) .

(٤) المربع ربع الغنيمة وكان يأخذه الزعيم في الجاهلية .

(٥) المراد بالوبر أهل البادية وبالمدر أهل المدن والقرى .

المدينة ما أعطاك ، يعنى بلحة . ورأى عامر الصلاة فقال : والله لا نظرت الى عامرية منحنية ، وقال : لأملأها خيلا شقرا ورجالا حمرا : فدعا عليه رسول الله - ﷺ - فأصابته غدة فانحاز إلى بيت سلولية ، فجعل يقول : غدة كغدة البعير وموت ، فى بيت سلولية ؟ فصار مثلا يضرب فى اجتماع نوعين من المكروه ، ثم مات وأخذت أريد صاعقة بعد ذلك ، وكان عامر يقدم اليه لقتل رسول الله اذا شغله عامر بالكلام ، فلما انصرف لأمه على ترك ذلك ، فقال أريد : والله ما هممت بذلك الا دخلت بينى وبينه او كنت أضربك ؟ فرئى لييد أريد فقال :

مَا إِنْ تَعَدَّ الْمَتُونُ مِنْ أَحَدٍ
لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَحْشَى عَلَى أَرْبَدِ الْخُتُوفِ ^(١) وَلَا
أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَكِ ^(٢) وَالْأَسَدِ
فَجَعْنَى الرَّغْدِ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ النَّجْدِ

وقال يرثيه :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَافِهِمْ
وَبَقِيََتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
يَتَاكُلُونَ مَدْمَةً وَخِيَانَةً
وَيُعَابُ قَاتِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْعَبِ ^(٣)
بِأَرْبَدِ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ فِعَالَةً
أَفْرَدْتَنِي أَمْشَى بِقَرْنٍ أَغْضَبِ
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا
فَقْدَانُ كُلِّ أَخٍ كَصَوِّ الْكَوْكَبِ

(١) الختوف الموت .

(٢) أحد كوكبين يقال لهما السماكان أحدهما يقال له السماك الرابع والآخر يقال له السماك الاعزل .

(٣) الشغب شبيح الشر على القوم .

وقال فيه أيضا:

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي
وَدَافِعُ ضَيْمِنَا يَوْمَ الْخِصَامِ
وَهَلْ حَدَّثْتَ مِنْ أَخَوَيْنِ دَامَا
عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا أَبْنَى شِمَامِ

ابنا شمام جبلان وقال أيضا يرثيه .

بَلِينَا وَمَا ثَبَلَى التَّجُومُ الطَّوَالُغُ
وَبَقِيَ الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ ^(١)
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ جَارٍ مَضْنَةٍ
فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
بِهَا يَوْمَ خَلَوْهَا وَغُدَوَا بِلَاقِعِ ^(٢)
وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ وَفِي الثَّقَى
وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُغْمَرَاتٌ وَدَائِعِ ^(٣)
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ
يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعِ
وَلَا يَبْدُ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلُ
يَتَبَرَّ مَا يَنْبَى وَآخِرُ رَافِعُ

(١) المصانع أحواض الماء أو القصور والحصون .

(٢) بلاقع بمعنى مقفهن يقال دار بلقع أى مقفرة خالية .

(٣) فى مختار الأغاني ج ٩ ص ٣٤١ (وما المال إلا عاريات ودائع) .

قال أبو هلال :

مضمرات أى لا يراها الناس ، والمعمرات ما عمرتك عمرى أى جعلتها لك ،
يتبر يعنى يفسد والمعنى الناس صنفان مصلح ومفسد .

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيحِهِ
وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعٌ
أَلَيْسَ وَرَأَيْى إِنِ تَرَاحُثَ مَنِيَّتِي^(١)
لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أُخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
أُذُبُ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ
وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنُهُ^(٢)
تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ^(٣) وَالنَّصْلُ قَاطِعٌ
فَلَا تَبْعُدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ
عَلَيْنَا فَدَانٍ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
أَعَادِلُ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تُظَنِّيَا
إِذَا ارْتَحَلَ الْفَتَيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
أَتُبْكِي عَلَى إِنْثَرِ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
أَلَا إِنَّ أَحْدَانَ الشَّبَابِ الرَّعَارِغُ^(٤)
أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لِلْفَتَى
وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصَيِّهُ الْقَوَارِغُ^(٥)

(١) تراخت تأخرت والمنية الموت .

(٢) الجفن غمد السيف .

(٣) القين الحداد وصانع السيوف .

(٤) الرعارع حسن الاعتدال مع حسن الشباب .

(٥) القوارع جمع قارعة وهى الدامية المهلكة .

وَيَمُضُونَ أَرْسَالاً وَيُلْحَقُ بَعْدَهُمْ
 كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمُشَاتِعِ
 لَعْمُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى
 وَلَا زَا جَرَاثِ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ^(١)
 مَضَى مَا مَضَى مِنِّي وَفِي بَقِيَّةٍ
 كَأَنِّي سَيْفٌ نَاجِلٌ الْإِنْرَ قَاطِعٌ

أول صلاة صلاحها جماعة

أخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا أبو طاهر النديم قال : حدثنا اسحاق ابن محمد النخعي قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حفص قال : حدثني أبي قال : مر أبو طالب ومعه جعفر على نبي الله — ﷺ — وهو يصلي وعلى على يمينه فقال لجعفر : صل جناح ابن عمك ، فتأخر على وقام جعفر معه وتقدمهم رسول الله ، فأنشأ أبو طالب يقول :

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعَفَرًا ثَقَفَي
 عِنْدَ احْتِدَامِ^(٢) الزَّمَانِ وَالْكَرْبِ
 لَا تَخْذُلَا وَانْصُرَا ابْنِ عَمِّكُمَا
 أَخِي ابْنِ أُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي
 وَاللَّهِ لَا أَخْذُلُ النَّبِيَّ وَلَا
 يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِي دُو حَسْبِ

فكانت اول جماعة في الاسلام .

(١) في هذا البيت بين الشاعر أنه لا أحد يعلم الغيب الا الله فمن يطرق الحصى والذي يزرع الطير دجالون يكذبون على الله والناس لانهم لا يعرفون ماذا سيصنع الله بعباده وكثيرا ما أثبتت الحوادث كتبهم ودجلهم في المعلقات شرح الزوزني ص ١٩٩ لعمرك ماترى الضوارب بالحصا
 (٢) احتدام الزمان شدته .

أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها

أخبرنا أبو احمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن ابراهيم الجوهري عن الواقدي قال : حدثنا أبو سعيد القرشي قال : أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ — في يوم أول جمعه صلاها في بني سالم فقال : الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد الا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العمل وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصى الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا مبينا ، أوصيكم بتقوى الله ، فانه خير ما أوصى به المسلم المسلمين أن يحضهم على الآخرة ويأمرهم بالتقوى ، فاحذروا ما حذركم الله من نعمته ،^(١) فلا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أجل منه ذكرى تكون لمن عمل به على وجل ومحافة من ربه عون صدق على ما ينوي من أمر آخرته ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن ذلك دركا لعاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم ، وما سوى ذلك ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَيَنِّيْهِ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾^(٢) الآية فسبحان الذي صدق قوله وأنجز وعده حقا بلا خلف ، لقوله ذلك فانه يقول ﴿ مَا يُدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ ﴾^(٣) فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية ، فانه ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾^(٤) ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وان تقوى الله تقوى نعمته وتقوى عقوبته وتقوى سخطه ، وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة ، خلوا بحقكم لا تفرطوا ، وأحسنوا كما أحسن الله اليكم ، وعادوا

(١) في سمط النجوم من نفسه .

(٢) سورة آل عمران الآية (٣٠) .

(٣) سورة ق الآية (٢٩) .

(٤) سورة الطلاق الآية (٥) .

أعداءه ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ ^(١) وسماكم المسلمين ،
﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ ^(٢) ولا قوة الا بالله ، أكثروا
ذكر الله ، وأعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح مايينه وبين الله يكفه الله الذي بينه
وبين الناس ، ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا
يملكون منه ^(٣).

أول ما صلى رسول الله صلاة الخوف

أخبرنا أبو القاسم عن العبدى عن أئى جعفر عن المدائنى وأبو أحمد عن
الجوهري عن عمر بن شبه عن شيوخه قال : أغار ابن عيينة الفزارى على
لقاح ^(٤) رسول الله ﷺ — بالغا ، فنذر بهم سلمة بن الاكوع فتبعهم فمازال
يرميهم حتى استنقذها منهم ، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فنودى يا خيل الله اركبى ، وذلك
أول مانودى به ، فجاء بالمسلمين ، فتقدم الأخرم الأسدى فعقر فرس عبد الرحمن بن
عيينه ، وعطف عليه عبد الرحمن فقتله ، وتحول إلى فرسه ثم عقر عبد الرحمن
فرس أبى قتادة ، وكان من المسلمين ، فعطف عليه أبو قتادة فقتله وتحول إلى
فرسه ، وهو فرس الأخرم ، وانهزم المشركون ، و طرحوا ثلاثين بردة وثلاثين
رمحا يستخفون بذلك حتى نزلوا على الماء ، وأتاهم عيينة مددا لهم ،
وحضرت الصلاة فصلى النبى بأصحابه صلاة الخوف ، فقامت طائفة بإزاء
العدو وطائفة معه ، فصلى بهم ركعة ، فذهبوا إلى المصاف ، وجاءت الطائفة
الأخرى فصلى بهم ركعة ، وصلى القوم ركعة ركعة وصلى رسول الله ﷺ
ركعتين ، هكذا قالوا .

فلما جاء الليل انصرف المشركون الى بلادهم ، فطلب أصحاب رسول

(١) سورة الحج الآية (٧٨) .

(٢) سورة الانفال الآية (٤٣) .

(٣) وردت زيادات فى رواية سبط النجوم فى الخطبة فى الجزء الأول ص ٣١٠ فمن أراد الاطلاع عليها فلا بأس .

(٤) اللقاح جمع لقحة وهى الناقة الغزيرة اللبن القليلة الولادة .

الله منه أن يتبعهم ، فقال : ملكتم فأسجحوا ،^(١) ورجع رسول الله الى المدينة في كلام هذا معناه .

قال أبو زيد : وهو أول فرس غدا في سبيل الله تعالى ، وهو فرس المقداد بن عمرو ، فدل ذلك على أن الغزوة كانت قبل بدر ،^(٢) إذ قد قيل : أن الخيل كانت يوم بدر فرسا للمقداد وفرسا لمرثد بن أبي مرثد ، وذكر المدائني أن غارة عبد الرحمن على اللقاح كانت سنة ست ، وأن أول ماصلي صلاة الخوف في ذات الرقاع وهي سنة خمس .

أول امرأة تزوجها (ﷺ)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، وكانت قبله عند أبي هالة ، فولدت له هنداً وهالة ،^(٣) وهما خلا الحسن والحسين ، وخلفه عليها عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي ، فولدت له جارية اسمها هند ، وهي الطاهرة ، وهي أخت فاطمة لأُمها ، وهي خالة الحسن والحسين عليهما السلام ، وكانت عند صفى .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : حدثنا أبو خيثمة قال : حدثنا جزاء بن عبد الحميد عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : اجتمعت نساء قريش في عيد لهن فجاءهن يهودى فقال : يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون له أرضاً يطوؤها فلتفعل ، فشتمنه وطرده ، ووقر ذلك في صدر خديجة ، وكانت استأجرت رسول الله — ﷺ — وبعثته مع ميسرة غلامها الى الشام ، فبينما هي تنظر قدومهما نظرت

(١) أسجحوا يعنى أرفقوا وأحسنوا .

(٢) ليس في هذا ما يدل على أن الغزوة كانت قبل بدر لأن فرس المقداد كان أول فرس أتى بعد الصيحة وليس أول فرس خرج في سبيل الله كما ذكر أصحاب السير .

(٣) وافق صاحب المواهب اللدنية صاحب الأوائل وقال وهما ذكران وأما حب سمط النجوم العوالى فقال أن هنداً ذكر وأما هالة فأثنى وبها تكنى والصواب ما ذكره كتابنا لأنه الذى تؤيده أكثر الروايات والله أعلم .

رجلا يطلع من عقبة المدينة وليس فى السماء غيم الا قدر ما يظله ، واذا هو
النبي — ﷺ — فقالت : ان قول اليهودى حق والمبعوث محمد ، فقالت له :
اخطبنى ، فلقى عمه ابا طالب فقال : أخطب على خديجة ، قال : أخاف الا
يفعلوا أيم قريش وأنت يتيم قريش ، فقال : أخطبها على ، فلقى أبو طالب أباها
وقالوا : عمها ، — وهى الصحيح — فذكر له ذلك فلقبها فقال : فلان يخطبك
لشيخ من قريش ، فقالت : شيخ قضى شبابه وساء خلقه لاحاجة لى فيه ، فقال
لها : محمد فقالت أوسط قريش حسبا وأفصحهم لسانا ، أعود عليه بمالى
فيكون عطف يمينى ، فبعث اليه ان تعال نزوجك ، فاستنهض معه أبا طالب
فقال : أخاف الا يفعلوا وان ردونى كانت الفضيحة ، فتأخر وبعث معه حمزة ،
فمروا بعلى يلعب مع الصبيان فانطلق معهم ، فلما دخلوا قال النبى : —
ﷺ — الحمد لله الحى الذى لا يموت فقالوا : ماهذا الكلام ؟ ثم تكلم بما أراد
وأرادو ، فقالوا : تكلمت ، ولكن من يضمن لنا المهر ؟ فقال على : أبى ، فلما
بلغ الخبر أبا طالب جعل يقبل عليا ويقول : بأبى أنت وأمى .

قالوا : والصحيح ان رسول الله — ﷺ — كان يومئذ ابن خمس
وعشرين سنة ، ولو كان ذلك كذلك لكان لعلى يوم استشهد أكثر من سبعين
سنة ، ولم يقل هذا أحد ، والغلط فى أحد الأمرين إما فيما رووه من كون على
معه ، او فيما ذكروه من سن النبى يومئذ ، وقد قيل : أنه كان يومئذ ابن ثلاثين
سنة ، وقالوا : ابن خمس وثلاثين والله أعلم بالصواب .

وروى أن أبا طالب خطب فى تزويج النبى (ﷺ) خديجة ، أخبرنا
أبو احمد قال : حدثنى أبو الحسن محمد بن القاسم السعدى قال : حدثنا وكيع
قال : حدثنا اسحاق بن محمد النخعى قال : حدثنا محمد بن عثمان الواسطى
قال : حدثنا على بن هشام ابن محمد بن عبد الله بن رافع عن أبيه عن جده
قال : لما أراد النبى أن يتزوج خديجة خطب ابو طالب فقال : الحمد لله ،
جعلنا من زرع ابراهيم وذرية اسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ،

وجعلنا الحكام على الناس ، ثم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى من لا يوازن بأحد الا رجح به ، ولا يعدل بأحد الا فضله ، وان كان فى المال قلا فان المال ظل زائل ، وله فى خديجة رغبة ولها فيه مثلها ، وما كان من صداق ففى مالى ، وله بعد نبأ عظيم وخطر شاسع ، وهذه من الخطب المستحسنة الموجزة .

وشبهها خطبة أمير المؤمنين على — عليه السلام — لنفسه فى املاك فاطمة ، حدثنا أبو احمد عن أبى الحسين النسابة عن سعيد بن العباس عن الزبير ابن بكار عن عمه قال : سمعت أبا سعيد الأصبعى يقول : لما أملك على بفاطمة — عليهما السلام — قال له النبى : — ﷺ — أخطب فقال : الحمد لله شكرا لانعمه وأياديه ، وأشهد ان لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وصلى الله على سيدنا محمد صلاة ترفله وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله به ورضيه ، واجتماعنا مما قدره الله تعالى وأذن فيه ، وان رسول الله زوجنى ابنته فاطمة بصداق اثنتى عشرة أوقيه ، فاسألوه واشهدوا .

وقالوا : خطب النبى — ﷺ — لما زوج فاطمة ، أخبرنا أبو احمد قال : أخبرنا محمد بن الحسين بن إسماعيل عن الغلابى عن سعيد بن وافد قال : سمعت الحسين بن زيد بن على يقول : سمعت عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على — عليهما السلام — يحدث عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن جابر قال الغلابى : وحدثنى احمد بن عيسى بن زيد قال : حدثنى الحسين بن زيد عن عمومته وأهله قالوا : ان رسول الله — ﷺ — حين زوج عليا فاطمة خطب فقال : الحمد لله الم محمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، الم رهوب عقابه ، الم رغوب اليه فيما عنده ، النافذ أمره فى سوائه وأرضه ، الذى خلق الم خلق بقدرته ، ودبرهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيهم ، ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا لاحقا ، وأمرا مفترضا نسخ بها الايام^(١) وألزمها

(١) فى رواية سمط النجوم (نسبا لاحقا وامدا مفترضا أو شج به الارحام والزم الانام) .

الأنام ، فقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ^(١) فأمر الله يجرى الى قضائه ، وقضاؤه يجرى الى قدره ، وقدره يجرى الى أجله ، ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) ، ثم ان الله تعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على ، وقد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ، فقال على : — رضى الله عنه — رضيته عن الله ورسوله فقال : جمع الله شملكما ، وأسعد جدكما ، وأخرج بينكما كثيرا طيبا ، ^(٣) قال جابر : فو الذى بعثه بالحق ، لقد أخرج بينهما كثيرا طيبا .

وتزوج — ﷺ — عائشة بنت أبى بكر بkra ، ولم يتزوج بkra غيرها ودخل بها ولها تسع سنين ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم سلمة واسمها هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فهؤلاء ست قرشيات ، وزينب بنت جحش ، وكانت قبله عند زيد بن الحارثية ^(٤) وهى التى نزل فيها ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ ^(٥) .

وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وميمونة بنت الحارث ابن حزن الهلالية ، ونكح مما أفاء الله عليه جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعية ، وصفية بنت حى بن أخطب النضيرية ، وريحانة بنت زيد من بنى قينقاع ، وتزوج أيضا عمرة بنت يزيد العامرية وكان بها وضح فطلقها ، وأسماء بنت النعمان بن الحارث بن الأسود بن شراحيل بن كندى بن الجون بن آكل المرار ، وأم شريك وهى التى وهبت له نفسها .

(١) سورة الفرقان الآية (٥٤) .

(٢) سورة الرعد الآيات (٣٨ ، ٣٩) .

(٣) فى رواية سمط النجوم زيادات عن هذه فليرجع اليها من شاء الجزء الاول ص ٤٢٩ .

(٤) جاء فى التفاسير أنه زيد بن حارثة .

(٥) سورة الأحزاب الآية (٣٧) .

وتوفيت عنده منهن خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وريحانة ، وخلي
 سبيل العامرية والكندية ، وأرجأ أم شريك ، وتوفى عن تسع : عائشة وحفصة
 وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وزينب وصفية وميمونة وجويرية ، وبعث اليه
 المقوقس بمارية وأختها سيرين ، فاتخذ مارية لنفسه وأولدها ابراهيم — عليه
 السلام — ووهب سيرين لحسان بن ثابت وهى أم عبد الرحمن .

أول ولد ولد له عبد الله

أخبرنا أبو القاسم بن سيران عن عبد الرحمن بن جعفر عن الغلابي عن
 العباس بن بكار عن الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس ، وحدثنا أبو احمد عن
 الطوس عن الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن
 جعفر بن محمد عن أبيه ، وعن غير هؤلاء يزيد بعضهم على بعض قالوا : تزوج
 رسول الله — ﷺ — خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهى بنت أربعين
 سنه ، فأول من ولدت له عبد الله ثم زينب ثم القاسم ثم الطاهر ثم المطهر ثم
 رقية ثم أم كلثوم ثم الطيب ثم المطيب ثم فاطمة ، وتوفيت خديجة قبل الهجرة
 بثلاث سنين ، ومات القاسم والطاهر قبل النبوة فمر رسول الله راجعا من جنازة
 القاسم على العاص بن وائل السهمي وابنه عمرو فقال : أنى لأشئوه فقال
 العاص : لاجرم فقد أصبح أبتر ، فانزل الله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ
 الْأَبْتَرُ ﴾ (١) ، وزوج زينب من أبي العاص بن الربيع ، وأم كلثوم (٢) من عتيبة بن
 أبي لهب ، فطلقها بعد أن نبيء رسول الله ، فتزوجها عثمان ، فولدت له عبد الله
 فلما بلغ ست سنين ماتت والنبي يبدر (٣) فتزوج بعدها أم كلثوم وتزوج على

(١) سورة الكوثر الآية (٣) .

(٢) فى سبط النجوم الجزء الأول ص ٤٢٠ أن رقية تزوجت عتبه بن ابي لهب وتزوجت أم كلثوم أحاه
 عتية ولكنهما طلقاهما قبل الدخول بهما فتزوج عثمان رقيه وهاجر بها الى الحبشة وولدت له عبد الله وماتت
 والنبي يبدر ثم تزوج بعدها أم كلثوم .

(٣) المشهور ان التى ماتت والنبي يبدر هى رقية لا أم كلثوم وأما أم كلثوم فقد تزوجها عثمان بعد رقية ولنا
 يسمى ذا النورين .

أول ما تكلم به حين دخل المدينة

أخبرنا أبو احمد عن الجلودى عن عبد الرحمن بن خلف عن معاذ بن عوذ الله عن عوف بن أبى جميلة عن زرارۃ ابن أوفى عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله — ﷺ — المدينة احتفل الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله — ﷺ — قدم رسول الله ، فجمعت فى الناس فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس وجه كذاب ، وكان أول شىء تكلم به أن قال . « أيها الناس اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ومما يجرى مع هذا قول بعضهم : أبخل الناس من بخل بالسلام على معرفته وجاره إذا غدا أو راح ، ودخل بعض الصلحاء على بعض الخلفاء فسلم ، فقيل له : أصبت السنة واخطأت الأدب ، فقال : لاخير فى أدب ليس فيه سنة .

وجعل السلام فى الاسلام مكان السجود ، والمصافحة بدل تقبيل اليد ، ولما دخل جعفر بن أبى طالب فى أصحابه على النجاشى سلموا عليه ولم يسجدوا له فغضب ، فقال له جعفر: أيها الملك جئناك بتحية رضىها الله لأوليائه وأهل طاعته فجعلها تحية أهل الجنة ، وكان السجود تحيتنا اذ نحن نعبد الأوثان ، فبدلنا الله بها خيرا منها وهو السلام فرضى .

أخبرنا أبو احمد عن بعض رجاله عن ابراهيم بن المدبر قال : دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم ، فكل قبل يده ، إلا اسحاق بن اسرائيل فإنه قال : ماينقصك ياأمير المؤمنين الا أقبل يديك ، وقد حدثنى الفضل بن عياض عن هشام عن الحسن أنه قال : المصافحة تزيد فى المودة وتبقى ببهاء المؤمن ، فبسط المتوكل يده فصافحه ، ثم وصله بأكثر ما وصل واحدا منهم وقلت فى المعنى :

أَثَرَاكَ نَسْمَحُ بِالنَّوَالِ وَأَنْتَ تَبْخُلُ بِالسَّلَامِ
لَا تُوحِشُ التَّفَرَّ الْكَرَامِ قَالَتْ مِنْ تَفَرِّ كِرَامِ
قَدْ ضَلَّ مَنْ لَا يَشْتَرِي وَدَّ الْكَارِمِ بِالْكَلامِ

وقال :

تَضَيُّنُ بِتَسْلِيمٍ وَزُورَةٍ سَاعَةٍ فَكَيْفَ تُرَجِّى جُودَ كَفِّكَ بِالْوَفْرِ

أول هدية أهديت اليه بالمدينة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن بعض رجاله قال : أول هدية أهديت الى رسول الله ﷺ — هدية زيد بن ثابت ، قصعة مشرودة خبزاً وسمناً ولبناً ، ثم هدية سعد بن عبادة ، قصعة ثريد عليها عراق — والعراق عظم عليه لحم وكذلك العرق بالفتح — وهدية فروة بن عمرو الجزامي حين أسلم ، بعث اليه بثياب فيها قباء سندس مخوص بالذهب وفرس وحمار وبغلة شهباء ، فكانت أول شهباء رويت في المدينة ، وكان فروة عاملاً من قبل الروم على عمان من أرض البلقاء ، فقسم رسول الله ﷺ — الثياب بين نسائه ، وأعطى منها أبا بكر ، ووهب الفرس لأبي أسيد الساعدي ، وأعطى القباء مخرمة ، ومات الحمار عند منصرفة من حجة الوداع ، وبلغ ملك الروم صنيع فروة فأرادَه على الرجوع الى دينه فأبى ، فأمر بصلبه فقال حين يصلب :

أَلَا هَلْ أَتَى هِنْدًا بِأَنَّ خَلِيلَهَا
عَلَى مَاءِ عَفْرِ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَا حِلِ
عَلَى نَاقَةٍ لَا يَضْرِبُ الْفَحْلُ أَمَّهَا
مُشْرَبَةً أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ^(١)

(١) المعنى أنه محمول على راحلة لم تولد من ناقة وفحل مشلود الاطراف وذلك كناية عن الشيء الذي صلب عليه .

ومن هنا أخذ أبو تمام قوله في مصلوبين :

أَمْسُوا وَأَضْحُوا فِي مُتُونِ ضَوَامِر^(١)
قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ الشَّجَارِ
سُودَ الثَّيَابِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
أَيْدَى الْجُنُونِ^(٢) مَدَارِعًا مِنْ قَارِ
لَا يَتَرَحُّونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
أَبْدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ

أول غزوة غزاها بنفسه الأيواء

وهي غزوة ودان

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجاله قال :
خرج رسول الله ﷺ — النصف من صفر يوم الإثنين من السنة الثانية من
الهجرة ، وقد بلغه ان جمعا من قريش خرجوا ، فاستخلف على المدينة عبادة بن
الصامت ، وقيل : غيره ، ولواؤه مع حمزة بن عبد المطلب فلم يلق قريشا
ووادعه مخشي بن عمرو الضمري على بني ضمرة فغاب خمس عشرة ليلة ثم
رجع .

وقد ذكر نصيب ودان في شعره . أخبرنا أبو احمد عن أبيه عن عسل عن
بعض رجاله قال : دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك قبل خلافته فقال :
أنشدني يا أبا فراس ، وأراد ان ينشده مديحه فأنشد .

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ
لَهَا سَلْبًا مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَابِ
سَرَوْا يَرْكَبُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْقُهُمْ
عَلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

(١) في ديوان أبي تمام (بكروا وأسرؤا في متون صوافن) والصوافن والضوامر الخيل .

(٢) في الديوان السمووم بدل الجنون والمراد الريح الحارة الآتية من جهة الجنوب .

إِذَا بَصَرُوا نَاراً يُقُولُونَ لَيْتَهَا
وَقَدْ خَصَرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ

فغضب سليمان ، وقال لنصيب : أنشد مولاك فانشد

أَقُولُ لِرَكَبٍ قَافِلِينَ تَيْمَمُوا
قَفَازَاتٍ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٍ
فَقُومُوا خَبَرُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي
لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانٍ طَالِبُ
فَعَايَا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَلَوْ سَكَتُوا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فأعطاه وحرم الفرزدق ، قلنا : وشعر الفرزدق أحسن وأجود ، وأكثر
طلاوة ، وأبين بلاغة وفصاحة ، ولكنه مفارق لحسن الأدب ، ولما يوجبه
العقل ، لأن العاقل لا يفتخر بحضرة السلطان ، ولا يمدح نفسه عند الملوك ،
وأعقل الناس أخضعهم للسلطان ، والكبر عليهم هلكة .

أول لواء عقد

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجاله قال :
أول لواء عقده رسول الله ﷺ — لواء أبيض لحمزة ، حملة مرثد حليف
حمزة في السنة التي هاجر فيها في شهر رمضان ، بعثه في ثلاثين رجلا من
المهاجرين يعترض غير قريش مقبلة من الشام ، فلقى أبا جهل وأبا سفيان في
ثلاثمائة ، فحجز مجدي بن عمرو الجهني بينهم ، فانصرفوا من غير قتال .

وكانت رايته يوم حنين سوداء من برد لعائشة ، وأول ماعقدت الرايات
يومئذ ، وكانت قبل ذلك الألوية . وكانت راية علي يوم صفين سوداء ، يحملها
الحضين بن المنذر . أبو ساسان ، وحضين بالضاد المعجمة ، وليس في العرب

حُضَيْنَ غَيْرِهِ وَكَانَ بِخَيْلًا وَفِيهِ يَقُولُ زِيَادُ الْأَعْجَمِ :

يَسُدُّ حُضَيْنٌ بَابَهُ خَشْيَةً الْقَرَى
بِأَصْحَرِ وَالشَّأَةِ السَّمِينِ يَذْرَهُم

وفيه يقول الضحّاك بن هشام .

وَأَنْتَ أَمَرُوا مِنَّا خُلِقْتَ لِغَيْرِنَا
حَيَاثُكَ لَا نَفْعَ وَمَوْتُكَ فَاجِعٌ

أول خمس خمسة

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل عن إبراهيم عن
الواقدي قال : عبد الله بن جحش : دعاني رسول الله ﷺ — حين صلى
العشاء فقال : واف مع الصبح أبعثك وجها ، فوافيت ومعى سيفى وقوسى ،
فصلى النبى بالناس الصبح ، فانصرف فوجدنى سبقتة واقفا عند بابه ، وأجد نفرا
معى من قريش ، فدعى أبى بن كعب فكتب كتابا وأعطانيه وقال : استعملتك
على هؤلاء النفر ، فامض حتى اذا سرت ليلتين فانشر كتابى ثم امض لما فيه ،
واسلك النجدية قال : فانطلق حتى اذا كان ببئر أبى ضمرة قرأ الكتاب فاذا فيه ،
سر حتى تأتى بطن نخلة^(١) على اسم الله وبركته ، ولا تكرهن أحدا من
أصحابك ، فترصد بها عيرا لقريش ، فقدموها فصادفوا العير ، ففرع أصحابها ،
فحلق بعض الصحابة رأسه ليقولوا انما هم عمار فأمنوا ، ثم قاتلوهم فى آخر يوم
من رجب وقالوا : ان أخرنا دخلوا الحرم ، فأنكر المشركون ذلك وقالوا : أحل
محمد من الشهر الحرام ما كان يحرم ، وورد عبد الله بن جحش بالخمس على
رسول الله ﷺ — وقسم الباقي بين أصحابه ، فكان أول خمس خمسة .

فلما أكثر المشركون واليهود الإنكار لما كان منهم من القتل والسبي

(١) قرية قريبة من مكة المكرمة .

في رجب ، أنزل الله تعالى في عذرهم ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعنى الكفر ، ففرح المسلمون وسكنوا .

أول قتيل من المشركين

وقد قتل يومئذ عمرو بن الحضرمي ، وهو أول قتيل قتل منهم وأسر عثمان ابن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان فكانا أول أسيرين أسرا منهم في الاسلام ، وأسلم الحكم بن كيسان ، ورجع عثمان بن عبد الله كافرا بعد أن فودى ، وكانت غنيمة أهل نخلة أول غنيمة غنمها المسلمون .

أول ماقاتل جمهور المشركين وهزمهم وظفر بهم وهو
أول يوم علا فيه الاسلام ورفعت أعلامه وانحط منار الكفر
وزلزلت أركانه

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني وأبو أحمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن ابراهيم الجوهري عن الواقدي وعن غير هؤلاء قالوا : أقبل أبو سفيان بن حرب بغير قريش من الشام يحميها ، ومعه ثلاثون رجلا أو أربعون ، وخرج رسول الله ﷺ — لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة في ثلاث وثلاثين رجلا من المهاجرين وواحد وستين رجلا من الأوس ومائة وسبعين من الخزرج ، ولم يكن خرج بأحد من الانصار قبل ذلك في قتال ، ومعهم سبعون بعيرا وفرسان ، فرس للمقداد بن الأسود الكندي والآخر لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، يعترض العير فقاتته .

(١) سورة البقرة الآية (٢١٧) .

وجاء حتى نزل بيدر وكانت سوقا تقام فى كل سنة ثمانية أيام ،
 وخرجت قريش تريده وهم مابين تسعمائة والى الف ، وخيلهم مائة ، وكان أول
 طالع منهم زمعة بن الأسود ، فقال رسول الله ﷺ « (اللهم أنك أنزلت على
 الكتاب وأمرتني بقتال المشركين ووعدتني احدى الطائفتين وأنت لاتخلف
 الميعاد وهذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم
 أحنهم ^(١) الغداة) فاستجيب له فيهم ، فهزموا وقتل صناديدهم وأسروا ، فكان
 القتلى سبعين والأسرى سبعين ، وقيل أربعين وأربعين .

وضرب عنق النضر ابن الحارث ، وهو أول من ضرب عنقه فى الاسلام
 فقالت ابنته تربيته : وتخطب رسول الله ﷺ —

أُمَحَمَّدُ هَا أَنتَ صِنُو ^(٢) نَجِيَّةٍ لِنَجِيَّةٍ وَ الْفَحْلُ فَحْلُ مُعْرِقٍ

مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا
 مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَعِظُ الْمُحَنِّقُ ^(٣)

فقال ﷺ : لو سمعت شعرها ماقتلته ^(٤) فلما قسم غنائمهم أخذ سيف
 منبه بن الحجاج ، — وهو ذو الفقار — فتقلده فكان أول سيف تقلده ، وأخذ
 أيضا جملا مهرى لابی جهل صفية ، فجعله فيما أهدى الى مكة ، فهابت قريش
 من يومئذ جانب المسلمين ، فتركت الطريق التى كانت تسلكها الى الشام ،
 واستأجرت رجلا يقال له الفرات بن حيان ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، فبعث
 رسول الله ﷺ — زيد بن حارثة فأصابها ، وورد بها المدينة ، فقال حسان
 ابن ثابت : يذكر الفرات بن حيان حين انصرف رسول الله ﷺ من بدر ومعه فرسان

(١) أحنهم أى أوقع الحقد والبغضاء بينهم .

(٢) فى البيان والتبيين ج ٣ ، ص ٣٦٦ ، ط القاهرة (ها انت ضيء) والضوء النسل .

(٣) الشديد الغيظ .

(٤) لم ار لهذا القول اصلا فى الكتب الصحيحة ، ولعله من المكذوب على الرسول — ﷺ — لبيان أثر
 الشعر فى النفس .

أَقْمَنَا عَلَى الرَّسِ ^(١) التَّزْوَعِ لِيَالِيَا
بِأَرْعَنَ ^(٢) جَرَّارٍ عَرِيضَ الْمَبَارِكِ
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ
طَوَالَ الْهُوَادِي مَشْرِقَاتِ الْخَوَارِكِ ^(٣)
تَرَى الْعَرْفَجَ الْخَوْلَى تَذْرَى أَصُولَهُ
مَنَاسِمَ أَخْفَافِ الْمَطْيَى الرَّوَاتِكِ ^(٤)
إِذَا أَرْتَحَلُوا عَنْ مَنَزِلٍ خَلَّتْ أَنَّهُ
قَرِيبُ الْمَدَى بِالْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ ^(٥)
نَسِيرُ فَلَا تَنْجُو الْيَعَافِيرُ وَسَطْنَا
وَأِنْ وَأَلَتْ مِنَّا بِشَدِّ مُوَاشِكِ ^(٦)
دَعَا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ خَالَ دُونَهَا
جِلَادَ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ ^(٧)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَالِكِ
إِذَا أَقْبَلَ الْعَضْرُوطُ مِنْ رَمَلٍ عَالِجٍ
فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ ^(٨)

(١) الرس البئر القديمة .

(٢) الارعن الجيش له جلبة وضوضاء .

(٣) الكميت الفرس لونه بين الاسود والأحمر . جوزه أى وسطه والمراد البطن والحوارك الشعر الذى فى أدنى العنق من ظهر الفرس .

(٤) العرفج شجر قصير وتذرى أى تقلع الرواتك ضرب من المشى والمراد أن الابل تقلع هذا الشجر باخفافها وهى سائرة .

(٥) المتعارك المزدحم .

(٦) اليعافير الظباء وألّت أى طلبت موثلا والمراد ان الظباء لا تستطيع الهرب منا لكثرتنا .

(٧) الفلجات الاودية أو الانهار الصغار والجلاد المجالدة والأوارك التى ترعى شجر الاراك .

(٨) العضرط الاجير على طعام بطنه ورمل عالج اسم مكان به رمل كثير .

فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوُّفِنَا وَالتِّمَاسِنَا
فَرَاتُ بْنُ حَيَّانٍ يَكُنْ جَدُّ هَالِكِ
يُصِيبُ وَمَا يَذَرِي وَيُخْطِي وَمَا ذَرَى
وَلَيْسَ يَكُونُ التَّنُوكُ إِلَّا كَذَلِكَ^(١)

وانما يستحسن ذلك لدخوله في باب التهويل على العدو ، وهو يجرى
مجرى المكيدة في الحرب ، ومثله ان خشم قتل رجلا من بنى سليم فقالت
أخته ترثيه .

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهَيْنِ
لِنِعْمِ الْفَتَى غَاذَرْتُمْ آلَ خُثَمَا
وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْخَيْلَ يِيشَةً
إِلَى حِينِ أَسْرَاجِ أَنَاخٍ فَالْجَمَا^(٢)
فَازْسَلَهَا رَهْوَ رِعَالاً كَأَنَّهُمَا
جَرَادٌ رَمَتْهُ رِيحٌ نَجِدٌ فَالْهُمَا^(٣)

ف قيل لها : كم كانت خيل أخيك ؟ فقالت : اللهم لا أعرف الا فرسه .
ومثله ان ليلي بنت عروة بن زيد الخيل قالت لايها : كم كانت الخيل ؟
حين قال :

بَنَى غَامِرٌ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا
أَبُو مِكَنَفٍ قَدْ شَدَّ عِقْدَ الدَّوَابِرِ
بِجَيْشٍ تَضَلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ
تَرَى الْأَكْمَ فِيهَا سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ

(١) النوك الحق .

(٢) ييشة من أعمال مكة مما يلي اليمن على خمسة مراحل من مكة والمرحلة هي المسافة التي يقطعها
المسافر في يومه .

(٣) رهوا يعني يرفق ورعلا أى متقدمة غيرها من الخيل .

وَجَمْعُ كَمِثْلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسٌ الْوَعْيُ
 كَثِيرٌ بَوَائِجِهِ سَرِيعٌ الْبَوَادِرِ^(١)
 أَتَتْ غَادَةً لِلزُّرْدِ أَنَّ نَكْرَةَ الْوَعْيِ
 وَحَاجَةُ رُمَحِي فِي نَمِيرِ بْنِ غَامِرٍ

قال أبو هلال

قوله تضل البلق في حجراته غاية في صفة الكثرة ، لأن البلق مشاهير ، فإذا خفى فكأنه في جيش قد بلغ نهاية الكثرة ، وتقول العرب : هو أشهر من الفارس الابلق .

فقال : لست أعرف إلا ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

أول ما جالت خيله وأول من قتل بيده يوم أحد

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله عن الفضل عن إبراهيم عن الواقدي وأبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجالهم قالوا : خرجت قريش في شوال سنة ثلاث من مكة حنقين يطلبون ثأرهم بيدلر في ثلاثة آلاف ، وفيهم مائتا فرس ، وقيل : مائة وسبعمائة دارع ، فلما دنوا من المدينة راح رسول الله - ﷺ - حين صلى الجمعة في سبعمائة ولواؤه مع علي بن أبي طالب - عليه السلام - وفيهم فرسان^(٢) فرس لرسول الله وفرس لابي بردة بن نيار ، فلما صلى الغداة يوم السبت قدم لواءه ، والتقى الجمعان فقتل من المشركين تسعة ثم انهزموا ، وحوى المسلمون عسكرهم ، فبصر خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين خلوا موضع الرماة ، فحمل على المسلمين فانكشفوا ، وقتل أربعة من المهاجرين : حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ومصعب بن عمير ، وستة وستون رجلا من الانصار ، وأصيبت ربيعة النبي - ﷺ - وشج في وجنته ، وعلاه ابن قمئة

(١) مرتجس الوعى أى له أصوات مرتفعة فالوعى فى هذا البيت الصوت المرتفع وفى البيت الذى يليه

الحرب .
 (٢) فى سبط النجوم ومختصر السيرة (وفيهم خمسون فارسا) .

بالسيف فوقاه طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - فسلت ^(١) أصبعه .

أول من قتل بيده الشريفة

وسار رسول الله بأصحابه في الوادى ، وتبعه أبى بن خلف فعطف عليه رسول الله وبيده حربة فطعنه بها طعنة خفيفة فوجد منها ألما شديدا ، فقيل له : ما عليك بأس ، لو كانت هذه بعين أحدنا لم يألم ، فقال : لو أن ما أجده بجميع الناس لما تواء ، ثم مات .

فلما أراد المشركون الانصراف أشرف أبو سفيان على أصحاب رسول الله في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته ، أعل هبل فقال عمر بن الخطاب : ^(٢) الله أعلى وأجل ، فقال : قد أنعمت ^(٣) يا ابن الخطاب ، ثم قال : أين ابن أبى كبشة ؟ أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله وهذا أبو بكر وهذا أنا ذا عمر فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والايام دول ، والحرب سجال ، ^(٤) فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال : انكم لتقولون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا .

ثم قال : لنا العزى ولا عزى لكم فقال عمر : ^(٥) الله مولانا ولا مولى لكم ، ثم قال : قم يا ابن الخطاب أكلمك ، فقام فقال : أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا ؟ فقال : اللهم لا وانه ليسمع كلامك قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة ، وكان أخبرهم أنه قتله ، ثم قال : ليس الذى تجدونه من المثلة في قتلاكم من رأى سراتنا ^(٦) ثم أدركته الحمية فقال : بل لم نكره ما كان منها ، وانصرف وقال : موعدم البدر الصغرى في العام المقبل .

(١) انتزعت وقطعت .

(٢) فى المواهب اللدنية ان رسول الله قال لعمر اجه فقل : الله أعلى وأجل .

(٣) انعمت أى خرج السهم المكتوب عليه نعم عندما استشار هبل .

(٤) سجال يعنى تارة لهم وتارة عليهم .

(٥) فى المواهب ان رسول الله قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

(٦) أى ساداتنا ورؤسائنا .

وأخبرنا أبو أحمد عن الفرائ عن الجهني عن ابن العراج قال : كان المجذر بن زياد قتل سويد بن الصامت في الجاهلية ثم أسلم ، وحضر أحدا مع النبي - ﷺ - فلما جال المسلمون تلك الجولة جاء الحارث بن سويد من خلفه فضرب عنقه ، وجاء جبريل فأخبر النبي ، فخرج رسول الله الى قباء ومعه الناس وفيهم الحارث في ملحفة مصبوغة ، وكان قد أعرس بأهله قبيل ذلك ، فقال رسول الله لعويم بن ساعدة : ان قدم الحارث الى باب المسجد فاضرب عنقه بالمجذر فقد قتله في الشعب ، فقال الحارث : والله ما كان قتلي له رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ، ولكنه أمر وكلت فيه الى نفسي وأنا أتوب الى الله تعالى ورسوله ، وأؤدي دينه ، وأصوم شهرين متتابعين ، وأعتق رقبة ، وأطعم ستين مسكينا ، فلما استوعب رسول الله كلامه وكان الحارث يقول ذلك ويلوذ بركابه ، قال رسول الله - ﷺ - عويم ، قدمه فاضرب عنقه ، فاضرب عنقه فقال حسان :

أَكُنْتُ فِي سِنَةٍ مِنْ نَوْمٍ أَوَّلَكُمْ
يَا جَارُ أَمْ كُنْتُ مُعْتَرَا بِجَبْرِيلِ
أَمْ كُنْتُ يَا ابْنَ سُوَيْدٍ حِينَ ثَقَلْتُهُ
فِي طَامِسٍ مِنْ خَلَاءِ الْأَرْضِ مَجْهُولِ
وَقُلْتُمْ لَا نَرَى وَاللَّهِ يُبْصِرُهُ
وَعِنْدَهُ مُحْكَمَاتُ الْآيِ وَالْقِيلِ
مُحَمَّدٌ فِيكُمْ وَاللَّهُ يُخْبِرُهُ
عَمَّا تُكِنُّ سَرِيرَاتُ الْأَقَاوِيلِ

أول صدقة اتته صدقة بن عذرة
السبب في تخليق المساجد

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن عبد الصمد ابن عبد الوارث عن عمر بن سليم عن أبي الوليد قال : قلت لابن عمر : ما بدء الزعفران يطلى به المسجد ؟ فقال : برأى رسول الله نخامه في المسجد فقال : ما اقبح هذا ! من فعل

هذا ؟ فجاء صاحبها فحكها وطلاها بالزعفران ، فقال رسول الله : هذا أحسن من ذلك وفي غير هذا الاسناد ، أن رسول الله - ﷺ - حكها بعرجون كان بيده ، وقال : اتتوني عنبراً فألقى به ، فجعله على رأس العرجون ، ولطخ به على أثر النخامة ، فمن هنالك جعلتم الخلق في مساجدكم .

أول من أجلى من اليهود

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله عن الفضل عن ابراهيم عن الواقدي قال : لما قدم رسول الله المدينة وادعته اليهود كلها ، فجاءت امرأة عربية تحت رجل من الانصار الى سوق قينقاع ، فجلست عند صائغ ، فجاء يهودى من أهل قينقاع فخل درعها إلى ظهرها بشوكة ، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها ، فقام رجل من المسلمين فقتله ، فقام اليهود فتحايشوا^(١) وقتلوا الرجل ونبذوا العهد فغزاهم النبي - ﷺ - في ذى القعدة أو ذى الحجة سنة اثنتين ، فحاصروهم خمس عشرة ليلة ، فنزلوا على حكمه ، فأراد قتلهم فاعترض دونهم عبد الله بن أبى بن سلول ، وكانوا حلفاءه ، وكان لعبادة بن الصامت من حلفهم مثل ما لعبد الله فبرئ عبادة منهم ، وقام عبد الله دونهم ، وادخل يده في جنب درع رسول الله ، وقال : لا أرسلك حتى تحسن في موالى أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع منعونى من الاسود والاحمر ، فولى رسول الله محمد بن مسلمة وعبادة بن الصامت اخراجهم فأخرجوا ، وغنم المسلمون اموالهم وذلك اول ما ظهر نفاق عبد الله .

(١) فى المنجد — تحاوشوا عليه — بالواو بدل الياء يعنى جعلوه فى وسطهم وفى القاموس تحايشوا عليه اجتماعوا عليه .

الباب الرابع
فيما روى عن الصحابة والتابعين

أول من أسلم من المهاجرين

اختلف في ذاك : فروى أن أول من أسلم على بن أبى طالب - عليه السلام - أخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا الجوهري قال : حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال : حدثنا محمد بن صالح العدوي قال : حدثنا أبو حبيب بن رزين قال : حدثنا أبو إسحاق الهداني عن الشعبي قال أخبرنا : أشياخنا منهم جرير بإسلام أبى بكر رضى الله عنه في خبر طويل قال أبو بكر : فلما قدمت مكة استبشروا فظنوا أنهم فتح عليهم بقدمى فتح ، واجتمعوا إلى ، وشكوا أبا طالب ، وقالوا : لولا تعرضه دونه لما انتظرنا به ، قلت : ومن تبعه على مخالفة دينهم ؟ قالوا : بنو أبى طالب . وهذا يدل على أن عليا - عليه السلام - اذ ذاك بالغ ولو كان صبيا صغيرا لما اعتد به تابعا .

أخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير الحافظ قال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة قال : حدثنا عبد الله بن موسى قال : حدثنا العلاء بن صالح عن المنهاك بن عمر وعن عباد بن فلان الأسدي قال : سمعت عليا - عليه السلام - يقول : أنا عبد الله ، وأنا أخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقوها بعدى الا كذاب مفتر ، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين ^(١) .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا إبراهيم بن الخليل الجلاب ببغداد قال : حدثنا عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا يحيى بن يمان عن سليمان عن سلم الأعور عن حسنة العرنى عن على - رضى الله عنه - قال : بعث رسول الله - ﷺ - يوم

(١) فى رواية بتسع سنين .

الإثنين ، وأسلمت يوم الثلاثاء ، وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا عبد الله بن محمد ابن عبدان قال : حدثنا الثقفى قال : حدثنا عثمان بن أوى شيبة قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن نصر قال : أسلم على - عليه السلام - وهو ابن أربع عشرة (١) سنة وكانت له ذؤابه .

وأخبرنى أبو احمد قال : أخبرنا محمد بن أوى عمر النهدى قال : حدثنى أبو عبد الله ابن زياد بن سمعان المدائنى عن محمد بن على بن الحسين قال : على أول ذكر آمن ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر الى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وقالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقالوا : اثنتا عشرة سنة .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أوى حاتم عن الاصمعى قال : وفد الوليد بن جابر بن ظالم على النبى - ﷺ - وصحب عليا ، وشهد معه صفين ، وكان من فرسانه المشهورين ، ثم وفد على معاوية فى الاستقامة ، فدخل فى جماعة وفد العراق ، فلما انتسب له قال : انت صاحب ليلة الهرير ؟ (٢) قال : نعم ، قال : والله لكأنى بك الآن ترتجز وتقول :

شَدُّوا قَدًّا لَكُمْ أُمَّ وَأَبْ
فَائِمًا الْمُلْكُ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
هَذَا ابْنُ عَمِّ الْمُصْطَفَى وَالْمُنْتَحَبِ
بَنُوهُ (٣) فِي الْعَلْيَاءِ سَادَاتُ الْعَرَبِ
لَيْسَ بِمَوْضُومٍ (٤) إِذَا نَصَّ النَّسَبَ
أَوَّلَ مَنْ صَامَ وَصَلَّى وَاقْتَرَبَ

(١) أكثر الروايات أنه أسلم وهو ابن احدى عشرة سنة .

(٢) الهرير صوت الكلب بدون نباح وقد كثر هرير الكلب فى تلك الليلة حتى سميت ليلة الهرير .

(٣) فى رواية (غنه فى العلياء) .

(٤) هكذا رويت وهو من الوضوم وهو خشبة الجزار التى يوضع عليها اللحم والا ظهر أنه (بموصوم) بالمهملة من الوضوم وهو العار والعيب والمراد أنه ليس وضع النسب .

قال : أنا قائلها ، وذاك أنا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ، ولا فضيلة تصير الى المقدمة الا وهى مجموعة له ، وكان أول الناس سلما ، وأرجحهم حلما ، وأكثرهم علما ، فات الجياد فلا يشق غباره ، واستوى على الامد^(١) فلا يخاف عثاره ، وأوضح المنهج الهدى فلا يبيد مناره ، وسلك القصد فلا تدرس آثاره^(٢) ، فلما ابتلانا الله بافتقاده ، وجعل الامر الى من شاء من عباده ، دخلنا في جماعة المسلمين ، فلم ننزع يدا من طاعة ، ولم نصدع صفاة جماعة^(٣) ، على أن لك منا ما ظهر وقلوبنا بيد الله . فأقبل صفونا ، وأعرض عن كدونا ، ولا تشهد كوامن الاحقاد فان النار تقدح بالزناد ، قال : وانك لتهددنى بأوباش^(٤) العراق محر نجم النفاق ،^(٥) ومستقر الشقاق ، والفجار الفاسق الملحده المراق ، قال : يامعاوية ، هم الذين اشروك بالريق ، وحبسوك فى المضيق ، وذادوك^(٦) عن سنن الطريق ، حتى حاكمت بالمصاحف الى من صدق بها وكذبت ، وآمن بمنزها وكفرت ، وعرف تأويلها وانكرت .

فغضب معاوية وادار طرفه فيمن حوله فاذا جلهم من قريش ، فقال : أيها الشقى الخائن ، انى لأحال ان هذا آخر كلام تفوه به ، وكان عفير بن سيف بن ذى يزن يومئذ بدمشق بباب معاوية ، فأخبر بمقال الطائى ومراددته معاوية فخاف عليه ، فأقبل وقدهم معاوية بقتله ، فنظر الى من حضر من اليمانية ، وقال : شامت الوجوه ذلا وقلا وجدعا ، كشم^(٧) الله هذه الانوف كشما موعبا ، ثم قال : يا معاوية ، انى والله ما أقول قولى هذا حبا لاهل العراق ولا جنوحا اليهم ، ولكن الحفائظ تحل الاحقاد ، والله لقد رأيتك بالامس خاطبت أخا تميم وهو أعظم جرما من هذا وأنكى

(١) الامد الغضب والمراد أنه يملك نفسه عند الغضب فلا يخاف على الخطأ .

(٢) لا تدرس آثاره أى لا تزول .

(٣) الصفاة الحجر الصلد الضخم والمعنى لم نفرق جماعة المسلمين .

(٤) الاوباش سفلة الناس وأخلاطهم .

(٥) محر نجم النفاق ! أى قصره ومكانه تجمعه .

(٦) ذادوك أى دفعوك وطردوك .

(٧) قذعها من أصولها .

لقلبك ، وأقدح في صفاتك وأجد في عدواتك وأشد استتصارا في حريك ، ثم توبته
وسرحته ، وأمرت بقتل ابن عمك تناسيا لنا واستصغارا لجماعتنا كأننا لا نمر ولا نحلى ،
ولعمري لو وكلتك بنو قحطان الى قومك لكان جدك الغابر وذكرك الدائر وحدك
المفلول وعرشك المثلول ، ^(١) فأربع على ظلعك ، ^(٢) وأطونا على بلالتنا ، ^(٣) يسهل
لك حزننا وينقد لك ضغننا ، ^(٤) فانا لا نرام بسوء للضميم ، ^(٥) ولا نتلمط جزع
الخشف ^(٦) ولا نغمز تغمز التين ولا ندر على الغضب ، ^(٧) فقال معاوية : ان
الغضب شيطان فأربع أيها الانسان ، فانا لن نأق لصاحبك سوءا ، ولم نرتكب منه
معضفا ، ^(٨) ولم نهتك له محرما ، فدونك هو ، لم يضق عنه من حملنا ما وسع
غيره ، وأخذ غفير بيد الطائي وخرج الى منزله وقال : لتوبن ^(٩) بأكثر مما آب به
أحد ، ففرض على كل واحد من اليمانية دينارين من عطائه فبلغت اربعين الفا ،
فتجعلها من بيت المال ودفعها اليه ورده الى العراق .

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الجوهري عن أنى زيد عن يوسف بن موسى
القطن عن حكاهم بن سلم عن أنى درهم ان الحجاج بعث الى الحسن ، فلما حضر
قال له يزيد بن ابي مسلم : ان الامير يريد ان يدفع الى التجار الف درهم على ان
يردوها اليه عند الحول (ده دواز ده) ، ^(١٠) فما ترى ؟ قال : ذلكم محض الربا ،
قال : لا تفسد على الامير عمله فقال : ان الله لم يجعل هذا الدين هوى للملوك

(١) المثلول المنهدم .

(٢) أى توقف .

(٣) احملنا على ما فينا من الاساءة والعيب .

(٤) الحزن الغلظ والشدة والضغن الحقد والمراد يسهل لك الصعب وتتغلب على الحقد .

(٥) لا نخضع للظلم .

(٦) نتلمط أى نذهب والجزع خرز فيه يياض وسواد والخسف الذل والمراد لا نرضى بالذل والنيقصة .

(٧) المراد اذا غضبنا لا يأتى منا خير .

(٨) أى لم نل من عرضه .

(٩) لترجعن .

(١٠) كلمة فارسية معناها العشرة باثنى عشر .

وأتباعهم قال : فاستوى الحجاج وقال : ما تقول فى أى تراب ؟ قال : من أبو تراب ؟ قال : ابن أى طالب ، قال : اقول : ان الله جعله من المهتدين ، قال : هات برهاننا ، قال : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا .. ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ وكان على أول من هدى الله مع النبي - ﷺ - قال : رأى عراق ، قال : هو ما تسمع ، ثم خرج وقال : لما عوفيت من الفاسق ذكرت عفو الله عن العباد فى كلام هذا معناه . وقالوا أول من أسلم أبو بكر رضى الله عنه .

حدثنا أبو أحمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن ابراهيم الجوهري عن الواقدي قال : حدثني عبد الملك بن سليمان الاسلمى عن النضر عن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : أول من أسلم أبو بكر ، وقيل لبلال وقد رجع من الحلبة بالشام ، من سبق ؟ ^(١) قال : النبي - ﷺ - قالوا : فمن صلى ؟ ^(٢) قال : أبو بكر ، قالوا : إنما سألناك عن الخيل ، قال : إنما أجبتمكم عن الخير .

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو روق عن الرياشي عن الاصمعي قال : أراد عمر أن يمنع الحلبة ف قيل له : سوق من أسواق العرب ، قال : فليركبها أربابها ، فلما أرسلت الخيل أقبل أعرابي على فرس وهو يقول :

غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ فَمَنْ لَهَا نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تُرْسِلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

فعثرت فرسه فسقط ، فتقدمه رجل من ولد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - بفرسه ، فقال الاعرابي : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت ما جرى ، قد رأيت

(١) السابق أول خيل الحلبة ويقال له أيضا المجلى .

(٢) المصلى الفرس الذى يلى السابق ومنه قول بشامة النهشلى (تلقى السوابق منا والمصلينا) وينسب هذا البيت الى المرقش فى بعض الكتب .

أنه قد سبقني ، وأتاك رجل كان أبوه سباقا الى الخير .

وقيل ان أبا بكر - رضى الله عنه - رابع أربعة من المسلمين ، والشاهد ما روى زكريا بن يحيى الطائى عن أبى بكر عن حميد بن منهب حاجا فى السنة التى قتل فيها عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فصادفت طلحة والزبير وعائشة بمكة ، فلما ساروا الى البصرة سرت معهم ، فلما وقفت عائشة بالبصرة قالت : ان لى ^(١) عليكم حرمة الامومة ، وحق الموعظة ، لا يتهمنى الا من عصى ربه ^(٢) بى ميز مؤمنكم من منافقكم ، وفى رخص لكم فى صعيد الأقواء ، وأبى رابع ^(٣) أربعة من المسلمين ، وأول من سقى الصديق ، مضى رسول الله - ﷺ - راضيا عنه ، فطوقه وهف الامامة ، ثم اضطرب جبل الدين ، فأخذ بطرفه وريق لكم أبناءه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الرده ، وأطفأ ما حشت يهود ، وانتم يومئذ جحظ ^(٤) العيون تنظرونه الغدره ، وتسمعون الصيحة ، فرأب الثأى ، ^(٥) وأودم العطلة ، ^(٦) وامتاح من الهوة ، ^(٧) واجتهد من الردى ، ^(٨) ثم انتظم طاعتكم بحبله فى ذات الله ، فولى أمركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه ، بعيد ما بين اللابتين اذا ضل ، عركة للاذاة بجنبه ^(٩) صفوحا عن أذى الجاهلين ، يقظان الليل فى نصرة الاسلام ، خشاش المرأة ، فسلك مسلك

(١) فى رواية العقد الفريد ج ٤ ص ١٢٨ (أبها الناس صه صه ان لى عليكم) .

(٢) فى رواية العقد زيادة (مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى فانا احدى نسائه فى الجنة له أذخرنى

ربى وخلعنى من كل بضع) .

(٣) فى رواية العقد (وأبى ثانى اثنين الله ثالثهما) .

(٤) الجحوظ عظم مقلة العين وبروزها .

(٥) رأب أصلح والثأى الفساد والمعنى أصلح الفاسد .

(٦) فى رواية العقد (وأود من الفلطة) .

(٧) امتاح انتزع والهوة المكان المنخفض .

(٨) المراد أنقذ من الهلاك وفى رواية العقد بعد هذه الجملة (حتى اجتحنى دفين الباء وحتى اعطن الوارد

وأورد الصادر وعلى الناهل فقبضه الله اليه واطفا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب على المشركين) .

(٩) العركة الذى يتحمل الاذى .

السابقين ، ففرق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن وأنا نصب المسألة عن مسيرى هذا ، لم ألتبس وإنما ، ولم أورث فتنة أوطككموها ، أقول قولى هذا صدقا وعدلا ، واعذارا وانذارا وأسأل الله أن يصلى على محمد وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

فانطلق رجل سمع مقالتها الى الاحنف بن قيس وهو معتزل فى بنى سعد وأخبره بما قالت ، فأنشأ الاحنف يقول :

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ ثَارَةً
نُضَاراً وَطُوراً غَدَرَةً يَسْتَقِيلُهَا
فَلَوْ كَانَتْ الْأَكْنَأُنْ دُونِكَ لَمْ تَجِدْ
عَلَيْكَ مَقَالاً أَوْ هَنَاءَ تَقُولُهَا ^(١)
وَقَفْتَ يَمِيناً لِلِسِّيُولِ وَقَلَّ مَنْ
يَقُومُ بِهَا إِلَّا عِلَافَةً بَلِيلُهَا ^(٢)
مَحْضَتْ سِقَايَ غَدَرَةً وَلِمَامَةً
وَكِلْتَاهُمَا كَانَتْ لِعَوْلِكَ غُولُهَا ^(٣)
أَلَمَّا تَرَى أَنَّ الْأُمُورَ بِضَرَّةٍ
مِنْ الشَّرِّ كَمْ يَغْبَأُ بَلِيلَى لَيْلُهَا
حِجَابُكَ أَخْفَى لِلَّتِي تَسْتُرِينَهَا
سُفُورُكَ أَدْعَى لِلَّتِي لَا أَقُولُهَا

فلما بلغت عائشة مقالة الاحنف قالت : لقد استفرغ حلم الاحنف لقد

(١) الاكنان الاستار والهناء الداهية والمعنى لوظللت فى بيتك ما أصابك ما تكرهين ولم يجداعدائك مادة للكلام عنك .

(٢) المراد ان من يعرض نفسه للشر يصيبه كما قال زهير :

(ومن لا يتق الشتم يشتم)

(٣) المراد بالعدرة الاعذار واللمامة الرفق والغول الهلكة والمعنى أنه أخلص نصحه للأعداء والرفق وفى ترك العمل بنصيحة الهلاك .

استفرغ الاحنف حجاه إياي ، الى الله أشكو عقوق أبنائي ، ثم أنشأت تقول :

بَنِي أَكْغِظْ أَنَّ الْمَوَاعِظَ شُهْدٌ
وَيُوشِكُ أَنَّ ثَبَكِي عُيُوثُكَ مِيلَهَا
وَلَا تَسْتَهِنِ بِاللَّهِ حَقَّ أُمُومَتِي
فَإِنَّكَ أَوَّلَى النَّاسِ إِلَّا تَقُولَهَا
(وَلَا يَطْعَنُنِي بِالْخِنَا مَنْ لَهُ حِجْبِي
فِي أُمَّةٍ قَدْ كَانَ بَغْلِي رَسُولَهَا ^(١))

قال أبو هلال رحمه الله

قولها (حق الامومة) من قولهم أم بين الامومة ، وقولها (فى رخص لكم فى صعيد الاقواء) يعنى التيمم بالصعيد ، وكان النبی - ﷺ - أقام عليها فى سفر ^(٢) فلم يجدوا ماء فنزلت آية التيمم ، وواحد الاقواء أقا وهو الصخر ، وقولها : (وأبى رابع أربعة من المسلمين) يقال : أنه أسلم قبله خديجة وعلى وزيد بن حارثة ، وقولها : (وهف الامامة) أى معظمها ، وقولها (ربق لكم أبناءه) أى جمع ، والربقة الحبل ، وفى الحديث « من خلع ربقة الاسلام من عنقه فهو دان » وقولها : (حشت يهود) أى أوقدوا ، وقولها : (أودم العطلة) ^(٣) والعطلة التى عطلت ورمى بها ، والودم بها نوع من السير ، وقولها : (بعيد ما بين اللابتين) أى الجانبيين ، واللابة أرض تركبها حجارة سوداء ، وقولها : (خشاش المرأة) الخشاش الخفيف الصعل ،

(١) وجدت هذه الأبيات وما قبلها المذكورة بين القوسين () منثورة ومحرفة ولم أعثر لها على أصل نصحيح عليه فأصلحتها بقدر استطاعتي .

(٢) أكثر الفقهاء على أن ذلك كان غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق كما قال الصنعاني فى العدة على احكام الاحكام ج ١ ص ٤٢٤ (وفيها سقط عقد عائشة ونزلت آية التيمم) وفى هامش نفس الصفحة قال أسيد بن حضير (ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر) .

(٣) المراد المعطلة من الابل التى اهملت لعدم صلاحيتها والمعنى أنه صيرها قادرة على المشى والعمل .

والمرأة مفعلة من الرؤية^(١) وقول الاحنف .

لَشَّتَانِ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ ثَارَةً
نَضَاراً وَطَوْرًا غَدَرَةً يَسْتَقِيلُهَا

يعنى اختلاف قول عائشة فى عثمان رضى الله عنه .

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن أبي مخنف عن كبير بن أبي اسماعيل عن عمر بن بشير عن عمته أم زيد قالت : كنت مع عائشة - رضى الله عنها - بمكة ، فأتاها ان عثمان قتل ، فقالت : أبعد الله بما قدمت يداه ، يامعشر قريش لا يشأمنكم عثمان كما شأم أحمر ثمود قومه ، ان أحق بهذا الامر ذو الاصبع .

ثم أتاها أن عليا رضى الله عنه استخلف ، فقالت : تعسوا ، لا تؤمروا بنى تميم أبدا ، يأيها الناس ، ان عثمان قتل مظلوما ، وان عليا أخذ الامر بغير شورى ، والله لا نرضى لنقاتلنه ، فقالت أم سلمة : يأيها الناس ، ان عثمان قتل ، وان الناس ولوا عليا خير من تعلمون ، وقد بايعنا فبايعوا عليا ، وكان الاحنف يميل الى أمير المؤمنين على - عليه السلام - أيام الجمل ، فاعتزل فى بنى سعد يمنعهم عن قتاله ، وما روى عنه فى على الا واحدة .

أخبرنا أبو القاسم قال : حدثنا العقدي قال : حدثنا أبو جعفر قال : حدثنا أبو الحسن المدائني عن مشيخة بن تميم ان الاحنف لم يتعلق عليه الا ست خصال ، قوله فى أمر الزبير حين قيل له : هذا الزبير قد مر آنفا فقال : (ما اصنع به ؟ وقد جمع بين جيشين عظيمين يقتل بعضهم بعضا ، وها هو ذا صار الى منزله سالما)^(٢) واتبعه ابن جرموز فقتله ، فقال الناس : الاحنف

(١) هكذا جاء فى النسخة الخطية التى أطلعنا عليها وذكر المنجد أن الخشاش هو الشجاع والمرأة هو الجدير وعلى هذا يكون المعنى أنه شجاع جدير بما أسند اليه من أمر الخلافة .

(٢) وجدت هذه الفقرة غير واضحة فى الكتاب فأثبتها من سمط النجوم العوالى .

قتله وقوله حين أتاه كتاب الحسن بن علي — عليهما السلام — يستنصره : قد بلونا حسنا وآل أبي الحسن ، فلم نجد له إيالة للملك ، ولا صيانة للمال ، ولا مكيدة في الحرب ، ولم يجبه ، وقوله للمرأة حين أتته بمجمر : أوست المرأة احق بالمجمر ، وقوله للحباب بن يزيد : أسكن يا آدر وكان آدر وقوله لقطرى بن الفجاءة (١) الخارجى : ان أبا نعامة أشار على القوم فركبوا البغال ، وجنبوا الخيل ، وأصبحوا بيلد وأمسوا بغيره ، فأقمن ان يطول أمرهم ، فأخذ قطرى بقوله ، وأتاه رجل فلطمه فقال له : لم لطمتني ؟ قال : جعلوا لى جعلنا ان ألطم سيد بن تميم ، فقال : انك اخطأت ، سيد بنى تميم جارية (٢) بن قدامة ، فجاء الرجل حتى لطم جارية ، فأخرج جارية سكيناً من خفه وقطع يد الرجل فقالوا : قطعه الأحنف .

أول من أسلم من الانصار معاذ بن عفراء

أخبرنا أبو احمد باسناده عن الواقدي قال : حدثنا ابن أبي حنيفة عن داود بن الحصين قال : خرج رسول الله - ﷺ - من مكة فمر في أهل يثرب على يمينه نفر ، معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة ، فعرض عليهم الاسلام فأسلم معاذ ، وقال رافع بن مالك : دعنى استخير ، فكتب على بعض سهامه محمد رسول الله ، وضرب بها فخرج المكتوب عليه ذلك ثلاث مرات فأسلم ، ثم أسلم الباقر ، فقال رسول الله - ﷺ - تمنعون لى ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ، فقالوا : انما نحن أعداء متباغضون ، وانما كان بعث (٣) العام الاول ، وان تقدم ونحن كذلك لا يكن لنا عليك اجتماع ، وموعذك الموسم من العام المقبل ، ثم قال رافع : أكتب لى بعض ما معك ، قال : انى لا أخط بيدي ، قال : فأمل

(١) زعيم من زعماء الخوارج .

(٢) فى نسخة حارثة بن قدامة .

(٣) بعث موضع من نواحي المدينة وكانت به وقعة بين الاوس والخزرج فى الجاهلية قال الشاعر :

ويوم بعث اسلمتنا سيوفنا الى نسب من جثم غسان ثاقب

على فأتى آخذ الكلمة ، وكان الكامل في الجاهلية الشاعر الكاتب الرامى الذى يحسن العوم ، فأملى عليه وعلى ابن عفراء سورة يوسف وطه ، فقدموا المدينة ، فجاء رافع قومه وهم فى مشقة^(١) فقال : انى قد اهديت لكم هدية ما أهدى رجل لقومه خيرا منها الا ابن عفراء ، فقرأ عليهم السورتين فرموه بالحجارة والمحايض^(٢) وكان ابنه خلد ورفاعه أشد الناس عليه ، ثم أسلما وشهدوا بدرا ، وقتل رافع يوم أحد أصابته رمية فلم يزل ضمنا حتى مات فى كلام هذا معناه .

أول من سمي القرآن مصحفا وأول من جمعه أبو بكر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبى زيد عن ابراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : لما أصيب المسلمون باليمامة ، خاف أبو بكر ان يهلك طائفة من أهل القرآن ، وانما كان فى العصب^(٣) والرقاع^(٤) فأمر الناس فأتوه بما كان عندهم ، فأمر به فكتب فى الورق ، فلما كان أيام عثمان كثر اختلاف الناس فى القراءات ، فقالوا حرف عبد الله وحرف أبى موسى ، فاستشار الصحابة ، فأشاروا عليه بجمع الناس على مصحف واحد ، فجمع ما كان بأيدي الناس من المصاحف وأحرقها ، أو قالوا : غسلها ، وأمر سعد بن العاص — وكان أفصح الناس — فأملى على زيد بن ثابت ، فكتب مصاحف وفرقها فى البلدان فأبو بكر أول من جمع القرآن ، وعثمان أول من جمع الناس على مصحف واحد فى كلام هذا معناه .

والمصحف بالكسر لغة أهل الحجاز ، وهى رديئة ، لانه أخرج مخرج ما يتبادل ويتعاطى باليد ، والمصحف أكرم من ذلك ، وأهل نجد يقولون : مصحف من قولك أصحفته فهو مصحف اذا جعلت بعضه على بعض ، وهى أعجب اللغتين

(١) أى فى جهة المشرق .

(٢) خرق الحوض .

(٣) العصب مفردة عسيب وهو جريدة من النخل كشط خوصها .

(٤) الرقاق مفردة رقه وهى قطعة من النسيج يرفع بها الثوب .

الى ، وقالوا : أول من جمع القرآن عمر ، ^(١) وكان لا يقبل من احد شيئا منه حتى يشهد شاهدان ، فمات عمر قبل ان يجمع .

وقد روينا ايضا حديثا دل على ان عليا - عليه السلام - اول من شرع فى جمع القرآن ، حدثنا أبو أحمد قال : حدثنا الصولى قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنا أحمد بن عيس قال : حدثنا عمى الحسين ابن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : لما قبض رسول الله - ﷺ - تشاغل على بدفنه ، فبايع الناس أبا بكر ، فجلس على يجمع القرآن ، وكتبه فى الخزف ^(٢) وأكتاف الابل وفى الرق ، ^(٣) فمكث ثلاثة أيام ، واجتمعت بنو هاشم كلها معه ، ولم يبايعوا أبا بكر ، والزبير معهم ، فلما كان اليوم الثالث قال أبو بكر لعمر : قد تخلف بنو هاشم عنى ، ولم يتم لى الامر حتى يبايعونى ، فجاء الى على فدخلا عليه ، فقال أبو بكر : أبا حسن ، ما أبطأ بك عنا ؟ قال : يا أبا بكر ، ما كنت أظن أنك تقدم على أمر وأنا فيكم ، قال : أبا حسن أكرهت أمارتى ؟ أبسط يديك أبايعك ، قال : أو تفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : ما كنت لافعل ، ان رسول الله - ﷺ - رضيك لديننا فرضيناك لدينانا ، ما كان يخلفنى عن بيعتك كراهة منى لها ، ولكن كنت أجمع ^(٤) ما أنزل الله على نبيه - عليه السلام - من القرآن ، وهو ذا قد جمعته فى هذه الصحيفة المملأى ، ثم بايعه ، كذا سمعته . والصواب فيها ، هو ذا قد جمعته ، ولا يقال وهو ذا .

(١) الصحيح ان عمر أول من اشار بجمع القرآن وأبا بكر أول من جمع القرآن كما جاء فى كتاب الصديق أبى بكر لمحمد حسين هيكل ص ٣٢٩ الطبعة الرابعة قال : (والثابت المقطوع به ان أبا بكر هو الذى أمر بجمع القرآن بعد حواره مع ابن الخطاب) .

(٢) الخزف مفردة خزفه ما عمل من الطين وشوى بالنار فصار فخارا .

(٣) الرق جلد رقيق يكتب فيه .

(٤) لا يعارض هذا ما سبق ذكره من ان أبا بكر أول من جمع القرآن لانه يحتمل أن يكون على كرم الله وجهه جمع منه جزءا اذ لا يعقل أن يجمع القرآن كله فى ثلاثة أيام وهى المدة التى تخلفها على عن البيعة كما جاء فى صدر الرواية .

أول خليفة فرض له العطاء رعيته أبو بكر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن عاصم عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال وأبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني وغير هؤلاء قالوا : لما ولي أبو بكر - رضى الله عنه - غدا الى السوق ، فقال المسلمون : أفرضوا لخليفة رسول الله ما يغنيه قالوا : رداءه اذا أخلقهما وضعهما وأخذ غيرهما ، ونفقتة على أهله كما كان ينفق قبل ذلك ، وظهره اذا سافر ، فقال : رضيت ، فلما حضرته الوفاة أوصى بأن يرد ما أخذه من ذلك الى موضعه من مال المسلمين .

أول خليفة ولي وأبوه حى أبو بكر

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : قيل لابی قحافة : استخلف أبو بكر ، قال : أو أقرت بذلك بنو قصي ؟ قالوا : نعم ، قال : يفعل الله ما يشاء ، قال : ولم ولوه ؟ قالوا ليسنه قال فأنأ أسن منه .

ونازع أبو سفيان أبا بكر ، وأغلظ له أبو بكر ، فقال أبو قحافة : وقر (١) أبا سفيان ، فقال : ان الله رفع بالاسلام بيوتا ووضع بيوتا فبيتك مما رفع وبيت أبي سفيان مما وضع ، وتوفى أبو قحافة بمكة بعد وفاة أبي بكر بستة أشهر وأيام فى المحرم سنة أربع عشرة وله سبع وتسعون سنة ، وكان المنصور يدعو عبد الله بن الحسن أبا قحافة ، لان ابنه محمدا ادعى الخلافة وهو حى .

أول من سمي خليفة أبو بكر

وخليفة الرجل من يقوم مقامه ، خلفته أخلفه خلافة ، وأما الخلافة بالفتح فالحمق وقلة الخير ، رجل خالف وفى القرآن الكريم ﴿ فَاَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٢) قال أبو زيد : يعنى من لا خير فيه من المنافقين ، ويقال : خليفة

(١) أى بجله وعظمه .

(٢) سورة التوبة الآية ٨٢ .

وخلائف وخلفاء ، وإذا أرادوا تعظيم الخليفة قالوا : خليفة الله كما قالوا : بيت الله وشهر الله .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا نفطوية عن أبي العباس المنصورى عن عبد الله بن محمد القرشى ان أعرابية عرضت للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبي العباس فقالت : يا أمير المؤمنين ، أحسن الصبر ، وقدم الشكر ، فقد اجزل الله لك الثواب فى الحالتين ، وأعظم عليك المنة فى الحادثتين ، سلبك خليفة الله^(١) وأفادك خلافة الله ، فسلم فيما سلبك ، واشكر فيما منحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، واختار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

أول من هنا وعزى فى مقام واحد

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال : دخل عطاء بن أبي صيفى على يزيد فهناه بالخلافة ، وعزاه فى أبيه ، ففتح للناس باب الكلام فى ذلك قال : رزئت^(٢) يا أمير المؤمنين فى خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، قضى معاوية نجه^(٣) فغفر الله له ذنبه ، ووليت الرياسة ، وكنت أحق بالسياسة ، فاحتسب عند الله جليل الرزية ، وأشكر على جزيل العطية ، فعظم الله فى معاوية أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك ، فأخذ أبو دلامة فقال مما يرثى به المنصور ويمدح المهدي :

عَيْنَايَ وَاحِدَةً تُرَى مَرْزُوءَةً
بِإِمَامِهَا جَذَلَى وَأُخْرَى تَذُرْفُ^(٤)
تُبْكِي وَتَضْحَكُ ثَارَةً وَيَسُوءُهَا
مَا أَلْكَرَتْ وَيَسْرُهَا مَا تُعْرِفُ

(١) بوفاة أبي العباس .

(٢) الرزء المصيبة .

(٣) قضى فلان نجه أى مات .

(٤) عين جذلى أى فرحة وأخرى تذرف أى يسيل دمعها .

مَا أَنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَمَا أَرَى
 شَعْرًا أَرْجُلُهُ وَآخِرُ أَتَيْفُ
 أَهْدَى لِدَاكِ اللَّهُ فَضْلَ خِلَافَةٍ
 وَلِذَاكَ جَاءَتْ التَّيْمِ تَرْخَرُفُ
 هَلْكَ الْخَلِيفَةُ يَا لَأَمَّةِ أَحْمَدِ
 وَأَنَاكُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَخْلُفُ
 فَأَبْكُوا لِمَصْرَعِ خَيْرِكُمْ وَوَلِيَّكُمْ
 وَاسْتَبْشِرُوا بِقِيَامِ ذَا وَتَشْرَفُوا

فأخذه أبو الشيص ، فقال يمدح محمد الأمين ويرثي هارون :

جَرَتْ جَوَارِي السَّعْدِ وَالنَّحْسِ
 وَالنَّاسُ فِي مَائِمٍ وَفِي غُرْسِ
 الْعَيْنِ تَبْكِي وَالسُّنُّ ضَاكِكَةٌ
 فَتَحْنُ فِي كَرْبَةٍ وَفِي أُنْسِ
 يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيَتِي
 كَيْنَا وَفَاةُ الْإِمَامِ بِالْأُنْسِ

أول ما ورد على أبي بكر (رضي الله عنه) حين استخلف

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد على العراق ، وكتب الى المثنى بن حارثة ان يطيعه ، فاستقبله بالنباج ، (١) وأتاه أبجر بن جابر فقال له : قدمت خير مقدم ، ويعظم الله لك المغنم ، ويظهرك على العجم ، قال خالد : لو شئت ان تقول الشعر لقلته .

(١) من البصرة على عشرة مراحل وهي قرية من تبتل وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتيمم على بكر بن وائل وفيه يقول محرز الضبي :

لقد كان في يوم النباج وثبتل وشطف وأيام تداركن مجزع

ما دينك يا أبجر ؟ قال : دين عيسى بن مريم ، قال : اذا أنت على ديننا أتؤمن بمحمد ؟ قال : لا ، قال : اذا أقتلك ، قال : أتقتلني إن لم أتبع دينك ولم أحاربك ؟ قال : نعم ، قال : ومتى كان دينكم ؟ انما جئتم منذ أعوام ، قال : كذا يقول من كفر بعيسى ، لتسلمن أو لاقتلنك ، قال له المثنى : هب لي ابن عمي فأبى ، فقال : اذا أسلم نصارى العرب فأنا زعيم أن سيسلم ، فخرج أبجر وقال :

فَإِنْ تُنَجِّى اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ خَالِدٍ
فَأَنْتَ الْمُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ

وسار خالد حتى أتى بانقيا ، ^(١) فصالحه أهلها على ألف درهم وطيلسان ، ^(٢) فبعث به الى أبى بكر ، فكان أول ما أورد عليه من العراق .

وقالوا : أول ما ورد عليه من العراق مال الحيرة ، والاول أصح ، وكسا الطيلسان الحسن بن على - عليهما السلام - وقال ضرار بن الازور :

أَرِقْتُ بِيَانِقِيَا وَمَنْ يَلْقَ مِثْلَمَا
لَقِيتُ بِيَانِقِيَا مِنْ أَلِهَمَّ يَأْرُقُ

أول من استخلف من الخلفاء أبو بكر (رضى الله عنه)

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر عن المدائنى قال : لما استعر بأبى بكر الوجود أرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حضر ما ترون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فان شئتم اخترتم لانفسكم ، وان شئتم اخترت لىكم ، قالوا : بل اختر لنا ، فقال لعثمان : أكتب ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يتوب الفاجر ، ويؤمن الكافر ، ويصدق الكاذب ، عهد وهو يشهد ان لا اله الا الله وان

بانقيا بكسر النون ناحية من نواحي الكوفة .

(٢) الطيلسان كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

محماً عبده ورسوله ، وقد استخلف - ثم رهقه غشية ^(١) - فكتب عثمان عمر بن الخطاب ، فلما أفاق قال : أكتب شيئا ؟ قال : نعم ، كتب عمر بن الخطاب ، فقال : - رحمك الله - اما أنك لو كتبت نفسك لكنت لها أهلا ، فكتب ، قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدى ، ورضيته لكم ، فان عدل فذلك ظنى فيه ، وان بدل فلكل نفس ما كسبت ، والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٢) فالتوى ^(٣) عمر - رضى الله عنه - وقال : لا أطيق القيام بأمر الناس ، فقال أبو بكر : هاتوا سيفى ، وتهده فانقاد عمر ، قال : ثم دخل عليه طلحة ، وعاتبه على استخلافه عمر ، فقال : ان عمر والله خير لكم ، وانت شر لهم ، اما والله لو استخلفتك لجعلت أنفك ^(٤) فى قفاك ، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها ، أتيتنى قد دلكت عينك تريد ان تفتننى عن دينى ، وتزيلنى عن رأى ، قم ، لا أقام الله رحلك ، أما والله لئن بلغنى أنك غمطته ، ^(٥) وذكرته بسوء لالحقنك بحمضات قنة حيث كنتم تسقون ولا تروون ، وترعون ولا تشبعون ، وأنتم بذلك لحوون راضون ، فقام طلحة فخرج .

قال أبو جعفر : حمضات جمع حمض وهو ضرب من النبت والفنة اعلى الجبل والجمع قنن وقنان .

أول ما ظهر الاسلام بمكة وأقيمت الصلاة علانية

أخبرنا أبو أحمد باسناده عن الواقدى عن محمد بن عبد الله عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ، وعنه عن يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ، وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر المدائنى جعلت أحاديثهم حديثا واحدا قالوا : دعا رسول الله - ﷺ - فقال : اللهم أعز الاسلام بعمر بن

(١) رهقه أى لحقته والغشية ما يفقد الانسان الحس والحركة والمعنى أغمى عليه .

(٢) الشعراء الآية ٢٢٧ .

(٣) تالقل .

(٤) كناية عن الكبر والاعراض عن الناس .

(٥) غمطه احتقره وازدرى به .

الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فاستجاب الله دعاءه في عمر ، فأسلم بعد أربعين رجلا وعشر نسوة ، فظهر الاسلام بمكة ، ^(١) وأقيمت الصلاة علانية في المسجد الحرام ، وجاء جبريل - عليه السلام - الى رسول الله (ﷺ) فقال : اقرأ يا محمد على عمر السلام وأخبره أن رضاه حكم ، وغضبه عز ، في كلام هذا معناه .

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر قال : حدثنا بشر بن محمد أبو أحمد السكري قال : حدثنا المسعودي عن القاسم قال : قال عبد الله : ان اسلام عمر كان فتحاً ، ^(٢) وان هجرته كانت نصراً ، ^(٣) وان امارته كانت رحمة ، ^(٤) ما اصطقفنا حول الكعبة ظاهراً حتى أسلم عمر ، واني لاحسب الشيطان يفر من عمر ، واني لاحسب بين عيني عمر ملكاً يعلمه ، فاذا ذكر الصالحون فحي هل بعمر ^(٥)

أول من سمي أمير المؤمنين عمر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن الحسن بن عثمان عن عبد الله ابن صالح عن يعقوب عن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن الزهري عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر بن سليمان عن الشفاء - وكانت من المهاجرات - ان أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله ، حتى كتب عمر الى عامل العراق أن يبعث اليه رجلين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم ، فقدم

(١) جاء في سمط النجوم ان عمر أقسم الا يترك مجلساً جلس فيه بالكفر الا جلس فيه بالايان وبر يمينه ثم عاد الى النبي وقال له ما يحجبك بأبي أنت وأمي فو الله ما بقى مجلس جلس فيه بالكفر الا أعلنت فيه الاسلام غير خائف ولا هائب فخرج عليه السلام في صفتين من أصحابه على أحدهما عمر وعلى الآخر حمزة فطاف بالبيت وصلى الظهر معلناً .

(٢) لانه حين أسلم ظهر الاسلام .

(٣) لانه تجدى المشركين حين هجرته بقوله من أراد أن تثكله أمه أو يأتّم ولده أو ترمل زوجته فليتبعني وراء هذا الوادي فلم يجرؤ أحد على اتباعه .

(٤) لانه سوى بين الناس وأخذ للمظلوم حقه من الظالم .

(٥) حتى هل بفلان أى أدعه والمراد فاذا ذكر الصالحون فاذا ذكر معهم عمر رضى الله عنه ، وعبد الله القائل هو ابن مسعود .

المدينة ودخلا المسجد فوجلوا عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال : أنتما والله أصبتهما اسمه ، فدخل على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لكم في هذا لتخرجن مما دخلت فيه ، فأخبره وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب بذلك من يومئذ ، في كلام هذا معناه (١)

أول من كتب التاريخ الهجرى عمر في ربيع الاول سنة ١٦

وكان سبب ذلك فيما روى أبو أحمد عن بعض رجاله ، ان أبا موسى الأشعري كتب الى عمر ، إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها يعمل ، قد قرأنا صكاً منه محله شعبان ، فما ندرى أى الشعبانين ، الماضى أم الآتى ؟ فرأى ان الأشهر الحرم تقع حينئذ في سنتين ، (٢) فجعله من المحرم وهو آخرها فصيره أولاً لتجتمع في سنة واحدة .

وكانت الكتب تؤرخ من موت كعب بن لؤى ، فلما كان عام الفيل أرخت منه ، وكانت المدة بينهما خمسمائة وعشرين سنة ، وأرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم - عليه السلام - الى بنائه البيت الى تفرق معد ، ومن تفرق معد الى موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا بعام الفيل ، ثم من الهجرة ، وعادة الناس ان يؤرخوا بالشئ المشهور والامر العظيم المذكور ، فأرخ بعض العرب بعام الخنات لشهرته بتأوتهم فيه ، قال النابغة الجعدي :

(١) وقيل ان سبب تسميته بأمر المؤمنين انه لما ولى كانوا ينادونه يا خليفة خليفة رسول الله فرأى أصحابه الامر سيئاً واستقلوا ذلك فدخل رجل (هو المغيرة بن شعبه) وهم يودعون عمر للسفر الى العراق فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين فنادوه أمير المؤمنين من يومئذ (كتاب الفاروق عمر لمحمد حسين هيكل ص ١٠٧) .

(٢) الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومهما بدأنا فلا يتصور ان تقع في سنتين مادامنا نعتبر بدأ السنة من الشهر الذى بدأنا به ولكن هكذا وجدت العبارة في المخطوطات ، ولعل المراد أنها تقع في سنتين حيث كانت السنة عندهم تنتهى في شهر ذى الحجة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأِنِّي
 مِنَ الْفَتَيَانِ أَيَّامَ الْخَنَانِ ^(١)
 مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وَلِدْتُ فِيهِ
 وَعَامٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ ^(٢)
 وَقَدْ أَبْقَتْ صُرُوفُ اللَّذْهِرِ مِنِّي
 كَمَا أَبْقَتْ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

وتقول العرب أرخت الكتاب وورخته ، ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم ،
 وكانت العرب تؤرخ بالنجوم قديما ، وهو أصل قولهم نجمت على فلان كذا حتى
 يؤديه في نجوم .

أول من اتخذ بيت مال عمر (رضى الله عنه)

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أحمد بن شبيب عن
 سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن قتادة قال : آخر ما أتى
 به النبي ﷺ - ثمانمائة ألف درهم من البحرين ، فما قام عن مجلسه حتى
 أمضاه ، ولم يكن له بيت مال ، ولا لابي بكر ، وأول من اتخذ عمر .

أول من سن قيام شهر رمضان جماعة
 سنة أربع عشرة

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أحمد بن عيسى عن عبد
 الله بن وهب عن بكر بن مضر وعبد الرحمن بن سلمان عن أبي الهاد عن قيس
 ابن عبد الملك وعن غير هؤلاء قالوا : أمر عمر أبنا خيثمة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل أن

(١) الخنان - داء يصيب الابل في مناخرها فتموت بسببه وحدث ذلك كوباء وماتت به ابل كثيرة
 فأرخت العرب بالعام الذي ظهر فيه الوباء .

(٢) حجتان - ستان ، وفي الأغاني ج ٥ ، ص ٦ ، ط بيروت
 أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذلك وحجتان

يصلوا بالناس في شهر رمضان ، وسمع الناس يقولون : فلان أقرأ من فلان ، وفلان أحسن صوتا بالقرآن من فلان ، فنهاهم عن ذلك وقال : أتفعلون ذلك وأنتم أنتم ، فكيف بمن جاء بعدكم ؟ وكانوا قبل ذلك يصلون في المسجد فرادى ، ثم قدموا أبا فضلى بهم فرآهم عمر فقال : بدعة وأى بدعة ثم أقر أبا على ذلك ، وأضاف إليه أبا خيثمة ومعاذ .

أول من عس بالليل

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان وعن الجوهري عن أبي زيد قال : قال عبد الله بن زيد الاسلمى : بينا عمر يعس ذات ليلة اذ سمع امرأة تقول

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا
أَمْ هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

فلما أصبح سأل عنه واحضره ، — وكان من بنى سليم — فاذا هو أحسن الناس وجها ، وشعرا ، فحلقة ^(١) فازداد حسنا ، فأمره ان يعتم ، ^(٢) ففعل ذلك فازداد حسنا ، فقال عمر : والذى نفسى بيده لا يجامعنى فى ارض ، فأمر له بما يصلحه وسيره الى البصرة ، فكتب نصر من البصرة الى عمر بعد حول :

لَعَمْرِي لَئِنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي
وَمَا نِلْتُ ذَلْبًا إِنَّ ذَا لَحَرَامٍ
وَمَا نِلْتُ شَيْئًا غَيْرَ ظَنٍّ طَنَّتُهُ
وَفِي بَعْضِ تَصْدِيقِ الطُّنُونِ أَثَامٍ
لَئِنْ غَنَّتِ الْحَوْرَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ ^(٣)
وَبَعْضُ أَمَانِيَّ النِّسَاءِ غَرَامٍ

(١) أى حلق شعره .

(٢) أى يلبس العمامة .

(٣) الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها والحوراء المرأة توصف بذلك والمنية ما يتمناه الانسان .

فَحَقَّقْتُ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
 بَقَاءٌ فَمَالِي فِي التَّهَيُّ كَلَامٌ
 فَأَصْبَحْتُ مَنِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ
 وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَكْتَبَيْنِ مَقَامٌ
 وَقَدْ يُعْنِي مِمَّا تُظَنُّ تُكْرِمِي
 وَأَبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامٌ
 وَيَمْنَعُهَا مِمَّا ظَنَنْتُ صَلَاحَهَا
 وَفَضْلُهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٌ
 فَهَاتَانِ خَالَاتَا فَهَلْ أَتَى رَاجِعِي
 فَقَدْ جُبَّ مِنِّي غَارِبٌ وَسَتَامٌ ^(١)

وقالت المرأة :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 مَالِي وَلِلْخَمْرِ أَوْ نَصْرِ بْنِ حَبَّاجٍ
 إِنِّي غَنِيْتُ أَبَا خَفْصَرٍ بِغَيْرِهِمَا
 شَرِبَ الْخَلِيبَ وَطَرَفَ فَاتِرَ سَاجٍ
 إِنَّ الْهَوَى زَمَهُ التَّقْوَى ^(٢) فَحَسَنَةٌ
 حَتَّى أَقِرَّ بِالْجَسَامِ وَأَسْرَاجٍ
 أُمِّيَّةٌ لَمْ أَرِدْ فِيهَا بِضَائِرَةٍ
 وَالنَّاسُ مِنْ هَالِكٍ فِيهَا وَمِنْ نَاجٍ

فضرب أهل المدينة المثل بهذه المرأة فقالوا : أصعب من المتمنية ، وهي
 العزيمة بنت همام أم الحجاج بن يوسف ، وقالوا : جدته ، وكان حين عشقت

(١) جب قطع والغارب ما بين السنام والعنق والسنام حدة في ظهر البعير والمعنى أن الغربة لم تبق منه
 شيئا .

(٢) زمه أى ربطه وشده والمراد ان التقوى حبست الشهوة فلم تستطع الثورة .

نصرا تحب المغيرة بن شعبة .

وذكروا ان عروة ابن الزبير كنى أخاه عند عبد الملك ، فقال له
الحجاج : أتكنى أخاك المنافق عند أمير المؤمنين ؟ لا أم لك ، فقال عروة : ألى
تقول ذلك يا ابن المتمنية ؟ وأنا ابن عجائز الجنة ، صفية وخديجة وأسماء
وعائشة ^(١) .

ولما ورد نصر البصرة نزل على مجاشع بن مسعود ، فعشق امرأته
شميلة ، وكانت هي ونصر كاتيين ، ومجاشع أمى لا يكتب ، فكتب نصر على
الأرض بحضرة مجاشع ، انى قد احببتك حبا لو كان فوقك لأظلك ، او كان
تحتك لأقلك ، فكتبت شميلة ، وأنا ، فقال مجاشع ما كتب وكتبت ؟ قالت :
كتب كم تحلب ناقتكم وتغل أرضكم ؟ فكتبت : وأنا فقال : ما هذا لذاك ،
فطبق وكفأ على الكتابة جفنة ^(٢) ، وأتى بمن قرأها ، فقال لنصر : ما سيرك عمر
لخير ، قم فان وراءك اوسع لك ، فنهض خجلا الى منزل بعض المسلمين ،
فضنى ^(٣) من حب شميلة ، فبلغ مجاشعا فعاده ، فوجد ^(٤) لما به ، فقال
لشميلة : قومى اليه فمرضيه ، ففعلت ، وضمته الى صدرها فعادت قواه ، قال
بعض العواد : قاتل الله الاعشى ، كأنه شهد أمرهما فقال :

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى صَدْرِهَا
عَادَ وَلَمْ يُثْقَلْ إِلَى قَابِرِ

فلما فارقت عاده الى مرضه ، فلم تزل تتردد عليه حتى مات ، فقال أهل
البصرة : أدنف من المتمنى فذهبت مثلا ، وروى بعض الشيوخ خلاف هذا

(١) هى صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وأم الزبير بن العوام وخديجة بنت خويلد زوجة النبي
وأسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير وأم عبد الله بن الزبير وعائشة بنت أبى بكر زوجة النبي وخالة ابن الزبير .

(٢) الجفنة القصعة الكبيرة .

(٣) مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

(٤) حزن لما به .

قال : لما توفي عمر ركب صدر راحلته حتى أتى المدينة .

وكان عمر غيوراً والغيرة من أحمد أخلاق الرجال ، وعابوا على معاوية ثلاثاً تعين على السؤدد ، ^(١) الجلع ، واندحاق البطن ، وتركه الافراط في الغيرة ، والجلع انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، واندحاق البطن خروجه وكبره ، ومن أعجب ما روى في الغيرة ان عبد الله بن الزبير وقف لايه الزبير بباب داره وقال : لا أتركنك تدخل حتى تطلق أمي فان مثلي لا يحسن أن تكون له أم توطأ ، فطلقها ، فتركه فدخل ، ومما يدل على شدة غيرة عمر - رضى الله عنه - ما أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : تناشد الناس شعرا على عهد عمر - رضى الله عنه - ثلاث سنين ثم ذكر رجل أنه قاتل قائله ، فقال عمر : كيف كان شأنك وشأنه ؟ فقال : أقبلت حتى نزلت قرية في الليل واذا مصباح في بيت رجل يغنى :

وَأَشْعَثُ غَرَّةَ الْإِسْلَامِ مَنَى
خَلَوْتُ بِغُرْسِهِ يَوْمَ الثَّمَامِ ^(٢)

فقال عمر : اقتحم عليه ، فقال : قد فعلت ، ثم قال :

أَتَيْتُ عَلَى ثَرَائِبِهَا وَتَسْرَى
عَلَى جَزْدَاءَ لَأَحَقَّةِ الْحَرَامِ ^(٣)

فقال عمر : أقتل ، قال : قد فعلت ، قال أبعده الله الى النار ، ثم زاد فيها

كَأَنَّ مَجَامِعَ الْوَيْلَاتِ مِنْهَا قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَى قِيَامِ

ومنه ما روى لنا أبو أحمد قال : تذاكرنا غيرة عمر بالبصرة ، فقال ابن

(١) السؤدد كرم المنصب أو القدر الرفيع .

(٢) العرس امرأة الرجل والمعنى أنه اختلى بزوجة الرجل الذي أشار إليه بالاشعث .

(٣) الترائب عظام أعلى الصدر والمعنى أنه أتى منها ما يأتي الرجل من زوجته .

جمهور : دخل رجل من أهل المدينة على امرأته وقد افترشها ^(١) رجل فقتله ، وخرج حتى أتى عمر - رضى الله عنه - وهو يأكل فأكل معه ، ^(٢) فجاء أولياء المقتول ، فقالوا : الآكل معك قتل صاحبنا ، فقال له : أأأأ هو ؟ قال : نعم ، دخلت على امرأتى فاذا هو قاعد منها مقعدى فقتلته ، قال له عمر : أحسنت فإن عاد فعد هكذا .

قال وحدث أبو الوليد عن عبد الله بن صالح عن (بورين برمك) ان عمر كان يعس ^(٣) فى المدينة ، فسمع صوت رجل فى بيت يغنى فدخل عليه من وراء البيت ، فوجد عنده امرأة وخمرا ، فقال : ما هذا يا عدو الله ؟ قال : لاتعجل يا أمير المؤمنين ، ان كنت عصيت الله فى واحدة فقد عصيته فى ثلاث ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ^(٤) وقد تجسست وقال : ﴿ وَأَتُوا النُّيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ^(٥) وقد تسورت ، وقال : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٦) وقد دخلت من غير سلام ، قال عمر : فهل عندك من خير ان عفوت عنك ؟ قال : بلى ^(٧) يا أمير المؤمنين ، لله على ان عفوت عنى الا أعود ، فعفى عنه .

أول من عاقب على الهجاء

أخبرنا غير واحد ان الزبرقان بن بدر لقى الحطيئة فقال : من أنت ؟ فقال : أنا حسب موضوع أبو مليكة ، فقال له : الزبرقان إننى أريد وجهها فسر

(١) جعلها فراشا له والمراد وطئها .

(٢) هكذا وجدت ولعل هنا كلمة محذوفة والتقدير (وهو يأكل فأكل معه) .

(٣) أى يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الرية .

(٤) سورة الحجرات الآية (١٦) .

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٩) .

(٦) سورة النور الآية (٦١) .

(٧) مكنا جاءت الاجابة عن هذا الاستفهام السابق والصحيح الاجابة بنعم بدلا من بلى لان الاستفهام غير منفى .

الى منزلى وكن هناك حتى أرجع ، ففعل ، فأنزلته امرأة الزبرقان وأكرمته ، فحسده بنو عمه بنو لآى ، فدسوا الى الحطيئة ، فقالوا : ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ، ونشد الى كل طنب (١) من أطناب بيتك حلة هجرية وقالوا لامرأة الزبرقان : إنما قدم الزبرقان هذا الشيخ ليتزوج ابنته ، فقدح (٢) ذلك فى نفسها ، فلما أراد القوم النجعة (٣) تخلف الحطيئة ، وتغافلت المرأة ، فاحتمله القرعبيون ، ووفوا له بما قالوا ، فأخذ فى مدحهم ، وهجا الزبرقان فقال :

أَزْمَعْتُ يَا سَأَ مُبِينًا مِنْ تَوَالِكُمْ
وَلَا يُرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِي
دَغَ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلُ لِبُعِيَّتِهَا
وَأَقْعُدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (٤)
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَغْدُمُ جَوَازِيَهُ
لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فاستعدى الزبرقان عليه عمر ، فحكم عمر حسان ، فقال ما هجاه ولكن سلح (٥) عليه ، فحبس عمر الحطيئة فى بئر ، فقال يستعطفه :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ يَدَى مَرَجٍ
تُحْمَرُ الْحَوَاصِلُ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ (٦)

(١) الطنب جبل طويل يشد به سرادق البيت .

(٢) أى أثر فى نفسها .

(٣) النجعة طلب الكلا فى مواضعه والمراد خرجوا للرعى .

(٤) هذا البيت هو المقصود ومعناه لست أهلا للمكارم فلا تحاول طلبها والزم بيتك فانك كنوت الخدور تطعم وتكسى وحسبك ذلك .

(٥) سلح عليه تغوط وهى فى الأصل تستعمل للطيور والبهايم ولا تستعمل للانسان الا من باب التساهل على التشبيه .

(٦) رواية الاغانى (زغب الحواصل) .

أَلْقَيْتُ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
 فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا عُمَرُ
 مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَلَدُمُوكَ لَهَا
 لَكِنْ لِأَنفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْآثَرُ^(١)

فأخرجه عمر ، وجلس على كرسى ، وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه ، فصاح وقال : إني يا أمير المؤمنين ، والله قد هجوت أُمى وأبى ونفسي وامراتى ، فتبسم عمر وقال : ما الذى قلت ؟ لا بى وأمى :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسَوَّيْنِي
 وَأَبَا بَيْتِكَ^(٢) فَسَاءَتْنِي فِي الْمَجْلِسِ
 وقلت أيضا :^(٣)

تَنَحَّى فَأَجْلِسْ مِنِّي بَعِيداً
 أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
 وَلَمْ أَظْهَرْ لَكَ الْبُغْضَاءَ مِنِّي
 وَلَكِنْ لَا أَحَاكَ نَفَقَاتِنِ
 أَغْرَبْنَا لَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ مِيراً
 وَكَأَلُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ

وقد أخذ هذا المعنى من كعب بن زهير حيث يقول :

وَلَا تَمْسُكْ بِالْوَعْدِ الَّذِي وَعَدْتَ
 إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْفَرَائِيلَ

(١) معنى البيت ان المسلمين لم يختاروا عمر رضى الله عنه ليشرفوه بالمنصب ولكنهم اختاروه لحظ أنفسهم ليعدل بينهم ويعطى كل ذى حق حقه .

(٢) هو زوجها وهو أبو الحطيئة .

(٣) هذا ما قاله فى أمه خاصة ومما قال فى أبيه قوله كما فى نهاية الارب للنويرى ج ٢ ص ٣٠٢ .

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

قال : وقلت لامرأتى :

أَطَوُّفَ مَا أَطَوُّفَ ثُمَّ آوَى
إِلَى يَتِّ قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ^(١)

وقلت لنفسى :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا
بِسُوءٍ فَمَا أَذْرِ لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ
فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

وقد هجا من أحسن اليه فقال :

سَمَخْتُ وَلَمْ تُبْخَلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلًا
فَسَيَّانٍ لَأَذُمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ

فخلى سبيله عمر بعد ان أخذ عليه الا يهجو احدا ، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها منه أعراض المسلمين ، فقال يذكر ذلك :

وَأَخَذْتُ أَطْوَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ
شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتِي عَرَضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ
شَتْمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَخْرَعُ

أول من ضرب فى الخمر ثمانين عمر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن عبد الرحمن بن أزهر قال : رأيت
النبي ﷺ - غداة الفتح يتخلل الناس ، ويسأل عن منزل خالد بن الوليد ،

(١) لكاع البناء على الكسر ومعناها لثيمة ولا تكاد تستعمل الا فى البناء .

وأنا غلام شاب ، فأتى بشارب ^(١) فأمرهم فضر به بما فى أيديهم ، فمنهم من ضربه بنعله ، ومنهم من ضربه بعصا ، وحنأ ^(٢) رسول الله - ﷺ - فى وجهه التراب ، فلما كان أبو بكر - رضى الله عنه - أتى بشارب ، فسأل عن ضرب رسول الله فحزروه ^(٣) أربعين ، فضر به أربعين ، فلما كان عمر - رضى الله عنه - كتب اليه خالد بن الوليد ان الناس قد انهمكوا فى الشراب وتحاقروا العقوبة ، فقال : فهم عندك فاسألهم ، وعنده المهاجرون الاولون ، فسألهم فاجمعوا على ان يضرب ثمانين ، وقال على : ^(٤) - عليه السلام - ان الرجل اذا شرب افترى ، فاجعله حد الفرية ، ^(٥) ثم ضرب فى أيام عثمان أربعين .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد باسناده قال : دخل أبو زينب وأبو مروع على الوليد بن عقبة فوجداه سكرانا ، فأخذا خاتمه ولحقا بعثمان فأخبراه ، فأشخصه ^(٦) وشهدا عليه ، فأمر عثمان عليا ان يجلد ، فقال للحسن : قم فاجلده ، فقال : « ول حارها من تولى قارها » ، ^(٧) وأمر عبد الله ابن جعفر ان يحده فجعل يضربه ، وعلي - رضى الله عنه - يعد حتى بلغ أربعين ، فقال : أمسك ، جلد النبى - ﷺ - أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين ، وكل سنه ، وهذا أحب الى ، فقال أبو زيد الطائى : - وكان نصرانيا ينادم الوليد -

(١) أى سكران .

(٢) صبه على وجه .

(٣) فى رواية فقومه أربعين .

(٤) جاء فى العدة للصنعاني ج ٤ ص ٢٧٢ ان القاتل عبد الرحمن بن عوف قال : أضعف الحدود ثمانون فأمر به عمر .

(٥) فى الموطأ ان عليا (عليه السلام) قال : أرى ان تجلده ثمانين جلدة فانه اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى فجلد عمر ثمانين .

(٦) المراد أحضره أمامه .

(٧) جاء فى مجمع الامثال للميداني ص ٣٣١ الجزء الثانى ان قاتل هذا المثل عمر بن الخطاب قال لعتبة بن غزوان أو لابي مسعود الانصارى ومعناه أحمل ثقلك على من انتفع بك .

وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ لِلسَّيْفِ
 مَصَالٌ أَوْ لِلسَّانِ مَقَالٌ
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءَ وَلَا الْوُدَّ
 وَلَا خَالَ دُونِكَ الْأَشْفَالَ
 وَلَحَرَّمْتُ لَحْمَكَ الْمُبْعَضَ صَلَةً
 ضَلَّ جِلْمُهُمْ فَكَيْفَ اغْتَالُوا ^(١)
 مِنْ رِجَالٍ ثَبَاوَلُوا مُنْكَرَاتٍ
 لِيَتَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَتَالُوا
 أول من حرم المتعة ^(٢) عمر (رضي الله عنه)

أخبرنا أبو احمد عن الجوهرى عن أبي زيد عن أبي خدّاش عن عيسى بن
 يونس عن الامّلى قال : سمعت الزبير يقول : تمتع عمرو بن حريث من امرأة
 بالمدينة فحبلت ، فأتى بها عمر فأراد ان يضربها ، فقالت : تمتع منى عمرو بن
 حريث ، فقال : من شهد نكاحك ؟ فقالت : أمى وأختى ، فأرسل عمر الى
 عمرو فقدم ، فسأله ، فقال : صدقت ، فقال عمر للناس : هذا نكاح فاسد وقد
 دخل فيه ما ترون ، ورأى عمر ان يحرمه ، قال الزبير : فقلت لجابر : هل بينهما
 ميراث ؟ فقال : لا ، وخطب عمر فقال : متعتان كانتا على عهد رسول
 الله - ﷺ - أنا أنهى عنهما ، أو أعاقب ^(٣) عليهما ، قال سعيد بن المسيب :

(١) أسرعوا إلى الشر في الأغاني ج ٥ ، ص ١٢٢ ، ط بيروت

ولحرم لحم المتعضى ضلة ضلّ حلمهم ما غتالوا

(٢) المتعة هي النكاح المؤقت بأمد معلوم أو مجهول وغايته الى خمسة وأربعين يوما « سبل السلام
 للصنعاني ج ٢ ص ١٠٠ » وعمر - رضي الله عنه - لا يحرم شيئا في الدين ما لم يكن لديه نص على
 تحريمه ، والصحيح إن رسول الله - ﷺ - هو الذى حرم المتعة كما ورد في الصحاح فليرجع إليه من
 يشاء .

(٣) في سبل السلام للصنعاني ج ٣ ص ١٠٠ (أخرج ابن ماجة عن عمر باسناد صحيح أنه خطب فقال : ان
 رسول الله اذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها والله لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن الا رجسته بالحجارة) .

رحم الله عمر ، لولا أنه نهى عن المتعة لفشا الزنا ، وقال ابن عباس : - رضى الله عنه - رحم الله عمر ، لو أنه ما نهى عن المتعة ما زنى أحد ، وكان ابن عباس يرى المتعة قال الشاعر :

يَا صَاحِ هَلْ لَكَ فِي فِتْوَى ابْنِ عَبَّاسٍ

فقال على لابن عباس : انت امرؤ تائه ، نهى رسول الله - ﷺ - عن متعة النساء وأكل لحوم الحمير الاهلية بخبير ، ^(١) فرجع ابن عباس عن هذا القول ، فنادى يوم عرفة بأعلى صوته ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا عبد الله ابن العباس ، الا ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير ، فقال جابر بن عبد الله : نهانا رسول الله عن المتعة فلم نعد لها أبدا ، وقالت الفقهاء : قد صح حظر المتعة من جهة الاجماع ^(٢) والقرآن والسنة ، والصحيح ان عمر نهى عنها لنهى النبي - ﷺ - عنها ، والشاهد حديث أبي هريرة ، ان رسول الله حرم المتعة بالطلاق والنكاح ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ^(٣) والمتعة هى وراء ذلك ، وأما متعة ^(٤) الحج فان النبي أحلها ثلاثة أيام ثم حرمها .

أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد عمر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن محمد بن حاتم عن منصور بن سلمة عن الخزاعي عن ليث بن سعد عن يزيد بن الهادي عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب : أن عمر فى أول خلافته جعل أمهات الأولاد فى

(١) قال الصنعاني أيضا فى الجزء والصفحة السابقين : الصواب ان تحريمها واباحتها وقعا مرتين فكانت مباحة قبل خبير ثم حرمت فيها ثم أبيحت عام الفتح ثم حرمت تحريما مؤبدا .

(٢) ثبت اجماع الصحابة رضى الله عنهم على تحريمها وما روى من خلاف ابن عباس فقد ثبت رجوعه عنه كما ذكر .

(٣) سورة المؤمنون الآية (٧) .

(٤) المراد متعة النكاح التى أباحها النبي فى زمن الحج فى عام الفتح .

ميراث أبائهن ، حتى مات رجل من بنى فهر وله أولاد من مهيرة ،^(١) و غلام من أم ولد ، فأقاموها عليه قيمة سخطوا عليه فيها لجمالها ، فأخذ الغلام أمه ، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فأرسل إلى الغلام فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، خيروني بين أن أؤدى فى أمى ، وبين أن يخرجونى من ميراث أبى ، فاخترت أحرار أمى ، وعلمت أن الله رازقى ، فقال عمر : لقد فعلت ماأردت ، فقام عمر على المنبر يخطب الناس ، فقال : أما بعد ، فقد كان منى فى أمر أمهات الأولاد ماكان ، وقد ركب الناس فيهن الحرام ، وأيما أمة ولدت من سيدها فلا تباع ولا توهب ولا تورث ، وهى لسيدها متعة فى حياته ، فإذا مات فهى حرة^(٢)

أول من جمع الناس فى صلاة الجناز على أربع تكبيرات عمر

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي خدّاش عن أبي الوراق عن سفيان عن عامر عن شقيق عن أبي وائل قال : جمعهم يعنى عمر فسألهم عن تكبيرات الرسول — ﷺ — فقال بعضهم : أربع ، وقال بعضهم : خمس ، وبعضهم ست ، كلهم قال ما سمع ، فجمعهم على أربع ، قال : وكان آخر ما كبر النبي أربعاً على سهيل بن البرصاء^(٣)

أول من اتخذ الديوان عمر

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الصولى عن العادى قال : حدثنا ابن الضحاك عن الهيثم بن عدى عن عوانة قال : جاء مال من البحرين الى أبي

(١) المهيرة هى الحرة الغالية المهر .

(٢) ذهب الامامية وداود الظاهري الى جواز بيعها واستدلوا بقول على : — عليه السلام — اجتمع رأيى ورأى عمر فى أمهات الأولاد الا يبعن ثم رأيت بعد ذلك ان يبعن . (سبل السلام للصنعاني ج ٣ ص ١٠) .

(٣) جاء فى حاشية الصنعاني على احكام الاحكام ج ٣ ص ٢٣١ (ابن البيضاء بدلا من ابن البرصاء) أخرج مسلم عن عائشة : أنه لما مات سعد بن أبي وقاص قالت : ادخلوا به المسجد حتى أصلى عليه ، فانكروا عليها ذلك ، فقالت : والله لقد صلى رسول الله على ابني بيضاء فى المسجد سهيل وأخيه .

بكر ، فسأوى فيه بين الناس ، فغضب الانصار ، فقالوا : ما فضلنا ، فقال لهم أبو بكر : صدقتم ان أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتموه للدنيا ، وان شئتم كان ذلك لله وللدين ، فقالوا : والله ما عملناه الا لله ، وانصرفوا ، فرقى أبو بكر المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : يامعشر الانصار ، لو شئتم ان تقولوا : أنا آويناكم وشاركناكم فى أموالنا . ونصرناكم بانفسنا لقلتم ، وان لكم من الفضل مالا يحصى عدده وان طال به الامد ، فنحن وانتم كما قال الغنوى

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُزْلِفَتْ^(١)
 بَنَاتُنَا فِي الْوَاطِينَ فَرَلَتْ
 أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّتَنَا
 تَلَاقَى الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتْ
 هُمْ أَسْكَنُونَا فِي ظِلَالٍ يُيَوِّتُهُمْ
 ظِلَالٍ يُيَوِّتُ أَذْفَاتٍ وَأَكْتَتِ

ثم قام عمر ، فأتاه أبو هريرة من البحرين بشمانمئة ألف درهم ، وقيل : خمسمائة ألف درهم ، فخطب وقال : قد جاءكم مال ، فإن شئتم كلته كيلا ، وإن شئتم عدده عدا ، فقال الفيرزان : ان العجم يدنون ديوانا^(٢) يكتبون فيه ما لواحد واحد ، وأراد عمر ان يبعث بعثا ، فقال له الفيرزان : ان تخلف رجل عن هذا البعث كيف تصنع ؟ وكيف تعلم عاملك بخبره ؟ وأشار عليه بالديوان فعمله . وجعل المال فى بيت مال ، ثم قال بمن نبدا ؟ ف قيل : بنفسك ، فقال : بأهل بيت رسول الله — ﷺ — فبدأ بأزواج النبى ، فجعل لعائشة اثنى عشر ألفا فى كل سنة ، وكتب أزواج النبى فى عشرة آلاف لكل واحدة ،^(٣) وكتب

(١) أزلقت أى زلت ولم تثبت فى مكانها .

(٢) فى كتاب الخراج لآبى يوسف ص ٢٤ (أن تدوين الدواوين كان بعد عودة جيش العراق من قبل سعد بن أبى وقاص) .

(٣) فى الخراج لآبى يوسف ص ٤٢ : وفرض لأزواج النبى ﷺ اثنى عشر ألفا اثنى عشر ألفا الا صفية وجويرية فانه فرض لهما ستة آلاف ستة آلاف ، فأبنا ان تقبلا فقال لهما : انما فرضت لهن للهجرة =

بعد أزواج النبي عليا — عليه السلام — في خمسة آلاف ، ومن شهد بدرا من بني هاشم ، ثم كتب عثمان في خمسة آلاف ، ومن شهد بدرا من موالى بني أمية على سواء ، ثم قال : بمن نبدا ؟ قالوا : بنفسك ، قال : بل نبدا بأبي بكر ، فكتب طلحة في خمسة آلاف ، وبلاالا في مثلها ، ثم كتب لنفسه ، ومن شهد بدرا من بطون قریش خمسة آلاف ، ثم كتب الانصار في أربعة آلاف ، فقالوا : قصرت بنا عن اخواننا ، قال : أجعل الذين قال الله لهم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ^(١) مثل من أتته الهجرة في داره قالوا : رضينا ، ثم كتب لمن شهد فتح مكة في ألفين في كلام هذا معناه .

أول من فتح الفتوح ومسح السواد عمر

أخبرنا أبو القاسم باسناده عن المدائني قال العمري : عن أبي عبد الرحمن الثعلبي ، وأخبرونا عن غير هؤلاء قالوا : لما ظهر المسلمون على السواد وفارس . لم يعلموا كيف يصنعون بالخراج وجباية أهل الذمة ؟ وكان سعد يستعمل العامل على طروح ^(٢) فيأتيه بما يجد ، ولا يدرى كيف يعمل ؟ وكان بعث عمر عثمان بن حنيف على مساحة السواد ، وكاتبه بأن يبعث إليه من دهاقينها ^(٣) عشرة نفر ، ^(٤) ففعل ، فسألهم عمر عما كانت ملوك فارس تعمله في جباية الخراج ، فاختلفوا عليه ، فقال : ما سبب اختلافكم ؟ قالوا : لننظر ما لنا عندك ، قال : لكم عندي ما تحبون ، فقالوا : كانت ملوك فارس يأخذون

فقالنا : انما فرضت لهم لمكانتهن من رسول الله ولنا مثله ، فعرف ذلك عمر ففرض لهن اثني عشر ألفا .

(١) سورة الحشر الآية — ٨ .

(٢) هكنا وجدت في الاصل ولعل المراد طروح وهو النخل الطويل العراجين .

(٣) دهاقين جمع دهقان وهو رئيس الاقليم .

(٤) في الخراج أنه بعث الى حذيفة ان أرسل الى بدهقان من جوخي والى عثمان أرسل الى بدهقان من العراق .

على كل جريب (١) عامر اوغامر (٢) مما يناله الماء قفيزا (٣) ودرهما ، ومن القفيز الحنطة على التقريب درهم ، والدرهم تنمة درهمين ، وإنما ألزموا ذلك العامر والغامر ، لان الارض تبور سنة وتعمر سنة ، فكانوا يقولون : اذا دفعنا اليكم الارض والماء . فأدوا حقوقنا عمرتم أو لم تعمروا ، وتفسير الخراج — الكروة — (٤) وأخذوا منهم عن كل جريب عامر وغامر ، أربعة دراهم ، وأمر عثمان بن حنيف فمسح السواد ، وحدها في الطول ، من العث وحوبي — وهما من أرض الموصل — الى عبادان ، (٥) وهي مائة وخمسة وعشرون فرسخا ، فبلغت جريانه ستة وثلاثين ألف جريب ، (٦) فوضع على كل جريب من الحنطة أربعة دراهم ، وكل جريب من الشعير (٧) وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب الكرم (٨) والرطب ستة دراهم ، وعلى جريب الزيتون اثنا عشر درهما ، وعلى أهل الذمة — على الفقير منهم — اثنا عشر درهما في كل سنة ، وعلى الوسط منهم أربعة وعشرون ، وعلى أهل اليسار ثمانية وأربعون درهما ، رفع عنهم الرق حين وضع عليهم الخراج في رقابهم ، وجعلهم أكرة في الارض .

قال الشعبي لم يكن لاهل السواد ذمة ، فلما أخذت الجزية منهم صارت لهم ذمة ، فمن أسلم منهم فهو حر لا خراج عليه ولا رق . فبلغ جباية السواد (٩) أيام عمر وعثمان مائة الف الف ، فلما ولي معاوية صارت الى

(١) الجريب مكيال وهو من الطعام أربعة أقداره ومن الأرض المساحة التي تزرع بهذا المكيال .

(٢) العامر الأرض التي تزرع والغامر التي لا تزرع .

(٣) القفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيل .

(٤) الكروة أجرة الشيء .

(٥) بلدة بديران الآن .

(٦) في الخراج ص ٣٦ أنها بلغت ستة وثلاثين ألف ألف جريب .

(٧) يياض في الاصل وفي الخراج ص ٣٦ وعلى جريب الشعير درهما .

(٨) في نفس المرجع والصفحة . وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وعلى الرطبة خمسة دراهم وزاد وعلى جريب القصب ستة دراهم .

(٩) السواد الارض التي بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى .

خمسين الف الف . فلما كان أيام الحجاج بلغت جباية السواد ثمانية عشر ألف ألف ، وكان أسلفهم ألفى ألف ، فحصل ستة عشر ألف ألف ، بعد العسف والظلم وضرب الابرار وهتك الحرم .

وقال المدائنى : وبلغ الخراج من سواد الكوفة أيام عمر — رضى الله عنه — مائة ألف ألف درهم ، ^(١) الدرهم يومئذ — درهم ودانقين ^(٢) ونصف — وقال أبو جعفر الحرار : أنا أقول انها دنانير ، وقيل : كان الحجاج يجيئها ستين ألف ألف ، ثم صارت فى أيام عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف مثقال ، ولما نقصت الجباية أيام الحجاج ، منع أهل السواد ذبح البقر ، فسمعت بعض أصحابنا يتحدثون أن ابن الغز كان عظيم الذكر ، فاذا واقع امرأة ذهب عقلها ، فانكرت امرأة ذلك وقالت : سأجرب ، فلما واقعها قال لها : أترينى السها ؟ وهو كوكب صغير فى بنات نعش ، قالت : ها هو ذا ، وأشارت الى القمر . فضحك وقال : (أريها السها وترينى القمر) فذهبت مثلاً فلما كان أيام الحجاج ، شكى اليه خراب السواد ، فحرم لحوم البقر لكثرة الحرث . فقال بعض الشعراء

شَكُونَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ
فَحَرَّمَ فِينَا لُحُومَ الْبَقَرِ
وَكَانَ كَمَا قِيلَ فِي بُعْدِهِ
أُرِيهَا السُّهَاءَ وَتُرِينِى الْقَمَرَ

أول وشاية كانت بالعمال ومصالحة خليفة لهم
على ما يأخذه منهم

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة

(١) فى كتاب النظام المالى المقارن فى الاسلام للدكتور بدوى عبد اللطيف ص ٦٤ . « فى أيام عمر بلغ الأيراد من ضريبة الارض عشرين ومائة ألف ألف درهم » .
(٢) الدانق جمعه دوانق وهو سدس الدرهم ؟

قال أبو بكر : هذا الخبر صدر به أبو عبيدة كتاب منافع الشعر ومضاره ، قال :
كتب يزيد بن قيس الصعق الكلابي الى عمر (رضى الله عنه)

أُبْلِغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً
قَالَتْ أَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا وَمَنْ يَكُنْ
أَمِيناً لِرَبِّ النَّاسِ يَسْلَمْ لَهُ صَدْرِي
فَلَا تَدْعُنْ أَهْلَ الرَّسَائِقِ ^(١) وَالْقَرَى
يُضْيِعُونَ مَالَ اللَّهِ فِي الْأَذْمِ الْوَفْرِ
وَأَرْسِلْ إِلَى الْحَجَّاجِ فَاعْرِفْ حِسَابَهُ
وَأَرْسِلْ إِلَى جُزْءٍ وَأَرْسِلْ إِلَى بَشِيرٍ
وَلَا تُنْسِنَنَّ التَّافِعِينَ كِلَيْهِمَا
وَلَا ابْنَ غِلَابٍ مِنْ سَرَاةٍ ^(٢) بَنَى نَصْرٍ
وَمَا عَاصِمٌ مِثْلًا بِصِفْرِ عِثَانِهِ
وَذَاكَ الَّذِي فِي السُّوقِ مَوْلَى بَنَى بَدْرِ
وَأَرْسِلْ إِلَى التُّعْمَانِ وَابْنِ مُعْقِلٍ
وَصَهْرٍ بَنَى غَزْوَانَ إِنِّي لَذُو خُبْرٍ
وَشَبْلٍ هُنَاكَ الْمَالُ وَابْنُ مُحَرَّشٍ
وَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الرَّسَائِقِ ذَا ذِكْرِ
فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ يُصَدِّقُوكَ وَيُخْبِرُوا
أَحَادِيثَ هَذَا الْمَالِ ذِي الْعِلْمِ الدُّثْرِ ^(٣)
فَقَاسِمَهُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّهُمْ
سَيَرْضُونَ إِنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالشَّطْرِ

(١) الرساتيق السواد .

(٢) السراة السادة الاشراف .

(٣) الدثر المال الكثير .

وَلَا تَدْعُونِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي
 أَعِيبٌ وَلَكِنِّي أَرَى عَجَبَ الدَّهْرِ
 أَرَى الْخُورَ كَالْفُزْلَانِ وَالْيَيْضَ كَالدَّمَى ^(١) وَمَا لَيْسَ يُخَصَّى مِنْ قِرَامٍ ^(٢) وَمَنْ سَتَرَ
 وَمَنْ رِبْطَةً ^(٣) مَكْنُونَةٍ فِي حَبَائِهَا
 وَمِنْ حَيٍّ اسْتَارَ مُعْصَفَرَةً حُمْرٍ
 إِذَا التَّاجِرُ الدَّارِي جَاءَ بِفَأْرَةٍ ^(٤)
 مِنَ الْمَسْكِ رَاحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تُجْرِي
 نُؤُوبٌ ^(٥) إِذَا أَبَوْا وَنَغَزَوْا إِذَا غَزَوْا
 فَأَتَى بِهِمْ وَفَرَّ وَلَسْنَا ذَوِي وَفَرٍ

الحجاج الذي ذكره ، هو الحجاج بن عتيك الثقفي ، كان على الغزاة وجزء
 ابن معاوية ، عم الاحنف ، كان يلى السوق ، وبشر بن المحتضر المرى كان على جند
 نيسابور ، والنافعان نافع بن الحارث كان على غنائم الابل ، وأخوه نفيح أبو بكرة ،
 وابن غلاب خالد بن الحارث ابن أوس من بنى دهمان ، كان على بيت المال
 بأصبهان ، وعاصم بن قيس بن الصلت السلمى ، كان على المناذر وعلى الصدقة ،
 والذي فى السوق سمرة بن جندب ، كان على سوق الاهواز ، والنعمان بن عون بن
 فضلة من بنى عدى بن كعب ، وضمير بن غزوان ومجاشع بن مسعود ، وابن مغفل
 المزنى ، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(٦) ،
 وشبل بن معبد البجلي ، وابن محرش — هو أبو مريم أيباس ابن صبيح — كان على
 رام هرمز ، فلما قاسمهم عمر أموالهم أجاب الكلانى الحارث الغلابى .

(١) الدمى الصور المزينة فيها حمرة كالدّم .

(٢) القرام الستر الاحمر .

(٣) الربطة الملاعة اذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحدا .

(٤) الفأرة وعاء المسك .

(٥) نؤوب نرجع معا من الغزو .

(٦) سورة التوبة الآية — ٩١ .

أَبْلَغُ أَبَا الْمُخْتَارِ إِمَّا لَقِيَتْهُ
فَقَدْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِلَيْكَ وَذَا صِهْرٍ
فَمَا كَانَ مَالِي مِنْ جَبَايَةِ خَائِنٍ
فَتَجَعَلَنِي مِمَّا يُؤْلَفُ فِي الشَّعْرِ
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ رَكْبَةٍ
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ^(١)
وَصَبْرِي إِذَا حَادَ النَّجِيدُ^(٢) عَنِ الْوَعْيِ
وَأَمْرِي إِذَا حَادَ الْمُدَجَّجُ^(٣) بِالصَّبْرِ
فَإِنْ كُنْتُ لِلنُّصْحِ ابْتَغَيْتُ قَصِيدَةً
فَإِنَّ لَدَى اللَّهِ الْمَثُوبَةَ بِالْأَجْرِ
وَإِنْ كَانَ عَنْ بَعْضٍ وَفَرَطَ نَفَاسَةً
فَشَرُّ هِيَ الْحَوَاءُ^(٤) ذُو التَّيْرِبِ الْمُعْرِى^(٥)

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا ابن الأنباري قال : حدثنا محمد بن أحمد
المقدمي قال : حدثنا عبد الله بن شيب قال : حدثنا محمد بن معاوية عن عبد
الرحمن بن عبد الملك الانصاري — وكان جليسا لمالك ابن أنس — عن محمد بن أبي
بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : لما قلد عمر بن الخطاب عمرو بن العاص
على مصر ، بلغه انه قد ظهر له مال كثير ، من ناطق وصامت^(٦) فكتب اليه :

(١) المثقفة السمر هي الرماح المقومة المسواة .

(٢) النجيد هو الشجاع الماضي في مايعجز غيره .

(٣) المدجج الذي يلبس سلاحه كأنه يتغطى به .

(٤) الحواء من يجمع الحيات فكأنه يقول له : ان أردت بقصيدتك الفتنة فأنت كمن يجمع الحيات قد
يصيبه ضررها قبل غيره .

(٥) التيرب الشر والنميمة والمعري ما يصيب الانسان من العري كأن النميمة تكشف صاحبها وتعريه
للناس .

(٦) المراد بالمال الناطق ما فيه حياة كالخيل وغيرها والصامت كالعقارات ونحوها .

اما بعد : بلغنى ما ظهر لك من كثرة المال ، ولم يكن ذلك فى رزقك ، ولا كان لك مال قبل ذلك ، فأنى لك ذلك ؟ فوالله لو لم يهمنى فى ذات الله ، الا من اختان مال الله لكثير همى . وانتشر أمرى ، وقد كان عندى من المهاجرين الاولين من هو خير منك ، ولكنى قلدتك هذا الامر رجاء عنائك ، (١) فان كان ذاك لك ، فإننا لا نؤثرك على أنفسنا ، فاكتب الى : من أين لك هذا المال ؟ وعجل .

فكتب عمرو : أما بعد : فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لى من مال ، فانا قدمنا بلادا رخيصة الاسعار ، كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا فى الفضول التى اتصلت بأمر المؤمنين ، والله لو كانت جبايتك حراما ماجئتك ، وقد ائتمنتى ، (٢) فأقصر عنى كتابك ، فان لنا أحسابا اذا رجعنا إليها أغنتنا عن العمل مع مثلك ، وذكرت ان عندك من المهاجرين من هو خير منى ، فان كان ذاك فوالله ما دقت لك بابا ولا فتحت لك قفلا ، فكتب اليه عمر رضى الله عنه :

أما بعد : فإنى لست من تسطيرك الكتاب ، وتسقيفك (٣) الكلام فى شىء ، وأنتم معشر الامراء ، قعدتم على عيون الاموال ، ولن يعوزكم عذر ، وانما تأكلون النار ، وتؤثرون العار ، وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة فسلم اليه شطر ما فى يدك ، فصنع عمرو لمحمد طعاما فلم يأكل منه ، وقال : هذا مقدمة الشر ، لو جئتني بطعام الضيف لأكلت ، فنج عنى طعامك ، وأحضرنى مالك ، فأحضره ماله ، فجعل يأخذ شطره ، فلما رأى كثرة ما صار الى محمد قال : لعن الله زمانا كنت فيه عاملا لعمر ، فوالله لقد رأيت عمر وأباه ، على كل واحد منهما عباءة قطوانية ، (٤) لا تجاوز مآبض (٥) ركبتيه ، وعلى عنقه حزمة حطب ، والعاص بن

(١) رجاء عنائك أى راجيا جهدك فى تحمل الاعباء .

(٢) فى نسخة (والله لو كانت خيانتك حلالا ماخنتك وقد ائتمنتنى) .

(٣) هكذا وجدت فى الاصل ولعل المراد (وتثقيفك) بمعنى التقويم والتسوية وهى مستعارة من ثقف المرء أى قومه وسواه .

(٤) قطوانية أى منسوجة من القطن .

(٥) مآبض ركبته أى باطنهما .

وائل في مزراب الديباج ، ^(١) فقال محمد : أيها عنك ^(٢) فعمر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فانهما في النار ، ولولا ما سبقت اليه من الاسلام ، لألقيت معتقلا شاة ، يسرك عذرها ، ^(٣) ويسوؤك جمادها ، ^(٤) قال : صدقت فاكم على ، قال أفعل .

وأكثر ما كتب لك من هذه الاخبار فاني أكتبه من حفظي اذ حال بيني وبين الوصول الى مظانها من كتيبي ، استيلاء الضعف ، وقله المعين ، فان وجدت في بعض ألفاظها تغييرا فلا تنكر ، فاني قد أدت اليك المعاني وافية ، وصورتها في نفسك تصويرا صحيحا ، وما ألقيته من ألفاظها فانه لا يحتاج اليه في كشف أغراضها والتعبير عن صورتها ، فاذا انكشف لك المعنى فلا تبال بما القى من فضول اللفظ ، فقد خف عنك بالقائها مؤونة فضل الاستمتاع ، وفضل الحفظ ، وكثرة تحريك اليد بالكتابة ، ولكل كلام مقدار تقبله النفس ، ويعيه القلب فاذا جاوز ذلك تبرم به القارئ ، ونبا عنه سمع السامع ، وخير الامور أوسطها ، وأحبها الى النفوس أعدلها .

أول من انتقش على خاتم الخلافة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن الاسود بن شيبان قال : حدثنا خالد بن سمير قال : كان رجل يقال له معن بن زائدة ، انتقش على خاتم الخلافة ، فأصاب به خراجا من خراج الكوفة ، فبلغ عمر ذلك فكتب الى المغيرة ابن شعبة يعلمه أمره ، ويأمره ان يطيع فيه أمر رسوله ، فخرج المغيرة حتى وقف على معن ، وقال لرسول عمر : مرني بما شئت ، قال : اجعل في عنقه جامعه ، ^(٥) واحبس ، ففعل ، والسجن يومئذ من القصب ، ففرج القصب وخرج وركب ناقة ، حتى أتى عمر فقال : السلام عليك يا أمير

(١) الثوب الذي سداه ولحمته حرير .

(٢) هكذا وجدت في الأصل ولعل المراد خل عنك ولا داعي لهذا الكلام .

(٣) المراد الروث .

(٤) الشاة الجماد التي لالين لها .

(٥) القيد وقيل له جامعه لأنه يجمع اليدين الى العنق

المؤمنين قال : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال أنا معن بن زائدة ، قد جئتكم
تائباً ، قبل ان تقدر على ، قال : لا حياك الله ، فلما صلى الصبح استشار
الصحابه ، فقال بعضهم : اصلبه ، وقال بعضهم : أقطع يده ، فسأل علياً فقال :
كذب كذبة فعقوبته بشره ^(١) فضربه وحبسه مدة .

ثم سأل معن رجلاً يسأل فيه عمر ، فسأله فقال : ذكرتني الطعن ،
وكنت ناسياً ، ثم عاد به فضربه وحبسه طويلاً ، ^(٢) ثم قال : أكتب لنا مالك ؟
وأظن ان هذا أول ما صولح عليه رجل من جنابة جناها ، فأخذ شطر ماله ،
وكان بالمضييق بين مكة والمدينة ، فركب معن ناقته حين طلعت الشمس يوم
عرفة ، فانتهى الى عمر قبل المغرب ، فلما رجع عمر ، سأل عن ذلك ، فأخبره
بصدقه ، وكان عمر لما شاطره ماله اختار معن الذى فيه هذه الناقة ، فأراد معن
أن يعرف عمر أنه غبنه .

أول من ارتشى يرفاً حاجب عمر

قال المغيرة بن شعبة : ربما عرق الدرهم بيدى لادفعه الى يرفاً غلام عمر
ليسهل أذنى .

أخبرني أبى — رحمه الله — قال : حمل بعض أصحابنا الى بعض العمال
رقعة من شفاعه ، فردها ، وحمل أخرى ، فردها ، ولم يشفع لصاحبها ، فقال
له بعض ندماء العامل : نراك تحمل قرطاساً مطويّاً على مختلفات سود ، فترد
عن حاجتك ، فلو حملته ملونا على أشباه بيض لقضيت لك ، فحمل الرجل
دراهم ، فقضى حاجته .

المختلفات السود ، يعنى الحروف ، والاشباه البيض ، الدراهم ، قال

زهير :

(١) بشره المراد ضرب بشرته .

(٢) فى نسخة ثم دعا به فضربه وحبسه .

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ^(١) فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضَرَّسْ^(٢) بِأَثْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسِمٍ^(٣)

أول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز عمر (رضي الله عنه)

أخبرنا أبو القاسم باسناده على المدائني عن شيوخه قال : أجذبت الارض على عهد عمر فألقت الرعاة عصيها ، فتقاطرت البوادي^(٤) المدينة ، فاجتمع فيها خمسون ألفا ، فكان عمر — رضي الله عنه — يعولهم ، فكتب عمر الى عماله : الغوث الغوث ،^(٥) فحملوا اليه في البر والبحر ، وحمل بن العاص من مصر في بحر أيلة طعاما كثيرا ، وفي البر مثله ، فقال لابي عبيدة بن الجراح : مر به الى البادية ، واقسم الطعام فيهم ، وألبسهم الطروف ،^(٦) وانحر لهم الابل ، ففعل ، وأكلوا واحتملو اللحم والودك ،^(٧) وحلف عمر — رضي الله عنه — لا يأكل سمنا ولا لحما حتى يحيا الناس ، ثم كتب اليه عمرو بن العاص : ان الخلق لا يشبعهم الا الخالق ، فمر الناس فليستسقوا ، فقال كعب الاحبار : كانت بنو اسرائيل اذا أصابهم جذب ، استسقوا بعصبة^(٨) الانبياء : فمشى عمر الى العباس حتى صعد به المنبر ، فقال : اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا ، وصنو^(٩) أبيه ، فاسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين . وقال العباس : اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ، ولا تكشفه الا بتوبة ، وقد توجه القوم بي اليك لمكان نبيك ، وهذه أيدينا مبسوطة اليك بالتوبة من الذنوب ،

(١) صانعه أى داهنه وداراه ؟

(٢) يضرس بأثياب أى يعرض والمراد كثرة المصائب .

(٣) المنسم للابل كالظفر للانسان أو هو طرف خف البعير .

(٤) أى وفدوا على المدينة .

(٥) الغوث الغوث أى المعونة .

(٦) المراد بالطروف الثياب الجديدة المصنوعة من الخز ؟

(٧) الدسم من اللحم والشحم ؟

(٨) العصبة هم قوم الرجل الذين يتعصبون له .

(٩) الصنوان الخيلتان تخرجان من أصل واحد والمراد شقيق أبيه .

ونواصينا^(١) ذليلة لك ، فاسقنا الغيث ،^(٢) وانشر علينا رحمتك ، ولا تجعلنا من الخائين .

قال فأرخت السماء عزاليها بشآيب^(٣) المياه ، حتى استوت الحفر والآكام ،^(٤) فقال عمر : هذه والله الوسيلة ، فى كلام هذا معناه .

أول من احتبس فى الاسلام صدقة عمر (رضى الله عنه)

أخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا الجوهري قال : حدثنا أبو زيد قال : حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدي عن عتبة بن جيرة عن الحصين بن عبد الرحمن عن عمر بن سعيد بن معاذ قال : قالت الانصار : أول ما احتبس فى الاسلام صدقة عمر ، كان له مال يقال له ثمنغ ،^(٥) فجاء الى رسول الله — ﷺ — فقال : لى مال وأنا أحبه ، فقال : احبس أصله وسبل ثمره ، ففعل ، وقال الواقدي : عن رجاله ، ثمنغ أول مال تصدق به فى الاسلام ، فى كلام هذا معناه .

أول من أعال الفرائض عمر

قال ابن عباس : أول من أعالها^(٦) عمر — رضى الله عنه — قال : لما التوت الفرائض ، فدافع بعضها بعضا ، قال : والله مأدرى ، أيكم قدم الله ،

(١) الناصية مقدم الرأس أو الشعر النابت فى مقدم الرأس والمراد اظهار الخضوع لله عز وجل .

(٢) الغيث المطر .

(٣) شآيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والمراد أمطرت السماء حتى عم المطر الأرض .

(٤) الآكام الامكنة المرتفعة عما حولها .

(٥) فى العدة على العملة للمقدسى ص ٢٨٠ ان هذا المال أرض بخير قال : روى عبد الله بن عمر قال : أصاب عمر أرضا بخير فأتى النبي يستأمره الخ . والحديث متفق عليه .

(٦) العول هو زيادة اسهم الفريضة ويترتب على ذلك نقصان حق أهل الفرائض مثل أن يترك الميت اثني عشر جنيها وورثته زوجة وأم وخمس شقيقات للزوج الربع ثلاثة ولام السدس اثنان وللأخوات الثلاث ثمانية فيكون المجموع ثلاثة عشر ، وحينئذ تزيد الأسهم على التركة ويترتب على ذلك نقصان حق كل واحد لزيادة الأسهم .

وأیکم آخر ؟ — وكان امرأ ورعا — فقال : ما أجد لی شیئا من ان اقسام المال بینهم بالحصص ، وأدخل علی کل ذی حق ما دخل علیه عول الفریضة .

وروی ان العباس أول من أشار علی عمر بذلك ، وكان ابن عباس لا یرى العول ، ویقول : وایم الله لو قدم من قدم ، وآخر من آخر ، ما عالت فریضة فقیل : وأیها التی قدم الله ، وأیها التی آخر ؟ قال : کل من لم یزل عن فریضة إلا إلی فریضة فهی التی قدم ، وکل من إذا زال عن فریضة لم یکن له إلا ما بقی فهی مما آخر ، فأما التی قدم ، فالزوج والزوجة والام ، لانهم لا یزالون عن فرض الا إلی فرض ، والبنات والاحوات یزلن عن فرض إلی تعصیب مع البنین ، والاحوة ، فیکون لهن ما بقی مع الذکور ، فیبداً بأصحاب السهام ثم یدخل الضرر علی الباقین ، وهم الذین یرتفعون ما بقی اذا كانوا عصبه .

أول من أخذ زكاة الخیل عمر (رضی الله عنه)

أتی بفرس تباع بمائة قلووس^(١) فقال : ما ظننت ان أثمان الخیل تبلغ هذا المبلغ ، وأخبر أن بالشام خیلا سائمة ،^(٢) فأمر بأخذ الصدقة منها ، وبناءه علی قول رسول الله — ﷺ — وقد ذکر الخیل « خلوا حق الله فیها » قال أبو حنیفة : فأما قول رسول الله : عفوت لکم عن الخیل والرقیق ، فانما أراد الخیل التی تتخذ للركوب ، دون السائمة ، وفي السائمة الصدقة : كما یقول مخالفنا : انما أراد الرقیق الذی یتخذ للخدمة ، دون الذی یشترى للتجارة ، وفي الذی یشترى للتجارة الزكاة ، وكلا اللفظین خاص :

أول من اقطع القطائع عثمان (رضی الله عنه)

أخبرنا أبو القاسم عن العقدی عن أبی جعفر عن المدائنی وعن أبی جعفر

(١) القلووس الناقة الشابة الطويلة القوائم .

(٢) الخیل السائمة هی التی ترعى ما یرج من الأرض .

ايضا عن الحسين بن الاسود ^(١) يحيى بن آدم عن اسرائيل عن جابر وعن
العقدى أيضا وعن هؤلاء قالوا : أول من أقطع الارضين عثمان ، ولم يقطع
النبي (ﷺ) ولا أبو بكر ولا عمر ولا علي — رضى الله عنهم — ^(٢) فاقطع
الاشعث طيزنا باد ، ^(٣) وعدى بن حاتم الروحاء ، قال أبو هلال : قد روى ان
النبي (ﷺ) أقطع قطائع ، فاقتدى عثمان به فى ذلك ، وأقطع خباب بن الارت
وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد والزبير واقطع طلحة أجمة الجوف ^(٤) —
وهو موضع الناسيح — ^(٥) وكتب الى سعيد ابن العاص ، وهو بالكوفة ان
ينفذها له ، فكتب اليه ان طرفا لها فى البحر وآخر فى البر ، فجعل لطلحة —
وهو كاتب عثمان — أرضا ونهرا كانا له ، فكتب الى سعيد ، ويحك أنفذها !
فانى أتخوف عليك ، ففعل فى كلام هذا معناه .

أول من حمى الحمى عثمان

أخبر أبو القاسم بن سيران — رحمه الله — قال : أخبرنا الجوهري عن
أبى زيد عن عمر بن سعيد الدمشقى عن أبيه قال : انى لفى المنزل ، إذا أنا
برسول عثمان يدعوا أبى ، فقام فلبس ثوبه ، فانطلق وانطلقت معه ، فاذا عثمان
جالس وعنده المهاجرون ، وعيون الانصار ، فتكلم ، فعلمت أنه ليس
بمجلسى ، فتنحيث ، فقال : إنكم نقمتم على رجال استعملتهم هذه الاعمال

(١) هكذا جاءت فى الأصل ولعل (عن) سقطت من الناسخ .

(٢) فى الخراج لأبى يوسف ص ٦٢ قال : جاءت هذه الآثار بأن النبى أقطع أقواما ، وإن الخلفاء من بعده أقطعوا
ورأى رسول الله الصلاح فيما فعل من ذلك اذ كان فيه تألف على الاسلام وعمارة الأرض .

(٣) موضع بين الكوفة والقادسية بينها وبين القادسية ميل فى المعجم كانت اقطاعا للأشعث بن قيس بين
عمر بن الخطاب ج ٦ ص ٧٩ .

(٤) الاجمة الشجر الكثير الملتف .

(٥) هكذا وجدتها فى الأصل ولم أعثر لها على معنى والمراد « موضع الناسيح » كما جاء فى الطبرى ج
٥ ص ٦٤ .

فولوها من رأيتم ، ونقمتم على الحمى ، ^(١) واني نظرت فعلمت ان المسلمين لا يستغنون عن ابل تكون معدة للنائية تنوب ، ولامر يحدث ، فحميت الحمى ، واني أشهدكم أني قد أبحتة ، ونقمتم على أني آويت الحكم بن أبي العاص ، وكان النبي — ﷺ — يقبل توبة الكافر ، وان الحكم تاب ، فقبلت توبته ، ولو كان بينه وبين ابى بكر وعمر من الرحم ما بينى وبينه لآويه ، ونقمتم على أني أعطيت من مال الله ، والله ما أخذت من مال الله درهما واحدا ، أكذاك ياطلحة ؟ قال نعم .

وذلك في قدمة قدمها معاوية ، وهو حاضر ، فقال : يامعشر المهاجرين ، قد علمتم أنه ليس منكم رجل الا وقد كان في قومه من يقطع الامور عليه ، حتى بعث الله رسوله ، فسبقتم اليه ، وابطأوا عنه ، فسدتم عشائركم ، حتى أنه ليقال بنو فلان ورهط فلان ، وان هذا الامر فيكم ما استقمتم ، فإن تركتم شيخنا هذا يموت على فراشه والا دخل فيكم غيركم ، فقال على : — عليه السلام — ما أنت وذاك ياابن اللخناء ؟ فقال معاوية : مهلا أبا الحسن عن ذكر أمي ، وكانت بأحسن نسائككم ، ولقد أسلمت فأت رسول الله — ﷺ — فبايعت ، فصافحها ، وما رأيته صافح امرأة غيرها ، فقام على ليخرج مغضبا ، فقال عثمان : اجلس فقال : لا أجلس ، فقال : عزمت عليك لتجلسن ، فأبى وولى ، وأخذ عثمان بطرف رداءه ، فترك الرداء وخرج ، فاتبعه عثمان بصره ، فقال : والله لا تصل اليك ولا الى أحد من ولدك ، قال : فتعجبت في نفسي مما آلى عثمان ، ^(٢) فذكرته لسعد بن أبي وقاص ، فقال : لا تعجب فإنني سمعت رسول الله — ﷺ — يقول : ليست لعلى ، ولا لاحد من ولده ، فاني لفي المسجد يوما وعلى وطلحة والزبير جلوس ، اذ طلع معاوية ، فتواصوا

(١) الحمى ما يحمي ويدافع عنه والمراد الارض التي يجعلها الامام خاصة للابل لاتباع ولا توهب ولا يرعاها إلا ابل الدولة .

(٢) اللخناء مؤنث ألخن وهي المرأة تكون منتنة المغاين أى الأجزاء المطوية في الجسم .

(٣) الأيلاء الحلف

بينهم الا يوسعوا له ، فجلس بين أيديهم ، ثم قال : أتسمعون ؟ والله لئن لم تتركوا شيخكم هذا يموت على فراشه ، لا أعطيكم الا السيف ، ثم قام فخرج ، فقال على : كنت أحسب عند هذا شيئا ، فقال طلحة : قاتله الله ! لقد رمى غرضه ، وما سمعت كلمة أملاً لصدرك منها .

أول من خلق المسجد وأول من خفض صوته بالتكبيره وأمر بالنداء

الثالث

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن محمد بن الصباح عن اسماعيل بن زكريا عن عاصم بن أبي مخلد قال : أول من خفض صوته بالتكبير عثمان ، لضعفه ، فلما كان من أمر علي — عليه السلام — ما كان رفع صوته به ، فقال عمران او عمار : لقد ذكرنا هذا شيئا نسيناه من سنة نبينا — عليه الصلاة والسلام — .

وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن ميمون بن الاصبغ عن الحكم بن نافع عن شعيب بن أبي حمراه عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : جاء عبد الله بن زيد الى النبي فأخبره بما رأى في التأذين ، ^(١) فوجد النبي — ﷺ — قد أمر به ، وكان بلال يؤذن بإقامة الصلاة ، فتقدم اليه بالتأذين قبل الاقامة ، ثم جاء بلال في الفجر — والنبي ﷺ نائم — فزاد ، الصلاة خير من النوم ، وأقرت في تأذين الغداة ، ^(٢) فجرى الامر فيه الى أيام عثمان — رضي الله عنه — فكبر ^(٣) الناس ، فأمر بتأذين الجمعة الثالث ، فثبتت ، وأمر بتخليق المسجد ^(٤) ورزق المؤذنين ، وهو أول من فعل ذلك قال الحسن : انما كان أذان وإقامة والأذان اذا خرج الامام محدث ، في كلام هذا معناه .

(١) المراد الآذان .

(٢) المراد صلاة الصبح .

(٣) هكذا في الأصل ولعل المراد كثر الناس .

(٤) تخليق المسجد تطيبه وهو ضرب يضرب من الطيب أعظم أجراته الزعفران .

أول من أرتج عليه في الخطبة عثمان (رضى الله عنه)

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن علي بن مجاهد عن الاعمش عن يزيد بن حصين عن أبي العالية قال : اتخذ لرسول الله ﷺ — منبرا ثلاث مراق ، وكان يقوم الى أعلاه ، فلما توفي ، قام أبو بكر دون مقامه ، وقام عمر دون مقام أبي بكر ، فلما بويع عثمان قام مقام رسول الله ﷺ — ، فقال سلمان : اليوم ولد الشر ، قال : فلما استوى في أعلاه ، نظر في وجوه الناس ، ووجم ^(١) فأحف ^(٢) وصلى على رسول الله ﷺ فأوجز ، ثم قال : أيها الناس ، ان اللذين تقدماني ، يعدان لهذا الموقف كلاما ، وأنتم الى إمام عادل ، أحوج منكم الى إمام قائل ، وستأتيكم الخطبة على وجهها ، ثم نزل ، قالوا : فأنكر على عثمان قيامه حيث قام النبي ، ولم ينكر على أبي بكر وعمر قيامهما في مصلاه ، ولو وقف عثمان دون مقامهما ، لصار نزول كل إمام عن مقام من تقدمه سنة ، وذكر لبعض الامراء صنيع عثمان هذا ، فقال له بعض المخانيث : ^(٣) أشكره يا أمير المؤمنين ، فلولاه كنت الآن تخطب في بئر .

أول من قدم الخطبة في صلاة العيدين عثمان

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن يزيد بن هارون عن حميد وعن غير هؤلاء قال حميد : قلت للحسن : من صلى بعد الخطبة ؟ قال : عثمان ، صلى ثم خطب ، فرأى كثيرا من الناس يذهبون ، فخطب ثم صلى ، وقال : لا بأس أن تؤخر الصلاة حتى نتكلم بحاجتنا ، وكان النبي ﷺ — وأبو بكر وعمر وعثمان صدرا من خلافته ، يصلون ثم يخطبون ، وقد روى خلاف ذلك .

(١) وجم أى سكت وعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف .

(٢) هكنا فى الاصل ولعلها « فأخف » أى قصر وقلل .

(٣) المخانيث جمع مخنث وهو الرجل كثير التثني والتكسر فهو على صورة الرجال وأحوال النساء .

حدثنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : أول من قدم الخطبة قبل الصلاة مروان ، فقام إليه رجل فقال : يا مروان ، انك قد خالفت السنة فقال : ان ذلك قد ترك . فقال أبو سعيد الخدري : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت النبي ﷺ — يقول : من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليفعله ، والا فليسلنه ، والا فليقلبه ، وذلك أضعف الايمان ، وقد روى هذا المعنى من وجوه آخر تركناها كراهة الإطالة .

أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم عثمان

خطب في شهر رمضان فقال : أيها الناس ، هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليقضه ، وليترك ما بقي ، قال أبو يوسف : لما جعل عثمان إخراج الزكاة إلى أرباب الأموال ، سقط حقه من الأصل ، فليس لخليفة بعده أن يطالبهم به ، وليس ذلك كصدقة المواشي ، لان أرباب الأموال يحفظون أموالهم تحت أيديهم ، وحفظ الصحاري على الامام ، قال : ولهذا نصب عمر العشارين^(١) لما كثرت الفتوح ، وتصرفت التجارة في البلدان ، ليأخذوا زكاة ما يمر بهم من أموال التجار ، ويعتبروا الانصاب والحوال ، ولا يأخذوا ممن عليه دين ، ولا من مال الصبي ، وذلك لان حماية الطرقات وما تحتوى عليه ، انما تلزم الامام ، وقال محمد بن الحسن : بل جعل عثمان القبض في الأصل للامام ، وعلى هذا القياس ، يجوز أن يعزل الامام بعد عثمان أرباب الأموال عن ذلك ، كما للموكل أن يعزل الوكيل ، وكما أنه إن جعل القبض إلى مصدق بعينه كان له عزله ، والصحيح قول أبي يوسف : لان ذلك العقد لو كان كالوكالة لانفسخ عند موت عثمان ، لان الوكيل ينعزل عند موت الموكل ، وانما كان ذلك كسائر ما عقده عمر مما لا يجوز حله لاحد .

(١) هم الذين يأخذون العشر من الأموال التي تجب فيها الزكاة .

أول ما وقع الخلاف

أول ما وقع الاختلاف من الامة فخطأ بعضهم بعضا حين نقموا على عثمان
أشياء نحن ذاكروها

وكان اختلافهم قبل ذلك فى الفقه ولم يكن اختلافا يخطئ فيه بعضهم بعضا . فمما نقموا^(١) أمر عبيد الله بن عمر ، أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن نصر بن أبي جمعة عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عمر وعن المدائني عن علي بن مجاهد عن حميد بن البحتري عن الشعبي ويزيد ابن عياض وسليمان بن أرقم عن الزهري عن سعيد ابن المسيب قالوا : قال عبد الرحمن بن أبي بكر : مررت بالهرمزان وجفينة وأبو لؤلؤة وهم نجى ،^(٢) وذلك قبل أن يطعن عمر ، فلما بغتهم ، تاروا^(٣) وسقط من بينهم خنجر لها رأسان ، قال : وهو الخنجر الذى أصيب به عمر — رضى الله عنه — فدعا عبيد الله الهرمزان وأدخله الى مربد ،^(٤) وقال : انظر الى فرس عندى ، فقال : لا اله الا الله فقتله وواراه ، وأرسل الى جفينة — وكان نصرانيا — وأدخله المربد وضربه ، فلما وجد مس السيف ، خر وصلب^(٥) على الأرض صلبا وسجد ، ثم خرج فقتل امرأة أبي لؤلؤة وبناتا له وابنا له صغيرا ، فأخذ وحبس — وذلك فى اليوم الثانى من موت عمر — فلما قام عثمان ، استشار فى أمره ، فقال عمرو بن العاص : دماء سفكت فى غير ولايتك ، فاجعلها دية ، فأخذ منه خمس ديات وخلق سبيله ، وأنكر على — عليه السلام — ذلك ، ورأى قتله ، فلما ولى خافه عبيد الله ،

(١) أى أنكروا .

(٢) النجى السر والمراد وهم يتسارون .

(٣) فى القاموس التوار الجريان .

(٤) المربد محبس الابل وماشاكلها .

(٥) أى رسم الصليب على الأرض .

فقدم الكوفة ، وسأل الاشتر أن يأخذ له أماناً من علي ، فأبى ، وقال : ان رأيته لاقتلته بالهرمزان فلحق بمعاوية ، فقال معاوية : الحمد لله الذى جعلنى أطلب بدم عثمان ، وجعل علياً يطلب بدم الهرمزان ، فقال زياد بن يياضة .

أَبَا عَمْرٍو عُيَيْدَ اللَّهِ زَهْنٌ وَلَا تُشْكِكَ بِقَتْلِ الْهُرْمَزَانِ
أَبَا عَمْرٍو حَكَمْتَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَمَا لَكَ بِأَلْتِي حَدَّثْتَ يَدَانِ

وشهد عبيد الله صفيين مع معاوية ، وقد أعلم بجلاجل علقها فى أعناق خيله ، وهو أول من فعل ذلك ، فقتل بصفيين .

ونقموا عليه أمر المنبر وقد ذكرناه .

وأمر الحكم بن أبى العاص . أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر عن المدائنى عن أبى معشر عن عبد الله بن أبى فروة وعن غير هؤلاء قالوا : كان الحكم بن أبى العاص يهزأ برسول الله — ﷺ — وإذا صلى قام خلفه وأشار بأصبعه ، فاطلع يوماً فى حجرة النبى : فقام إليه النبى — عليه الصلاة والسلام — يعيره ، ^(١) فرجع الحكم ، فقال النبى : من يعذرني من هذه الوزغة ؟ ^(٢) تطلع على فى بيتى ، لو أدركته لفقأت عينه ، فسيره الى الطائف ، فلما قام أبو بكر سأله عثمان رده فأبى ، ثم سأل ذلك عمر فأبى ، فلما قام عثمان رده ، وقال : كنت سألت رسول الله أن يرده فوعدنى ، فلما وليت رددته ، ولو كان بين أبى بكر وعمر من القرابة ما بينى وبينه لآوياه .

وخمس أفريقية . أخبرنا أبو القاسم بإسناده عن المدائنى عن عيسى بن يزيد ويزيد بن عياض عن جعفر عن عبد الرحمن بن المسور : أن مروان بن الحكم بنى داراً ، وصنع طعاماً ، ودعا الناس ، وقال : والله ما أعاننى فى بناء

(١) غيره أى نسب اليه العار وقبحه .

(٢) الوزغة ضرب من الرحافات وهذا هو ماجاء فى الأصل ولعل الناقل أخطأ والمناسب « من يعذرني من هذا الوزغ » والوزغ هو الرجل الجبان .

دارى أحد ! فقال المسور : أقبل على طعامك ولا تحلف ، قال : أو تقول غير ذلك ؟ قال نعم وان ذكرته غضبت ، قال : فاذكره ، قال : غزونا أفريقية سنة سبع وعشرين ، فما كنت أنقانا حسبا ، ولا أكرمنا فعلا ، ولا أكثرنا مالا ، ثم حضرنا القتال ، فما كنت أشدنا قلبا ، ولا أشجعنا لقاء ، ولا أعظمنا غناء ، ففتح الله على المسلمين ، فاشتريت خمس أفريقية ، وقدمت على ابن عمك عثمان بشيرا ، فوهبه لك ، واتخذت أموالك ، وبنيت دارك ، وأصلحت شأنك ، قال : ألم أقل لك انك حسود ؟ قال ألم أقل لك انك تغضب ؟ وقالوا : اشترى مروان خمس افريقية ، وقيمته أربعمئة ألف دينار ، بمائة ألف دينار ، من عبد الله بن أبي السرح ، فلما قدم المدينة ، أدى بعضه ، ووهب له عثمان الباقي .

وأمر المصاحف وأمر الحمى وقد ذكرناهما .^(١)

وأمر ابن أبي وقاص والوليد . أخبرنا أبو القاسم بإسناده عن المدائني عن علي بن مجاهد عن أبي اسحاق قالوا : أوصى عمر فقال : من ولي بعدى من المسلمين فليول البصرة أبا موسى أربع سنين ، وليستعمل سعدا على الكوفة ، فولى عثمان سعدا تكملة سنة ، ثم عزله ، وبعث الوليد بن عقبة ، فكان يشرب ويلعب ، فقال عمرو بن زرارة : عزل عثمان عنا ابن أبي وقاص ، الهين اللين السهل القريب الحسن البلاء فى الاسلام ، واستعمل أخاه الاحمق الفاجر ، فكتب الوليد الى عثمان يشكوه ، فكتب اليه : وما لعمرو بن زرارة والانزاع والتأمر ،^(٢) انما ذلك الى المهاجرين الاولين من قريش ، وانما عمرو أعرايى جلف جاف ، فاتق الله فيما وليت ، وانصر الضعيف ، وخف الله فى السر والعلانية ، قالوا : فلما قدم الوليد الكوفة ، قال له سعد : احمقنا بعدك أبا وهب ام كيست^(٣) بعدنا ؟ فقال : فكل ذلك لم يكن ، ولكنه سلطان القوم ، يضعونه

(١) لعل المراد بأمر المصاحف جمع الناس على مصحف واحد وإحراق باقيها .

(٢) المراد نزع الولاة وتوليتهن .

(٣) الحمق قلة العقل أو فساد فيه والكيس العقل والظرف والفتنة .

حيث يحبون ، فقال سعد متمثلاً :

خُذْنِي فَجُرِّبْنِي ضِيَاعُ وَأَبْشِرِي
بِلُحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرَةَ

وأنكروا عليه ضربه الرجل الذي شهد على الوليد بالخم .

أخبرنا أبو القاسم بإسناده عن المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر
الوراق قال : قدم رجل المدينة فقال لعثمان : اني صليت الغداة خلف الوليد ،
فالتفت الينا بعدما صلى ، وأنا أجد ريح الخمر ، فقال : أزيدكم ؟ إني أجد
نشاطا ، فأمر به عثمان فضرب ، فقالت الناس : عطلت الحدود ، وضربت
الشهود ، وقال الحطيئة يذكر صنيع الوليد :

شَهِدَ الْحُطَيْئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ
أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ
فَنَزَعْتَ مَكْذُوباً عَلَيْكَ وَلَمْ
تُزِدْ إِلَى عَوْرِ وَلَا فَقْرٍ
وَرَأَوْا سِمَاتِكَ مَاجِداً ^(١) مُتَبَرِّعاً
أَعْطَى عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ
نَادَى وَقَدْ كَمَلْتَ صَلَاتَهُمْ
أَزِيدُكُمْ ثِمَلاً ^(٢) وَلَا يَذَرِي
لِيَزِيدَهُمْ خَيْراً وَلَوْ قَبِلُوا
لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَثْرِ
وَأَبَوْا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ قَبِلُوا
زَادَتْ صَلَاتُهُمْ عَلَى عَشْرِ

(١) الماجد ذو المجد أو صاحب الخلق الحسن .

(٢) الثمل السكران .

كُفُّوا عَنَّاكَ^(١) إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكُّوْا عَنَّاكَ لَمْ تَزَلْ تُجْرِي

وأمر ابن مسعود . أخبرنا أبو القاسم باسناده عن المدائني عن بشر بن عاصم عن الاعمش عن عبد الله بن سنان الاشعري وعن المدائني عن محمد بن الفضل عن يزيد بن أبي زياد عن المسيب بن رافع وعن غير هؤلاء قال عبد الله بن سنان : خرج علينا عبد الله بن مسعود ، فقال : فقدت من بيت مالكم مالا ، لم يكتب به براءة ،^(٢) ولم يأتني فيه أمر أمير المؤمنين ، فكتب الوليد ابن عقبة الى عثمان يشكوه ، فعزله من بيت المال ، قال : فيينا الوليد يخطب ، نهض عبد الله فصلى ، فقال الوليد : أذاك في هذا أمر أمير المؤمنين أم ابتدعت ؟ قال : لم يأتني فيه أمره وما ابتدعت ولكن أرى الله أن ينظرك بصلاتنا وأنت تلعب ، فكتب عثمان في حمله الى المدينة ، فخرج ، فقال عثمان : يأتكم ذؤيبه ،^(٣) فلا تسلمح^(٤) على شيء ، فيأكل منه الا مات ، فلما قدم عاتبه ، وأحرمه عطاءه ثلاث سنين ، فلما حضرته الوفاة ، حمله اليه ، فقال : حرمتيه حين ينفعني ، وتعطينه حين لا ينفعني ؟ ورده وأوصى الى الزبير أن يصلي عليه ، فلما مات صلى عليه ، فعاتبه عثمان ، وقال : لهمت أن أنبشه^(٥) واصلي عليه ، فقال الزبير : لو رمت ذلك لحيل بينك وبينه ، فوقف على قبره ، وترحم عليه ، وحمل عطاءه الى ولده ، فقال الزبير :

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي^(٦)
وَفِي حَيَاتِي مَا زُوْدْتُنِي زَادًا

(١) العنان سير اللجام للفرس .

(٢) البراءة كتاب الابرء من الدين والمراد أنه ليس لديه ما يثبت جهة صرفه .

(٣) هكلنا جاءت في الأصل ولعل المراد دويبه تصغير دابة لينسجم الكلام .

(٤) سلح عليه تغوط وهي تستعمل للطيور والبهائم .

(٥) أنبشه أى أكشفه واستخرجه .

(٦) ندب الميت أى بكاه وعدد محاسنه .

وأمر قصره طمار وما جرى فيه بينه وبين عبد الرحمن ابن عوف أخبرنا أبو القاسم العقدي عن أبي جعفر قال : قال أبو يعقوب السروي : بنى عثمان قصره طمار أو الزوراء ، وصنع طعاماً ، ودعا الناس ، فحضروا ، فلما نظر عبد الرحمن الى بنائه قال : يا ابن عفان . قد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، واني أستغفر الله من يبعثك ، فغضب عثمان ، وقال عبد الله بن العباس : كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، فمرض عبد الرحمن ، فعاده عثمان ، فكلمه ، فلم يكلمه حتى مات .

وأمر عبادة بن الصامت أخبرنا أبو القاسم بإسناده عن المدائني عن أبي معشر عن محمد بن كعب عن بريك الاسلمي قال : مر بعبادة بن الصامت غير تحمل الخمر من الشام ، فقال : أزيث هذا ؟ قالوا لا . بل خمر تباع لمعاوية ، فأخذ شفرة فشق الروايا ^(١) فشكاه معاوية الى أبي هريرة ، فقال له : أبو هريرة مالك ولمعاوية ؟ لم ما تحمل ، ان الله يقول : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ^(٢) فقال : يا أبا هريرة انك لم تكن معنا اذ بايعنا رسول الله ﷺ — ، بايعناه على السمع والطاعة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، نمنعه مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا ، ولنا الجنة ، فمن وفى بها الله وفى الله له أجره ، ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ^(٣) فكتب معاوية الى عثمان : يشكوه فحملة الى المدينة ، فلما دخل عليه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيلي أموركم رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله » وعبادة يشهد أن معاوية منهم ، فلم يراجعه عثمان .

(١) الروايا هكذا جاءت ولعل المراد الأروية وهي جمع رواء وهو الحبل الذي تشد به الامتعة على الدابة ونحوها .

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٤) .

(٣) سورة الفتح الآية ١٠ .

وايثاره بنى أمية ، أخبرنا أبو القاسم باسناده عن المدائني عن علي بن مجاهد عن معمر عن الزهري وعن غيرهم قال : تزوج سعيد بن العاص أم البنين بنت الحكم ، فأعانه عثمان بأربعين ألفا ، فهلك ، فتزوج أم عمرو بنت عثمان ، فأعطاه مالا من بيت المال ، وأمر عبد الله بن الأرقم أن يكتب عليه حتى يرد ، فلم يفعل ، وأنكح الحارث بن أبي الحكم ابنته عائشة ، ومروان ابنته أم أبان ، وعبد الله بن خالد ابن أسيد ابنته أم سعيد ، وأعطاهم أموالا من بيت المال ، وأخبرنا أبو القاسم باسناده عن المدائني عن سويد ابن أبي حاتم عن قتادة قال : أمر عثمان للحكم ابن أبي العاص بمائة ألف درهم ، ولأبي سفيان بمثلها ، ولمروان بمائتي ألف ، فجاء عبد الله بن الأرقم بمفاتيح بيت المال ، فوضعها بين يدي عثمان ، وبكى ، فقال : ما يبكيك إن وصلت رحمي ؟ فقال : لعلك جعلت هذا عوضا عما أنفقت في سبيل الله ، لو أعطيت مروان مائتي درهم لكان كثيرا ، وقال عثمان : ألق مفاتيحك يا ابن الأرقم فانا سنجد غيرك .

ومثله أمر أبي موسى ، أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن شريك عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال : قدم أبو موسى على عثمان بمال من العراق ، فأخذ منه غلام من آل عثمان قبضة ، فقال عثمان : اذهب بها . وقالوا : بل قسمه بين أقاربه ، فبكى أبو موسى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال قدمت على عمر بمال في العام الأول ، فتناول منه صبي درهما ، فأخذه عمر فردّه الى موضعه ، فقال : إن أبا بكر وعمر منعنا أرحامهما لله ، وأنا أصل رحمي لله .

وأطعمه الحارث بن الحكم سوق المدينة : أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر بن محمد بن معاوية النيسابوري عن عبد الله بن جعفر عن شريك عن عطاء بن يسار ، وأخبرنا أيضا عن أبي جعفر عن المدائني عن إبراهيم بن محمد عن حدث عن عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال : قال عطاء : جاء

النبي — ﷺ — الى سوق المدينة فقال : ان سوقكم هذا لا يضيق ، ولا يؤخذ منه خراج او غلة ، ^(١) قال عيسى ابن طلحة : فأطعمه عثمان الحارث بن الحكم ، فأنكر الناس ذلك ، فخطبهم وقال : ان الله أمر بصلة الرحم ، ان أبا بكر وعمر رأيا رأيا ، لا نقول انهما أخطأ ، رأيا ان يمنعا المال أقاربهما ، فلما وليت كان لى قرابتان ، أقل قومهم مالا ، بهم حاجة ، فرأيت أن أصلهم ، فأعطيت مروان خمس أرمينية ، فبلغ خمسة عشر ألف درهم ، وجعلت الحارث على السوق ، يأخذ كل يوم درهمين ، ولعله لا ينقلب الا بدرهم ، وكان امراً ذا حاجة ، وزوجت عبد الله بن خالد بن أسيد ، — وكان من أقل قريش مالا — فصنعت شيئا وان رأيتم ذا سرفا وخطأ فخنوه ، فقد عرفتم مكانه ، وإن لم يكن سرفا فقيم النكير ؟

وأمر أبي ذر . قال أصحابنا : ان أبا ذر كان يذهب الى أن المسلم لا ينبغي أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه ، إلا شيئا ينفقه في سبيل الله ، او يعده لغريم ، ويتأول على ذلك قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ ^(٢) الآية قالوا : فاختار الخروج الى الرَبْذَةِ ^(٣) زهدا منه فيما في أيدي الناس ، وكذلك روى عن الحسن ، ومما يصدق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن اسحاق بن اذريس بن بكار أن عبيد الله بن العباس قال : كان أبو ذر يقول : لا يبيتن في بيت أحدكم دينار ولا درهم ولا ذهب ولا فضة الا شيئا ينفقه في سبيل الله ، أو يعده لغريم ، ^(٤) فبعث اليه معاوية جنح ^(٥) الليل ألف دينار ، أراد أن يخالف قوله فعله ، فلما جاءته قسمها ، فلم يصبح وعنده منها دينار واحد ، فقال معاوية للرسول : انطلق الى أبي ذر وقل له :

(١) المراد لا يؤخذ منه مال كالضريبة المعروفة في هذه الأيام .

(٢) سورة التوبة الآية (٣٤) .

(٣) من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق .

(٤) الغريم هو الدائن أو المدين أو الخصم .

(٥) جنح الليل طائفة منه والمراد أنه أرسل اليه بعد مضي جزء من الليل .

أرسلنى الى غيرك فأخطأت بك ، فقال أبو ذر : قل له : ما أصبح عندنا من دنائيرك دينار واحد ، فان أخذتنا بها ، فأنظرنا نجتمعها لك ، فلما رأى معاوية ان قوله يصدقه فعله ، كتب الى عثمان : ان كان لك حاجة فى الشام فأرسل الى أبى ذر ، فقد أوغر^(١) قلوب الناس ، فكتب اليه ألحق بى .

وقد روى خلاف ما تقدم ذكره من خروجه الى الربرة من تلقاء نفسه . أخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن أبى الحسن عن أبى عبد الرحمن العجلانى وعيسى بن يزيد قالا : أنبأنا بعض أهل العلم ، عن رجل من بنى غفار قال : بينا أنا عند معاوية أحدثه ، غضب ، ولم أر شيئا أغضبه ، ثم قال لرجل : عجل على أبى ذر ، فلم ألبث ان طلع ، فاذا رجل طويل مشتمل^(٢) بكساء ، فما سلم حتى جلس ، فقال : يا معاوية ، لم بعثت الى ؟ قال : بلغنى أنك تطعن فى أمير المؤمنين عثمان ، وهو إمامك ، قال : هو طعن على نفسه ، قال : أما والله لولا ان أبده^(٣) — او لفظ هذا معناه — أمير المؤمنين بما لا أدرى ، أيوافقه أم لا ؟ لكنت أول أصحاب رسول الله ﷺ — أضرب عنقه ، قال : قاتلك الله يا معاوية ! تراقب عثمان ولا تراقب الله ؟ الا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ؟ فاسترخت عينا معاوية وأذناه ، وقال : حدثنى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ — يقول : « ويح^(٤) أمتى من أعين الامى ، يراوح بين منكبيه ،^(٥) يخرج بمن اتبعه من أهله حتى يوردهم نار جهنم ، فسيرتطم ويرتطمون^(٦) » كانك هو ولا أدرى ، فقام معاوية ، فدخل ، وخرج أبو ذر ، فلحقته ، فسلمت عليه ، فتجهمنى^(٧) ، فانتسبت له ، فرد على السلام ،

(١) أى أوقد قلوبهم من الغيظ .

(٢) مشتمل بكساء أى متلفف به .

(٣) بفته وفاجأه .

(٤) ويح كلمة ترحم وتوجع وقد تستعمل للمدح والتعجب .

(٥) يراوح بين منكبيه ؟ المنكب مجمع رأس الكتف والعضد والمعنى يشتغل بهنا مرة وبهنا مرة .

(٦) يرتطمون أى يسقطون فى الوحل .

(٧) نظر الى عابسا .

وكتب معاوية الى عثمان ، يخبره ان أبا ذر يطعن عليه ، فكتب عثمان يأمره بحمله اليه ، فحمله على قتب ، ^(١) تحته مسح ، ^(٢) وخرجت معه ، فكنت ألقى تحته ردائي ، فقرحت فخذاه ، وقدمنا المدينة ، فلما دخل على عثمان قال :

لَا أُنْعِمُ اللَّهُ لِقَيْنِ عَيْنَا ^(٣) أَبَدًا وَلَا عَسَاهُ فَيُنَادِمُنَا
نَحِيَّةَ السُّخْطِ إِذَا التَّقَيْنَا

فقال أبو ذر : وما قين ؟ والله ما سمتنيه أمي ولا أبي ، ولكن رسول الله ﷺ — كان اذا رآني رحب بي ، وأدنى مجلسي ، قال عثمان : اجلس . ألم يبلغني أنك تقول : ما أحب أن أكون في صلاح عمر بن الخطاب ؟ قال : وان قلته فمه ^(٤) أسلمت كما أسلم ، وهاجرت كما هاجر ، وأنا على يقين من نفسي ، وشك من غيري ، فقال عثمان : ما ترون في أبي ذر ؟ ودخل على — عليه السلام — وعليه عمامة بيضاء ، فقال : لم أرسلت الي ؟ قال لامر أبي ذر ، قال : فلوما تركتموه كمؤمن آل فرعون . ان كان كاذبا فعليه كذبه ، فقال عثمان لعلي : بفيك التراب قال : بل بفيك قبلي ، ثم خرج ، فمكث الناس أياما ، ثم دخل أبو ذر وبين يدي عثمان مال ، فقال : ماترون في رجل اذا زكى ماله ؟ هل عليه غيره ؟ قال كعب الاحبار : لا ليس عليه شيء ، فقال أبو ذر : متى كانت الفتيا اليك يا ابن اليهوديه ؟ بل عليه أن يصل رحمه ، ويتقى الله ربه ، فقال عثمان : عن بلدنا ، قال الى الشام ؟ قال : لا ، قال : فمكة ؟ قال : لا . قال : فهو التغريب بعد الهجرة ، فخرج الى الربرة ومعه على يشيعه ، فأقبل مروان يسير حتى أدخل راحلته بين راحلتيهما ليسمع ما يقولان ، فضرب على وجه راحلته ، وأعلم عثمان ، فلام عليا فقال :

(١) القتب الرجل .

(٢) المسح الكساء من الشعر .

(٣) القين جمعه قيان وهو العبد .

(٤) مه اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكف .

إن كان أغضبك أنى ضربت وجه راحلته فهذا وجه راحلتي فاضربوها ، وأقام أبو ذر بالربذة حتى مات — رضى الله عنه — .

وأمر عمار بن ياسر وعائشة : أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن الاعمش عن سالم بن أبي الجعد وأخبرنا بإسناده عن أبي جعفر قال : قال أبو يعقوب السروي : وأخبرنا غير هؤلاء جعلت أحاديثهم حديثا واحدا قالوا : جعل الناس ينقمون على عثمان ايثاره بنى أمية ، وهو يعمل على شاكلته ، فكتب عمار والمقداد ومعهما نفر كتابا اليه ، يذكرون فيه ما ينقم الناس عليه ، فمضى به عمار اليه ، وتسلك ^(١) الباكون ، فلما قرأه قال : أنت كتبت هذا ؟ قال نعم ، ونفر معي . قال من هم ؟ قال : لا أخبرك . قال : اضربوا العبد ، فضربه من بحضرته ، وقام هو فوطئه حتى فتقه ، وكان لا يستمسك بوله فحمل مغشيا عليه ، فقالت عائشة : إنك برىء من صاحب هذه الحجرات فقال : من لى بهذه الحميراء ؟ انها لمن شر بيت من قريش . فقال طلحة والزبير : كذبت ، قال : بل كذبتما ، قالا : بل كذبت ، قال : بل صدقتما وكذبت فى كلام هذا معناه .

فهذه جملة مما نقم على عثمان — رضى الله عنه — وعذره فى أكثرها واضح ، واللائمة عنه ساقطة ، الا تراهم رروا ان الذى أخذه من بيت مال المسلمين ، ووصل به قرابته انما أخذه ليرد العوض عنه ، وليس فى أخذه على هذه الشريطة أثم ، وأما ضربه من ضرب ، وحرمانه من حرم ، فانما كان تأديبا منه لهم ، لما كان من اجترائهم عليه ، ومراجعتهم إياه ، اذ كان فى ذلك خرق هيئته ، ^(٢) والوضع من أبهته ، ^(٣) وأدبهم ليعز سلطان الله فى أرضه .

وأما قولهم : عطلت الحدود ، فكيف يقال ذلك ؟ وقد حد الوليد ابن

(١) هكذا جاءت ولعل المراد تسلل الباكون .

(٢) الهيئة حال الشيء وشكله وصورته .

(٣) أبهته أى نخوته .

عقبه ، وهو أخوه من أمه ، وأعز الناس عنده ، وحدث عاصم بن عمر بن الخطاب ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ^(١) ومحمد ابن حذيفة في الخمر ، وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم ، وأما ضربه الرجل الذي ذكر الوليد يشرب الخمر : فلم يكن شاهدا ، وإنما يكون شاهدا إذا كان معه شاهد آخر ، يشهد بما يشهد به ، وإلا فقولُه يجزى مجزى النميمة والاغرار ، ^(٢) وأما حبه لأقاربه : فغير بديع ^(٣) لأن الناس مجبولون على حب القربى ، والوحشة من البعداء ، وكان فيهم على علاقتهم غناء ، وعندهم كفاية ، فلذلك كان يوليهم ، ويستعملهم ويستكفيهم ، إلا ترى الى فتوح ابن عامر ؟ فتح جور ^(٤) واسطخر ^(٥) ونيسابور وطوس ومشي الى سرخس ، ووجه الاحنف ففتح قوهيان ، والاسود بن كلثوم ففتح يهق ^(٦) من خراسان . الى غير ذلك من فتوحه ، وفتح عثمان بن أبي العاص أرخان ، ^(٧) وقالوا : فتحه أبو موسى وبلادا من كورة دار ابجرد ، وفتح الوليد بن عقبة التين والطبسين ، وموقان من أرمينية ، وفتح ابن أبي السرح كثيرا من بلاد المغرب . وكان لهم بأس في الحرب ، ونكاية في العدو ، وحماية الثغور ، يقومون فيها مقام غيرهم ، وكان الذى يذكرون به من مكروه الافعال ، لا يصح عند عثمان ، وما صح فيه عنده ، أجرى فيه حكم الله فحد الوليد بن عقبة الحد الشرعى فى الخمر

وأما قول عبد الرحمن : فانى استغفر الله من بيعتك فان كان صحيحا فانه قالها على جهة المبالغة ، فى انكار ما رأى من بنائه وسعة نفقته عليه . لا لصحة

(١) فى نسخة محمد بن أبى بكر .

(٢) النميمة هى نقل الحديث بقصد الافساد والاغرار الخداع بالباطل .

(٣) المراد أنه لم يكن وحده كذلك بل ذلك عادة الناس .

(٤) فى المعجم البلدان جور وهى قرية من بلاد الفرس .

(٥) فى المعجم اصطخر بالصاد بدل السين وهى بلدة بفارس بالاقليم الثالث .

(٦) فى المعجم أصلها بالفارسية ييهه بالهاء بدل القاف ومعناها الاجود وهى ناحية كثيرة البلدان والعمارة

من نواحى نيسابور .

(٧) فى المعجم أرخان بزيادة الميم وهى من كورة اصطخر .

الاعتقاد لذلك ، لان التوسعة فى النفقة على بناء ، واتخاذ طعام ، لا يبلغ ان يكون فسقا يستغفر معه من سعيته . وكانوا فى ذلك الوقت يستعظمون الصغير من الذنوب ، لقرب عهدهم برسول الله ﷺ — ثم بخشونة عمر ، وشدة استقصائه ومناقشته على الصغير من المعاصي ، وبهذا يتأول قول عائشة : انك برىء من صاحب هذه الحجرات ، ونحن نعلم ان عثمان لم يبرأ من رسول الله ، وانما قالت ذلك : على حسب ما يقال للرجل اذا أفرط فى ضرب غلامه او ابنه انك لكافر القلب ، لما يتصور فى الكافر من القساوة ، لا على ان ذلك الضرب كفر هذا الى أنا لا ندعى لعثمان العصمة من الذنوب ، بل نقول : يجوز وقوعها منه ، مع انصرافه عنها الى التوبة ، حتى يموت وهو طاهر من الذنوب ، نقى الجيب من العيوب لان النبى ﷺ — أخبر عن عاقبة أمر العشرة أنهم فى الجنة .

وقد فرغ أصحابنا المتكلمون ، من الكلام فى تصويب ما عليه المخالفون من أفعال الأئمة ، الا فى هذه الاخبار التى تقدمت ، فإنى ما قرأت لاحد منها شيئا ، وأرجو ان يكون ما ذكرته من تصويب عثمان فيما نقم عليه ، مقنع ان شاء الله .

فكانت هذه الامور سبب الاختلاف بين الناس ، لانهم صاروا فريقين عاذر له فيها ، وناقم عليه بها ، ثم قتلوه فاشتد الخلاف ، واشتبكت الحروب ، وصار الناس فرقا ، فكل يحتج لنفسه وعصابته ، ويرد على من يخالفه من غير طائفته ، وشرح هذا يطول ، وليس كتابنا منه بسبيل ، فتركته .

أول خليفة ولى وأمه تحيا عثمان رضى الله عنه

واسمها أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب ، ثم موسى وهارون ابنا المهدي ، وأمهما الخيزران ، أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الطيب بن محمد عن قعنب بن محرز عن سعيد بن سالم قال : قال الهادى لامه الخيزران حين ولى الخلافة :

ان الامر والنهي لا يبلغه قدر النساء ، فلا يخرجن من خفر الكفاية الى بذلة التدبير ،^(١) اختمرى بخمرتك ، وعليك بسبحتك ، ولا أعلمنك تعديت ذلك الى تكليف يعز لك ،^(٢) وتعنيف يلزمك ، ولك على بعد ذلك الطاعة التي أوجبها الله في غير كفر ولا مآثم .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن العباس عن علي بن محمد النوفلي قال : قال لي عبد الملك بن اسماعيل : كنت مع المهدي اذ قدمت عليه الخيزران في مائة قبة ملبسة وشيا وديباجا ، فقال أبو العتاهية :

رُحْنَ فِي الْوُشَى^(٣) وَأَصْبَحْنَ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِّرَتْ مَا عُمِّرَ نُوحُ
فَعَلَى نَفْسِكَ نَحْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ تُسُوحُ

وكانت الخيزران أرضعت الفضل بن يحيى بلبان الرشيد ، فقال مروان بن أبي حفصة :

كَفَى لَكَ فَضْلاً أَنْ أَفْضَلَ حُرَّةٍ
غَذَّكَ بِلَدِي وَالْخَلِيفَةَ وَاحِدٍ
لَقَدْ زِلْتَ يَخْيَى فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا
كَمَا زَانَ يَخْيَى خَالِداً فِي الْمَشَاهِدِ

ثم محمد بن هارون الامين . وأمه أم جعفر بنت أبي جعفر المنصور ، ولم يتول الخلافة هاشمي الابوين إلا على بن أبي طالب — رضى الله عنه — وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، ومحمد الأمين أبوه الرشيد ، وأمه أم جعفر

(١) المراد انهن لا يخرجن من الأماكن التي أعدت لصيانتهم الى ما فيه ابتذالهن وتعرضهن للمهانة .

(٢) المراد نهيهما عن التدخل فيما يعود عليها بالضرر .

(٣) الوشى نممة الثوب ونقشه .

بنت المنصور ، تلقب بزبدة ، قال أبو الهول الحميري^(١).

مَلِكٌ أَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنْ بَعَّةٍ

مِنْهَا سِرَاجُ الْأُمَّةِ الْوَهَّاجُ^(٢)

شَرَبُوا بِمَكَّةَ فِي ذُرَا بَطْحَائِهَا^(٣)

مَاءَ النَّبْوَةِ لَيْسَ فِيهِ مِرَاجُ^(٤)

ثم المتوكل — وهو جعفر بن المعتصم — ثم المنتصر — وهو محمد بن المتوكل — ثم المستعين — وهو احمد بن محمد بن المعتصم — وأمهما ربا : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابن محمد عن أحمد بن حمدون قال : عملت أم المستعين قلادة^(٥) ، لم يبق شيء حسن الا جعلته فيها . وأنفقت عليها مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألته ان يقف عليها ، قال أحمد : فما رأينا فى الدنيا شيئا الا قد عمل فيها ، ومددت أنا يدي الى غزال من ذهب قد ملئ عنبراً ، عيناه حبتا جوهر ، وعليه سرج ولجام وركاب من ذهب فأخذه ، ووضعته فى كمي ، وجئنا فوصفنا له حسننها ، فقال أترجة : أنه سرق منها شيئا ، وغمز به على ، فقلت : ياسيدى ألام على مثل هذا ؟ فقال : ارجع فخذ ما أطق حمله مما تريده ، فقال أترجة : وأنا معه ، فمضينا فملأنا أكمامنا وخفافنا ، وفتحنا أقبيتنا^(٦) ، وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه ، وعقدنا أطراف الشفاشح^(٧) فوق ذلك ، وأقبلنا نمشي مشى الحبالى ، فلما رأنا ضحك فقال

(١) فى طبقات الشعراء : القائل هو اشجع السلمى .

(٢) الوهاج الشديد الاتقاد والمراد شديد الضوء .

(٣) البطحاء مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى وفى طبقات الشعراء شربا بمكة .

(٤) مزاج خلط الشيء بغيره والمراد أنهم شربوا ماء النبوة صافيا غير مخلوط بغيره .

(٥) القلادة ما يجعل فى العنق من الحلى والظاهر أنها أمرت بصنعها بصورة مكبرة حتى استطاع هؤلاء جميعا أن ينتهبوها ويأخذ كل جظه منها .

(٦) الاقية جمع قباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب .

(٧) هكذا جاءت فى الاصل ولم أعثر لها على معنى ولعلها السفائح بالسين والياء جمع سفيح وهو الكساء الغليظ .

الجلساء : نحن فما ذنبنا ؟ قال : قوموا أنتم أيضا ، وقال المغنون : مثل ذلك ، فاذن لهم ، وجاء فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم ويضحك ، فنظر يزيد المهلبى الى سطل من ذهب مملوء مسكا فأخذه وخرج ، فقال : الى أين ؟ قال الى الحمام . فضحك ، وأمر الاطباء والخدم والفراشين فانتهبوا الباقي ، فوجهت اليه أمه سرا ، لله أمير المؤمنين فى جميع أفعاله ، كنت أحب أن يراها قبل أن يفرقها ، فقال : يعاد مثلها ، فأعيد فى مدة شهرين ، فى كلام هذا معناه .

ثم المعتز ، وأمه قبيحة وسميت بذلك عوذة من العين ، لخلوها من جميع العيوب ، أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن عبد الله بن المعتز قال : لما بويع لايى بالخلافة قال مروان ابن أبى الجنوب يخاطب أمه :

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا عَقِيلَةَ^(١) جَعْفَرٍ
مَاذَا وَلَدْتَ مِنَ الثَّقَى وَالسُّودَدِ^(٢)
إِلَى لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ
إِنْ يَنْعَةِ عُقْدَتْ وَإِنْ لَمْ تُعْقَدْ
إِنْ الْخِلَافَةَ قَدْ تَيَّنَ نُورُهَا
لِلنَّاطِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ

فدعته فوضعت فى فمه حبتين من جوهر ، فزعم أنه باعهما بمائة ألف درهم ، ثم المعتضد — وأمه ضرار — ثم المطيع — وأمه مشعلة — ولم يتول أحد الخلافة وأبوه باق الا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقد ذكرناه .

أول من خلع عثمان فى حياته عمرو بن زرارة

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبى زيد عن بعض أصحابه عن هشام

(١) العقيلة هى المرأة الكريمة المخدرة .

(٢) السُّودد الشرف والمجد .

بن محمد قال : أول من خلع عثمان في حياته وباع عليا عمرو بن زرارة
والحارث بن عداء ، أقام حياته بينى أود فخلعه وقال :

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ رَبِّ النَّيْتِ مُجْتَهِدًا
أَرْجُو الثَّوَابَ بِهِ سِرًّا وَإِعْلَانًا
لَأُخْلَعَنَّ أَبَا وَهَبٍ وَصَاحِبَهُ
كَهْفٍ^(١) الضَّلَالَةِ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ

أول من اتخذ صاحب شرطه

في كلام أوردت منه ما احتيج اليه ، وعثمان — رضى الله عنه — أول من
اتخذ صاحب شرطة وكان صاحب شرطته عبد الله بن منقذ من تميم قريش .

أول من بايع عليا (عليه السلام)

ذكر الواقدي عن رجاله قالوا : جاء الاشتر الى على حين قتل عثمان —
رضى الله عنه — فقال له : قم فبايع الناس ، فو الله لو تكلمت لتعصرن^(٢) عليها
عينك مرة أخرى ، فجاء حتى دخل بين سكن ،^(٣) واجتمع الناس اليه ، وفيهم
طلحة والزبير لايشكان ان الامر شورى ، فقال الاشتر : هل تنتظرون أحدا ؟ قم
ياطلحة فبايع ؛ فقام يجرجر جله حتى بايع عليا ، فقال حبيب ابن زؤيب او ذؤيب :
اول من بايعه أشل ، فما أظن أمره يتم ، واول من بايعه اشتر ، ألقى خميصه
كانت عليه ، وأخذ السيف وجذب يد على فبايعه وقال : والله لا يتكلم أحد
منكم الا ضربت عنقه ، فقام طلحة والزبير فبايعا ، وبايع الناس فكانا يقولان بعد
ذلك : بايعنا واللج على رؤوسنا ، أى السيف .

(١) الكهف هو كاليث المنقور في الجبل والمراد مأوى الضلالة وقد كذب فلم يكن ذو النورين (رضى
الله عنه) يوما ما مأوى للضلالة .

(٢) المراد لتبكين عليها .

(٣) لعله اسم مكان ولكنى لم أجده في معجم البلدان .

أول من بايعه من أهل مصر عبد الرحمن بن عديس

بايعه وقال :

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاعْلَمَنَّ أَبَا الْحَسَنِ
أَنَا نُيْمُ الْأَمْرِ إِمْرَارَ الرَّسَنِ^(١)

وخطب على — رضى الله عنه — أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن محمد بن القاسم عن أبيه قال : لما استخلف على صعد المنبر ثم قال : حق وباطل ، ولكل أهل : وقال : ما أدبر شيء ثم أقبل ، وإنى لآخشي ان تكونوا فى فترة من دينكم ، ولئن ردت عليكم أموركم إنكم لسعداء ، قد كانت أمور ملتئم فيها عن الحق ميلا كبيرا ، كنتم فيها غير محمودين ، ولو أشاء لقلت عفا الله عما سلف ، مضى الرجال ، وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، أو يجد لو قطع رأسه وجناحه كان خيرا له ، ثلاثة واثان ليس لها سادس . نبي أخذ الله يده وملك طار بجناحيه ، وساع مجتهد ، وطالب يرجو ، ومقصر فى النار ، هلك من ادعى ، وخاب من افترى ، اليمين والشمال مظلمة^(٢) والطريق المنهج عليه ، ما فى الكتاب وآثار النبوة ، ان الله تعالى أدب هذه الامة بالسيف والوسط ، ليس فيهما هواده ، فاستتروا فى بيوتكم ، وتفقدوا أعمالكم ، والتوبة من ورائكم ، من أبدى صفحته^(٣) للحق هلك ، الا كل قطعة أقطعها

(١) جاء فى البداية والنهاية لابن كثير ج ص تمة قول عبد الرحمن قال :

صولة آساد كآساد السفن بمشرفيات كفدان اللبن
ونظمن الملك بليّن كالشطن حتى يمرن على غيرى عنن
فقال على مجيبا له :

انى عجزت عجزا لاعتذر سوف أكيس بعدها واستمر
أرفع من ذيلى ماكنت أجر وأجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبنى العجول المنتصر او يتركونى والسلاح يتلر

(٢) المراد أن أى ميل عن نهج كتاب الله وسنة رسوله سواء كان الى اليمين أو الى الشمال فهو مهلكة وطريق مظلمة .

(٣) صفحة الرجل عرضه والمراد من جاهر بالمعصية فقد كشف نفسه للحق وفى ذلك هلاكه .

عثمان ، ومال من مال الله فهو رد على المسلمين في بيت مالهم ، والله لو رأيناه
نكح به النساء وتفرق به في البلدان لرددناه ، لان الحق قديم لا يخلق ،^(١) وان
لكم في الحق سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالباطل عنه أضيق ، ثم بعث الى سيفه
ودرعه ونجائب^(٢) كانت له فأخذها ، فقال الوليد بن عقبة :

الْأَمْنُ لِلَّيْلِ لَا تُفْـوِزُ
إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَأَخِ نَجْمٍ يُرَاقِبُهُ
خَلِيلِي إِنِّي لَسْتُ أَنْسَى مُصَابَهُ^(٣)
وَهَلْ يَنْسِيَنَّ الْمَاءَ مَنْ هُوَ شَارِبُهُ
هُمُومًا قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ
كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى أَقَارِبُهُ^(٤)
هُوَ الْأَنْفُ وَالْعَيْنَانِ مَتَى وَلَيْسَ لِي
سِوَى الْأَنْفِ وَالْعَيْنَيْنِ وَجْهٌ أَصَاحِبُهُ
ثَلَاثَةٌ زَهْطٍ قَاتِلَانِ وَسَالِبٌ
سِوَاءَ عَلَيْنَا قَاتِلَاهُ وَسَالِيهِ^(٥)
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ الْمَوْدَةُ يَبْنِي
وَعِنْدَ عَلِيٍّ^(٦) سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ

(١) أى لا يبلى .

(٢) النجائب جمع نجيب وهى من الابل العتاق التى يسابق عليها .

(٣) فى الأغاني ج ٥ ، ص ١١٠ ط ، بيروت (لعمر ك لا أنس ابن أورى وقتله) .

(٤) فى المرجع السابق (مرآته بدل أقاربه) .

(٥) فى المرجع السابق :

بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا بِإِقَادَةِ سِوَاءِ عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِيهِ

(٦) فى سبط النجوم العوالي ج ٢ ص ٤١٣ قال الوليد بن عقبة :

بَنِي هَاشِمٍ أَنَا وَمَا كَانَ يَبْنِي كَصَدَاحِ الصَّفَا مَا يَرْضَى الدَّهْرَ شَانَهُ

بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ الْمَوْدَةُ يَبْنِي وَسَيْفُ ابْنِ أُرْوَى عِنْدَكُمْ وَخَزَائِنُهُ

وفى الأغاني ج ٥ ، ص ١١٠ ط دار الثقافة بيروت

بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّعَاقُدُ يَبْنِي وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَحَرَائِبُهُ

أول قتال كان بين فريقين من أهل القبلة

أخبرنا أبو احمد عن عبد الله بن العباس عن رجاله عن الواقدي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه وأبي القاسم عن رجاله عن المدائني قال : لما صارت عائشة - رضى الله عنها - وطلحة والزبير بحفر أبي موسى ، بعث اليهم عثمان بن حنيف - وهو عامل على البصرة - عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى ، فدخلوا على عائشة - رضى الله عنها - وقالوا : ما جاء بك ؟ قالت : غضبنا لكم من سوط عثمان ، أفلا أغضب لعثمان من سيوفكم ؟ قالوا : وما أنت وسوط عثمان وسيوفنا ؟ أنت حبس^(١) رسول الله - ﷺ - ، نذكرك الله أن تهراق^(٢) الدماء فى سببك ، قالت : وهل أحد يقاتلنى ؟ قال : أبو الاسود : نعم . والله قتال أهونه شديد .

ثم دخلا على الزبير وطلحة ، وكلما هما ، فوقعا فى على ونالا منه ، فأتيا عثمان فعرفاه ، فأمر الناس فلبسوا السلاح ، ودخل طلحة والزبير وعائشة حتى انتهوا الى المربد ، فخطبت فقالت : ان عثمان غير وبدل ، فلم نزل نغسله حتى أنقيناها ، وبلوانه بالشدة حتى أخلصناه ، ولما صار كالذهب المصفى عدا عليه السفهاء فقتلوه ، ثم أتوا عليا فبايعوه على غير ملأ من الناس أفغضب لكم من سوط عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ لا يصلح هذا الأمر حتى يرد شورى كما فعله عمر - رضى الله عنه - ، فقال بعضهم : صدقت وقال بعضهم : كذبت . واضطربوا بالنعال ، فصارت تجمعها ، فاستقبلهم عثمان فى الناس ، فشجوههم^(٣) بالرماح ، ورماهم النساء والصبيان من فوق البيوت ، وأفواه السكك^(٤) ، فاندفعوا حتى أتوا مقبرة بنى مازن ، فنابت اليهم نائبة من الناس ،

(١) فى البيان والتبيين ج ٢ ، ص ٣٣٢ ، ط القاهرة (انت حبس) أى وقف عليه لايجوز لك أن تخرجى هكذا .

(٢) أى تسيل الدماء بسببك .

(٣) أى جرحوهم .

(٤) أفواه السكك مداخلها والسكك جمع سكة وهى الطريق المستوى .

ولقيهم عثمان من الغد فى أصحابه فاقتلوا قتالا شديدا ، حتى زالت الشمس ، وكثرت القتلى ، ثم كتبوا بينهم كتابا لا يتعرض بعضهم لبعض حتى يرد على — عليه السلام — ، فوقفوا أياما ، ثم جاء عبد الله بن الزبير فى أصحاب له ، فطرق^(١) عثمان بن حنيف وأسره ، وجرى به الى طلحة والزبير فأمرأ به فضرب ، ونفت لحيته ، وأرادا قتله ، فقال معاذ بن عبد الله : ان قتلتموه لا آمن الانصار على ذرايكم بالمدينة ، فحبسوه ، ثم أرسلوه ، فقال حكيم بن جبلة : ما كنت فى شك من قتالهم ، ولقد ازددت فيه بصيرة ، فمن كان فى شك فليصرف فخرج فى سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل ، فقاتلهم ، فضرب رجل منهم ساق حكيم فقطعها ، فأخذها حكيم فرماه بها فصرعه ، ثم جاء اليه فقتله ، واتكأ عليه ، فمر به رجل فقال : من قاتلك ؟ قال وسادتي ،^(٢) وقتل يومئذ سبعون رجلا من عبد القيس ، وبلغ أمرهم عليا فقال :

دَعَا حُكَيْمٌ دَغْوَةً سَمِيْعَهُ نَالَ بِهَا الْمَنْزَلَةَ الرَّفِيْعَهُ
يَا لَهْفٍ^(٣) نَفْسِي عَلَى رَيْبِهِ رَيْبَةُ السَّامِعَةِ الْمُطِيْعَهُ
أَثْبَتَهَا كَانَتْ بِهَا الْوَقِيْعَهُ يَنْ مَحَلِّي سَوْفَهَا وَالْيَيْعَهُ^(٤)

فى كلام هذا معناه .

وحدث أسد بن سعيد عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : بلغنى ان عبد الملك بن مروان قال لجلسائه : أخبرونى عن حى من العرب فيهم أشد الناس وأسخاهم وأخطبهم ، وأطوعهم فى قومه ، وأعظمهم خطرا ، وأحلمهم وأحضرهم جوابا ، وأسرعهم انتصافا قالوا : فى قریش ؟ قال : لا . قالوا : فى حمير ؟ قال : لا . قالوا : فى مضر ؟ قال : لا .

(١) طرقه أى أتاه ليلا .

(٢) المراد من أتوسده .

(٣) اللهفة الحزن والتحسر على مافات .

(٤) هكذا وجدت البيت الثالث ولم أجد غير هذه الرواية والمعنى لم يتضح لى .

قال مصقلة العبدى : فهم فى ربيعة ونحن منهم : قال : صدقت ،
قالوا : فمن هؤلاء ؟ قال : أما أشد الناس فحكيم بن جبلة ، قطعت ساقه فرمى
بها الذى قطعها فجندله ،^(١) ثم جاء اليه وقال :

يَاسَاقُ لَنْ تُرَاعَى . إِنَّ مَعِيَ ذِرَاعَى . أَخِي بِهَا كُرَاعَى^(٢)

فقتله واتكأ عليه ، فقيل ، من قاتلك ؟ قال : وسادتى .

وأما أسخى الناس : فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند ،
فرحل اليها فى أربعة آلاف لا يوقد مع ناره نار ، فرأى ذات يوم نارا فى
معسكره ، فأنكرها ، فقال صاحبها : اعتل بعضنا واشتهى
الخبيص ،^(٣) فاتخذناه له ، فأمر الا يطعم الناس الا الخبيص حتى ضجوا ، فردهم
الى الخبز واللحم .

وأما أسود^(٤) الناس وأطوعهم فى قومه : فالجارود بن بشر ، قبض رسول
الله ﷺ — فارتدت العرب ، ومنعت الصدقات ، فقال لقومه ان كان الله
قبض رسوله فهو حى لا يموت ، فتمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له شئ فعلى
مثلاه ، فما خالفه أحد .

وأما أحضر الناس جوابا وأشدهم انتصافا : فصعصعة بن صوحان وفد
على معاوية فى وفد العراق . فقال : مرحبا بكم قدمتم البلاد المقدسة ، وأرض
المحشر والمنشر ، والانبياء والرسل ، والعلم والحلم ، إن أبا سفيان لو ولد
الناس جميعا لكانوا علماء علماء عقلاء .

فقال صعصعة : ليس الناس تقدسهم البلاد ولكن تقدسهم أعمالهم ، ولن

(١) جندله أى صرعه .

(٢) الكراع للبقر والغنم وهو مستندق الساق والمراد أدافع بذراعى عن ساقى .

(٣) الخبيص نوع من الحلواء المخبوضة .

(٤) أسود الناس اسم تفضيل من ساد فلان قومه أى صار سيدهم .

يضر مؤمنا بعد المحشر ، ولن ينفع كافرا قرب المنشر ، ومن سكنها من الجبابة والفراغة أكثر ، وأما قولك : إن أبا سفيان لو ولد الناس جميعا لكانوا حلما علماء عقلاء : فقد ولدهم خير من أبي سفيان — آدم عليه السلام — فمنهم السفیه والحليم والاحمق والكيس ، فقال معاوية ، أتردن على ؟ لاشردنك فى البلاد ، ولاجفينك^(١) عن الوساد . قال : أجد فى الأرض سعة ، وفى فراقك دعة^(٢) . فقال : قد كنت أبغض أن أراك خطيبا ، قال : وأنا والله أبغض أن أراك أميرا .

وأما أحلم الناس : فلاشج العبدى ، فان وفد عبد القيس وردوا على رسول الله — ﷺ — ومعهم صدقاتهم ، وفيهم الاشج . وكان أول عطاء ارتزقه رسول الله من ذلك المال . فقال : يأشج فيك خصلتان ، الحلم والاناة^(٣) ، وكفى برسول الله شهيدا .

قالوا : ولم يغضب الاشج قط ، وكان ينبغي أن يورد هذا الخبر فى الباب الثالث ، فأغفلناه حتى أوردناه فى هذا الموضوع .

أول من عمل بآية النجوى على (عليه السلام)

أخبرنا أبو القاسم بن سموان عن الجلودى عن محمد بن عيسى عن الجمانى عن على بن هشام عن محمد بن عبد الله بن رافع عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي أيوب الأنصارى قال : لما نزلت آية النجوى^(٤) أشفق الناس وبخلوا ، ف ناجى على — عليه السلام — رسول الله ﷺ — عشر

(١) الجفاء عدم الاطمئنان على الفراش وجاء فى نسخة (ولأخفينك عن الرشاد) والمراد لا أتركك ابدا تصل الى الرشاد .

(٢) الدعة الهدوء والسكون .

(٣) الاناة الانتظار والتهمل أو الحلم الوقار .

(٤) الاسم من المناجاة وهو السر .

نجاوى ، و تصدق كل مرة بدينار ، فلما علم الله بخلهم أنزل الرخصة ، فلم يعمل بها الا على ، والآية هي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نُجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ ^(٢) والرخصة : ﴿ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الآية .

أول من اتخذ بيتا يطرح الناس فيه القصص

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن محمد بن محمد بن حاتم عن مسعدة ابن اليسع عن أبي عون عن محمد بن سيرين قال : اتخذ على بيتا يلقي الناس فيه القصص ، ^(٣) حتى كتبوا شتمه فألقوه فيه فتركه ، ثم اتخذ المهتدى أيام خلافته .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد ابن محمد بن اسحاق قال : كان المهتدى يجلس للمظالم فارتشى أصحابه على تقديم بعضها على بعض ، فاتخذ بيتا له شباك حديد على الطريق ، وأمر فنودى بطرح القصص فيه ، فكان يدخله وحده فيأخذ مايقع بيده . أولا ، فينظر فيه لايقدم بعضها على بعض ، وكان المهتدى فى بنى العباس ، نظير عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية ، كان يلبس الصوف ، ويصوم الدهر ، قيل أنه مأفطر فى أيام خلافته الا الاعياد وأياما اعتل فيها ، وكان يصلى أكثر الليل .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال : قدم رجل من الرملة يتظلم الى المهتدى فانصفه فاستخفه الفرخ حتى غشى عليه ، فأتاه المهتدى بنفسه ، فلما أفاق ، قال : ما حسبت أنى أعيش حتى أرى هذا العدل ، فلما رأيته داخلنى من السرور مازال معه عقلى ، فقال : كان الواجب أن نصفك فى بلدك ، فاذا لم

(١) نجاوى جمع نجوى

(٢) سورة المجادلة الآية (١٢) .

(٣) القصص المراد الورق الذى تكتب فيه المظالم .

نطق ذلك ، فنعطيك ماأنفقت فى طريقك ، وكان أنفق عشرين ديناراً ، فأمر له بخمسين ديناراً ، واستحله من تأخر حقه ، فما سمع بهذا منه أحد الا خشع له قلبه ، فى كلام هذا معناه .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن الفضل قال : طالب رجل بعض قواد الاتراك بضیعة غصبه عليها بحضرة المهتدى ، فقال التركى : لى وفى یدى ، وقالت الفقهاء : لمن هى فى یده ، وعلى خصمه البينة ، فقال المهتدى : علّمت هذا ، وذهب أمرک على من علمک . أنت فى الاسلام منقطع وحدک لا إرث لك ، ولا يجوز أن تملك مال هذه الضیعة^(١) الا بأقطاع^(٢) أو شری أو إرث عن زوجة ، فهل ورثتها عن زوجة ؟ قال : لا . قال : فأحضرنى كتب اقطاعك أو شراك ، والا سلمتها اليه ، فخرج التركى فاشتراها منه ، وعجب الناس من فطنة المهتدى .

وكان الملك فى الجاهلية يجلس للعامّة ، فى النيروز مرة^(٣) وفى المهرجان^(٤) مرة فيأتونه بظلاماتهم ، فان تظلم منه متظلم ، جاء حتى جلس مع خصمه عند المربد ، فاذا نظر بينه وبينه لبس تاجه ، وانتصب للنظر فى أمور الناس ، فلم يطمع أحد فى ظلم أحد بعد مارأى من اعطاء الملك الحق من نفسه ، وقال أنو شروان : خفت أن يحجب عنى المظلوم ، فعلق على أقرب الاستار اليه أجراساً ، ووصلها بسلسلة ونادى مناديه ، من ظلم فليحرك السلسلة ، وهو الاصل فى قول الناس (حرك فلان السلسلة) على فلان اذا وشى به ، وكان ملوك الفرس اذا بلغهم أن كلباً مات بقرية أخذوا أهلها بالبينة أنه مات حتف أنفه ، ولم يمت جوعاً .

(١) الضیعة الأرض المغلة .

(٢) الاقطاع هو إهداء الحاكم قطعة من الأرض لرجل ما .

(٣) هو أول يوم من أيام السنة الشمسية .

(٤) المهرجان عيد الفرس وهى مركبة من مهر ومعناها محبة وجان ومعناها الروح فيكون معناها محبة الروح وتطلق كذلك على الاحتفال العظيم .

أول من فرق بين الخصوم على (عليه السلام)

خرج قوم في خلافته سراً فقتلوا بعضهم فلما رجعوا طالبهم على به ،
وأمر شريحا بالنظر في أمرهم بإقامة البينة ، فقال على : عليه السلام —

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ مَا هَكَذَا ثُورُودٌ يَا سَعْدُ الْإِبِلُ
أراد أنه قصر ، ولم يستقص كتحصير صاحب الابل في تركها ،
واشتماله ونومه ، ثم فرق بينهم ، وسألهم فاختلَفوا ، فلم يزل يبحث حتى
أقروا ، فقتلهم ، وذلك أول مافرق بين الخصوم .

أول من سن صلاة الركعتين عند القتل خبيب بن عدى

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن ابراهيم بن المنذر عن
محمد بن أفلح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب وعن الجوهري عن أبي زيد
عن غير هؤلاء ، جعلت أحاديثهم حديثا واحدا ، قالوا : بعث النبي — ﷺ —
عاصم بن أبي الأفلح^(١) ، ومرثد بن أبي مرثد ، وخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة
وعبد الله بن طارق الى مكة ، يتخبرون له خبر قريش ، فلما كانوا بالرجيع
اعترضهم بنو لحيان — حتى من هذيل — فجعل عاصم يقاتل وهو يقول :

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ^(٢) :

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَرَّ غَنَابِلٌ^(٣)

نَزَلَ^(٤) عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ^(٥)

أَتَرَأْسُ الْقَوْمِ وَلَا تَقَاتِلُ

وَالْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ

(١) في مختصر السيرة ص ٢٥٧ ، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٠ أنه عاصم بن ثابت .

(٢) الجلد الشديد القوى .

(٣) النابل هو صاحب النبال والرامي بها .

(٤) غليظ .

(٥) تسقط .

(٦) جمع معبلة وهي النصل الطويل العريض .

وقال : اللهم أنى أحمى دينك فاحم لى لحمى ، فلما قتل أراد القوم أن يحملوا رأسه ، فاجتمع عليه الدبر — النحل — فلم يقدرُوا عليه ، فقال الاحوص :

فَحَزْتُ^(١) وَاعْتَمْتُ فَقُلْتُ ذَرْنِي
لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتُهُ بَبْدِيعِ
فَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتْ لَحْمُهُ الدَّبْرُ
قَتِيلُ اللَّخْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

وأما خبيب وزيد فصعدا فى الجبل ، فحمل القوم لهما الأمان من القتل ، فلما نزلا ، أو ثقوهما ، وانطلقوا بهما الى مكة ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان قتل الحارث يوم بدر ، فلما انسلخ الأشهر الحرم أخرجوه الى الحل ليقتلوه ، فقال :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَى أَىِّ جَنْبٍ كَانَ فِى اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِى ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَا
يُبَارِكُ عَلَى أَعْضَاءِ شِلْوِ^(٢) مُمَزَّعِ

ثم ركع ركعتين وقال : والله لولا تحسبون أننى أجزع من القتل لزدت ، وهو أول من فعل ذلك . فقام عقبة بن الحارث فقتله ، وصلبوه ، وقتل نسطاس مولى صفوان بن أمية زيد بن الدثنة فقال حسان :

(١) حزت أى زجرت . اعتمت كفت عما كانت تريد .

(٢) الشلو جمعه أشلاء وهى الاعضاء .

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ وَآكِفِ سَرِبِ^(١)
 عَلَى حَيِّبٍ مَعَ الْغَادِينَ لَمْ يُؤَبِّ
 فَرَعٌ تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ
 صَافِي الضَّرِيَّةِ مَخْضٌ غَيْرُ مُؤَسِّبِ^(٢)
 بَنَى سَخِينَةً إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقَحَتْ
 يَخْلُو بِهَا الصَّابُ^(٣) يُهْدِيهِ لِمُخْتَلَبٍ
 فِيهَا أَسُودُ بَنَى التَّجَارِ يَقْدُمُهُمْ
 زُرْقُ الْأَسْنَةِ فِي مَعْصُومٍ لِحِبِ^(٤)

أول من بايع رسول الله بيعة الرضوان سنان الأسدي

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجاله قال :
 خرج رسول الله ﷺ في سبعمائة^(٥) من أصحابه ، ومعه سبعون بدنة ، يريدون
 زيارة البيت ، فلقيه خالد ابن الوليد في خيل فصدته ، وكان بعث عثمان —
 رضى الله عنه — الى قريش يستأذن له في الدخول ، فأجاره سعيد بن العاص ،
 وتأخر رجوعه ، فبلغ رسول الله ﷺ أنه قتل ، فبايع الناس على ألا يفروا ، وهي
 بيعة الرضوان ، فكان أول من ضرب يده على يد رسول الله فيها سنان بن سنان
 الأسدي ، فضرب رسول الله ﷺ إحدى يديه على الأخرى وقال : هذه يد عثمان ،
 ثم كتبت قريش بينهم وبين رسول الله ﷺ الصلح عشر سنين .

(١) يعني سائل .

(٢) هكنا جاءت في الاصل والمناسب أن تكون غير مؤتشب من الاشابة وهي الاختلاط ويكون المعنى أن
 أصله كريم صريح غير مختلط بغيره .

(٣) الصاب شجر مر اذا اعتصر خرج منه مثل اللبن .

(٤) المعصوم صب اللجب الجيش الشديد القوى .

(٥) في مختصر السيرة لابن عبد الوهاب ص ٢٩٨ (خرج مع رسول الله ألف وأربعمائة أو ألف
 وخمسمائة) وهو في البخارى وكتب السيرة أربع عشرة مائة .

وان ينصرف عامة ذلك ويعتمر من قابل ، فرجع رسول الله ﷺ —
أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن ابراهيم بن المنذر عن عبد الله
ابن وهب عن الليث بن سعد ، ان يزيد بن أبي حبيب حدثه عن حدثه ، ان
عبد الرحمن بن عوف أرسل الى عثمان وهو مريض يعاتبه في بعض ماعتب
الناس عليه ، وقال لرسوله : اقرأ على أمير المؤمنين السلام ، وقل له : وليتك
ما وليتك من أمور الناس وان لي أمورا ماهي لك ، لقد شهدت بدرا وماشهدتها ،
وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها ، ولقد فررت يوم أحد وصبرت ، فقال
عثمان — رضي الله عنه — لرسوله : اقرأ على أخي السلام وقل له : أما
ما ذكرت من شهودك بدرا وغيتي عنها ، فقد خرجت لها وردني رسول الله ﷺ —
عن الطريق الى ابنته التي كانت تحتى لما بها من المرض ، ووليت منها
الذى يحق على ثم دفتها ، ثم لقيت رسول الله ﷺ من بدر فبشرني بأجر
عند الله مثل أجوركم ، وأعطاني سهما مثل سهامكم ، فأنا أفضل أم أنتم ؟ وأما
بيعة الرضوان فان رسول الله ﷺ كان بعثني لاستأذن له من قريش في الدخول
بالهدى ، يطوف بالبيت ، وينحر هديه ، ويحل من عمرته ، فاستبطأني ،
وخاف أن يكون غدر بي ، فهاجه مكاني على بيعة الرضوان ، فلما فرغ من
بيعتكم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : هذه بيعة عثمان . فأيديكم
أفضل أم يد رسول الله ﷺ — ؟ وأما ما ذكرت من صبرك يوم أحد
وفرارى ، فقد كان ذلك ، فأنزل الله العفو في كتابه عني ، فغيرتنى بذنب غفره
الله لي ، ونسيت من ذنوبك مالا تدري أغفر الله لك أم لم يغفر ؟ فلما جاء
الرسول بهذا بكى ، وقال : صدق والله أخي ، لقد غيرته بذنب غفره الله له ،
ونسيت من ذنوبي مالا أدري أغفرت لي أم لم تغفر ؟

أول من شهر سيفه في سبيل الله الزبير بن العوام

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن القعنبى عن سفيان ابن
عيينة ، وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائنى عن لوط بن

يحيى عن مجالد عن الشعبي قال سفيان : أول سيف شهر فى الاسلام سيف الزبير ، قيل له : قد قتل رسول الله ، فخرج بسيفه يسعى وهو غلام ، قالوا : فلما قتله بن جرموز ، جاء عليا فقال على : — عليه السلام — بشر قاتل ابن صفية^(١) بالنار ، ونظر الى سيفه فقال : كم كشفت به الغماء عن وجه رسول الله — ﷺ — ، قال أبو جعفر : فقال ابن جرموز :

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ رَجَوْتُ بِهِ عِنْدَهُ الرَّفْعَ
فَشَرَّ النَّارِ قَبْلَ الْعَيَانِ وَبَسْتُ بِشَارَةَ ذِي التَّحْفَةِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَتْلَ الزُّبَيْرِ لَوْلَا رِضَاكَ مِنَ الْكُلْفَةِ
وَسَيِّئِ عِنْدِي قَتْلَ الزُّبَيْرِ وَضَرْطَةُ غَيْرِ يَدِي الْجُحْفَةِ

فلما ورد مصعب البصرة استخفى ابن جرموز ، فقال مصعب : ليظهرن سالما وليأخذ عطاءه موفورا ، أظن أنى أقتله بأبى عبد الله ، وأجعله ندا له ؟ فكان هذا من الكبر المستحسن . وكان ابن جرموز يدعو لديناه فقيل له : هلا دعوت لآخرتك ! فقال : أيس^(٢) من الجنة بقتل الزبير ، فى كلام هذا معناه .

أول من أراق دما فى سبيل الله سعد بن أبى وقاص

أخبرنا أبو احمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل عن ابراهيم عن الواقدي عن أبى بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد عن أبيه قال : خرجت أنا وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ، وابن مسعود فى شعب أبى دب تتوضأ ونصلى ، ونحن مستخفون ، الى أن ظهر علينا نفر من المشركين ، قد كانوا يرصدوننا ، واتبعوا أثرنا ، أبو سفيان بن حرب ، والخنس بن شريق ، وغيرهما ، فعاثوا علينا ذلك وأنكروا . حتى

(١) ابن صفية هو الزبير بن العوام وصفية هى بنت عبد المطلب عمه النبی ﷺ .

(٢) أيس أى ييس .

بطشوا بنا ، فتضاربنا واقتتلنا ، فأخذ سعد لحي^(١) جمل فضرب به رجلا من المشركين فأشجه شجة أوضحت ، فانكسر المشركون ، وقوى أصحابي ، وطردهم حتى خرجوا من الشعب ، فكنت أول من هراق دما في الاسلام .

أول من جمع بالمدينة أسعد بن زرارة

جمع في أربعين رجلا في هزمة^(٢) بين ظهري بنى يياضة يقال لها الخضيمات ، وقيل أول من جمع فيها مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف في دار سعد بن خيثمة ، قبل مقدم رسول الله ﷺ — .

أول من أفشى القرآن بمكة عبد الله بن مسعود

وكان صاحب سواد رسول الله — أى أسرار — وصاحب وساده — أى فراشه — وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر ، وكان يستره اذا اغتسل ، ويوقظه اذا نام ، ويمشى معه فردين ، ويلبسه نعليه ، ويمشى أمامه بالعصا ، واذا أتى مجلسا نزع نعليه وأدخلهما فى ذراعه ، وكان يشبه به فى سمته وهديه^(٣) .

أول من رمى بسهم فى سبيل الله

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن عمر بن عون عن خالد ابن أبي عبد الله عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت سعدا يقول : انى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد كنا نغلو مع رسول الله ﷺ — ومالنا طعام الا ورق الشجر ، حتى ان أحدنا ليضع كما يضع البعير ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تغمزنى على الدين ، لقد خبت اذا وضل عملى ، وكانوا وشوا به الى عمر وقالوا : لا يحسن ان يصلى .

(١) اللحي عظم الحنك الذى على الأسنان .

(٢) الهزمة الارض المنخفضة ، والمراد بالجمع هنا صلاة الجمعة .

(٣) المراد تعليمه .

وأما أول من رمى من عسكر المسلمين يوم أحد فقمزمان وكان من المنافقين ، وعظم بلاؤه يومئذ ، وجرح فليل له : لتهنك الشهادة . فقال : والله ماقاتلت للشهادة ، ولكن للحفاظ . فقال رسول الله : ان الله ليؤيد دينه بالرجل الفاجر .

ومما يجرى مع هذا ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي أبي عرفه عن عيسى بن يونس عن عبد الرحمن بن زيد عن جابر عن أبي سلام الدمشقي عن خالد بن يزيد الجهني قال : كنت رجلا راميا ، وكان يمر بي عقبة بن عامر الجهني فيقول : أخبرك بما قال لي رسول الله ﷺ — ؟ فأتيته فقال : قال رسول الله ﷺ — يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه محتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومناوله ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، وليس اللهو إلا في ثلاث : تأديب^(١) الرجل فرسه ، وملاعبته امرأته ، ورميه بنبله ، ومن ترك الشيء بعدما علمه رغبة عنه ، فانها نعمة كفرها .

أول من استشهد في الإسلام الحارث بن أبي هالة

أخبرنا أبو القاسم بن سيران عن عبد الرحمن بن جعفر عن العلاء عن بشر بن حجر الشامي عن علي بن منصور الانباري عن شرقي بن القطامي قال : أول قتيل في الاسلام الحارث بن أبي هالة ، وكانت أمه خديجة قد ولدت الحارث وهندا ابني أبي هالة ، وذلك ان رسول الله ﷺ — لما أمر أن يصدع بما يؤمر قام في المسجد الحرام فقال : قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، فوثبت عليه قریش ، فأتى الصريخ أهله ، فكان أول من أتاها الحارث بن أبي هالة ، فضرب في القوم ففرقهم عنه ، ثم عطفوا عليه فضربوه حتى قتلوه ، وقال غيره : أول من استشهد في الاسلام سمية أم عمار ، طعنها أبو جهل في فرجها فقتلها حين أظهرت الاسلام .

(١) تعليمه .

أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون^(١)

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله بن الفضل عن ابراهيم عن الواقدي عن رجاله وعن الجوهري عن أبي زيد عن شيوخي قالوا : أول من مات من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع ، عثمان بن مظعون ، فدخل رسول الله ﷺ — وقد مات وجعل في أثوابه ، فقالت أم العلاء : رحمة الله عليك أبا السائب ، اني شاهدة ان الله قد أكرمك ، فقال رسول الله ﷺ — وما يدريك ؟ فقالت : يا رسول الله لأدري فمه ؟ فقال : اني أرجو له الجنة ، ولا أدري ما يفعل بي وأنا رسول الله ، قالت : فو الله لأزكي بعده أحدا أبدا ، ثم لحد له رسول الله ﷺ — وفصل حجرا من حجارة لحده ، فوضعه عند رجليه ، فمر مروان حين ولي فأمر به فنحى ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، وليس على قبر عثمان بن عفان حجر يعرف به . فلامته بنو أمية ، وقالوا : عمدت الى حجر وضعه رسول الله ﷺ فأزلته ، وأمروا به أن يرد ، فقال : والله إذ رميت به لا يرد ، في كلام هذا معناه .

أول من أتى أرض الحبشة من المهاجرين حاطب بن عمرو

وكانت الى الحبشة هجرتان ، والى المدينة هجرة واحدة ، قالوا : لما أظهر رسول الله ﷺ — الدعاء الى الاسلام ، اشتد كيد المشركين عليه ، وعلى من أسلم من قبائلهم ، فأمر رسول الله ﷺ بالخروج الى الحبشة ، فخرجوا اليها ، فكان أول من أتاها حاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو ، فلما هاجر الى المدينة ، لحقوا به .

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله بن الفضل عن الواقدي قال ، قالوا : لقي عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — اسماء بنت عميس ، وكانت من المهاجرين الى الحبشة ، وقال لها : سبقناكم بالهجرة ، فقالت : بل نحن

(١) يعنى بعد الهجرة .

سبقناكم بها مرتين ، وشركناكم فى الثالثة ، ثم قالت : لعمرى لقد كنا الطرداء ، وكنتم أنتم مع رسول الله فى عشائركم ، يطعم جائعكم ، ويعلم جاهلكم ، ويؤمن مخائفكم ، فسكت عنها عمر .

أول من قدم من المهاجرين الى المدينة

أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم عامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت أبى حثمة ، وهى أول ظعينة^(١) قدمت المدينة .

أول من ضرب على يد رسول الله ليلة العقبة البراء بن معرور

أخبرنا أبو أحمد بإسناده عن الواقدى فى خبر طويل ، قال : اجتمع الانصار مع رسول الله — ﷺ — على البيعة ، فقالوا : اننا نخاف ان أعزك الله وأظهرك ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ، فقال النبى : الدم الدم ، الهدم الهدم ، أى دمي دمكم ماقمتم به قمت معكم ، وما هدمتم هدمته ، فلما أرادوا البيعة قال العباس : يامعشر الخزرج ، انما تباعون هذا الرجل على حرب الأسود والاحمر ، فان كنتم اذا أنهكت^(٢) أموالكم ، وقتلت أشرافكم ، أسلمتموه فمن الآن : قالوا : فانا نقبله على مصيبة الأموال ، وقتل الاشراف قال : فأخذ العباس بيد رسول الله — ﷺ — وقال : يامعشر الانصار ، أخفوا جرسكم فان علينا عيوننا ، وقدموا ذوى أسنانكم فانا نخاف أقوامكم عليكم ، فاذا بايعتم فتفرقوا فى رحالكم ، فاكنتموا أمركم ، فان طويتم هذا الأمر حتى يتصدع^(٣) هذا الموسم فأنتم الرجال ، وأنتم لما بعد اليوم . فقال البراء بن معرور : والله عندنا كتمان ماتحب ، واظهار ماتحب ، وبذل مهجنا رضاء ربنا ، إنا أهل

(١) الظعينة الزوجة .

(٢) المراد فنيتم أموالكم وقتلت .

(٣) يتصدع الموسم أى يتفرق أهله .

حلقة وافرة ، واهل منعة ،^(١) وعز ، وكنا على ما كنا عليه من عبادة ونحن كذلك ، فكيف اليوم ؟ وقد بصرنا الله ماعمى على غيرنا ، وأيدنا بمحمد ، أبسط يدك . فكان أول من ضرب يده على يد رسول الله للبيعة فى كلام هذا معناه .

وقالوا : أول من ضرب على يده أبو الهيثم بن التيهان ، وكان أحد الخطباء . أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن على العكلى عن أبى خالد عن الهيثم بن عدى قال : قام أبو الهيثم بن التيهان خطيبا بين يدى على بن أبى طالب — عليه السلام — فقال : ان حسد قريش اياك على وجهين ، أما خيارهم فتمنوا ان يكونوا مثلك ، منافسة فى الملاء ، وارتفاع الدرجة ، وأما شرارهم فحسدوك حسدا أثقل القلوب وأحبط الاعمال ، وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدمك اليها الحظ ، وأحرمهم عنها الحرمان ، فلم يرضوا ان يلحقوك حتى طلبوا ان يسبقوك ، فبعدت عليهم والله الغاية ، واسقط المضمار ،^(٢) فلما تقدمتهم بالسبق ، وعجزوا عن اللحاق ، بلغوا منك مارأيت ، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش ، نصرت نبيهم حيا ، وقضيت عنه الحقوق ميتا ، والله ما بغيتهم الا على أنفسهم ، ولا نكثوا الا بيعة الله ، يد الله فوق أيديهم ، فها نحن معاشر الانصار ، أيدينا وألسنتنا لك ، فأيدينا على من شهد ، والسنتنا على من غاب .

أول من أذن فى الاسلام بلال (رضى الله عنه)

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبى زيد عن محمد بن حاتم عن هيثم عن بشر عن أبى عمير عن أنس عن عمومته من الأنصار وعن غير هؤلاء قالوا : اهتم رسول الله — ﷺ — بجمع الناس للصلاة فقال بعضهم : انصب راية ،

(١) الحلقة المال الكثير ويراد به الماشية لأنها تعلق النبات كما يحلق الشعر .

(٢) المنعة القوة التى تدفع الاذى أو الحصون التى لا يقدر عليها العدو .

(٣) المضمار المكان الذى تضر فيه الخيل .

وذكر بعضهم الشبور،^(١) وبعضهم الناقوس ، فلم يعجبه ذلك ، ثم أتاه عبد الله بن زيد الانصارى وقال : انى ليين النائم واليقظان ، فرأيت رجلا عليه ثوبان أخضران ، قام فأذن ثم قعد ، ثم قام فقال مثلها ، الا أنه قال : قد قامت الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ — ، علمها بلالا ، فكان بلال يؤذن ، فاذا غاب أذن ابن أم مكتوم ، واذا غاب اذن أبو محنورة ، قال الشاعر :

كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَّةِ الْمُسْتَوْرَه
وَمَائِلًا مُحَمَّلًا مِنْ سُورَه
وَالْتَعَمَاتِ مِنْ أَبِي مَخْدُورَه

فقال رسول الله : (إذا أذن بلال فلا يطعم أحد . واذا أذن عمرو فكلوا واشربوا فانه ضرير البصر) فاستدل بعض الفقهاء بهذا على جواز أذان الفجر قبل طلوع الفجر .

أخبرنا بعض أصحابنا قال : استقضى بعض العلويين بواسط فجمع الفقهاء ليتناظروا فى مجلسه ، فقال بعضهم : ماالدليل على جواز أذان الفجر قبل طلوع الفجر ؟ فقال : قول النبى ﷺ — (إذا أذن بلال فلا يطعم أحد واذا أذن عمرو فكلوا واشربوا) قال : فهذا دليل على أنه كان يؤذن قبل طلوع الفجر ، قال : فقال القاضى : أليس قول النبى : — ﷺ — (على منى كهارون من موسى) دليلا على أن اذان الفجر لايجوز قبل طلوع الفجر ، قال : فقلت له : ماأنكرت ان قول النبى (اقتلوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر) وقول الله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ السورة ، وقول على (لا رأى لمن لايطاع) وكل خبر يروى ، وكل اية نزلت دليل على جواز اذان الفجر قبل طلوع الفجر ، قال : وارتج المجلس ضحكا ، والقاضى مبهوت لايدرى ماقال ، وماقلت له ، فقلت وقلت : أنزل الله القضاء على من ولاك القضاء .

(١) الشبور هو البوق أو النفير .

أول مولود ولد في الاسلام قبل الهجرة عبد الله بن عمر

وأمة زينب بنت مظعون الجمحي ، تزوجها عمر في الجاهلية فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة ، وكان عبد الله ممن لم يدخل في الفتنة ،^(١) وممن لا يرى طلاق المكره ، وكان اذا اغتسل من الجنابة غسل داخل عينيه حتى ذهب بصره ، فاذا توضأ غسل يديه الى منكبيه ، ودخل على بعض الأمراء فأحضر له بربطاً ،^(٢) فقال : أتعرف هذا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال نعم . هذا ميزان جيرانى ، وذلك من سلامة قلبه .

وأعجب من غسل عبد الله داخل عينيه من الجنابة صنيع أنس بن مالك ، وأبى طلحة الانصارى أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد عن على بن محمد بن سليمان التوفلى عن أبيه قال : قلت لعيسى بن جعفر : وهو والى البصرة ، لو أحضرت عدة من الفقهاء والأدباء ، وأطايب الناس مجلسك فى كل أسبوع يوماً ، فتغلوا عندك وتذاكروا الفقه والآثار وأخبار الناس ، فتستفيد معرفة وذكرنا حسناً ، فقال : اختر لى منهم عشرة ، واقبض كل شهر الف درهم ، وفرقه فيهم ، فلما حضروا تذاكروا أنس بن مالك ، فقلت : ولاه الحجاج نيسابور من أرض فارس ، فأقام فيها سنتين يقصر الصلاة ويفطر ، ويقول : ما أدرى كم مقامى ومتى يوافينى العزل ، فانكر عيسى ذلك ، فتبادر القوم بالأسانيد بصحته ، فقلت : أعجب من هذا صنيع أبى طلحة الانصارى ، كان يأكل البرد فى شهر رمضان ، ويقول : ليس بطعام ولا شراب ، فانكره عيسى ، فتبادر القوم بالأسانيد ، فقال حماد بن زيد : كأنك تحب أن تذكر مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ — فقلت : والله ما قصدت ذلك ، ولا أبغضت واحدا منهم ، ولكنى أعلمك أنك على خطأ اذا حدثت عن النبى أنه قال : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فترسل هذا ولا توضحه

(١) المراد ما وقع من الفتن أيام عثمان وعلى (رضى الله عنهم أجمعين) .

(٢) الربط من الملاحى عود الطرب (شفاء القليل للخفاجى ص ٦٦) .

فيسمعه من لا يدري ، فيفعل فعل أبي طلحة وأنس ، فيكون الاثم عليك . وانما
عنى — ﷺ — العلماء منهم ، مثل عمر وعلى وابن مسعود ومعاذ بن جبل
ومن شابههم ، لا على الجمهور .

أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة عبد الله بن الزبير

أخبرنا أبو احمد باسناده عن الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي
الاسود قال : لما قدم المهاجرون المدينة أقاموا لايولد لهم مولود ، فقالوا :
سحرمهم اليهود ، فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين عبد الله بن
الزبير ، قال : فكبر الناس تكبيرة ارتجت منها المدينة ، وفرحوا ، وكان الزبير
يهناً به وأبو بكر ، وكانت ولادته في شوال لعشرين شهرا من الهجرة ، فحنكه
رسول الله — ﷺ — بتمرة ، وأمر ان يؤذن في أذنه بالصلاة ، فأذن أبو بكر
فيها ، وكان عبد الله بن الزبير أحد فضلاء الناس ، عقلا وحزما وشجاعة وبيانا
غير أنه كان بخيلا متناهى البخل .

أخبرنا أبو احمد عن دريد عن أبي حاتم قال : قرأت على أبي عبيد
حديث مادر فضحك ، وقال : تعجبي من العرب قد ضربت المثل في البخل بمادر
لفعلة تحتمل التأويل ، وتركوا مثل ابن الزبير ، مع ما يؤثر عن لفظه وفعله من
دقائق البخل ، نظر وهو خليفة الى رجل يقاتل الحجاج على دولته وقد دق في
صدره أهل الشام ثلاثة أرماع ، فقال : اعتزل حربنا فان بيت المال لا يقوى على
هذا ، وقال في تلك الحرب لجنده أكلتم تمرى وعصيتم أمرى ، سلاحكم
رث ، ^(٢) وحدثكم غث ، ^(٣) عيال في الجذب ، أعداء في الخصب ، وقال لرجل
كان يتعاطى بيع الرقيق : ما أشد إقدامك على ركوب الغرر ، وإضاعة المال ،
قال بماذا ؟ قال : بضاعتك هذه الملعونة ، قال : ومالها ؟ قال : من ضمان

(١) حنكة أى مضغ ثمرة وذلك بها حنكه .

(٢) رث أى قديم بال .

(٣) غث أى سخي .

نفس ، ومؤونة ضررس ، قال : وسمع ان مالك بن الأشعر الدارمي من بنى مازن أكل من بعيه وحده ، وحمل ما بقى منه على ظهره ، فقال : دلوني على قبره حتى أنبشه ، وقال لرجل أتاه مجتديا ، وقد أبدع به فشكا اليه حفاء ناقته ، فقال : اخصفها بهُلب ، وارفعها بسبب ، وانضح خفها بالماء ، وأعد بها يبرد خفها ، ^(١) فقال يأمرير المؤمنين : جئتك مستوصلا لا مستوصفا ، ^(٢) فلا بقيت ناقة حملتني اليك ! فقال : ان وصاحبها ^(٣) .

قال : فلو تكلف الحارث بن كلدة طيب العرب ، ومالك بن زيد مناة ، وحنيف الحناتم آبل العرب ، ماتكلفوا تكلف هذا الخليفة في وصف علاج ناقة الأعرابي .

وكان يأكل في سبعة أيام أكلة ، ويقول في خطبة : انما بطنى شبر في شبر فما عسى أن يكفيني ؟ فقال فيه الشاعر : ^(٤)

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شَبْرًا كَانَ قَدْ شَبِعَتْ
وَكُنْتَ أَفْضَلَ فَضْلاً لِلْمَسَاكِينِ
فَإِنْ يُصَبِّكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ
لَمْ أَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ

والمادر رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة سقى إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل ، فأحدث فيه ، ومدر ^(٥) الحوض به لئلا ينتفع به أحد فسمى

(١) يقول له اخرز خفها بشعر غليظ وارفعه عن الأرض بحيل ثم رشه بالماء واجزها يعافى خفها ويبرأ .

(٢) المستوصل المستجدي والمستوصف يطلب العلاج والمعنى جئت أطلب منك مايعينني لادواء لناقتي .

(٣) المراد هي وصاحبها .

(٤) في العقد الفريد ج ٧ ، ص ١٩٨ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة الشاعر هو : أبو وجرة مولى الزبير ، وقال :

لو كان بطنك شبرا قد شبع وقصد أبقى فضلا كثيرا للمساكين ^(٥) مدره أى لطخه .

مادرا ، وذكر أن بنى فزارة وبنى هلال سافروا إلى أنس بن مدرك الخثعمي ، فقالت بنو عامر : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار ، فقالوا : أكلناه ولم نعرفه ، وحدثت أن ثلاثة نفر اصطحبوا . فزاري وتغليي . وكلاي . وصادوا حمارا ومضى الفزاري في حاجة . فطبخا وأكلا ، وخبا للفزاري جردان^(١) الحمار ، فلما رجع قالوا قد خبأنا لك ، فجعل يأكل ولا يكاد يسيغه ، وجعلا يضحكان ، ففطن وقال : آكل سواء العير وحومانه ؟ وحومان الحمار جردانه ، ثم أخذ السيف وقال : لتأكلانه والا قتلتهما وقال لاحدهما وكان اسمه مرقمة ، كل فأبي ، فضر به فأبان رأسه ،^(٢) فقال الآخر : طاح مرقمة ، فقال : وأنت ان لم تلقمه ، أراد ان تلقمها ، فلما ترك الألف ، ألقى الفتحة على الميم كما قالوا : ويل أم الحيرة وأى رجال به أى بها ، قال الكميت بن ثعلبة .

نشدتك يا فزَارُ وأنت شَيْخٌ
إذا حُيرت تُخطِئُ في الخِيَارِ
أصْحَانِيَّةٌ أَدِمْتُ بَسْنِ
أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَيْرِ الْحِمَارِ
بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخَصِيَّتَاهُ
أَحَبُّ إِلَيَّ فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِي

فقالت بنو فزارة : ولكن لكم يابنى هلال من فرى حوضه وسقى إبله ، فلما رويت سلح فيه ومدره بخلا أن يشرب غيره منه ، فقضى أنس بن مدرك على الهالبيين .

وباسناد لنا أن رجلا تقاضى فزاريا ديناً له عليه ، فقال له الفزاري : مأعطيتك أير حمار . فقال له : بورك لكم فى أير الحمار تأكلونه اذا جعتم

(١) جردان الحمار أيره وخصيته .

(٢) أبان رأسه فصلها عن جسمه .

(٣) نوع من الطعام كالحيس يصنع من سمن وتمر وسويق .

وتقضون ديونكم اذا استدنتم .

أول مولود ولد من الأنصار النعمان بن بشير لاربع وعشرين شهرا من الهجرة

أخبرنا أبو احمد باسناده عن الواقدي قال : قالوا : أتى النبي ﷺ —
بالنعمان بن بشير اليوم السابع من مولده ، وعليه شعر البطن ، فأمر بحلقه ،
وقال : عقوا عنه بشاة ، وتصدقوا بزنة شعره على المساكين ، فهو أول من
تصدق بزنة شعره .

أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبي بكره « أول من لاعن في الاسلام هلال بن أمية الواقفي »

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي داود عن عباد ابن
منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ قال : سعد
بن عباد : يارسول الله ، أهكذا أنزلت ؟ فلو وجدت لكاعا . متفخذها رجل لم
يكن لي أن أخبركم حتى آتي بأربعة شهداء ؟ فوالله لا آتي بهم حتى يقضى
حاجته ، فقال رسول الله ﷺ — : يامعشر الانصار ، ألا تسمعون مايقول
سيدكم ؟ قالوا : لاتلمه ، فانه رجل غيور ، والله ماتزوج قط الا عذراء ، ولا
طلق امرأة فاجترأ رجل منا ان يتزوجها ، فقال سعد : والله يارسول الله ، إني
لأعلم أنها حق ، قال : فان رسول الله ﷺ لكذلك إذ جاء هلال بن أمية الواقفي
فقال : إني جئت البارحة عشاء الى حائط لي ، فرأيت مع أهلي رجلا ، فكره
رسول الله ﷺ — ماجاء به ، وقيل تجلد ، وتبطل في المسلمين فقال
هلال : يارسول الله ، إني لأجد في وجهك كراهة ماجئت به ، وإني أرجو أن
يجعل الله لي فرجا ، فان رسول الله ﷺ — لكذلك إذ نزل عليه الوحي ،

(١) سورة النور الآية (٤) .

وكان اذا نزل عليه الوحي يربد^(١) وجهه وجسده لذلك ، وأمسك عنه أصحابه ، فلم يكلمه ، أحد .

فلما رفع الوحي قال : يا هلال أبشر ، فقد جعل الله لك فرجا ، ثم قال : ادعوها فدعيت ، فقال : ان الله جل ثناؤه يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ، فقال هلال : ما قلت الا حقا ، وقالت هي : كذب .

ف قيل لهلال : أشهد فشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين وقيل له في الخامسة : اتق الله ، فان عذاب الله أشد من عذاب الناس ، وان هذه توجب عليك العذاب ، قال لا يعذبني الله عليها أبدا كما لم يجلدني عليها ، فشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، وقيل لها : اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة : اتق الله ، فان عذاب الله أشد من عذاب الناس ، وان هذه توجب عليك العذاب ، فصبرت ساعة ثم قالت : والله لأفضح قومي ، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، وقضى رسول الله ﷺ — الا ترمي ولا يرمى ولدها ، ومن رماها ورمى ولدها جلد الحد ، وليس عليه قوت ولا سكني ، من أجل أنهما يتفرقان بغير طلاق ولا هو متوفى عنها .

وقال رسول الله ﷺ — أبصروها ، فان جاءت به أشبح أصهب^(٢) أرسح أحمش الساقين^(٣) فهو لهلال بن أمية ، وان جاءت به خدلج الساقين ،^(٤) سابغ الاليتين ، أورق^(٥) جعدا^(٦) جماليا فهو لصاحبه ، فجاءت به

(١) الريلة الغيرة أى يصير وجهه وجسده كذلك .

(٢) أشبح عريض الذراعين والاصهب الذى يخالط بياضه حمرة .

(٣) أرسح قليل لحم الفخذين والعجز وأحمش الساقين أى ممتلئهما .

(٤) خدلج الساقين أى دقيقهما .

(٥) الأوراق مالونه لون الرماد .

(٦) وجه جعد أى مستدير قليل الملاحظة وشعر أجعد ضد المسترسل .

خدلج الساقين ، سابغ الاليتين ، أورك جعدا جماليا فهو لصاحبه ، فجاءت به
خدلج الساقين ، سابغ الاليتين ، أورك جعدا جماليا ، فقال رسول الله : لولا
الأيمن كان لى ولها أمر .

أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت

أخبرنا أبو أحمد باسناده عن الواقدي عن عبد الحميد عن عمران ابن
أنس عن أبيه قال : كان من ظاهر فى الجاهلية حرمت عليه امرأته آخر الدهر ،
وكان أول من ظاهر فى الاسلام أوس ابن الصامت ، وكان به
لمم ،^(١) لاحتى^(٢) امرأته خولة بنت ثعلبة ، فقال لها : أنت على كظهر أمى ،
فسألت رسول الله ﷺ — فقال : ماأراك الا قد حرمت عليه ، فجادلته
مرارا ، ثم دعت الله ، فأنزل الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي
زُوجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) الى آخر القصة .

فقال لها رسول الله : مريه فليعتق رقبة ، قالت : من أين يجدها ؟ والله
ماله خادم غيرى ، قال : فليصم شهرين متتابعين ، قالت : لايطيق انه
لكالحرساه^(٤) ، قال : فليطعم ستين مسكينا ، قالت : وأنى له ذلك ؟ انما هى
وجبة ، قال : فليأت أم المنذر — وكان عندها تمر الصدقة — فليأخذ شطر
وسق ، فليتصدق به على ستين مسكينا ، ففعل ، وكان يطعم كل مسكين
مدين ، هذا معنى الحديث .

(١) لمم جنون خفيف .

(٢) لاحتى امرأته أى نازعها وخصمها .

(٣) سورة المجادلة الآية (١) .

(٤) لم أجد لها معنى ولعل المراد كالحراثه مأخوذ من الحرثة وهى الدابة الهزيلة الضعيفة .

أول من رجم فى الاسلام ما عر

أول من استقبل القبلة حيا وميتا البراء بن معرور

أول مانسخ من الشريعة أمر القبلة

أخبرنا أبو احمد عن الجوهرى عن أبى زيد قال : اختلف الناس فقال بعضهم : لم يزل رسول الله ﷺ يسجد نحو بيت المقدس ، ويجعل الكعبة وراء ظهره ، وقال بعضهم : لم يستقبل الكعبة حتى أتى المدينة فجعل يصلى الى بيت المقدس ، لئلا تكذب به اليهود اذا صلى الى غير قبلتهم مع ما يجلون من نعته ، فصلى إليه سبعة عشر شهرا ، وقالوا ستة عشر شهرا ، ثم سأل الله أن يحوله الى الكعبة فأنزل الله ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ لِشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١) ففعل ، وكان ذلك أول مانسخ من الشريعة .

فقال قريش : قد تردد على محمد أمره ، وقد توجه اليكم ، وهو راجع الى دينكم ، وشق على اليهود توليه عن بيت المقدس ، فقال حبي بن أخطب للمسلمين : ان كانت صلاتكم الى بيت المقدس هدى ، فقد رجعتم عنه ، وان كانت ضلالا ، فقد مات عليها جماعة منكم . أسعد بن زرارة ، والبراء بن معرور ، وغيرهما ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ ^(٢) وكانت الانصار تصلى الى بيت المقدس قبل مقدم رسول الله ﷺ — بستين .

وأول من توجه الى الكعبة البراء بن معرور

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبى زيد عن أحمد بن عيسى عن عبد الله بن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ — قال : من سيدكم يابنى سلمة قالوا : جد بن قيس ،

(١) سورة البقرة الآية (١٢٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣) .

قال : لم سودتموه ؟ قالوا : لانه أكثرنا مالا ، وإنا لنذمه بالبخل ، قال : وأى داء أدوى ^(١) من البخل ؟ بل سيدكم بشر ابن البراء بن معرور ، وكان البراء أول من استقبل القبلة حيا ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فأمره أن يستقبل بيت المقدس ، فأطاع ، حتى اذا حضرته الوفاة قال : وجهوني نحو المسجد الحرام ، فلما قدم رسول الله المدينة صلى الى بيت المقدس ثلاثة عشر شهرا ، هكذا قال : ثم صرفت القبلة الى البيت الحرام فى جمادى والبراء أول من صلى عليه رسول الله ﷺ — من المسلمين .

أول ما حرمت الخمر أول من جلد فيها عبد الله بن الحمار

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أحمد بن عبد الرحمن القرشي عن الوليد بن مسلم عن مرزوق بن أبي الهذيل وغيره أنهم سمعوا ابن شهاب يحدث ، أن أول آية نزلت فى تحريم الخمر ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ ^(٢) الآية فتواعظ المسلمون فيما بينهم ، وقالوا : من اتبع هواه لا يتركها حتى تحرم ، فانزل الله تعالى ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ ^(٣) فانتهى بعضهم عنها ولم ينته بعض ، فشرب سعد بن أبي وقاص مع رجال من بنى عمرو بن عوف ، فسكروا فاقتتلوا ، فكسروا أنف سعد ، فانزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ — إِلَى قَوْلِهِ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ؟ ^(٤) فقال عمر : لنتهين ، وكان عمر حرمها على نفسه قبل التحريم ، وقال الواقدي : أول من أتى به رسول الله ﷺ — رجل يقال له عبد الله الحمار ، قد شرب وسكر ، فأمر فحشوا فى وجهه التراب ، وضربوه بنعالهم ، ثم أتى به الثانية ، ففعل به مثل ذلك ، والثالثة حتى ضربوه

(١) أى أشد مرضا من البخل .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٩) .

(٣) سورة النساء الآية (٤٣) .

(٤) سورة المائدة الآية (٩٠) ، (٩١) .

مرارا ، فقال عمر : اللهم العنه ، فقال رسول الله ﷺ — لا تلعه فانه يحب الله ورسوله ، وكان يشتري الشيء يأتي به الرسول على أنه هدية ، فاذا أكله وفرقه قال : يارسول الله ، هذا صاحبه ، فأعطه ثمنه ، فيضحك الرسول ، ويأمر بارضاء صاحبه ، هذا معنى الحديث .

وقيل أول من ضرب في الخمر نعيمان والأول أصح .

أول فرس عقر في الاسلام فرس جعفر بن أبي طالب

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجاله قالوا : وجه رسول الله — ﷺ — جعفر بن أبي طالب سنة ثمان إلى مؤتة في جيش فنزلوا معان ، فلقوا جمعا للروم ، معهم قوم متعربة من لخم وجذام ونهد^(١) ، أو غيرهم ، عليهم مالك بن زافلة ، فالتقوا فعقر جعفر فرسه ، ليعلم المشركين أنه الموت أو النصر ، فكان أول فرس عقر في الإسلام ، ثم قتل جعفر ، وأخذ الراية عبد الله بن رواحة فقتل ، وقتل قطبة بن قتادة مالك بن زافلة فقال :

طَعَنْتُ ابْنَ زَافَلَةَ الرَّائِشِ بِرُمَحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ النَحْطَمُ
ضَرَبْتُ بِسَيْفِي شَرَى سَيْفِهِ فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمِ

واجتمع الجيش الى خالد ابن الوليد ، وانصرف ففتح الله عليه .

أول من استصبح في مسجد رسول الله وأول من عمل المنبر

تميم الداري

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد وعن غير هؤلاء قالوا : كان رسول الله — ﷺ — يشتكي رجله اذا قام وقعد من وجع يقال له الرجز ، فقال له تميم الداري : الا أعمل لك منبرا ؟ قال : وكيف المنبر ؟ وكان تميم الداري رأى منابر

(١) في مختصر السيرة ص ٢٢٨ من لخم وجذام وبلي وفي الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٣٥ زاد وبلغين .

الكنايس بفلسطين ، فقطع أثلا ، وعمله وجعله درجتين ومقعدا ، فتحول اليه رسول الله ﷺ — فحن الجذع فوضع يده عليه فسكت ، ثم دفن تحت المنبر ، ثم كتب معاوية الى مروان أيام خلافته أن يبعث اليه بمنبر رسول الله ﷺ ، فقطعه مروان ، فأصابتهم ريح مظلمة بدت فيها النجوم ، فتركه وزاد فيه ست درجات ، فصار تسع درجات ، وما زاد فيه أحد قبله ولا بعده ^(١) ، وتميم أول من استصبح في مسجد رسول الله ﷺ — هكذا رواه لنا في كتاب المدينة ^(٢).



(١) الحادثة لم تصح .

(٢) هو كتاب عن أخبار المدينة وامراتها لعمر بن شبة المكنى بأبي زيد .

الباب الخامس

فيما جاء من ذلك عن الملوك في
الإسلام

أول من بايع لولده معاوية وأشار عليه المغيرة بن شعبة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أئى جعفر عن المدائنى عن الهيثم عن عدى عن الشعبى قال : كتب المغيرة بن شعبة الى معاوية حين كبر وخاف العزل ، فكتب اليه معاوية ، أما ما ذكرت من كبر سنك ، فأنت أكملت عمرك ، وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فإنى لو أستطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أئى سفيان ، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش ، فإن حلماء قريش أنزلوك هذا المنزل ، وأما ما ذكرت من العمل فصح رويدا تترك الهيجاء جمل ، فاستأذن معاوية فى القدوم فاذن له ، فقال الربيع ابن هرم : فخرج المغيرة ، وخرجنا معه إلى معاوية ، فقال له : يا مغيرة ! كبرت سنك ، واقترب أجلك ، ولم خرجنا معه الى معاوية ، فقال له : يا مغيرة ! كبرت سنك ، واقترب أجلك ، ولم يبق منك شئ ، ولا أظننى الا مستبدلا بك ، قال : فانصرف الينا ، ونحن نعرف الكآبة فى وجهه ، فقلنا : ما يريد أن يصنع ؟ قال : ستعلمون قال : فأئى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الانفس يغدى عليها ويراح ، فلو نصبت لنا علما نصير اليه ، مع أئى قد دعوت أهل العراق الى يزيد فركنوا اليه ، حتى جاءنى كتابك ، فقال : يا أبا محمد ، انصرف الى عملك ، فأحكم هذا الأمر لابن أخيك ، فأقبلنا على اليزيد فركض ، فقال : يا مغيرة ! وضعت رجلك فى ركاب طويل ، ألقى على أمة محمد ، قال : فذاك الذى دعا الى البيعة ليزيد^(١).

(١) فى العقد الفريد ج ٥ ، ص ١٢٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة قال : لما مات زياد — يعنى ابن ابيه — وذلك سنة ثلاث وخمسين أظهر معاوية عهدا مفتعلا فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده ، وانما اراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعد عن أبيه قال : لما أراد معاوية أن يعقد البيعة ليزيد قال لاهل الشام : أن أمير المؤمنين قد كبر ، ودنا من أجله ، فما ترون ؟ وقد أردت أن أولى أمركم رجلا من بعدى ، قالوا : عليك بعبد الرحمن بن خالد ، فأضمرها ، واشتكى عبد الرحمن بن خالد ، فأمر ابن أثال طبيبا من عظماء الروم فسقاه شربة فمات ، فبلغ معاوية موته ، فقال : ما أنجد إلا من أنقص عنك من تكره ، ^(١) وبلغ حديثه ابن أخيه خالد بن المهاجر ، فورد دمشق مع مولى له ، يقال له نافع : فقعدا لابن أثال ليلا ، فلما طلع منصرفا من عند معاوية شد عليه خالد ، فضربه وقتله ، فطلبهما معاوية فوجدهما ، فقال لخالد : قتلتك لعنك الله ؟ قال : نعم ، قتل المأمور وبقي الأمر ، ^(٢) ولو كنا على سواء ما تكلمت بهذا الكلام ، فضرب معاوية نافعا مائة سوط ، وقضى في ابن أثال بالدية باثني عشر ألف درهم ، وأدخل بيت المال منها ستة آلاف ، فكانت دية المعاهد مثل ذلك ، حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي كان يأخذه السلطان منها ، وقال خالد حين رجع الى المدينة :

فَقَضَى لِابْنِ سَيْفِ اللَّهِ ^(٣) بِالْحَقِّ سَيْفَهُ
وَعُرِّيَ مِنْ جَمَلِ الدُّخُولِ رَوَاجِلُهُ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَهُوَ حَقٌّ أَصَابَهُ
وَإِنْ كَانَ ظَنًّا فَهُوَ بِالظَّنِّ فَأَعْلَهُ
سَلِ ابْنَ أَثَالٍ هَلْ تَأَزَّتْ ابْنُ خَالِدٍ
وَهَذَا ابْنُ جُرْمُوزٍ فَهَلْ أَنْتَ قَاتِلُهُ

يقول لعروة بن الزبير ، ^(٤) وقال كعب بن جعيل يرثي عبد الرحمن :

-
- (١) أنجد يعنى أعان والمعنى ما أعانك بحق الا من ينقص عدد أعدائك .
(٢) بقى الأمر يعنى معاوية لانه الذى أمر ابن أثال بقتل عبد الرحمن .
(٣) المراد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .
(٤) ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام والشاعر يوجه الكلام لعروة بن الزبير يحرضه على قتل ابن جرموز .

أَلَا بُكِّي وَمَا ظَلَمْتُ قُرَيْشًا
 بِأَغْوَالِ الْبُكَاءِ عَلَى قَتَاها
 وَلَوْ سُلِّتْ دِمَشْقُ وَأَرْضُ حِمَاصٍ
 وَبَصْرَى مِنْ أَبَاخَ لَكُمْ قَرَاها
 فَسَيَفُ اللَّهُ أَدْخَلَهَا الْمَنَافَا
 وَهَدَمَ حِصْنَهَا وَحَمَى حِمَاها
 فَأَسْكَنَهَا مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ
 وَكَانَتْ أَرْضُهُ أَرْضًا سِوَاها

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن سعيد بن عامر عن جورية
 ابن أسماء قال : لما أراد ^(١) لبيعة ليزيد كتب الى مروان وهو على المدينة فقراً
 كتابه على الناس فقال : ان أمير المؤمنين قد كبر سنه ، ورق عظمه ، وخاف أن
 يأتيه أمر الله ، فيدع الناس حيارى كالغنم ، لاراعى لها ، فأحب أن يعلم علما ،
 ويقيم إماما بعده ، فقليل : وفق الله أمير المؤمنين وسدده فليفعل ، فكتب مروان
 اليه بذلك ، فكتب ، ان سم يزيد ، فسماه ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر ،
 كذبت والله وكذب معاوية ، لا يكون ذلك أبدا ، أشبه الروم ؟ كلما مات
 هرقل ، قام هرقل ، ^(٢) فقال مروان : هذا الذي قال الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ
 لَوْلَا إِلَهِهِ أَفْ لَكُمْ ﴾ ^(٣) الآية فأنكرت عائشة عليه ذلك ، وكتب مروان الى
 معاوية بذلك ، فأقبل ، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها ، فيهم عبد الله بن
 عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي ، (رضى الله عنهم) وعبد
 الرحمن بن أبي بكر ، فلما رآهم سبهم واحدا واحدا ، ^(٤) ودخل المدينة ،

(١) لعل هنا كلمة معاوية وسقطت في النسخ .

(٢) هرقل اسم كان يطلق على كل من ملك الروم كما أن كسرى كان يطلق على كل من ملك الفرس
 وفرعون يطلق على كل من حكم مصر .

(٣) سورة الأحقاف الآية (١٨) .

(٤) في العقد الفريد ج ٥ ، ص ١٣٢ مطبعة الاستقامة بالقاهرة : فلما نظر إلى الحسين قال : مرحبا بسيد =

وخرج هؤلاء الرهط،^(١) معتمرين ، ثم خرج معاوية حاجا ، فاستقبلوه ، فلما دخلوا عليه رحب بهم والطفهم ، ثم أرسل اليهم يوما ، فقالوا لابن الزبير : أنت صاحبه فكلمه ، فلما دخلوا عليه دعاهم الى بيعة يزيد ، فسكتوا ، فقال : أجيوني ، فقال ابن الزبير : اختر خصلة من ثلاث : اما أن تفعل فعل رسول الله ﷺ — فلا تستخلف ، او فعل أبي بكر نظر الى رجل من أعراض^(٢) قريش ، أو فعل عمر جعلها شورى في ستة فقال : ألا تعلمون أني كنت قد عودتكم من نفسي عادة أكره ان أمنعكم إياها حتى أئين لكم ؟ اني كنت أتكلم بالكلام فتعرضون فيه ، وتردون على ، وإياكم ان تعودوا ، واني قائم فقائل مقالا لا يعارضني فيه أحد منكم الا ضربت عنقه .

ثم وكل بكل واحد منهم رجلين ، وقام خطيبا فقال : ان عبد الله بن عمر وابن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر قد بايعوا ، فبايعوا ، فابتدر الناس يبايعون حتى اذا فرغ ركب نجائبه^(٣) ، ومضى الى الشام ، وأقبل الناس على هؤلاء يلومونهم ، فقالوا : والله ما بايعنا ولكن فعل بنا ما فعل ، هذا معنى الحديث .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : قدم معاوية حاجا في عام واحد وخمسين ، وأذن لمروان وقال : أشر على في أمر الحسين ، قال : أرى أن تخرجه معك فتقطعه عن أهل العراق ، وتقطعهم عنه ، قال : أردت والله أن تستريح منه ، ونحمل مؤنته ، على أن ينال مني ما ينال منك فان انتقمتم قطعت رحمه^(٤) ، وان صبرت صبرت على أذاه ، ثم أذن لسعيد بن العاص ،

= شباب المسلمين ، وقال لعبد الرحمن بن ابي بكر : مرحبا بشيخ قريش وسيدها . وقال لابن عمر : مرحبا بصاحب رسول الله . وقال لابن الزبير : مرحبا بابن حوارى رسول الله (ﷺ) ودعا لهم بنواب فحملهم عليها .

(١) الرهط الجماعة من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة .

(٢) أعراض قريش أحسنهم نسبا وشرفا .

(٣) النجائب جمع نجبة وهي الناقة الجيدة يختارها الانسان لنفسه .

(٤) المراد بالرحم صلة الحسين برسول الله ﷺ .

فقال : أشر على فى أمر الحسين قال : أرى أنك لاتخافه على نفسك ، وانما تخافه على من بعدك ، وأنت تدع له قرينا ان قاتله قتله ، وان مأكره مأكره ، فاترك حسينا بمنبت النخلة ، يشرب من الماء ، ويذهب فى الهواء ، لايبلغ عنان السماء^(١) ، قال : أصبت .

لأخبرنكم عنى يابنى أمية : لن يبرح هذا الأمر فيكم ماعظمتم ملوككم ، فاذا تمنها كل امرئ منكم لنفسه وثب بنو عبد المطلب فى أقطارها ،^(٢) وقال الناس : آل رسول الله — ﷺ — ، فكانت الخلافة فيكم كحجر المنجنيق^(٣) يذهب أمامه ، ولا يرجع وراءه .

أول من وضع البريد فى الاسلام معاوية بن أبى سفيان وأحكم أمره عبد الملك

فقال لابن الزعيزعة : وليتك ماخلف بابى إلا أربعة : المؤذن فانه داع الى الله فلا حجاب عليه ، وطارق الليل ، فانه لو وجد خيرا لنام ، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب ، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم^(٤) حبسهم البريد ساعة ، والطعام اذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول ، ومن هذا أخذ الشاعر قوله :

بِأَبَى خَلَاتِقٍ خَالِدٍ وَفَعَالُهُ
إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرٍ عَائِبُ
وَإِذَا حَضَرْنَا الْبَابَ عِنْدَ غَدَائِهِ
إِذَنْ الْغَدَاءُ لَنَا بِرَغْمِ الْحَاجِبِ

وروى هذا الكلام عن زياد أيضا .

(١) المراد دعه وشأنه فلن يبلغ منك شيئا وعن السماء ما بدالك منها اذا نظرت اليها .

(٢) أقطارها نواحيها وجوانبها .

(٣) المنجنيق آلة حربية ترمى بها القذائف .

(٤) سنتهم خطتهم وطريقتهم .

أول من سمي الغالية غالية معاوية أيضا

شمها من عبد الله بن جعفر وسأله عنها فوصفها له فقال : انها غالية ،
ويقال : انه شمها من مالك بن اسماء ابن خارجة ، وكانت أخته هند أول من
صنعها ، فسألها عنها فقالت : أخذته من شعرك .

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طِيبُ أُمِّ أَبَانٍ
فَأَرْمِسْكَ بَعْبَرِ مَنْخُوقٍ
حَاطَتْهُ بَرْبَقِي^(١) وَلَبَّانٍ
فَهُوَ أَحَدَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٍ^(٢)

وأنكر الجاحظ ذلك وقال : نحن نجد في أشعار الجاهلية ذكر الغالية
وأنشد البيتين ونسبهما الى عدى ، وذكر قول الهيثم . ان أربعة أشياء أتت قريشا
والعرب من جهة الحبشة . الغالية ، وحمل النساء اذا متن في النعوش ،
والمصحف له دفتان ، وصادق أربعمئة دينار .

قال : ولا أظن الهيثم يثبت في هذا الحديث ، وانما يؤتى الناس من ترك
الثبت ، وقلة المحاسبة ، ولا يدفع الثبوت والتحفظ من قريحة جيدة وقد قال
الشاعر :

إِنَّمَا تُنْفَعُ التَّجَارِبُ مَنْ كَانَ عَاقِلًا

قد علمنا ان ولد هارون النبي من اليهود كانوا طبقوا الحجاز وقرى
العربية ، ومازالوا يحملون موتاهم من الرجال والنساء في النعوش ، ومازالت
التوراة في أيديهم بين الدفتين ، وأما الغالية : فمتى كانت الحبشة أصحاب عيش
رقيق وتنعم فهل يعدلهم شيء آخر يشبه الغالية ، ومعجونات العطر كلها عربية ،

(١) الزنبق دهن الياسمين .

(٢) أحدى بالشيء لازمه والشريق المختلط والمعنى أن الطيب يختلط بالمكان الذي يوضع فيه ويلازمه
فيبقى فيه مدة طويلة وذلك لا يكون إلا للأنواع الجيدة من الطيب .

يدل على ذلك أن أسماءها كلها عربية صحيحة مثل الغالية والشاهرية والخلق والخلخة والعطن وهو العود المطرى والذرية^(١) ولو كانت عجمية لكانت أسماؤها معربة كما يقولون في أسماء ألوان الطيخ : مثل السكبا^(٢) والدغيا^(٣) والطباهجة^(٤) والمصوص^(٥) بالفارسية مزور والمردون — وهو السمي^(٦) — والسميط بالفارسية روا قال : والخلق^(٧) وهو مما استعملته العرب قديما ، وكان السيد منهم اذا قتل رجلا من غير رهطه ، وكان أولياء الدم أعزاء ، قالوا : اما ان يقتلك صاحبنا ، واما أن تدفع الينا رجلا من رهطك شريفا نقيده^(٨) به ، فكان السيد يعمد الى رجل شريف فيلبسه أجود لباس ويخلقه ويزفه اليهم ، فان وجدوه كفؤا قتلوه ، أو عفوا عنه بعد القدرة . قال : فقتل حاجب بن زرارة مرار بن حنيفة فقالت قبائل دارم : إما أن تقتد بنفسك ، واما ان تدفع الينا رجلا من رهطك ، فأمر فتى من بنى زرارة من عدس أن يصير اليهم حتى يقاد ، فمروا بالفتى على أمه مزينا مخلقا ،^(٩) فانشد أخوها :

تَضَمَّعَ بِالْخُلُقِ وَجَهَّزُوهُ لِنَاجِزِ حَتْفِهِ وَالسَّيْفِ دَامِي^(٩)
وَكَانَ كَظْيَةِ عُثْرٍ ضَلَالًا مَكَانَ الشَّاةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ^(١٠)

وهذا مثل قول الحارث بن حلزة .

(١) هذه كلها أسماء لانواع من الطيب يخلط بعضها ببعض .

(٢) السكبا^(٢) مرق يعمل من اللحم والخل .

(٣) الطباهج الكباب .

(٤) المصوص لحم يطبخ وينقع في الخل .

(٥) السمي^(٥) المسموط وهو الذبيحة تلقى في الماء المغلى فتسقط .

(٦) الخلق اخلاط من الطيب أكثر اجزائه الزعفران .

(٧) تقتله به .

(٨) مطبيا بالخلق .

(٩) تضمع تطلق والخلق الطيب وجهزوه أى أعدوه ولناجز حتفه أى لعاجل موته والمراد أنهم خلقوا الفتى وأعدوه للموت العاجل والسي^(٩) يقطر دما من قتله .

(١٠) عثرت ضلالا أى ذبحت خطأ والعيرة شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم في شهر رجب فالشاعر يشبه هذا الشاب الذى قيد للذبح مكان السيد بالظبية التى تذبح ظلما مكان الشاة .

عَنْتاً^(١) بَاطِلًا فَظُلْمًا كَمَا تُعْتَرُ عَنْ حُجْرَةِ الرَّيِّضِ الطَّبَّاءِ

وانما قال أخوها هذا القول لتجزع أمه فُلعل حاجبا يدفع اليهم سواه ،
فقالَت الام : ان حيضة وقت حاجبا الموت لعظيمة البركة ، فجعلت ابنها حيضة
فى جانب مايدفع الأذى عن السيد .

أول من عمل المقصورة معاوية

قال العيني : رأى معاوية على منبره كلبا فأمر فاتخذ له المقصورة فى
المسجد ، وقالوا : أول من اتخذها مروان .

أخبرنا أبو أحمد باسناده عن الواقدى عن عبد الحكم بن عبد الله ابن
المطلب بن عبد الله قال : أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان ابن
الحكم ، بناها بحجارة منقوشة وجعل لها كوى ، وكان قد بعث ساعيا الى
تهامة ، فظلم رجلا يقال له دب ، فجاء حتى قام حيث يريد مروان ان يصلى ،
فطعنه بسكين معه ، فلم يصنع شيئا ، وأخذوه ، وقالوا : ماحملك على
ماصنعت ؟ قال : بعثت عاملك فأخذ مالى ، فقلت أذهب الى الذى بعثه أقتله
فهو أصل الظلم ، فحبسه مروان حيناً ، ثم أمر به فاغتيل سرا ، وأمر ببناء
المقصورة وكان يصلى فيها مخافة ان يصيبه ماأصاب عمر — رضى الله عنه .

أول من نقص التكبير وأول من خطب جالسا

أخبرنا أبو احمد عن الجوهرى عن أبى زيد عن رجاله عن ابراهيم عن
الشعبي قال : أول من خطب جالسا معاوية ، حين كثر شحمه وعظمت بطنه ،
وهو أول من نقص التكبير ، وكان اذا قال « سمع الله لمن حمده » انحط الى
السجود ولم يكبر ، فعد الناس خطبته جالسا من البدع ، حتى بعث عبد الملك

(١) عنتا أى مشقة وفى رواية المعلقات (عنتا) بالنون بدل التاء والمعنى اعتراضا وكان الرجل منهم يبخل
بالشاة فيصطاد طيبة ويذبحها بدلا منها .

بن مروان حبيش بن دلجة فدعا بخبز ولحم فأكله على منبر رسول الله ﷺ ، ثم دعا بماء فتوضأ عليه ، ودعا الناس الى بيعه عبد الملك فبايعوه كرها ، ثم بعث ابن الزبير أخاه عروة فقتله .

أول ملك عبث به رعيته واجترأ عليه أشد الاجتراء معاوية

أخبرنا أبو أحمد باسناده عن أبي زيد قال : بلغني فيما روى في ذلك ان معاوية لما حج قال شاب من قریش لمولى : ان أنت قتلت الى معاوية ، فسألته ، من كان زوج أمه قبل أبي سفيان ، فلك كذا ، فقام الرجل اليه فقال : ليخبرنا أمير المؤمنين ، من كان زوج أمه قبل أبي سفيان ؟ قال : حفص بن المغيرة ، فكلّم ذلك الرجل عمرو بن الزبير بعد ذلك بكلام أغلظ له فيه ، فأمر به فضرب حتى مات ، فبلغ ذلك معاوية فتغيظ على عمرو ، وهم به ، فقيل هو الرجل الذي قام اليك بمكة ، فقال كذا فقال : فأنا اذا قتلته وأنا أحق من وداه^(١) .

أول من أقر التسليم على الملوك معاوية

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن عبد الله ابن عبد الصمد بن خدّاش عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعي عن التسليم على الأمراء فقال : أول من فعله معاوية ، وأقره عمر بن عبد العزيز ، قال الأوزاعي : اني لاكرهه لانه مفسدة لقلوبهم .

وكره من الداخل على الملك ان يسلم لأن التسليم يقتضى الرد ، وليس ينبغي ان يخاطب الملك بما يوجب عليه كلفة رد ، ورجع جواب ، ألا ترى أنه لاينبغي لاحد أن يسأله عن حاله ؟ وعما بات عليه في ليلته الا أن يكون طيبا فيسأل عن ذلك ليكون علاجه له بحسبه ، ولان التسليم أيضا مبتذل في سائر الناس ، وعادات الملوك مביانة لعادات الرعايا ، فسييل الداخل عليهم ، إن كان من الاشراف أن يجرد عليهم الدعاء ، ويخلص التمجيد والثناء ، قائما بحيث

(١) وداه أى دفع ديته .

لا ينأى عنهم ، ولا يقرب منهم ، فان استنداه الملك ، أكب على أطرافه فقبلها ، ثم قام ، فان أوماً^(١) إليه بالعود قعد ، فان كلمه أجابه بانخفاض صوت ، وقلة حركة وان سكت ، نهض قبل أن يتمكن به المجلس بغير تسليم ، ولاتوديع ولا انتظار أمر .

وان كان من الطبقة الوسطى ، فينبغي أن يقف نائياً عن الملك ، وان استنداه دنا خطوات ثلاثة ، فان استنداه ثانيا ، دنا مثل ذلك ، فان أوماً إليه بالعود قعد مقعياً ،^(٢) أو جاثياً ، وان كان في دخوله محاذياً له عدل يمينا أو شمالاً ، ان أمكن ذلك ، ثم ينحرف الى مجلسه ، فاذا وقعت عينه عليه هرول اليه حتى يقف بين يديه ، ويدعو قائماً ، وان سكت عند انصرف ومشى القهقري^(٣) من غير سلام ولا كلام ، وان أمكن ان يستتر بشيء عن نظره فعل ،^(٤) فاذا دخل اليه من يساويه في السلطات فينبغي للملك ان يقوم اليه فيعانقه ، ويجلس مجلسه « ويجلس دونه ، فاذا انصرف مشى معه خطى يسيرة ، ويدعو بدابته ، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه ، ليفعل به مثل ذلك اذا كان في مثل حاله .

ومن حضر طعام الملك فينبغي ان يقلل الاكل غاية الاقلال ، حتى يأكل كما تأكل الطير ، فانما يراد بمواكلة الملوك التشريف لا الشبع .

وروى ان سابور ذا الاكتاف أراد أن يولى رجلاً قضاء القضاة « فأحضره طعامه ، فأكل أكلاً واسعاً ، فلما فرغ قال له : انصرف فان من شره بين يدي الملوك كان الى مال الرعية أشره ، .. ودعا المنصور فتى من بنى هاشم الى

(١) أشار .

(٢) الجلوس مقعياً أن يجلس على اليته ناصباً فخذه والجلوس جاثياً هو الجلوس على الركبتين .

(٣) القهقري الرجوع الى الوراء .

(٤) هذه الصفة التي ذكرها أبو هلال لمن يدخل على الملوك لم تكن معروفة عند المسلمين لا في عهد رسول الله ولا في عهد الخلفاء الراشدين وانما هي عادة الفرس مع ملوكهم وهي تتنافى تماماً مع روح الاسلام حيث فيها اذلال للمسلمين ويرى أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ — فخافه وفرغ لهيبته فقال له الرسول : ما معناه « هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » .

طعامه فقال : قد أكلت ، فعدل به الربيع فضر به ثلاثين مقرعة ، فعاتبه المنصور فقال : ان هذا كان يقف فى النظارة فاستدناه أمير المؤمنين ، حتى دعاه الى طعامه ، فظن أن ذلك يراد به الشيع ، وأغفل ما فيه من التشريف ، فأدبته على سوء تمييزه ، فشكر له المنصور وأجازته .

ومن يذنه الملك لمنادمته ينبغ أن ينادمه على حسب عادة الملك فى ذم نفسه ، وارسالها عند الشرب ،^(١) ولا يسأله حاجة اذا سكر ، فان ذلك يجرى مجرى الخداع ، واذا أراد أن يقوم لحاجة فينبغى أن يلاحظ الملك ، فان نظر اليه قام مائلا ، فان نظر اليه مضى . وان عاد وقف أبدا ، حتى اذا نظر اليه قعد مقعيا أو جاثيا ، فإذا نظر اليه تمكن ، وليس له ان يختار كمية الشرب وكيفيته ، وعلى الملك أن يأمر بالكف عنه اذا بلغ الكفاية ، ولا يكلفه فوق وسعه ، فإن من يجاوز حد العدل على الخاصة ، لم تطمع العامة فى انصافه ، واذا كان من اسم الداخل على الملك بعض صفات الملك ، فسأله الملك عن اسمه ، فينبغى ان يكنى عنه ، ويصف الملك بتلك الصفة ، .. دخل سعيد بن مرة الكندى على معاوية فقال له : أنت سعيد ؟ قال : أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مرة ، وقيل للعباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله — ﷺ — ؟ فقال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أسن منه .

واذا حدثه الملك بحديث فينبغى أن يصرف فكره وذهنه نحوه ، ويظهر السرور بالفائدة منه ، روى أن بعضهم سائر أنوشروان ، فقال له أنوشروان : حدثنى حديث كذا ، وكان يعرفه ، فأنكر معرفته ، وأخذ أنوشروان يحدثه الحديث ، وأصغى اليه بجوارحه كلها ، وكان سيرهما على شاطئ نهر فأغفل الرجل النظر الى مواطئ دابته ، فمالت به الى النهر ، فابتدره الحاشية وأخرجوه

(١) منادمة الملوك بالحديث والسر لا بأس بها مالم يكن فيها انتهاك الحرمات وأما المنادمة بالشرب والخوض فى الاعراض فحرام وينبغى لمن نديه الملك أو الرئيس لمنادمته على هذا النحو ألا يطيع فى ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فقال له : كيف غفلت عن مواطئ دابتك ؟ فقال : ان الله اذا أنعم على رجل بنعمة قابلها بمنحة ، وعلى قدر النعم تكون المحن ، وان الله أنعم على نعمتين : اقبال الملك على من بين هذا السواد الاعظم ، والفائدة بحديثه ، فلما اجتمعتا جاءت على أثرهما هذه المحنة ، فأمر فحشى فمه جوهرًا ودرا ثمينًا .

ومثل ذلك أن يزيد بن سحرة سائر معاوية يوما ، فأقبل عليه يحدثه ، فصك وجه يزيد حجر عاثر ، فصار الدم يسيل على ثيابه ولا يمسحه ولا يشتغل به ، فقال له معاوية : أما ترى منازل بك ؟ قال : وماذا ؟ قال : وجهك يسيل ، قال : عنق ما أملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين الهانئ ، وغمر فكري ، فما شعرت بما أصابني ، فقال معاوية : لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم ، وزاد في عطائه ألفا ، ولا شك أن يزيد تصنع لمعاوية في هذا الكلام ، وان معاوية تخادع له لحسن أدبه .

أخبرنا أبو احمد باسناده عن الواقدي عن ابن أبي قال : قلت للزهري من أول من سلم عليه ؟ فقليل : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، الصلاة يرحمك الله ، فقال : معاوية بالشام ، ومروان بن الحكم بالمدينة ، كانوا يقولون : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، الصلاة يرحمك الله ، انتهى .

أول من استلحق في الاسلام معاوية

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن حيان بن بشر عن جرير ابن المغيرة عن الشعبي وأخبرنا أيضا عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي عمرو ومحمد بن محمد بن خلاد عن المدائني وعن غير هؤلاء جعلت أحاديثهم حديثا واحدا قال : فرض عمر لزياد ألف درهم ، فلما أخذها قال : ما فعلت الفك ؟ قال : أعتقت بها عبدا . قال : نعم الألف الفك ! وكان يكتب من زياد بن

عبيد ، حتى قال أبو سفيان : لعلى — عليه السلام — لولا ان يستوفى عمر أهائى لعرفت أن زيادا قريب النسب منك ،^(١) أنا غرسته فى رحم أمه ، ثم ولاه على — عليه السلام — فارس ، فكتب اليه معاوية : أما بعد ، فانك امرؤ سفيه يغرك منى قلاع تأوى اليها كما تأوى الطير الى أوكارها ، وايم الله لولا انتظارى ماالله محدث لك ، لكنت أنا وأنت كما قال العبد الصالح : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلُ لَهُمْ بِهَا ﴾^(٢) الآية . وكتب فى أسفل الكتاب يعلمه أنه يريد الدعاء فقال فيها :

لِلَّهِ دُرُّ زِيَادٍ أَيْمًا رَجُلٌ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ
إِفْخَرُ بِوَالِدِكَ الْأَذْنَى وَوَالِدِهِ
إِنَّ ابْنَ حَرْبٍ لَهُ فِي قَوْمِهِ حَظْرٌ
وَالْتَرَكْتُ ثَقِيفًا فَإِنَّ اللَّهَ بَاعَدَهُمْ
حَتَّى يُلَاقِيَهُمْ فِي نِسْبَةٍ مُضَرٌّ
إِنَّ اتِّحَالَكَ قَوْمًا لَا يَنْتَسِبُهُمْ
إِلَّا بِأَمْلِكَ ذُنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ^(٣)

فلما قرأ الكتاب قال : العجب لابن آكلة الاكباد ،^(٤) وكهف النفاق ، يتهددنى ويبنى وبينه ابن عم النبى — ﷺ — فى مائة ألف ، وايم الله ، لمن أفضى الى ليجلدن منى أحمر ضرابا بالسيف ثم بعث بكتابه الى على ، فكتب اليه :

(١) لعلها منى ونقلت خطأ .

(٢) سورة النمل الآية (٣٧) .

(٣) يذكره فى كتابه بأن أبا سفيان هو أبوه الحقيقى وأنه يجب أن ينتسب اليه لان فى انتسابه الى قوم أمه خطأ كبير .

(٤) آكله الاكباد هى هند زوج أبى سفيان وأم معاوية وسماها بذلك لانها حاولت أن تأكل كبد سيدنا حمزة بعد قتله فى غزوة أحد (رضى الله عنه) .

أما بعد : فاني قد وليتك ما وليتك مآنت أهل له ، وأنا أعلم أنك لم تضبطه
الا بالتقوى والصبر ، وقد قرأت كتاب معاوية ، فاحذر فانه الشيطان يأتي المرء
من بين يديه ومن خلفه ، وكانت من أبي سفيان زمن عمر فلتة فلا يثبت بها
نسب ، ولا يستحق بها ميراث .

فلما قرأه زياد قال : شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة ، فلما قتل على —
رضي الله عنه — واجتمع الامر لمعاوية ، قال للمغيرة ابن شعبة : ان داهية العرب
متحصن في قلاع فارس ، معه الاموال ، ما يؤمنني أن يدعو الى رجل من أهل
البيت ، فيعيد على الأمر جذعة ،^(١) قال : أتحب أن أكون رسولك اليه ؟ قال :
نعم ، فخرج حتى ورد عليه ، فقال : ان معاوية أقلقك الرجل منك ، وقد استقام
له الأمر ، وبايعه الحسن ، وليس في أهل هذا البيت أحد يمد اليه الناس
أعناقهم ، وأرى ان تصل جلك بحبله ، وتنقل أصلك الى أصله ، ففعل ، وقدم
الى معاوية فادعاه ، وخطب وقال : انه من يرد على دفع خسيسته ،^(٢) وإثبات
وطأته ، سبب له الأمور ، وأجرى له المقادير ، حتى يبلغ به النسب المشهور ،
والأمد المذكور ، وان زيادا من الله عليه وعلينا معه بصلة رحم ، مدتها رحم
مقطوعة ، فوشمت العروق في مناسبها ،^(٣) واشتبتك الارحام في معادنها ،
فالحمد لله الذي وصل ما قطعه الناس ، وألطف لما جفوا عنه ، وحفظ ماضيهم
منه ، فقال يونس بن سعيد : خالفت قول النبي ﷺ — « الولد للفراش
وللعاهر الحجر » قال : لقد هممت أن أطير بك طيرة بطيئة وقوعها قال : ثم
يكون الرد الى الله تعالى قال : أجل ، استغفر الله ! فقال عبد الرحمن بن
الحكم^(٤) :

(١) يعيد على الامر جذعة أى جديدا كما كان من قبل .

(٢) الخسة الدناءة والردل .

(٣) هكذا جاءت في جميع النسخ ولعلها وشجت أى اشتبكت ، والمناسب القرابة مأخوذة من النسب
والمعنى اشتبكت العروق في نسب واحد أو لعلها منابتها وهو الاصل الذي ينبت من الشيء .

(٤) في سبط النجوم ج ٣ ص ١١ أن قاتل الأبيات هو يزيد بن مفرغ الحميري وفي العقد الفريد ج ٧ ص ٧٠

أَلَا بَلِّغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَزْبٍ
 مُغْلَقَةً ^(١) مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ
 أَتَغَضَّبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ
 وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ
 فَأَقْسِمُ أَنْ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ
 كَرَّحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَثَانِ ^(٢)

ومعاوية أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته ، وللجاحظ فيه كلام نذكره بعد ان شاء الله تعالى .

أول من أخرج المنبر في العيد مروان

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن الزعفراني عن محمد بن عبيد عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن أبيه قال : أول من أخرج المنبر في يوم العيد مروان ، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة ، فقام إليه رجل فقال : خالفت السنة ، فأخرجت المنبر ولم يكن يخرج ، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ، فقال أبو سعيد : من هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان . فقال : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فأنه استطاع غيره يديه ، وإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان .

== ص ١٤٧ ، ط الاستقامة بالقاهرة إن القائل هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت والأبيات في العقد الفريد كالآتي :

إلا أبلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي البدان
 أتغضب أن يقال
 وأشهد أن قريك من زياد كقرب الفيل من ولد الأثان

- (١) رسالة مغلقة أى محمولة من بلد إلى بلد آخر .
 (٢) الأثان أنثى الحمار في رواية سبط النجوم بدل فأقسم أن رحمتك فأشهد .

أول غدر كان في الاسلام

ماكان من أمر عبد الملك بن مروان مع عمرو بن سعيد أخبرنا ابو احمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي قال : كان مروان بن الحكم ولي العهد عمرو بن سعيد ابن العاص بعد أبيه ، فقتله عبد الملك ، وكان قتله أول غدر في الاسلام فقال بعضهم :

يَا قَوْمُ لَا تَقْلُبُوا عَنْ دَارِكُمْ فَلَقَدْ
جَرَيْتُمْ الْغَدْرَ مِنْ أَتْنَاءِ مَرْوَانَ
أَمْسَوْا وَقَدْ قَتَلُوا عَمْرًا وَمَا رَشَدُوا
يَدْعُونَ غَدْرًا بِعَهْدِ اللَّهِ كَيْسَانًا^(١)
يُقْتَلُونَ الرِّجَالُ الْبُزْلُ ضَاحِيَةٌ^(٢)
لَكِنِّي يُؤْلَوُا أُمُورَ النَّاسِ وَلَدَانَا
تَلَاغِبُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا
هَوَاهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ قُرْبَانَا
فَهَدِّمُوا مَا أَطَاقُوا مِنْ مَدَائِنِنَا
وَنُحْنُ نَحْسِبُ ذَا عَدْلًا وَإِحْسَانًا
وَيَقْطَعُونَ بِنَا أَغْنَاقَ سَادَتِنَا
وَيُغْلِقُونَ بِنَا أَبْوَابَ دُنْيَانَا
وقال يحيى بن الحكم أخو مروان يرثيه :

أَعْيَيْتِي جُودًا بِالْذُّمُّوعِ عَلَى عَمْرُو
عَشِيَّةَ شَدُّوا بِالْخِلَافَةِ بِالْخُسْرِ^(٤)

(١) كيسان بدون اسم للغدر .

(٢) البازل الرجل الخبير والمعنى أنهم يقتلون الرجال المحنكون ليولوا مكانهم الصبيان الأغرار ؟

(٣) في رواية سمط النجوم ج ٣ ص ١٣٢ أن يحيى ليس ابن الحكم وإنما هو ابن سعيد أخو عمرو .

(٤) الخسر أفجع الغدر .

كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذَا يَقْتُلُونَهُ
 بُعَاثٌ ^(١) مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَقْرِ
 غَدَرْتُمْ بِعَمْرُو يَا بَنِي خَيْطِ بَاطِلٍ
 وَمِثْلُكُمْ يَبْنِي الْيُبُوتَ عَلَى الْغَدْرِ
 فَرَحْنَا وَرَاحَ الشَّامِتُونَ بِنَعْشِهِ
 كَأَنَّا عَلَى اكْتِافِنَا فَلَقْنَا الصَّخْرَ

قال : وكان مروان يلقب بخيط باطل ، وكان عمرو يسمى الاشديق ، لتشادقه
 في الكلام قال الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ
 وَكُلُّ حَاطِبٍ لَا أَبَالِكَ أَشْدَقُ

وقيل : بل كان أقدم مائل الذقن ، ولهذا سمي لطيم الشيطان ، وهذا هو
 الصحيح ، وخطب ابن الزبير لما قتله عبد الملك ، فقال : ان أبا الذبان قتل لطيم
 الشيطان ، ﴿ وَكَذَلِكَ لَوْلِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٢)
 واستنطقه معاوية وهو غلام فقال : ان أول مركب صعب ، وان مع اليوم غدا ، وأول
 الغدر خرق ، ^(٣) وقال : الى من أوصى أبوك بك ؟ قال : أوصى الى ولم يوصى لي .
 وهذا من قول الراجز

إِلَى إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهُ
 وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ ^(٤)

(١) البعاث طائر من الرخم بطيء الطيران .

(٢) سورة الانعام الآية (١٢٩) .

(٣) الخرق الحمق والمعنى يكون الغدر من الحمق وفي نسخة (وأول الغزو خرق) والمعنى أن الحرب
 تبدأ بين الناس بسبب حمقهم .

(٤) أنجية أى متناجون ، والارشية جمع رشي وهو الفصيل ولد الناقة ، والأروية جمع رواء وهو حبل تشد
 به الامتعة على الدابة .

وَشَدَّ قَوْقَ بَعْضِهِمْ بِالْأَزْوِيَةِ
هُنَاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِيَنِي

أول من نهي عن الامر بالمعروف

أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن محمد بن يونس الكرىمى عن أنى عاصم الضحاك عن بن مخلد عن أنى خديج عن أبيه قال : خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة ، بعد قتل ابن الزبير ، فى العام الذى حج فيه ، سنة خمس وسبعين فقال : بعد حمد الله والثناء عليه ، أما بعد : فلست بالخليفة المستضعف ، ولا الخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأفون ، ^(١) الا وان من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال ، الا وانى لا أداوى أدواء ^(٢) هذه الامة الا بالسيف ، حتى تستقيم لى ، فكأنكم تكلفوننا أعمال المهاجرين الاولين ، ولا تعملون مثل أعمالهم ، فلن يزدادوا الا اجتراحا ، ولا تزدادوا الا عقوبة ، حتى حكم السيف بيننا وبينكم ، هذا عمرو بن سعيد ، قرابته قرابته ، وموضعه موضعه ، قال برأسه هكذا ، فقلنا بسيوفنا هكذا ، الا وانا نحتمل لكم كل شىء ، الا وثوبا على منبر ، او نصب راية ألا إن الجامعة التى جعلتها فى عنق عمرو بن سعيد عندى ، والله لا يفعل احد فعله الا جعلتها فى عنقه ، ثم لا أخرج نعشه ^(٣) الا صعدا ، وزاد غيره : والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله الا ضربت عنقه ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمائها البهى بن رافع فقال :

فَصُحَّتْ وَلَا شُلَّتْ وَضُرَّتْ عَدُوُّهَا
يَمِينٌ هَرَأَتْ مُهْجَةً ^(٤) بَنِ سَعِيدٍ

(١) يريد الخليفة المستضعف عثمان رضى الله عنه والمداهن معاوية والمأفون يزيد .

(٢) الادواء جمع داء .

(٣) هكذا وجدت فى الاصل ولعل المقصود نفسه فحرفت فى النقل والمعنى لا يخرج نفسه الا بمشقة .

(٤) المهجة الدم أو دم القلب والمعنى سلمت اليد التى قتلت ابن سعيد .

أول من نهى الناس عن الكلام بحضرة الخلفاء

أول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان وكان الناس قبله يراجعون الخليفة فيما يقول ، ويعترضون عليه فيما يفعل ، وأكثروا من ذلك على عثمان ، ثم على معاوية ، وكان يجرى في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجلب وصفه ، وكان يحتمل ذلك تحلما وإبقاء على ملكه ، فلما صار الأمر الى عبد الملك ، أخذ الناس مأخذ ملوك الاعاجم ، فنهاهم عن الكلام بحضرة ، والمنازعة في مجلسه ، وتوعدهم على مخالفة رسمه في ذلك ، وكان يقول : لست بالخليفة المستضعف ، يعنى عثمان ، ولا الخليفة المدهان ، يعنى معاوية ، ولا الخليفة المأفون يعنى يزيد .

قلنا ومن حق مجلس الملك ، الا ترفع فيه الأصوات ، اذا كان ذلك زائدا في مهابة الملك وأهفته ، ^(١) ولما كان في خفض الصوت من بهاء المجلس ، وكال صاحبه ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ^(٢) الآية وحرمة مجلس الرئيس اذا غاب كحرمة اذا حضر . وكان للملوك العجم عيون على مجالسهم ، يتأملون من حضرها ، فمن كان كلامه وإشارته ، وحسن لفظه اذا غاب الملك على مثل ما يكون عليه اذا حضر سمي ذا وجه ، ومن كان بخلاف ذلك سمي ذا وجهين وكان مبتغضا عندهم منقوصا .

أول خليفة بخل عبد الملك بن مروان

أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن الغلابى عن محمد بن عبد الله العتبي عن ولد عتبة بن أبى سفيان عن أبى خالد القرشى عن ولد أمية بن خالد قال : قال عبد الملك - وكان أول خليفة بخل - اى الشعراء أفضل ؟ فقال له كثير بن هراسة يعرض به ، أفضلهم المقنع الكندى حيث يقول :

إِنِّى أَحْرَصُ أَهْلَ الْبُخْلِ كُلَّهُمْ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ أَهْلَ الْبُخْلِ تَخْرِيبُى

(١) الابهة العظيمة .

(٢) سورة الحجرات الآية (٢) .

مَا قَلَّ مَالِي إِلَّا زَادَنِي كَرَمًا
 حَتَّى يَكُونَ بَرِّزِقِ اللَّهِ تَعْرِضِي
 فَأَلْمَالُ يَنْفَعُ مَنْ لَوْ لَا ذَرَاهِمُهُ
 أَمْسَى يُقَلِّبُ فِينَا طَرْفَ مَخْفُوضٍ
 لَنْ تَخْرُجَ الْبَيْضُ ^(١) عَفْوًا مِنْ أَكْفَهُمْ
 إِلَّا عَلَى وَجَعٍ مِنْهُمْ وَتَمْرِضُ
 كَالْتَهَا مِنْ جُلُودِ الْبَاخِلِينَ بِهَا
 عِنْدَ التَّوَائِبِ تُحْدَى ^(٢) بِالْمَقَارِضِ

فقال عبد الملك - وقد عرف ماأراد - الله أصدق من المنفع حيث يقول : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ^(٣) وكان عبد الملك يسمى رشح الحجارة لبخله ، ويكنى أبا الذبان لبخره . ^(٤)

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : نظر عبد الملك الى خالد بن يزيد - وقد شابت عنقه ^(٥) - فقال : كأنك عاض على حجر فقال : لأنهن يلثمن فأي ولا يشمن قفاي ، يعرض به أنه أبخر ، فالنساء يشمن قفاه دون وجهه ، والناس يرون ان أنفاس النساء وأنفاس الطيب تشيب قال الشاعر :

إِنَّمَا شَيَّبَنِي الطِّيبُ وَأَنْفَاسُ الْعَوَانِي

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : قال سعيد بن عثمان - ولم يكن بالحصيف - للحسن بن علي - عليهما السلام - ما بال

(١) المراد الدراهم لأنها تضرب من الفضة .

(٢) تحدى تقطع .

(٣) سورة الفرقان الآية (٦٧) .

(٤) البخر نتن رائحة الفم .

(٥) العنفة شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

أصداغنا تشيب قبل عنافقنا ؟ وعنافقكم تشيب قبل أصداغكم ؟ فقال : ان أفواهنا
عذبة ، فنساؤنا لا يكرهن لثامنا ، ونساؤكم يكرهن لثامكم ، فيصرفن وجوههن ،
فيتنفسن في أصداغكم .

وكان المنصور في ولد العباس كعبد الملك بن مروان في بنى أمية في بخله ،
ورأى بعضهم عليه قميصا مرقوعا فقال : سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في
ملكه ، وأجاز سلمان الحادي ^(١) بنصف درهم ، فشتان ماهو والمأمون أو غيره من
خلفاء بنى العباس .

سمع مرة بعض ولده يقول لو كي له قد رأيت في السوق بطلا حسنا فاشتر
لنا منه بنصف درهم ، فقال : أما أنك إذا عرفت للدرهم نصفاً ، فانك لا تفلح
أبداً .

واستعمل الحسن البصرى رجلاً في شيء ، ودفع اليه درهماً ، فقيل له :
كان يجزيه نصف درهم ، فقال : أو يقاسم المؤمن أخاه درهماً ؟

وأنشد ابن هرمة المنصور :

لَهُ لِحَظَاتٌ فِي حِفَافِي سَرِيرِهِ
إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ ^(٢)
فَأَمَّا الَّذِي أَمِنْتُ أَمْنَهُ الرَّدَى
وَأَمَّا الَّذِي حَاوَلْتُ ^(٣) بِالْكُلِّ ثَاكِئٌ

فدفع اليه عشرة آلاف درهم ، وقال : يا إبراهيم احتفظ بها فليس لك عندنا
مثلها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اني ألقاك بها على الصراط بنحتم الجهبذ ^(٤) .

(١) الحادي الذي يحدو الابل وأجازه أى جعل نصف الدرهم جائزة له .

(٢) فى نهاية الأرب ج ٤ ، ص ٩٠ ، ط دار الكتب المصرية زاد بعد البيت الأول

له تربة بيضاء من آل هاشم إذا اسود من لؤم التراب القبائل

(٣) فى مهذب الأغاني ج ٦ ص ١٢٠ وأما الذى خوفت بدل حاولت .

(٤) الجهبذ هو الناقد العارف الذى يميز الجيد من الردىء .

أول من ضرب الدراهم في الإسلام وأول ما عملت الأوزان

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن المدائني وأبي عبد الرحمن الثعلبي ،
وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن خالد بن عبد العزيز الثقفي ، وعن
غير هؤلاء جعلت أحاديثهم حديثاً واحداً ، قالوا : كان عبد الملك أول من كتب في
صذور الطوامير ^(١) ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وذكر النبي ﷺ مع التاريخ ، فكتب
ملك الروم . إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فاتركوه ، ولا أتاكم
في دنائيرنا من ذكره ماتركهون ، فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى
خالد بن يزيد بن معاوية - وكان أديباً عالماً - فقال : يا أبا هشام ، إحدى بنات
طبق ، قال : أفرج الله روعك يا أمير المؤمنين ، حرم دنائيرهم ، واضرب للناس
سككاً ^(٢) فيها ذكر الله تعالى ، وذكر نبيه - ﷺ - ، ولا تعفهم مما يكرهون ،
فضرب الدنانير سنة خمس وسبعين ، وكانت الدراهم العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ،
والعشرة منها وزن ستة ، فتقدم عبد الملك بذلك واستمر .

وضرب الحجاج الدراهم ، ونقش فيها : الله أحد ، الله الصمد ، فكرهها
الناس لمكان القرآن فيها ، لأن الجنب والحائض يمسهما ، ونهى أن يطبع أحد غيره ،
فطبع سمير اليهودي دراهمه السميكية ، من فضة خالصة وجعل فيها ذهباً ، فأقى بها
الحجاج وبسمير ، فأمر بقتله فقال : انظر إليها فإن لم تكن أجود من دراهمك
فاقتلني ، فنظر فوجدها أجود ، فأمر بقتله لجرأته على ضربها بغير إذنه ، قال : فإني
أعرض عليك أمراً إن رأيته أصلح للمسلمين من قتلي قبلته وأعفيتني ، قال : هاته ،
فوضع الأوزان : وزن ألف وخمسمائة ، وثلاثمائة ، إلى وزن ربع قيراط ، فجعلها
حديداً ونقشها ، وجاء بها الحجاج وقال : هذا انفع للمسلمين ، لا يغبن أحد
معها - ، وكان الناس إنما يأخذون الدرهم الوزن فيزنون به غيره ، وأكثر ذلك يؤخذ

(١) الطوامير جمع طامور وهو الصحيفة .

(٢) السكك جمع سكة وهي حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم والمراد الدراهم .

عددا ، حتى كان من أمر سمير ما كان اخبرنا هذا الخبر أبو أحمد عن الجوهرى عن
أبى زيد عن خالد بن عبد العزيز الثقفى عن أشياخه .

أول من شدد فى أمر العيار

وأول من شدد فى أمر العيار يوسف بن عمر ، أمر الا يضرب درهم بنقص
حبة ، ^(١) فما فوقها ، ثم امتحن بعد ذلك درهما ، فوجده ينقص حبة ، فأمر أن
يضرب كل واحد من الضارين ألف سوط - وكانوا مائة - فضرب فى حبة واحدة
مائة ألف سوط .

ومما يشبه هذا من فعله أنه أمر أن يتخذ له طنافس ، ^(٢) فلما عملت ، أمر
يده عليها فعلقت بإبهامه عقدة من طنفة ، فقطع يد الصانع ، وكان مع ذلك يقول
فى خطبته : اتقوا الله عباد الله ، فكم من مؤمل أملا لا يبلغه ، وجامع مالا
لا يأكله ، ومانع ماسوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، وعن حق منعه ، أصابه
حراما ، وورثه عدوا ، واحتمل بأصره ، ^(٣) وباء بوزره ، ذلك هو الخسران المبين .

وكان قصيرا كأنه عقدة رشاء ، ^(٤) او سجة عصا ، ^(٥) وكان اذا وصف
بالقصر اغتاض ، وكان الخياط اذا قال له : يقنحك هذا الثوب ويحتاج فيه الى زيادة
فرح وخلع عليه ، واذا فضل من الثوب شئ أمر بضربه وجبسه ، وكان له نديم يقال
له عبدان ، - وكان من أطول الناس - فقال له : يا عبدان ، أنا أطول أم أنت ؟ قال
فوقعت فى محنة تحتها السيف ، فقلت : أصلح الله الأمير ، انت أطول منى ظهرا ،
وأنا أطول منك ساقا ، فضحك وقال : أحسنت .

(١) الحبة مقدار وزن شعيرتين وهى سدس عشر الدينار .

(٢) الطنافس جمع طنفسة وهى البساط .

(٣) احتمل بأصره أى بعينه الثقيل .

(٤) الرشاء الحبل أو حبل الدلو وشبه بعقدة الحبل لشدة قصره .

(٥) لم يتضح لى هذا التشبيه ولعل المراد به الجزء الذى بين العقدتين من العصا .

أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن بعض رجاله قال : استكتب زاذان فروخ صالح ابن عبد الرحمن — وكان من سبي سجستان — فلما ولى الحجاج رأى ذكاء صالح ، فقال صالح لزاذان : ان الأمير سيقدمنى عليك ، وانت سببى فيه ، ولست أحب ذلك ، فقال : لابد للأمير منى ، انه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيرى ، قال صالح : انه إن امرنى بنقل الديوان الى العربية فعلت قال : فانقل بين يدى منه شيئاً ، ففعل ، فقال : فكيف تصنع بالاضافات ؟ قال : أقول أيضاً فقال : زاذان لكُتابه الفرس : التمسوا مكسبا فقد ذهب مكسبكم . ثم نقل صالح الديوان الى العربية ، فكان كُتاب العراقيين غلماناً وتلامذته .

وكان ديوان الشام الى سرجون ، وكان روميا نصرانيا ، كتب لمعاوية ، ولمن بعده الى عبد الملك ، ثم رأى عبد الملك منه توانيا وادلالا ، فقال لسليمان بن سعد مولى الحسين — وكان على الرسائل — ماأحتمل تسحب ^(١) سرجون ، فقال : انقل الحساب الى العربية ، قال : او تفعل ذلك ؟ قال : نعم قال : فانقله ، فنقله فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام ، فكان عليها حتى ايام عمر بن عبد العزيز ، فعزله واستكتب صالح بن كثير الصدائى هذا معنى الحديث ، وعبد الملك أول من رفع يديه على المنبر .

أول من أخذ الجار بالجار والولى بالولى

مروان بن الحكم

هكذا سمعناه ، ولا ندرى أكان ذلك أيام خلافته أو امارته ؟ ذكر بعض الشيوخ مروان بأبيه فجلبده وتمثل :

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ
تُعْدِي الصَّحَاحَ مَبَارِكَ الْجُرْبِ

(١) تسحب سرجون أى تدله .

فقال : فتى ، ما هكذا قال الله تعالى ، قال ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
الْآخَرَى ﴾^(١) فرق له وخلاه .

ومن مליح ما جاء فى ذلك ، ما أخبرنا به أبو احمد عن الريان عن أبى
جعفر بن العيني عن أبيه قال : أول خليفة أخذ الجار بالجار والولى بالولى سليمان
بن عبد الملك ، قال : دخل عليه فتى ظريف ، وعلى رأس سليمان وصيفة
حسنة قائمة ، فجعل الفتى يديم النظر اليها ، فقال سليمان : هات سبعة أمثال
قيلت فى الاست وهى لك ، فقال الفتى : أست لم تعود المجرمة ، قال^(٢)
واحدة . قال : أستى اختى ، قال : اثنان ، قال : أست المسؤول
أضيق ، قال : ثلاثة ، قال : أست العامر أعلم ، قال : أربعة ، قال : من
الله عليه وأسته ، قال : خمسة ، قال : الحر يعطى العبد بنجع أستى ، قال :
سته ، قال : لا مالك أبقيت ، ولا حرك أنقيت ، قال : ليس هذا من ذلك ،
قال الفتى : أخذت الجار بالجار كما يفعل أمير المؤمنين ، قال :
خذها - لا بارك الله لك فيها - ! وروى هذا الحديث ايضا عن بعض شيوخه
عن ابن الاعرابى .

اول من لبس النعال الصرارة المروانى

وكان قصيرا ، وكان يتخذ الغلاظ من النعال النباتية لامرين : أحدهما أن
ذلك يزيد فى قامته ، والآخر أن يؤذن جواريه وحريمه بصريرها أو أن دخوله

(١) سورة فاطر الآية (١٨) .

(٢) فى مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٣٤٥ أن قاتل هذا المثل هو حاتم الطائى ويضرب لمن يطلب منه
عمل شيء لم يتعوده .

(٣) أى أصونها كما أصون أختى .

(٤) فى المصدر نفسه ص ٣٥٤ قاله أسد بن خزيمة فى وصيته لبيه عند وفاته .

(٥) فى مجال الامثال : أست البائن أعلم : والباين الذى يكون على الجانب الأيسر عند حلب الناقة وقائله
الحارث بن ظالم ويضرب لمن مارس أمرا وعلمه .

(٦) قاله العنب بن أروى لزوجه وكانا فى سفر ومعهما ماء قليل فأخذته واغتسلت ولم تتم غسلها لقلته
وبعد قليل عطشا وطلبا الماء فلم يجدا ، فقال لها ذلك .

عليهن ، فان كانت احداهن على حالة لايجوز ان يطلع عليها تغيرت عنها ، وكان ذلك من الآداب المستحسنة ، فاتخذ اهل الوقت بعد ذلك نعال الخشب ، يتوخون بها ما توخاه المرواني بالنعال الصرارة .

أول من رد فدكا عمر بن عبد العزيز

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن ابن عائشة ، وعن أبيه عن عمه قال : شهد علي وأُم أيمن عند أبي بكر - رضى الله عنه - أن النبي - ﷺ - وهب فدكا لفاطمة ، وشهد عمر وعبد الرحمن بن عوف أن رسول الله - ﷺ - كان يقسمها ، فقال أبو بكر : صدقوا وصدقت ، كان مالا لا ليك ، وكان يأخذ منها قوته ويقسم الباقي ، فما تصنعين بها ؟ قالت : صنيع أبي قال : فلك على ان اصنع فيها صنيع أبيك - عليه الصلاة والسلام - فكان يدفع اليهم ما يكفيهم ، ويقسم الباقي ، وكذلك فعل عمر وعثمان وعلي ، فلما ولي معاوية - وذلك بعد الحسن - تداولوها حتى ولي مروان ، فوهبها لعبد العزيز بن مروان ، فتنخلصها عمر ابنه في حياة أبيه ، فلما ولي كانت أول مظلمة ردها على بنى علي - عليه السلام - ثم قبضها يزيد بن عبد الملك ، فلما ولي أبو العباس ردها الى عبدالله بن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر ، ثم ردها المهدي على ولد فاطمة ، ثم قبضها موسى وهارون ، ثم ردها عليهم المأمون .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن مهدي بن سابق قال : جلس المأمون للمظالم ، وأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى ، ثم قال : أين وكيل فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - ؟ فقام شيخ وعليه دراعة وعمامة وخف ثغرى ، فتقدم فجعل يناظره في فدك ، والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون ، ثم أمر أن يسجل بها لهم فسجل وأمضاه المأمون ، فأنشأ دعبل يقول :

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ قَدْ ضَحِكََا بِرَدِّ مَأْمُونِ هَاشِمِ قَدْ كَا

فلم تزل فى أيديهم حتى كان أيام المتوكل ، فأقطعها عبد الله بن عمر
الباريار ، وكان فيها احدى عشرة نخلة مما غرسه رسول الله - ﷺ - بيده ،
وكان آل أبى طالب يأخذون ذلك الثمر ، فاذا قدم الحجاج أهدوا اليهم منه ،
فيصل اليهم به مال جليل ، فبلغ المتوكل ذلك ، فأمر عبد الله بن عمر يصرمه^(١)
ويعصره ، فوجه رجلا يقال له بشر بن أمية الثقفى ، فصرمه وعصره ، وذكروا
أنه جعله نبيذا ، فما وصل الى البصرة حتى ملح ، وقتل المتوكل .

أول من لبس السواد حين قتل مروان بن محمد ابراهيم بن محمد الإمام

جىء به مروان فقال : أنت الذى تدعى لك الامامة ؟ قال : لست به ،
فقال : أسوة بمن فى الحبس من بنى أبيه ، وكان فيه جماعة من قریش ، فلما
أحس ابراهيم بالقتل ، عهد الى شيعته ، ان لا يهولنكم قتلى ، وكونوا على ما
أنتم عليه من تضافرکم ، وتعاونکم ، فاذا تمكنتم من أمرکم ، فاستخلفوا عليكم
ابن الحارثية - يعنى أبا العباس - ثم قتله مروان ، فلبس شيعته السواد ، فلزمهم
وصار شعارا لهم ، فقال شريف منهم أيام أبى العباس ، يذكر قتل ابراهيم :

عَلَامَ وَفِيمَ يَتْرَكَ عَبْدُ شَمْسٍ
لَهَا فِي كُلِّ ذَاعِيَةِ نُفَاءٍ^(٢)
فَمَا بِالْقَبْرِ فِي حَرَّانٍ مِنْهَا
وَلَوْ قُتِلَتْ بِأَجْمَعِهَا وَفَاءٍ^(٣)

أخبرنا أبو احمد عن عمه عن أبى عبيدة قال : حدثنى الحسن بن على
قال : حدثنى بعض أصحابنا عن محمد بن أبى كامل عن رجل قال : قال ابراهيم

(١) أى بقطع ثمرة .

(٢) النفاء صوت الشاة .

(٣) يقول : لو أن بنى عبد شمس قتلوا جميعا لم يكن فى قتلهم وفاء بقتل ابراهيم بن محمد المدفون فى
حران .

ابن المهدي : كنت عند الخيزران يوما وعندها الهاشميات وغيرهن ، وهى على أنماط عليها وسائد أرمنية ، وزينب بنت سليمان جالسة عن يمينها ، اذ عرضت امرأة من آخر المجلس ، عليها أطمار فقالت : يأم الخليفة الاول والثانى ، وامرأة الخليفة ، أنا امرأة مروان بن محمد ، قد أصابى الدهر الى ما ترين ، فغيرى من حالى ، فرقت لها ، وهمت لها بالخير ، فقالت لها زينب بنت سليمان : لازلت كذلك ، ولا زالت هى حالك ، ولا كرامة لك ، اذكرى وقد قتل مروان ابراهيم الامام ، وأشفقت ان يمثل به ، فأتيت هذه وهى جالسة على هذا الفرش بعينه ، فكلمتها تسأله فى هبة جثته لى لأواربها ، فقطبت وجهها وقالت : ما للنساء وللدخول فى أمر الرجال ؟ فأبست وتعرضت لمروان ، فكان أوصل لرحمه ، فدفعه الى وأعاننى على جهازه ، فجهزته ودفتته .

أول من ظهر لندمائه من ملوك بنى العباس المهدي

أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن يحيى بن على عن أبيه عن اسحاق الموصلى قال : كان المهدي فى أول أمره يحتجب على ندمائه ، متشبهاً بالمنصور نحو من سنة ، ثم ظهر لهم لما قال سَلَمُ الخاسر :

مَنْ رَأَى النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ^(١)

فاشار اليه أبو عون أن يحتجب عنهم ، فقال : اليك عنى يا جاهل ! انما اللذة مع مشاهدتها ، وفى أدراك الجوارح لها لذة ، فأما من وراء الحجاب فما له معنى ، وكان بشار قال :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهْجِ^(٢)

فلما سمع بيت سَلَمُ قال : ذهب ابن الفاعلة بيتى ، ومن ها هنا^(٣) أخذ

(١) الجسور الشجاع .

(٢) الفاتك الجرىء الشجاع واللهج من اذا أغرى بالشئ ثابر عليه والمعنى من خاف الناس بظل مترددا ولم يظفر بما يريد وأما الجرىء المثار فهو الذى يفوز بالطيبات والبيت الأول مأخوذ من هذا البيت .

(٣) أى من كلام المهدي السابق .

أبو نواس قوله :

أَلَا فَاسْتَقْنِي خُمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخُمْرُ
وَلَا تُسْقِنِي سِرًّا إِذَا آمَنَ الْجَهْرُ
وَبُخِ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَغْنِي مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرٌّ

وهذا أشأم بيت قيل ، وكان سبب زوال ملك محمد الأمين وقتله هذا البيت ، لما اتصل بالمأمون أمر مناديا فنادى به في بلاد خراسان ^(١) وقال : قاتل هذا البيت ينادم محمدا ، ويقول مثل هذا بحضرته ، فلا يكون منه نكير ، فاشتد اهل خراسان على محمد ، واستحلوا قتله ، واتصل ذلك بمحمد فحبس أبا نواس ، وانكر عليه .

وكان أبو العباس يظهر لندمائه في اول خلافته ، ثم قال له أسد بن عبد الله الخزاعي - وكان صاحب حرسه - ان الخلافة ترق على كل شيء ، والبذلة ^(٢) فيها أكبر الخطأ ، فاحتجب عنهم بستارة ، وكان لا ينصرف عنه نديم ، ولا مله في كل يوم يجلس لهم فيه الا بعباء كثير أو قليل ، وهذه فضيلة لم تكن لعربي ولا عجم قبله ولا بعده الا أنو شروان ، فقد حكى عنه مثل ذلك ، وكان يقول : أعجب من انسان يفرحه انسان ويمكنه مكافأته فيؤخرها ويجعلها عدة وتسويفا ، فيتكبر صفوها ، وينطمس نورها .

والمهدى اول من علق الخيس ، ^(٣) وذلك أنه جلس الى جنب حائط عليه منديل رطب ، فوجد برده ، فأمر باتخاذ الخيس ، وكان ملوك بني أمية

(١) هي بلاد واسعة حدودها مما يلي العراق يهق ومما يلي الهند طخارستان (معجم البلدان ج ٤) .

(٢) المراد امتهاتها والتهاون بها .

(٣) هكذا جاءت في الاصل بالسين ولعلها بالشين قال صاحب المنجد الخيش نسيج خشن من الكتان ، قال وكان أهل العراق يعملون منه مراوح ويلقونها في أسقف المنازل مبلولة بالماء ويعملون لها حبلا يجذبونها بها فيهب منها نسيم عليل يذهب أذى الحر .

يعلون تطيين البيوت التي يردون فيها أشهر الصيف مرات في الأسبوع .

قال الجاحظ : هذه ملوك نزلوا على دجلة ، من دون الصيادة الى قرية بغداد في القصور والبساتين ، وكانوا أصحاب نظر واستخراج ، من لدن أزدشير بن بابك الى زمن فيروز ابن يزدجرد ، وقبل ذلك أيضا ما كان نزلها ملوك الازدوان بعد ملك الاسكندر ، فهل رأيتم أحدا منهم اتخذ حراقة او زلالة^(١) أو قاربا ؟ وهل عرفوا الخيس مع حر البلاد وشدة وقوع السموم ؟ وهل عرفوا الجمازات^(٢) في أسفارهم ؟ وهل عرف فلاحوهم من الاثمار المطعمة ، وغراس النخل على الفرد دون الشطر ؟ وأين كانوا عن تزيين سقفوهم بالرديات^(٣) ؟ وأين كانوا عن استنباط قهوة العصفور ؟ وأين كانوا عن مراكب الامم في ممارسة العلو في البحر ؟ ان طلبت النوازع^(٤) أدر كتها ، وان كرهتها فاتتها ، بعد ان كانوا أسارى في يد الهند ، تتحكم عليهم ، وتتلعب بهم ، وأين كانوا عن الرمي بالنيران ؟ وكانوا يتخذون الأدهان ، وينفقون عليها ، فترى الرجال رسم العمائم ، وسخ القلائس ، وكان الرجل اذا مر بالعطار ، وأراد كرامته دهن رأسه ولحيته ، وكان الرجل من عوام الناس اذا أطمع ضيفا او زائرا كسر الخبز بين يديه ، كى لا يحتشم من أكل الكثير ، وكان أهل البيت إذا طبخوا اللحم غرفوا للجار والجاراة منه غرفة ، وكان الناس لا يغسلون أيديهم للطعام قبله كما كانوا يغسلونها بعده ، ثم اتخذوا الموائد السفر وبسطوا اللبود على وجوه البسط الكريمة ، وكانوا يستخدمون في منازلهم الرجال الشباب ، والوصائف الرومية ، من الكواعب والنواهد .^(٥) فاستحدثوا الخصيان والغلمان بدلا من

(١) الحراقة سفينة فيها مرامي نيران يرمى بها العلو . والزلالة سفينة تستعمل للترهة والتقل .

(٢) الجمازات جمع جمزى نوع من العلو السريع .

(٣) الرديات الزينات في لسان العرب الرداء كل مازينك حتى دارك وابئك .

(٤) النوازع جمع نازحة وهي البعيدة .

(٥) الكواعب والنواهد جمع كاعب وناهد وهو انتبار الثدى واشرافه .

الجواري ، وكان خوان أحدهم طسموان ،^(١) فاستبدلوا الخلتج بالصفتر^(٢) ، وجعلوا الصفر للطساس^(٣) والابريق ، وكانت المرأة اذا خرجت شدت رأسها بالرمائد^(٤) . والرمائد على زى نساء العرب اليوم — وكانوا يلبسون القمص على الجلباب ، لا يعرفون المبطنات ، فترى القميص متقلصا عن جبه الراكب ، واتخذوا المرفلات^(٥) ، وشربوا الثلج ، وأحصو ما وجلوا في ديوان الفرس من أسماء غريبة ، فلم يجلدوه على عشر العشر مما استخرج بعد ، وكانوا يأتون الصين في سنة ويرجعون في سنة ، وقيمون سنة ، وقد رجع إلى البصرة رجال لم يتم لهم أن يغيبوا ثمانية عشر شهرا ، وكانوا يلبسون الديباج ، فجعله هؤلاء أفيفا للوابهم ، وكان الكتاب اذا كتبوا وفرغوا من الرسائل قطعوا الكاغد^(٦) بالمقاريض ، ثم حددوا أظفار الابهام فقطعوه به ، ثم قطعوه بمواخر الاقلام ، وهذه خطوط الاول في المصاحف والسجلات والعهود ، وهذه خطوط الناس اليوم ، وكانوا يشربون في جامات^(٧) الذهب والفضة ، وقد عرف الناس فضيلة الزجاج في خفة المحمل ، وفي ادراء ما وراءها من الاشخاص .

قال أبو هلال : — ايده الله — يريد أن عمل الحراقات والزلاات وصب الزردج ، واستخراج النساسخ ، وتعليق الخيوش ، وعمل الرديات ، انما كان في الاسلام ، وكذلك لإجراء السفن المقيمة في البحر .

أول من زاد في الكتاب بعد حمد الله الصلاة على رسول الله هارون الرشيد

كان اذا كتب فأتى أحمد الله اليك كتب : وأسأله أن يصلي على محمد

(١) أى جلد والخوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل .

(٢) الصفرة النحاس الخلتج نوع من المعادن استعملوه بدل النحاس .

(٣) الطساس جمع طس وهو إناء من نحاس لفصل الأيدي .

(٤) الرمايد عصابات الرأس مثل الخمار .

(٥) المرفلات الثياب الطويلة يتبخثرون فيها .

(٦) أى القرطاس .

(٧) جامات أى كؤوس .

وآله ، قالوا : وكان ذلك من أفضل مناقبه ، وكان الرشيد كاتباً شاعراً ، خطيباً

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال : كانت على الروم امرأة منهم ، وكانت تلاطف الرشيد ، ولها ابن صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر اليه ، فعاث وأفسد وخاشن الرشيد ، فخافت على ملك الروم فقتلته ، فغضب الروم ، فخرج عليها نقفور فقتلها ، واستولى على الملك ، وكتب الى الرشيد : اما بعد فان هذه وضعتك موضع الشاه ، ووضعت نفسها موضع الرخ ، ^(١) وينبغي ان تعلم اني أنا الشاه وانت الرخ ، فأد الى ما كانت المرأة تؤدي اليك ، فلما قرأ الكتاب قال للكتاب اجيبوا عنه ، فأتوا بما لم يرتضه ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم . اما بعد : فقد فهمت كتابك ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام على من اتبع الهدى .

ثم خرج في جمع لا يسمع مثله ، فتوغل في بلاد الروم ، يقتل ويسبي ثم أوقد نقفور في طريقه ناراً ليصده بها ، فخاضها محمد بن يزيد الشيباني ، وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها ، فرأى نقفور أنه لا قبل له به ، فصالحه على الجزية يؤديها عن رأسه ، وعن سائر أهل مملكته ، فقال أبو العتاهية :

إِمَامَ الْهُدَى أَصْبَحْتَ بِالَّذِينَ مَغْنِيًا
وَأَصْبَحْتَ تُسْقَى كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيًا
قَضَى اللَّهُ أَنْ صَفَى لِهَارُونَ مُلْكُهُ
وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًا
تَحَلَّبَتِ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرُّضَا
وَأَصْبَحَ نَقْفُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيًا

فلما سقط الثلج أمن نقفور على نفسه فنقض العهد ، فلم يجزؤ أحد أن يذكر ذلك للرشيد الا شاعر من أهل جده ، أعطاه يحيى بن خالد مائة ألف

(١) الشاه الملك والرخ قطعة من قطع الشطرنج .

درهم ، ودخل عليه وأنشده .

نَقْضَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ نَقْفُوزَ
فَعَلَيْهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ ثُدُورُ
أَبْشِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَائِدَهُ
فَتَحْ أَتَاكَ مِنَ الْإِلَهِ كَيْسُ
فَلَقَدْ تَبَاشَرْتَ الرَّعِيَّةَ إِذْ أَتَى
بِالنَّقْضِ مِنْهُ وَافِدُ وَبَشِيرُ
أَعْطَاهُ جَزِيَّتَهُ وَ طَاطَأَ خَدَّهُ
حَذَرَ الصَّوَارِمِ وَالرَّدَى ^(١) مَخْدُورُ
إِنَّ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ ^(٢) قَادِرُ
قَرَّبْتَ دِيَارَكَ أَوْ نَأَتْ بِكَ دُورُ

فقال الرشيد : أو فعلها ؟ ورحل في بقية الثلج ، وأقام على هرقله يرمى حصنها بالنيران حتى افتتحها ، فقال بعضهم :

هَوْتُ هِرْقَلَةَ لَمَّا أَنْ رَأْتُ عَجَبًا
جَوَائِمًا تُرْكِي بِالنَّفْطِ وَالْقَارِ ^(٣)
كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعِهِمْ
مُصْقَلَاتٍ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارِ ^(٤)

فعاد نقفور الى الجزية ، ورجع الرشيد .

وأما ما جاء في خطابه : فأخبرنا احمد عن الصوالى عن الحسين بن

(١) الصوارم السيوف والردى الموت .

(٢) اقتسارك أى أخذك بالقهر .

(٣) النفط الزيت والقار الزفت .

(٤) مصقلات من الصقل الجلاء والارسان جمع رمن وهو الجبل والقصار مبيض الثياب وقد شبه الشاعر شدة توهج النار باللمعان الذى يكون للثياب المبيضة .

يحيى عن محمد بن عمرو الدومى قال : كان الرشيد ربما خطب مرتجلا من غير ان يعد كلاما ، فصعد يوما المنبر ، وقد شغب الجند ، ثم سكنوا بعد ايقاع بهم ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد والملائكة المقربين ، وعلى الانبياء أجمعين ، أما بعد : فقد كان لكم ذنب ، ولنا عتب ، وكان منكم إجرام ، ومنا انتقام وعندى بعد هذا لكم التنفيس عن المكروبين ، والتفريج عن المغموين ، والاحسان الى المحسنين ، والتعمد لاساءة المسيئين ، الايكفر لكم بلاء ، ^(١) ولا يحبس عنكم عطاء ، وعلى بعد ذلك الوفاء ان شاء الله .

وأما الشعر فطبقة فيه عالية ، أنشدنا أبو احمد عن الصولى للرشيد .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَخَاسِنِهَا فَبِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظَرَةً تَبْلُ
وَقَالَ مِنْكَ بِحَدِّ مُقْلَتِهَا مَا لَا يَنَالُ بِحَدِّهِ النَّصْلُ ^(٢)
شَعَلَتْكَ وَهَى لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ لَأَقَى مَخَاسِينَ وَجْهِهَا شُعْلُ
فَلِقَلْبِهَا حِلْمٌ يَبْأَعِدُهَا عَنْ ذِي الْهَوَى وَلِطَرْفِهَا جَهْلُ
وَلَوْجِهَا مِنْ وَجْهِهَا قَمَرٌ وَلِعَيْنِهَا مِنْ عَيْنِهَا كُحْلُ
وقل ما تسمع شعرا يشبه هذا الشعر .

أول من دعى الى بيعته على المنبر محمد الامين

أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن احمد بن يحيى قال : كانت العرب تسمى مواضع أرصاد السلطان مسالح من السلاح فكره المأمون هذا الاسم فسمها مصالح من المصلحة ثم أنشد :

تَذَكَّرْتُهَا وَهْنًا وَقَدْ خَالَ ذُونُهَا قُرَى أَذْرِيحَانَ الْمَسَالِحِ وَالْخَالِي

(١) لا يكفر لكم بلاء أى لا ينكر لكم مجهود تذلونه .

(٢) المقلة العين والنصل حليمة الرمح والسكين والسهم والمعنى أنها اذا نظرت إليها قتلتك بعينها وفعلت مالا تعلمه الرماح ولا السهام .

يعنى الذى خلى عن بلاده الى هذا الموضع .

واستبقاء المأمون ابراهيم المهدي فعلة لم يسبقه إليها احد من الاولين والآخرين ، وذلك أنه استبقاه بعد وثوبه على الخلافة . وبيعة الناس له بها ، وعادة الملوك اذا ظفروا بمن ينازعهم الملك ان يقتلوه .

كان المأمون قد ولى على بن موسى الرضا العهد بعده . فغضب بنو العباس ، فخلعوه ، وبايعوا ابراهيم بن المهدي فى محرم سنة اثنتين وثمانين . (١) فحارب الحسن بن سهل ابراهيم فهزمه . والمأمون بخراسان . فلما قدم بعد ان ظفر بابراهيم قال له : قد استشرت فى أمرك فأشير على بدمك . فقال : ان المشير أشار عليك بما جرت به عادة السياسة . الا انك أبيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته ، من العفو ، فان عاقبت فلك نظير . وان عفوت فلا نظير لك ، وان جرمى أعظم من ان أنطق فيه بعذر . وعفو أمير المؤمنين اجل من ان يقابل بشكر ، وان لى لشفعة الاقرار بالذنب . وحق العمومة بعد الاب . فلا يسقط عن كرمك عملك ، ولا يقع دون عفوك عندك . فقال المأمون : لو لم يكن من حق نسبك الصفع عنك . بلغك املك حسن تنصلك . (٢) ولطف توسلك .

روى جعفر بن قدان بن زياد الكاتب عن سارية الكبيرة قالت : قال ابراهيم بن المهدي : لما قدم المأمون مدينة السلام من خراسان ، أمن الناس غيرى ، فتواريت فاخترلت اختلالا شديدا ، فقالت لى عجوز من الازد : - كانت تخدمنى - سأحتال لك فى ان يصل اليك مال ، فركبت زورقا فلما حاذت المأمون فى قصره على دجلة صاحت : النصيحة فأمر بها فادخلت اليه ، فقالت : ان دلتك يا أمير المؤمنين على ابراهيم بن المهدي فما تجعل لى ؟ قال : مائة ألف درهم . قالت : وجه معى رسولا ، ومبره أن

(١) أى بعد المائة .

(٢) اتصل الخروج .

يطيعنى فى جميع أمره ، وادفع اليه الف دينار ، ومره ان يدفعها الى حين أريه دينار ، ومره ان يدفعها الى حين أريه وجه ابراهيم .

فوجه المأمون معها حسين الخادم ، ودفع اليه الدنانير ، وأمره بما قالت ، فجاءت بالحسين حتى دخلت به مسجدا فيه صندوق عظيم ، فقالت له : أدخل هذا الصندوق . فتأني . فقالت : ألم يأمرك أمير المؤمنين بطاعتي ؟ وان لم تفعل انصرفت ، ولم يتهيأ ما يريد الا بهذا ، فدخل الحسين الصندوق ، فأنت بحمال فحملة ، فجعلت تطوف به فى الاسواق والشطوط ، فمرة يسمع صوت الباعة ، ومرة يسمع صوت الملاحين ، فلما اظلم الليل أدخلته دارا ، وفتحت عنه ، وإذا مجلس عظيم فى صدره ابراهيم بن المهدي يشرب ، وبين يديه جوار يغنيه فانكب الحسين على رجل ابراهيم فقبلها ، وسأله ابراهيم عنه وعن المأمون ، وتناولت المرأة منه الدنانير ، وقال له ابراهيم : كل عندى لقمة ، واشرب قدحا ، وتحمل عني رسالة ، وامض محفوظا ، قال : أفعل .

وقدم اليه طعام فأكل ، ثم سقى شرابا فيه بيخ ،^(١) فشربه فسكر وأدخل الصندوق ، وأقفل عليه ، وحمل حتى أتى به باب العامة فوضع ، فلما أصبح الناس رأوا الصندوق وليس معه أحد ، فانهوا خبره الى صاحب الحرس ، وكتب فى الخبر الى المأمون ، فاحضر وفتح ، وإذا الحسين متلوث مسلوث ،^(٢) فعولج حتى أفاق فقال المأمون : أرأيت ابراهيم ؟ قال له : اى والله قال : أين هو ؟ قال : لا أدرى . وحدثه بالقصة فقال المأمون : خدعتنا والله . وذهب المال . فقال ابراهيم فتفرجت بالالف مدة مديدة .

أول من اتخذ الامراك المنصور

أخبرنا أبو احمد عن الصولى قال : حدثنا ثمود بن المزرع قال : حدثنا

(١) البيخ نبات سام يستعمل فى الطب للتخدير .

(٢) أى مختلط تائه العقل .

الجاحظ قال : أول من اتخذ الاثراك المنصور ، اتخذ حمادا التركي ثم اتخذ المهدي مبارك التركي ، وتوليا التركي ، وهو الذي قتل الوليد بن طريف الخارجي مع يزيد بن يزيد .

واما الخصيان فذكر الجاحظ أنهم اتخذوا في الاسلام .

أول كتاب صدر من ملوك بني العباس فيه شعر

أخبرنا أبو احمد عن الصولي عن القاسم بن اسماعيل قال : وثب أهل حمص بعاملهم على المعونة موسى بن ابراهيم بن البغيث الرافقي - وكان قتل رجلا من رؤسائهم - وأخرجوه ثم وثبوا على محمد بن عبدوية - وكان وليهم بعد ابن البغيث - وأمر المتوكل ابراهيم بن العباس ان يكتب اليهم كتابا مختصرا يحذرهم فيه فكتب :

أما بعد : فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه ، فيما قوم به من أود ،^(١) أو عدل به من زيغ ،^(٢) أو لم به من شعث ،^(٣) استعمال ثلاث يقدم بعضهن على بعض : وأولهن ما يستظهر به من عظمة وحجة ، وما يشفعه من تحذير وتنبية ، ثم التي لا تقع بحسم الداء غيرها

أَنَا فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعِيداً فَإِنْ لَمْ تُجِدْ أَجَدْتَ عَزَائِمُهُ

وكان ابراهيم ابتداء كلاما ، فراه يتزن ، فجعله بيتا ، هكذا رواه لنا عن الصولي .

وروى لنا أيضا عنه محمد بن زكريا الغلابي عن مهدي بن سابق قال : كتب

(١) الأود الاعوجاج .

(٢) الزيغ الضلال .

(٣) الشعث التفرق ولم شعثهم أي جمع أمرهم .

رافع الى الرشيد كتابا فى أسفله :

إِذَا جِئْتُ غَاراً أَوْ رَضِيْتُ بِمِثْلِهِ فَنَفْسِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ

فكتب اليه الرشيد كتابا فى أسفله :

وَرَفَعْتُكَ نَفْساً طَالِباً فَوْقَ قَدْرِهَا يَسُوقُ لَكَ الْخَيْفَ الْمُعْجَلُ وَاللَّذْلَ^(١)

أول من آخر النيروز^(٢) المتوكل

أخبرنا أبو أحمد الصولى عن يحيى بن على عن أبيه وأحمد ابن يزيد عن أبيه قال : وسمعت ابراهيم بن المدبر يحدث بطرف منه قال : بينا المتوكل يطوف فى متصيد له ، رأى زرعاً أخضر فقال : قد استأذنى عبد الله بن يحيى فى فتح الخراج ، وأرى الزرع أخضر ، فقيل له : أن هذا قد أضر بالناس ، فهم يقترضون ويستسلفون ، فقال : أهذا شئ حدث أم هو لم يزل كذا ؟ فقيل له : هو حادث .

ثم عرف ان الشمس تقطع الفلك فى ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ، وان الروم تكبس فى كل أربع سنين يوماً ، فيطرحون من العدد ، فيجعلون شباط ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوماً ، وفى السنة الرابعة — وهى التى تسمى الكيسة — يكمل من ذلك الربع يوم تام ، فيصير شباط تسعة وعشرين يوماً . وكانت الفرس تكبس الفصل الذى بين سنتها وبين سنة الشمس فى كل مائة وست عشرة سنة شهراً ، وهذا الكبس فى طوله أصبح من كبس الروم ، لأنه أقرب إلى ما يحصله الحساب من الفصل فى سنة الشمس .

فلما جاء الاسلام عطل ذلك ولم يعمل به . فأضر بالناس ذلك ، وجاء زمن هشام ، فاجتمع الدهاقنة^(٣) الى خالد بن عبد الله القسرى ، فشرحوا له ،

(١) المعنى أن من حاول ان يضع نفسه فوق قدرها فقد سبب لها الذل والمهانة لاحتقار الناس له .

(٢) النيروز هو أول يوم من أيام السنة الشمسية أو هو يوم الفرج عموماً .

(٣) الدهاقنة رؤساء الاقاليم .

وسأله ان يؤخر النيروز شهرا ، فكتب الى هشام بن عبد الملك - وهو الخليفة - فقال هشام : أخاف أن يكون ذلك من قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ^(١) فلما كان أيام الرشيد ، اجتمعوا الى يحيى بن خالد البرمكى وسأله ان يؤخر النيروز نحو شهر ، فعزم على ذلك ، فتكلم اعداؤه فيه ، وقالوا : يتعصب للمجوسية ، فأضرب عنه ، وبقي على ذلك الى اليوم .

وأحضر المتوكل ابراهيم بن العباس ، وأمره أن يكتب عنه كتابا فى تأخير النيروز بعد أن يحسبوا الايام ، فوقع العزم على تأخيره الى سبعة وعشرين يوما من حزيران ، فكتب الكتاب على ذلك ، وهو كتاب مشهور فى رسائل ابراهيم .

وانما احتذى المتوكل بالله ما فعله المتوكل الا أنه قد قصره فى أحد عشر يوما من حزيران ، فقال البحتري يمدح المتوكل ويذكر تأخير النيروز :

لَكَ فِي الْمَجْدِ أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ وَمَسَاعٍ صَغِيرُهُنَّ كَبِيرُ
إِنْ يَوْمَ النَّيْرُوزِ عَادَ إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ سَنُهُ أَرْذَشِيرُ
أَنْتَ حَوَّلْتَهُ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى وَقَدْ كَانَ حَائِرًا يَسْتَدِيرُ
وَأَفْتَحْتَ الْخِرَاجَ فِيهِ فَلِلْأَمَةِ فِي ذَاكَ مَشْهَدٌ مَذْكُورُ

قال احمد بن يحيى البلاذرى : حضرت مجلس المتوكل و ابراهيم ابن العباس يقرأ الكتاب الذى انشأه فى تأخير النيروز ، والمتوكل يعجب من حسن عبارته ، ولطف معانيه ، والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نفاسة ، ^(٢) فقلت : يأمر المؤمنين ، فى هذا الكتاب خطأ ، فأعادوا النظر ، فقالوا : ما نراه ، فما هو ؟ فقلت : أرخ السنة الفارسية بالليالى ، والعجم تؤرخ بالايام ، واليوم عندهم اربعة وعشرون ساعة ، يشتمل على الليل والنهار ، وهو جزء من

(١) سورة التوبة الآية (٣٧) .

(٢) النفاسة الغيرة والحقد .

ثلاثين جزءا من الشهر ، والعرب تؤرخ بالليل لان سنتهم وشهورهم قمرية ،
وابتداء رؤية الالهة بالليل ، قال : فشهدوا بصحة ما قلت ، واعترف به ابراهيم ،
وقال : ليس هذا من علمي ، فخف عني ما دخلني من النفاسة .

ثم قتل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة ، وولى المنتصر واحتيج الى المال ،
وطولب به الناس على الرسم الاول ، وانتقض ما رسمه المتوكل ، فلم يعمل به
حتى ولى المعتضد ، فقال ليحيى بن علي المنجم : قد كثر ضجيج الناس من
أمر الخراج ، فكيف جعلت الفرس مع حكمتها ، وحسن سيرتها ، افتتاح
الخراج في وقت لا يتمكن الناس من أداء الخراج فيه ، قال : فشرحت له أمره
وقلت : ينبغي أن يرد الى وقته ، ويلزم يوما من أيام الروم ، ولا يقع منه تغيير ،
فقال : الق عبد الله بن سليمان ، فوافقه على ذلك ، فوافقه وحسبنا حسابه ،
فوقع في اليوم الحادى عشر من حزيران ، فأحكم أمره على ذلك ، وأثبت في
الدواوين ،

وكان النيروز الفارسي في وقت نقل المعتضد له يوم الجمعة لحدى عشرة ليلة
خلت من صفر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . ومن شهور الروم الحادى عشر من
نيسان ، وأخره حسب ما أوجه الكبس ستين يوما حتى رجع الى وقته الذى
كانت الفرس ترده اليه . وكان قد مضى لذلك مائتان واثنان وثلاثون سنة
فارسية ، تكون من سنى العرب مائتين وتسعا وثلاثين سنة وبضعة عشر يوما ،
ووقع بعد التأخير يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة
اثنتين ومائتين ومن شهور الروم الحادى عشر من حزيران .

أول من أمر أهل الذمة بتغيير زيهم المتوكل

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال : أمر المتوكل أهل الذمة أن يلبسوا
العسلى ، وان تكون ركبهم حصنا ، وان يجعل على مقدمة السرج زر ،
وكذلك على مؤخره . وعلى القلنسوة مثله ، وعلى الدرايع رقاع من قدام ومن

خلف ، وعلى أبوابهم صور من خشب .

وأمر ألا يستعان بهم ، فأسلم لهذا السبب جماعة منهم : أبو نوح عيسى
ابن ابراهيم ، وقدامة بن زياد ، والهيثم بن خالد كاتب الوزير .



الباب السادس

فيما جاء من ذلك عن الأمراء
والوزراء والجلساء

أول الأمراء على مكة

عتاب بن أسيد ، ولاه النبي - ﷺ - حين صدر عن حجة الوداع ، أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن أبي الحسن عن رجاله قالوا : لما توفي النبي - ﷺ - ارتدت العرب ، وكان عتاب بن أسيد بمكة ، استعمله النبي عليها ، فخاف ان يرتد أهلها ، فبدر اليه منهم بادرة ، ^(١) فنزل شعبا من شعابها ، ^(٢) فجاء سهيل بن عمرو فأخرجه الى المسجد ، وخطب الناس فقال :

ان يكن محمد قد مات ، فان الله حي لا يموت ، وقد علمتم أني أكثركم قنبا ^(٣) في بر ، وجارية في بحر ، فقرروا على أمركم ، وأدوا زكاتكم ، وانا ضامن ان لم يتم هذا الامر أن أردّها عليكم ، فإنني والله أعلم ان هذا الأمر سيمتد كامتداد الشمس من طلوعها الى غروبها ، قالوا : وأنى علمت ذلك ؟ قال : أنا رأينا رجلا وحيدا جريدا فريدا ، لامال له ولا عز ولا عدد ، قام في ظل هذه الكعبة فقال : أنا رسول الله اليكم ، فكنّا بين هازل وضاحك ، ومستجهل وراحم ، فلم يزل أمره ينمو ويتصاعد ، حتى دنا له طوعا او كرها ، ولو كان من عند غير الله ، لكان كالكرة في يد بعض سفهائكم ، فبلغ أبا بكر قوله فشكر له .

(١) البادرة الحلة وما يبلو من الانسان عند حدثه .

(٢) الشعب الطريق في الجبل .

(٣) القتب الرحل والمراد الابل التي عليها أقتابها .

أول الأمراء على المدينة

سهل بن حنيف وولاه على - عليه السلام - حين خرج الى البصرة لقتال اصحاب الجمل ، فلما قتل حكيم بن جبلة ، وأريد قتل عثمان ابن حنيف قال : ان أخى سهلا والى على المدينة ، ولو قتلتموني لانتصر من ذريتكم ، فخلوا سبيله .

أول الأمراء على مصر

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن عمرو بن هشام القرشي ومحمد بن عمرو بن شعيب عن أبيه ، وعن غير هؤلاء قالوا : كتب عمر - رضى الله عنه - الى عمرو بن العاص ، سنة تسع عشرة ، يأمره بالسير الى مصر ، فاتاه الكتاب وهو محاصر قيسارية^(١) فسار في شعبان ، في ثلاثة آلاف وسبعمئة ، حتى نزل العواصم ، فقال رجل من القبط : عجبت لهؤلاء ، يدخلون مصر في هذه العدة وهذا العدد ، وبها عساكر يتبعها عساكر ، فقال صاحب له : لا يقصد هؤلاء أحدا الا قتلوه ، ولا ينزلون حصنا الا فتحوه ، حتى يقتلوا خيرهم ، فاذا فعلوا ذلك ، اختلفوا وضعف أمرهم ، وسار عمرو حتى أتى غزة^(٢) فبعث ملكها : أن أرسل الى رجلا من أصحابك أكلمه ، فقال عمرو : ما له أحد غيرى ، فدخل المدينة ، فسمع منه كلاما لم يكن بمثله له عهد ، فقال : هل فى أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هوانى عليهم ، وانما بعثونى اليك وقالوا : لو نزل به حاذرا^(٣) كان نزل بأهوننا ، فأمر له بجائزة وكسوة وبعث الى البواب ، اذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه ، فلما خرج لقيه نصرانى من غسان ، فقال له : يا عمرو قد أحسنت الدخول ، فأحسن الخروج ، فنبهه ، فرجع الى الملك ، فقال : قد نظرت الى ما أعطيتنى

(١) قيسارية بلد على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين .

(٢) غزة قطاع من قطاعات فلسطين غربى عسقلان من ناحية مصر .

(٣) حاذر بمعنى محذور وهو المكروه الذى يحذره الانسان .

فوجدته لا يسع بنى عمى ، فأردت ان أجيثك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ،
وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرة ، فقال : مرحبا بهم ،
عجل بهم ، وبعث الى البواب ان خل سبيله ، فمر عمرو يتلفت حتى أمن ،
وندم على ما فعل ولم يفارقه حتى صالحه ، فلما أتى به الى عمرو قال : وأنت
هو ؟ قال : نعم ، على ما كان من غدرك .

وسار حتى أتى فسطاط^(١) - وقد خندق أهلها - فأقام عليهم ، وقدم
الزبير بن العوام فى خمسة آلاف ، وقال : جئت أميرا على الجماعة . فقال
عمرو بن العاص : بل جئت مددا ، ثم اتفقا أن يكون كل واحد منهما أميرا على
أصحابه ، وخرج المشركون فهزمهم المسلمون ، ودخلوا حصنهم
فحاصروهم ، وقال الزبير : ما نطاول^(٢) قوما فى ديارهم ، يأتيهم أمدادهم ،
ووضع سلما على الحصن وصعد ، وصعد الناس ففتحوه عنوه^(٣) .

وقيل بل فتحوه صلحا على كل رأس دينار ، ولكل رجل من المسلمين جبة
صوف ، وبرنس^(٤) وعمامة وخفان ، ولهم الاتباع نساؤهم وأولادهم ، وذلك
سنة عشرين . فأقام عمرو بها أميرا أربع سنين ، ثم اجتمع العدو بين مصر
والاسكندرية ، فسار اليهم عمرو فى عشرة آلاف ، على مقدمته شريك بن
سحماء فى ألفين فانهزم الاعداء ودخلوا الاسكندرية ، فحاصروها ثلاثة أشهر ،
فكادوه^(٥) ، فأقاموا النساء على الحصن ، ناشرات شعورهن ، ووجوههن الى
المدينة ، عليهن السلاح ، والرجال مقبلون عليه يقاتلونه ، يخوفونه بكثرة
العدد ، فناداهم عمرو فقال :

(١) فسطاط : ضرب من الابنية يجتمع فيه أهل القطاع والمراد هنا فسطاط مصر وهو المكان الذى كان
عمرو يعسكر فيه بجيشه .

(٢) نطاول أى نباريهم وهو التسابق لاطهار المنتصر .

(٣) عنوة أى قهرا .

(٤) البرنس كل ثوب يكون غطاء الرأس متصلا به .

(٥) كادوه أى مكروا به يريدون خلداه باظهار كثرة عددهم .

ان كان فيكم رجل مستجاب الدعوة ، فسلوه ان يدعو الله تعالى ان
يسلطكم علينا فتقتلونا ، فإن الآخرة خير لنا من الدنيا .

فتعجبوا وقالوا : من يطبق قوما راحتهم عندهم القتل ؟ وقالوا ليس لنا الا
أن نصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار ، - على كل حالم دينار - وقيل :
ديناران ، على ان يخرج منهم من شاء الى الروم ، ويقيم من شاء منهم
بالاسكندرية .

أول الامراء على البصرة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني وأخبرنا غيره
قالوا : كتب قطبة بن قتادة - وهو اول من أغار على السواد من ناحية
البصرة - الى عمر - رضى الله عنه - أنه لو كان معه عدد ظفر بمن فى ناحيته
من العجم ، فبعث عمر عتبة بن غزوان أحد بنى مازن ابن منصور فى ثلاثمائة ،
وانضاف اليه فى الطريق نحو مائتى رجل ، فنزل أقصى البر - حيث يسمع نقيق
الضفادع - وكان عمر تقدم اليه بذلك ، فكتب الى عمر إنا نزلنا بأرض فيها
حجارة بيض . فقال عمر : الزموها فإنها أرض بصرة ، فسميت بذلك .

ثم سار الى الابل^(١) فخرج اليه مرزبانها^(٢) فى خمسمائة أسوار^(٣) فهزمهم
عتبة ودخلوا البلد ، وأقام عتبة عليها حتى فتحها فى شعبان سنة أربع عشرة
وقالوا : فى رجب ، وأصاب المسلمون سلاحا وطعاما ومتاعا ، وكانوا يأكلون
الخبز ، وينظرون الى أيديهم ، هل سموا ؟ وأصابوا برانى^(٤) فيها جوز فظنوه
حجارة ، فلما ذاقوه استطابوه ، ووجدوا صحناة^(٥) فقالوا : ما كنا نظن العجم

(١) بلدة بالعراق قبل البصرة وأقدم منها لأنها كانت فى عهد كسرى .

(٢) مرزبانها أى رئيسها .

(٣) الاسوار الرامى بالسهم وعند الفرس القائد .

(٤) برانى جمع برنية وهو إناء من خزف .

(٥) الصحناة السمك الصغير المملوح .

تدخر العذرة ، ^(١) وأصاب رجل سراويل فلم يحسن لبسها فرماها وقال : أخزأك الله من ثوب ! فما تركك أهلك بخير ، وأصابوا أرزا فى قشره ، فلم يمكنهم أكله ، فظنوه سما ، فقالت بنت الحارث بن كلدة : إن أبى كان يقول : اذا أصابت النار السم ، ذهبت غائلته ^(٢) وطبخوه وأكلوه ، فاستطابوه وجعلوا يأكلونه ، ويقدرّون أعناقهم ، ويقولون : قد سمنا .

وبعث عتبة بالخمس الى عمر - رضى الله عنه - مع رافع بن الحارث ثم قاتل عتبة أهل دست ميسان ، ^(٣) وظفر بهم ، واستأذن عمر فى الحج ، فأذن له ، فلما حج رده الى البصرة ، فلما كان بالفرع ^(٤) وقصته ناقتة ^(٥) فمات ، فولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة ، فرمى بالزنا ، فعزله ، وولى أبا موسى .

أول الأمراء على الكوفة

سعد بن أبى وقاص ، واسم أبى وقاص مالك .

أخبرنا أبو أحمد الجوهري عن أبى زيد عن الفضل بن الدكين عن أبى العسل عن هارون بن عبد الله عن عفيف بن معد يكرّب . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر عن المدائني عن رجاله قالوا : كان المثنى بن حارثة الشيباني أول من أغار على السواد من ناحية الكوفة ، فبعث عمر - رضى الله عنه - أبا عبيد بن مسعود الثقفي ، لينضاف الى المثنى ، ويتعاونوا على الفرس ، فعقد أبو عبيد جسرا ، وعزم على العبور اليهم ، فنهاه المثنى وغيره من ذوى رأى ، فأبى وعبر بمن كان معه ، فقاتلهم فقتل ، وقتل من المسلمين ألف وثمانمائة رجل ، ونجا الباقون بعد جهد شديد ، وبعث عمر سعد بن أبى

(١) العذرة الغائط .

(٢) الغائلة الشر .

(٣) دستميسان هكذا رسمت فى معجم البلدان وهى مقاطعة جلييلة بين واسط والبصرة والاهواز وهى الى الاهواز أقرب ، وعاصمتها الابلّة .

(٤) الفرع قرية قريبة من المدينة .

(٥) وقصته ناقتة أى رمت به فكسرت عنقه .

وقاص ، فافتتح القادسية ^(١) والمدائن ، ومصر الكوفة ، ثم عزله حين وشى به
الاشعث ورجال من أهل الكوفة .

قالوا : قدمنا على عمر فقلنا : نحب أن تعزل عنا سعدا ، فقد اعتدى علينا ، ومنعنا
حقوقنا قال : لعل ذلك أن يكون ! وولى فندمنا على ما قلنا ، وخفنا ان يخبر
سعدا ، فيكون أحيث لنا صحبة مما كان ، فتبعناه فقلنا : ان لم تسمع فيه
قولنا ، فلا تذكره له قال : لعل ذلك أن يكون ! فغلونا اليه ، فخرج سعد من
عنده يسب ويلعن ، فقلنا : انه والله بلغه قولنا : واستعمله علينا ، ثم قال قائل منا
هذا والله غضب معزول ، فدخلنا اليه ، فقال : انى قد عزلت عنكم سعدا ،
فأخبروني ، اذا كان الامام عليكم يمنعكم حقوقكم ، ويسىء صحبتكم ، ما
تصنعون ؟ قلنا ان رأينا خيرا حمدنا الله ، وان رأينا شرا صبرنا .

فقال : لا والله لا تكونوا شهداء فى الارض حتى تأخذوهم فى الحق كأخذهم
اياكم فيه ، وتضربوهم على الحق ، كضربهم اياكم عليه ، والا فلا ، ثم ولاها
عمارا ابن ياسر ، وعزله ، ثم ولاه ثانية وعزله ، وولى جبير ابن مطعم
واستكتمه ، فأتى رجل ابن أبى ثور فقال : رأيت عمر وجبيرا نجيا ، وأظنه قد
ولاه الكوفة .

فبعث ابن أبى ثور امرأته - وكان يقال لها لقاطة الحصى لنقلها الاحاديث - الى
امراة جبير ، وهى تصلح جهازه للخروج ، فقالت : ما تصنعين ؟ قالت : أبو
محمد يريد سفرا قد كتمنيه . قالت : أو ترضى الحرة من زوجها أن يكتمها
أمره ؟ فتركت ما كانت عليه متغضبة فقال لها جبير : عودى قالت بالنور
العظام لأمس شيئا حتى تخبرنى لأى شىء خروجك ؟ فأخبرها ، فرجعت
تعالج ، وجاءت لقاطة الحصى ، فسألتها عن أمره ، فقالت : ذكر لى أمره ،
واستكتمنيه ، فقالت : حلفى لو كان بى مرض ما كتمتك فأخبرتها ، فأخبرت
ابن أبى ثور ، فأخبر صاحبه ، فراح إلى عمر فقال : بارك الله لك فى رأيك ، قد
وليته قويا أمينا ، فقال : نشدتك الله ! هل رأيتنى مخليا بجبير ؟ فأتيت ابن أبى

(١) القادسية مدينة بالعراق بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا أى خمسة وأربعون ميلا .

ثور وأخبرته فأرسل امرأته الى امرأة جبير فاقتص الخبر كأنه معهم ؟ فأرسل عمر الى جبير فقال : لا تحدث شيئا ، فانك عندى أمين ولكنك ضعيف ، فعزله ، وولاهما المغيرة بن شعبه .

وروى عن المأمون انه قال : الملوك تحتمل كل شيء الا القدح فى الملك وافشاء السر ، والتعرض للحرم .

أول الامراء على الشام أبو عبيدة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن أبي الحسن عن رجاله قالوا : لما فرغ أبو بكر - رضوان الله عليه - من أهل الردة ، وأمر الحيرة ، استنهض الناس الى الشام ، فتأقلوا ، فقال عمر : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ﴾ ^(١) فقال خالد بن سعيد بن العاص : لنا تضرب مثل المنافقين ؟ فقال أبو بكر : كلا ! ولكن أراد أن يبعث المتأقلين ، فعقد أبو بكر لخالد بن سعيد على الشام ، فقال عمر : أتعتقد لرجل أمر الناس بالتغالب ؟ ^(٢) وكان خالد حين توفى رسول الله - ﷺ - غائبا ، فلما قدم وقد بويع أبو بكر ، أتى عليا - رضى الله عنه - فقال : أرضيتم أن يليكم رجل من تيم ؟ فعزل أبو بكر خالدا ، فعقد ليزيد بن أبي سفيان ، وبعثه فى سبعة آلاف ، ومشى معه وهو راكب ، وأوصاه وودعه ثم وجه بعد ثلاثة شرحبيل بن حسنة فى سبعة آلاف . ثم وجه أبا عبيدة بن الجراح فى مثلهم أميرا عليهم جميعا ، وبعث عمرو بن العاص فى قوم من مسلمة الفتح وغيرهم ، فقال عمرو : أأست أميرا على جماعة الناس بالشام ؟ قال : لا ، أنت أحد الامراء ، فاذا اجتمعتم لحرب ، فأمركم أبو عبيدة .

وقال عمرو : لا أرى أن يقدم الذين حادوا الله ورسوله ، على من قاتل عن دين الله ، فغضب سهيل بن عمرو ورجال من قريش ، فظنوا أنه عرض بهم . ثم قال

(١) سورة التوبة الآية (٤٢) .

(٢) التغالب مقابلة بعض الناس لبعض والمراد آثارهم للدخول فى معارك يغلب بعضهم فيها بعضا .

سهيل لهم : اغضبوا على أنفسكم ، دعوا ودعيتم ، ^(١) فأسرعوا وأبطأتم ، والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفته مع المسلمين ، فسار عمرو فنزل بغمر الغربان من أرض فلسطين ، وأتى يزيد بن أبي سفيان البلقاء ^(٢) وشرحيل الأردن ، وأبو عبيدة باب ^(٣) ، فصالحه أهلها ، فكان أول ما صولح عليه من الشام وكان هرقل بفلسطين ، فقال لأصحابه : إنكم قد غيرتم وبدلتم وأفسدتم ، فسلط الله عليكم أضعف الأمم عندكم ، وإن مدينة من مدائنكم لتعدل أضعافهم ، فقاتلوا عن أنفسكم وحرملك ، واستخلف أخاه ، وخرج الى انطاكية ، ^(٤) فقال أبو بكر - رضى الله عنه - تحوله أول نقصه وهزيمته .

ثم خرج خالد بن سعيد بن العاص في جماعة الى مرج الصفر ^(٥) فبلغ أهل بصرى . ^(٦) فخرجوا في أربعة آلاف ، فأتوهم وهم غارون . فقتلوا خالدا ^(٧) وجماعة من المسلمين ، وانهم الباقون ، فعزم أبو بكر على تولية خالد بن الوليد الشام ، وهو بالحيرة ، ^(٨) فكتب اليه بذلك ، فاستخلف المنثى بن حارثة ، وخرج في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ، فقال محصن بن الحارث الأسدى :

إِذَا رَأَيْتَ خَالِدًا مُخَفَّفًا وَكَانَ بَيْنَ الْأَعْجَمِينَ أَنْصَفًا
فِي قَيْلِي بِالنَّقْعِ قَدْ تَلَحَّفَا وَهَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا جَرَحَفًا ^(٩)

(١) أى فى الوقت الذى دعى فيه السابقون دعيتهم ولكنهم فضلوكم بالسيف .

(٢) البلقاء من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى وبها قرية الجبارين التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ﴿ قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين ﴾ .

(٣) مدينة قرب حلب على بعد ١٨ ميلا منها .

(٤) انطاكية مدينة من أعيان بلاد الترك وأمهااتها تقع على نهر العاصى .

(٥) أرض واسعة جنوب دمشق .

(٦) بصرى من أعمال دمشق وهى عاصمة حوران فتحها خالد بن الوليد سنة ١٣ .

(٧) المراد خالد بن سعيد .

(٨) الحيرة مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف وبها قصر الخورنق .

(٩) الفيلق الجيش العظيم والنقع الغبار وتلحف تغطى .

فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ هَفَاً^(١)
لَوْذُ بَغْضُ الْقَوْمِ لَوْ تَخَلَّفَا
لَيْسَ أَخُو الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ وَفَا

فجاء حتى وصل طرف المفازة ،^(٢) فالتمس دليلاً ، فجاء برافع بن عمير الطائي ، فقال له : لا يسلك هذه المفازة الا مغرور ، فقال : لا بد من سلوكها ، قال : فمن استطاع أن يصير أذن بعيره على ماء فليفعل ، فحملوا ما قدروا عليه من الماء ، وساروا حتى فنى ماؤهم ، وشارفوا الهلاك .

فقال رافع : اطلبوا شجرة عوسج ،^(٣) فطلبوا فلم يروا شيئاً ، وكان رافع قد رمد فلم يقدر على الطلب ، فقال : هلكت وهلكتم ، اطلبوا ، فذهبوا يمينا وشمالا ، فوجدوا منها جذماً ،^(٤) فقال : احفروا ، فحفروا ، فاستطلبوا الماء ، فارتووا وحملوا ، وارتحل خالد ، وطرقوا هنوا^(٥) من ليلتهم - وهو ماء لكلب - ووافقهم ناس من بهراء^(٦) فانحازوا اليهم ، فدخل المسيب بن نجبة بيتا فسمع غناء بن النعمان البهراني يقول :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَائِيَا قَرِيبٌ وَلَا نَذْرِي
أَبْنِي سِلَاحِي يَا سَمِيَّ فَإِنِّي
أَخَافُ يَيَاتُ الْقَوْمَ مَطْلَعُ الْقَجَرِ

(١) حومة الموت هجومه وهفا أى أسرع والمراد أنهم كانوا يعتقدون ان الموت قد أسرع اليهم بسبب اختراقهم هذه الصحراء .

(٢) المفازة الصحراء لا ماء فيها .

(٣) العوسج شجر من فصيلة الباذنجانيات أغصانه شاككة وأزهاره مختلفة يصلح سياجا .

(٤) الجذم الأصل والمنبت .

(٥) هنو ماء لكلب وطرقوه أى أتوه ليلا .

(٦) بهراء قبيلة .

فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّلَامِ قَبْلَ لِقَائِهِمْ
وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَلْدِ ^(١)

فضربه المسيب فرمى برأسه في جفنة ^(٢) كان يشرب منها ، وساق أهله
وماله .

وقال بعض الطائيين :

لِلَّهِ دُرٌّ رَافِعٌ أَلَى أَهْتَدَى
فَوَزٌّ مِنْ قُرَاقِرِ السِّى سُرَا ^(٣)
خُمْسًا إِذَا سَارَهَا الْجَيْشُ ^(٤) بَكَى
مَا سَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِسْرِ يُرَى

وقال رجل من طيء أيضا :

وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ يَوْمَ يِرَاعَةٍ
نُطَاعِنُ عَنْهَا وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ ^(٥)
بَدْوِيَّةٍ مَرَّتْ كَأَنَّ سُرَاهَا
بَارِجَاتِهَا الْقُصُوصَى مَلَاءَ مُنْشَرَّ ^(٦)

فكان خالد على الشام حتى قام عمر فعزله .

(١) المعصرات جمع معصرة وهي المرأة التي أدركت كأنها دخلت عصر شبابها والخدر كل ما يتوارى به .

(٢) الجفنة القصعة الكبيرة .

(٣) رافع هو الدليل الذى اتهمه خالد في عبور المفازة وقرقر اسم واد في شمال صحراء الدهناء ، وسرا قرية على باب نهاوند .

(٤) الجبان .

(٥) اليراع الجبن والمعنى أنهم ساروا بالخيول يوم جبن الناس ودافعوا عن خيلهم وأسلحتهم تقطر دما .

(٦) الدوية البرية والمراد الصحراء والسراة جمع سرى وهو رئيس القوم والارجاء الانحاء ويجوز أن يكون السراة جمع سار وهو الماشى ليلا والمعنى مشينا بالصحراء وقد ملأ الجيش أنحاءها المختلفة كأنه ملأه نشرت عليها فغطتها .

أول من سلم عليه بالإمرة

قيل له السلام عليك أيها الأمير ، وكانوا قبل ذلك يقولون للأمرء اذا دخلوا عليهم السلام عليكم ، كما يقولون لغيرهم ، وأظن ذلك قيل للمغيرة بن شعبة أيام ولايته على الكوفة لمعاوية .

أول أمير أخذ ما جبي وهرب

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أنى جعفر عن المدائني قال : جبي ابن عباس - وهو وال لعلی (رضى الله عنهما) على البصرة - مالا كثيرا ، فقال له أبو الاسود : ان أعطيت من قبلك حقوقهم ، وحملت الباقي إلى أمير المؤمنين ليستعين به على أمور المسلمين ، فقال : لو كنت يا أبا الاسود من البهائم لكنت جملا ، ولو كنت راعيا ما بلغت به المرعى ، وما أحسنت مهنته في المساء ، فكتب أبو الاسود الى علي - عليه السلام - بذلك ، فوجه على مولاة سعدا الى ابن عباس يأمره بحمل المال اليه ، فشتمه ابن عباس وتهده ، فخرج حتى أتى عليا ، فأخبره فكتب اليه يلومه ويعنفه ، وكتب هو يعنر نفسه ، ويلزم الذنب سعدا ، ثم عمد الى المال ، وكان أربعمائة ألف ، وقيل سبعة آلاف ألف ، ^(١) واحتمله وخرج ، وخرج معه عشرون رجلا من قيس ، فجعل يعطى في طريقه كل من يسأله ، حتى أتى مكة فأعطى ما كان معه ، واحتجز الباقي .

وكتب اليه علي - عليه السلام - إلى أشركتك في أمانتي ، ولم يكن أحد من أهل بيتي أوثق عندي ولا أرجى لمواساتي منك ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، ^(٢) والعدو قد حرب ، ^(٣) والأمة فتن ، قلبت ظهر الحن ، ^(٤) وخذلتني

(١) في العقد الفريد ج ٥ ، ص ١١٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة : وكان فيما زعموا ستة آلاف ألف .

(٢) كلب أى اشتد وألح .

(٣) قد حرب أى اشتد غيظه .

(٤) هنا مثل يقال لمن تحول عن الصداقة الى العداوة ، قال صاحب مجمع الامثال ج ٢ ص ٤٧ قاله الامام على في كتابه لابن عباس وزاد لإفراقه مع المفارقين وخذله مع الخاذلين .

فلا إمامك آسيت ،^(١) ولا للامانة أديت ، كأنك لم ترد بعملك الله ، وكأنك كنت تكيد^(٢) الأمه عن دنياها ، فلما أمكنتك الفرصة ، عاجلتهم الشدة ، فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب دانية المعزى^(٣) ، رحيب الصدر تحملها غير متحرج عن أخذها ، كأنك حزت تراثك^(٤) من أهلك وأهلك ، واتخذت مكة دارا تشتري بها مولدات الطائف ، تختارهن على دينك ، تعطى فيهن مال غيرك ، سبحان الله ! أما تؤمن يوم الحساب ؟ أو ما تخاف الميعاد ؟ أو ما يعظم عندك ان تشتري الاماء ، وتنكح النساء ، بمال اليتيم والأرملة^(٥) والمسكين ؟

فأقسم بالله ! ما أحب ان ما أصبت كان لي حلالا أنفقه في سبيل الله لا أحاسب به يوم القيامة ، فلا غرو^(٦) لأكلك له حراما ، فاردد ما أخذت ، فوالله لو لم تردده ثم أمكنتني الله منك لأعذرن الله فيك ، فلو أن حسنا أو حسينا أتيا مثل الذى أتيت ، ما كان لهما عندى هوادة^(٧) ولا ظفرا فيه منى برخصة ، انتهى .

فكتب اليه ابن عباس : بلغنى كتابك تعظم فيه ما أخذت من المال ، ولعمري لحقى فيه أكثر مما أخذت .

فقال على - عليه السلام - العجب ممن يرى أن له من مال المسلمين أكثر مما لرجل منهم ، قد أفلحت ان كان يمينك الباطل ، وادعاؤك مالا يكون لك يخرجك

(١) آسيت أى ساعدت وعلونت .

(٢) أى تمكر بها وتخدعها .

(٣) فى مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٧ - واختطفت ما قدرت عليه من أموال الامة اختطاف الذئب الازل - الداهية - راية المعزى أصبح رويدا فكأنه قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى به المفترى بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة .

(٤) التراث الميراث .

(٥) الارملة من مات عنها زوجها سميت بذلك لذهاب زادها .

(٦) لاغرو أى لا عجب .

(٧) الهوادة الامر الذى يرجي به الاصلاح كما تطلق على المحابة وهو المراد هنا والمعنى لو فعل ذلك أحد ابني ما كان منى له محابة .

من الاثم ، ويحل لك الحرام ، عمرك ^(١) الله إنك اذا لانت السعيد .

وبإسناده قال : ولى على - عليه السلام - عبد الله بن سوار ابن همام العبدى ، البحرين ، فجبى مالا وهرب ، وكتب اليه على يتهدده ، فكتب اليه ابن سوار بشعر ، قاله بكير بن وائل الطامى من الازد :

مَا إِنْ نُبَالَى إِذَا مَا كُنْتَ جُسْتَا
أَنْ تَشْرُطَ أَلْمَالِ شَرْطَ الْمَاءِ بِالْعَسَلِ ^(٢)
وَأَنْتَ بَخْرٌ عَلَى قَوْمٍ تَخَافُهُمْ
وَصَخْرَةٌ فِي الْأَذَانِى مَاؤُهَا وَشِلٌّ ^(٣)

أول من عرف بالبصرة

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن خلاد بن يزيد عن ناهض ابن سالم عن أبي بكر الهزلى قال : أرسلنى النصر بن عمرو الى الحسن أسأله عن التعريف ^(٤) ها هنا قال : وما هذا وذاك ؟ قلت : إنه لمن خيرهم . قال : أجل فأخبره ان أول من عرف بالبصرة عبد الله بن العباس ، قال للناس : هذا يوم عرفة ، فهللوا يجتمع فيه ، فندعوا الله ، لعل دعاءنا يوافق دعاءهم ، فتنزل الاجابة فنشركهم فيها ، فصعد المنبر ، فقرأ سورة البقرة ، ففسرها حرفا حرفا وكان متجه نجدا غربا . ومن أول أفعاله ما أخبرنا به أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن الحجاج بن نصر عن قرة عن خالد قال : سئل الحسن عن صلاة الكسوف ، فقال : صل كما تصلى ، تركع وتسجد ، قال رجل : إنهم يقولون : تركع ثم ترفع رأسك ثم تقرأ ثم تركع . قال الحسن : أول من فعل هذا ابن عباس بالبصرة ^(٥) .

(١) عمرك الله أبقاك .

(٢) الجنة السترة وشرط المال خلطه والمراد خلط أموالهم بأموال الدولة واستباحة ذلك .

(٣) الماء الوشل القليل والمعنى أنت بحر تفيض على الناس فلا يضرك أخذ القليل من مائك ، وفى البيت إقواء لأن حرف الروى فى الأول مجرور وفى الثانى مرفوع .

(٤) التعريف الوقوف بعرفة والمراد اجتماع الناس ببلد ما يوم عرفة كما يفعل الحجاج بعرفة .

(٥) لم يفعل ابن عباس هذا من عنده بل له فى ذلك سند من رسول الله ﷺ روى مسلم عن عائشة رضى =

أول رأس تقف في الاسلام

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن أبي الحسن قال : عقد على لقيس بن سعد بن عبادة على مصر ، فبايعه أهلها إلا أهل قريات كانوا شيعة لعثمان ، قالوا له : نعطيك الخراج ، ولا نبايع عليا ، حتى يجتمع الناس على إمام ، فأعطاهم قيس ذلك ، فطمع فيه معاوية ، فكتب اليه يدعوه الى مبايعته فأبى ، فقال لعمر بن العاص : ان قيسا شديد الرأي ، شديد البأس ، وله نية في قتالنا ، وإن اجتمع علينا أهل العراق ، وأهل مصر لم نقم لهم ، فما الرأي ؟ قال : نكتب كتابا على لسانه بالمبايعة لك ، فإن عيون على يكتبون اليه بذلك فيعزله ،^(١) فكتب معاوية : من قيس بن سعد ، أما بعد : فان قتل عثمان كان حدثا في الاسلام عظيما ، وإنى نظرت لنفسى فلن يسعنى في دينى مبايعة أهل البغى ، وقد ألقيت اليك التسليم ، وأجبتك الى قتال عدوك والسلام . وقرأه معاوية على الناس ، فكتب عيون على اليه به .

فقال عبد الله بن جعفر : إن قيسا قد داهن ، فكتب اليه بمناجزة^(٢) من لم يبايعك ، فان فعل ، والا فاعزله ، فكتب اليه بذلك ، فكتب قيس : العجب منك يأمر المؤمنين ! تأمرنى بقتال قوم كافين ، ومتى قاتلتهم ظاهروا عليك ، فاستجاشوا^(٣) عليك بأعدائك ، فلم تكن لنا بهم طاقة ، فاكف عنهم ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فكتب اليه على - عليه السلام - أنا الشاهد ، وأنت الغائب ، ان عملت برأىي ، وإلا فاعتزل .

وقال عبد الله بن جعفر لعلى : ينبغي أن توليها محمد ابن أبى بكر - وكان

= الله عنها أن النبى ﷺ جهر فى صلاة الكسوف بقراءته فصلى أربع ركعات - ركوعات - فى ركعتين وأربع سجعات . اللفظ لمسلم والحديث متفق عليه سبل السلام ج ٢ ص ٦٠ ، مطالب أولى النهى ج ١ ص ٨٨ .

(١) هذا الكلام بعيد عن خلق الصحابة فلا يجوز اتهامهم به بغير دليل .

(٢) المناجزة : المبارزة والمحاربة .

(٣) استجاشوا : طلبوا المدد من أعدائك واستعانوا بهم عليك .

محمد أخاه لأمه ، أمهما أسماء بنت عميس - فولاه أياها ، فخرج حتى قدم على قيس ، فقال قيس : ان صاحبك وان كان قويا في بدنه ، فإنه ليس بذى علم في الحرب ، فان أردت ان تبقى لك مصر ، فاعمل فيها عملي ، فهو ذعه وخرج الى المدينة ، فخير محمد الذين وادعهم قيس بين البيعة لعلى أو القتال أو الجلاء ، فتحاشوا^(١) عليه ، وكانوا اثني عشر ألفا ، فاضطرب أمره ، فلما انقضى امر الحكمين ، ازدادوا عليه قوة ، واختل أمر مصر .

فقال على : ليس لمصر الا قيس أو الاشتر ، فكتب معاوية الى جانستان وهو بالقلزم :^(٢) اذا مر بك الاشتر فاحتل عليه حتى تقتله ، فلما حصل عنده سقاء شربة عسل فمات ، واشتد أهل مصر على محمد ، (فاستمد عليا ،)^(٣) فندب الناس إليه فتناقلوا ، وخرج عمرو بن العاص الى مصر ، في أربعة آلاف ، واستعد لهم محمد ، فقاتلهم فغلبهم مرارا ، ثم كسروه ففرق عنه أصحابه ، وأخذ معاوية ابن خديج ، فقال له : أسألك بحق أبي عليك الا خليت عنى ! فقال معاوية : أنا أسأل نفسي بحق الله الا أخلى عنك ، وأنت قتلت عثمان ، وقدمه فضرب عنقه ، وثقف رأسه ،^(٤) وحمله الى معاوية ، وأدخله جيفة حمار واحرقها ، فما أكلت عائشة شواء حتى ماتت .

وقالوا : أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق ، قالوا : لما قتل على - عليه السلام - بعث معاوية في طلب عمرو بن الحمق ، ففاتته فأخذ امرأته فحبسها ، ثم ظفر عبد الرحمن بن الحكم بعمرو فقتله ، وبعث رأسه الى معاوية ، فكان أو رأس حمل في الاسلام ، قال أبو هلال : أيده الله (فان كان حمل رأس ابن أبي بكر صحيحا فهو الاول .)^(٥)

(١) في المنجد تحاشوا عليه أى اجتمعوا عليه وجعلوه في وسطهم .

(٢) القلزم بلدة على ساحل بحر اليمن (البحر الاحمر الآن) قرب ايله والطور ومدين .

(٣) الجملة التى بين القوسين غير موجودة بالاصل ووجدتها فى نسخة دار الحديث فأثبتها هنا .

(٤) ثقفه بالرمح أى طعنه به والمراد أنه حمل رأسه على الرمح وأرسله الى معاوية .

(٥) الجملة التى بين القوسين ساقطة من الاصل ووجدناها فى نسخة دار الحديث .

أول أمير مات بالبصرة

أخبرنا أبو أحمد باسناد بعد على إخراجه قال : قال الحسن : قدم علينا بشر بن مروان بالبصرة - وهو أبيض بض - ^(١) أخو الخليفة ، وابن الخليفة ، ووالى العراق ، فأتيته مسلما عليه ، فقال الحاجب : من أنت ؟ قلت : الحسن البصرى . قال : الفقيه ؟ قلت : نعم . قال : ادخل الى الامير ، واياك أن تديم النظر اليه ، وإن سألك عن شيء فاحذف الجواب حذفا ، ^(٢) ولا يكون كلامك الا جوابا ، وتجاوز في المجلس ما استطعت ، الا أن يجلسك ، فدخلت وهو على سرير ، وعليه فرش قد كاد يغوص فيها ، ورجل قائم متكئ على سيفه ، فسلمت فقال : من أنت أعرفك ؟ قلت : الحسن البصرى ، قال : فقيه هذه المدرة ؟ قلت : نعم . قال : ما تقول في زكاة أموالنا ؟ أندفعها الى الفقراء أم السلطان ؟ قلت : أى ذلك فعلت جزا عنك قال : فرفع رأسه الى الرجل وقال : لشيء مايسود من يسود ، ثم أوما الى بالجلوس ، فجلست ، فجعل يخالسنى ^(٣) النظر ، اذا رميته بطرفى أمال بصره عني ، فاذا خفضت عنه أبرز فى بصره ، فتجاوزت فى المجلس وقمت ، ثم عدت بالعشى ، فاذا هو فى صحن مجلسه ، والاطباء حواليه ، وقالوا : الامير محموم ، ثم عدت فى الغد ، فاذا الناعية ^(٤) تنعى والدواب قد جرت نواصيها ، فحمل ودفن جانب الصحراء وجاء الفرزدق فقال :

أَعْيَنِي أَمَا تُسْعِدَانِي بِالبُكََا
فَمَا بَعْدَ بَشَرٍ مِنْ غَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ ذُكَّتْ جِبَالُهَا
وَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ بَعْدَكَ لَا تُسْرَى

(١) بض أى رقيق الجلد ناعمه فى سمن .

(٢) المراد اختصر الكلام ولا تطل .

(٣) أى ينظر الى بعجلة لئلا أراه .

(٤) الناعى هو الذى يخبر بالموت .

سَيَاتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبَةً
وَتَنَمَى إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١) إِلَى مِصْرٍ
فَإِنَّ أَبَا مَرْوَانَ بَشَرًا أَحَاكَمًا
ثَوَى ^(٢) غَيْرَ مَتَّبِعٍ بِدَمٍ وَلَا غَدْرِ
وَقَدْ كَادَ حَيَاثَ الْعِرَاقِ يَخْفَنُهُ
وَحَيَاثَ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالنَّهْرِ ^(٣)

فما بقي احد كان على القبر إلا خر باكيا ، وانصرفت وصليت الى جانب الصحراء ما قدر لى ، ورجعت الى القبر ، وقد أتى بعبد أسود يحمله أربعة ، فدفن الى جانب قبره ، فوالله ما فصلت بين القبرين حتى قلت : أيهما قبر بشر ؟ وقال الشاعر :

وَالْعَطِيَّاتُ سَبَابٌ ^(٤) بَيْنَهُمْ
وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُثَرٌّ وَمَقْلٌ

أول أمير مات بالكوفة

المغيرة بن شعبة

أول ماسميت العطيات جوائز في سلطان ابن عامر

سمعت أصحابنا يتحدثون ان عبد الله بن عامر بن كريز - وكان على العراق من قبل عثمان - بعث جيشا مع قطن ابن عمرو الهلالى الى كرمان ، ^(٥) في أربعة آلاف ، فجرى الوادى بسيل مفرط ، فخيف الغرق على من عبر ، والعلو على من لم يعبر ، فقال قطن : من عبر فله ألف درهم . فعبر رجل وآخر ، حتى عبروا كلهم ، فأعطاهم عمرو ذلك ، وكان أربعة آلاف الف درهم ، فاستكثرها

(١) عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك وأبو عمر بن عبد العزيز وأخو بشر الفقيه .

(٢) ثوى مات ودفن وأصل ثوى أقام وقبلت للميت لانه يقيم فى قبره ولا يفارقه .

(٣) المراد ان الأمير كان ذا هبة عظيمة حتى ان الحيات والسباع يخفنه .

(٤) فى نسخة دار الحديث - شتات - بدل سباب وهو الاوضح والمعنى أن العطايا تفرق بينهما فى الدنيا فلذا ماتا استويا حيث تضمهم الارض فلا يفرق بينهما شيء ولا يفرق قبر فقير من قبر ثرى .

(٥) كرمان : مدينة فى ايران تقع جنوب شرق أصفهان وشمال شرق شیراز .

ابن عامر فكتب فيها الى عثمان - رحمة الله عليه - فأجازها وقال : ما كان معونة
في سبيل الله فجائزة ، وصارت الجائزة اسم العطية .

قال الكندي :

فِدَاءُ الْأَكْرَمِينَ بِنِي هِلَالٍ
عَلَى عِلَائِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
هُمْ سَنُوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدٍ
فَصَارَتْ سَنَةً أُخْرَى لِلْيَالِي
رِمَاحُهُمْ تَزِيدُ عَلَى ثَمَانٍ
وَعَشْرٍ عِنْدَ تَرْكِيبِ النِّصَالِ

وقال أهل اللغة : هو من قولهم استجاز الرجل ، اذا سأل ان يسقى إبله ،
وأنشدوا :

عَجُوزٌ عَلَيْهَا مَسْنَحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ
أَقَاتِلَتْنِي يَا لِّلرَّجَالِ عَجُوزُ
لَوْ أَنَّ مِيَاءَ الْأَرْضِ كَانَتْ بِكَفِّهَا
لَمَّا تَرَكْنَا بِالْمِيَاهِ نَجُوزُ

وابن عامر هو أول من اتخذ ألسنة الموازين من الحديد ، وهو أول من لبس
الحز ، ^(١) فقال أهل المدينة : قد لبس الأمير جلد دب ، وهو أول من لبس
الطيلسان ^(٢) من العرب في الاسلام ، وقالوا : أول من لبسه جبير بن مطعم .

أول من صلب رجلا في الإسلام

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : قال أبو

(١) الخز وهو مشتق من المخزعة أى موضع الارانب باعتبار نعمته كأوبارها .

(٢) الطيلسان كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

يعقوب الشروى : أن الوليد بن عقبة دخل مسجد الكوفة ، ودعا بساحر يقال له نظرونى ، فأراههم فيلا فوق فرس يشند بهم فى المسجد وأراههم ناقة تشند على جبل ، وحمارا عدا حتى دخل فم نظرونى ، ثم خرج من دبره ، ومر رجل فضرب عنقه ، ووقع رأسه جانبا ، ثم قال للسيف : أقمه فأقامه .

وأتى جندب بن كعب الصياقلة ، وأخذ من مولى له سيفا ، وأتى المسجد فضرب عنق نظرونى ، وقال : أحمى نفسك . فأراد الوليد قتل جندب ، فقام قومه دونه ، فحبسه ، فلما رأى صاحب السجن صلاته ، قال اذهب حيث شئت فقال : أخاف الطاغية عليك ، فقال : ما أسعدنى يقتلنى ! فانطلق جندب ، وبعث الوليد الى صاحب السجن فضرب عنقه وصلبه فى السبخة ، ^(١) فكان أول مصلوب فى الإسلام .

وقالوا : أول من صلب بعد الهجرة رجل بعثه قريش إلى المدينة ليقتال النبى - ﷺ - أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبى زيد عن وهب ابن جرير عن أبيه قال : سمعت الحسن يقول : جلس نفر من قريش ، فتذاكروا من أصيب منهم بيدى وقالوا : لو وجدنا رجلا يقتل لنا محمدا ، ونجعل له ما يريد ، فقال رجل أنا جرىء الصدر ، جيد الحديد ، ^(٢) جواد الشد ^(٣) أقتله ثم أهرب فى أحد القيران ^(٤) أعلو كما يعلو العير فأفلت - والعير الحمار الذكر - فجعل له أربعة رهط كل رجل منهم أوقية ، فخرج حتى أتى المدينة ، فنزل على ابن عم له ، وقال : جئت مسلما ، فأطلع الله نبيه على شأنه ، فبعث الى الرجل شد ضيفك وثاقا ، واثنتى به ، فجعل يقول : أهكذا تفعلون بمن تبع دينكم ؟ حتى أتى به النبى - ﷺ - فقال له : جئت مسلما ، فقال : كذبت ، وقص عليه قصته

(١) أرض ذات نز وملح وهى التى لاتصلح للزراعة او تحتاج الى مجهود كبير لتزرع .

(٢) الحديد المحاور والمراد أنه يحسن الحيلة ولا ينكشف أمره .

(٣) الشد العدو والركض .

(٤) القيران جمع قارة وهو الجبل الصغير المنقطع عن الجبال والمراد أنه بعد ماينفذ جريمته يهرب فى أحد الجبال معتمدا على جرأته وسرعته .

فأنكر ، فأمر رسول الله - ﷺ - فصلب على جبل بالمدينة ، يقال له ذباب ، وكان اول مصلوب بالمدينة بعد الهجرة .

أول من وضع الكسور والتوايع على أهل الخراج زياد

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال : حكى محمد بن داود بن الجراح عن عبد الله بن سليمان قال : انى لأقف على رأس المهتدى وقد جلس للمظالم ، وبحضرته القواد والكتاب ، فرفع اليه فى قصة الكسور ، فقال لأبى . عرفنى حالها ، فقال : كان عمر — رضى الله عنه — قسط الخراج ورقاً ^(١) وعينا والدرهم تؤدى فيه عدداً ، ففسد الناس ، فكانوا يؤدون الضريبة ووزن الدرهم فيها أربعة دوانق ، ويستبدون بالوافى ، ووزنه مثقال ^(٢) .

فلما ولى زياد العراق ، طلب بأداء الوافى ، فشق ذلك على الناس ، وكان يلزم فى حمل المال مؤونة ، فألزمها أصحاب الخراج ، وزادت فى ذلك عمال بنى أمية زيادة أجحفت بالناس ، فلما ملك عبد الملك قرر وزن الدرهم على نصف وخمس مثقال ، وترك المثقال على حاله ، ثم ألزم الحجاج وعماله الناس الوظائف ، وهدايا النوروز والمهرجان ، فجرى الرسم به حتى ولى عمر بن عبد العزيز ، فأمر باسقاط ذلك كله ، واجراء الناس على رسم عبد الملك ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، رد الأمر على ما كان عليه ، وجرى الامر على ذلك الى أيام المنصور ، فخرّب السواد ، فأزال المنصور الخراج عن الحنطة والشعير ، وصيرهما مقاسمة ، وترك غيرهما على رسمه .

وحدث بعد ذلك أشياء لزمّت عليها مؤنة ، فزيدت على المال ، فقال المهتدى : معاذ الله ان ألزم الناس ظلماً تقدم العمل به وتأخر ، وحق ما حمل من

(١) الورق الفضة .

(٢) الدانق : سدس الدرهم والمثقال درهم ونصف درهم ومعنى ذلك أنهم كانوا يدفعون نصف القيمة حيث كانوا يدفعون أربعة دوانق والمطلوب تسعة دوانق وهو وزن الدرهم الوافى وكانوا يستبدون به أى يبقونه لأنفسهم .

بيت من الاموال أن ينفق عليها منها ، وتقدم باسقاط الكسور والتوابع على الناس ، فقال الحسن بن مخلد : ان أسقط أمير المؤمنين ذلك ، ذهب من مال السلطان عشرة آلاف ألف درهم ، ومد بها صوته .

فقال المهتدى : قد عرفت مذهبك في هذا القول ، تريد تحريض الموالي بما انتقص من أموالهم ، وما أمتنع ان أقيم حقا لله ، وأزيل مظلمة قد تقدمت بها الأيام ، وإن كان في ذلك كل حيف على بيت المال ، ولو نظر الموالي في أمرك وأمر نظرائك ، أخذوا ما خوفهم أن يذهب من مالهم منك ، فارتعد الحسن وأبلس ، ^(١) ثم كلم فيه المهدي فوضع له . هذا معنى الحديث .

اول من رسم هدايا النيروز والمهرجان الحجاج ، واول من رفع ذلك عمر ابن عبد العزيز ، وأول من رسم المقاسمة ^(٢) المنصور ، وأول من رقع الثياب ، وليس الخفاف الساذجة ^(٣) بالبصرة من الامراء ، زياد وهو أول من دعا النقرى ، وكانوا يدعون الجفلى ، قال أبو هلال : أيده الله - الجفلى أن يدعو الإنسان الى طعامه جميع الحى ، والنقرى ان يخص قوما دون قوم
قال طرفة :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى

لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

^(٤) والآدب الذى يدعو الناس الى طعامه ، والمأدبة الدعوة . قال الزناد

لعجلان ! كيف تدعو الناس ؟ قال : على الشرف . ثم على الأسنان ، ثم أدعو الذين لا يعبأ الله بهم شيئا قال : ومن هم ؟ قال الذين يلبسون ثياب الصيف فى الشتاء ، وثياب الشتاء فى الصيف ، فقال : هذا هزل ولو تقدمت اليك فيه لأدبتك .

(١) أبلس : أنكر وحزن .

(٢) قسمة ما يخرج من الأرض وأخذ كل ذى حق حقه وجعل المنصور ذلك بدل الخراج .

(٣) الخفاف الساذجة : التى لا نقش فيها وهى معرب سادة بالفارسية .

(٤) يظهر أنها قال زياد لعجلان لان عجلان هو مولى زياد .

وأما ترقيعه الثياب فقال : ما بال الرجل يأخذ عطائه ألفين فلا يبلغ الحول حتى يدان أكثر من ذلك ؟ فقيل له : ذهب أموال الناس في الكسوة . فصدر^(١) قميصه وجلس فيه ، فصدر الناس ثيابهم ، وكان الرجل حين ينشق ثوبه يلقيه ، فاتخذ الزيادة ولبسها ، فلبسها الناس معه ، وكان الناس يتكلفون للعيد مراكب يركبونها ، فمشى الى العيد ومشى الناس معه ، والناس يقتدون برؤسائهم في أكثر أمورهم ، حتى يسمون بأسمائهم ، ويكتنون بكناهم ، ويفعلون ما يقدرون عليه من أفعالهم .

وكان زياد يرقع ثوبه لئلا يستحي غيره من ترقيع ثوبه ، ولا يحمل على نفسه في استرائه واستجاده ، وكان يعطى الكثير وربما أعطى القليل ، لئلا يأنف المسئول عن تقليل العطية عند تعذر الامكان ، ولا يقع حجة السائل عن المسئول اذا أعطاه قليلا . وسأله رجل فأعطاه درهما ، فقال : أصلح الله الامير - صاحب العراق ، وخليفة أمير المؤمنين يعطى درهما ؟ فقال : نعم ان من ييده خزائن السموات والارض ربما رزق أخص عبيده ، وأقربهم منه وسيلة ، التمرة واللقمة فما يكبر عندى أن أصل رجلا من اخواني ثمانية آلاف درهم ، ولا يصغر عندى أن أطعم سائلا رغيفا ، اذا كان الجواد الكريم ، أرحم الراحمين . يفعل ذلك .

وهو أول من اتخذ الذراع التى تزرع بها الارضون هكذا قالوا :

وأخبرنا أبو القاسم باسناده عن المدائني عن أبي عمرو العمرى عن أبي عبد الرحمن البعلى عن أبي ليلى عن الحكم عن عمر أنه كتب الى عثمان بن حنيف بمساحة السواد ، فمسحها بذراع كانت ذراعا وقبضة ، فقام الابهام شيئا يسيرا ، فهى بين المنتصب والمنضجع .

وقال جعفر بن مهلهل : جعل عبيد الله بن عبيد الله بن معمر لاهل البصرة

(١) صدر قميصه المراد رقعته .

ذراعا يذرعون بها الدور ، من أطول ذراع وجدها الرجل وأقصر ذراع وجدها الآخر . اما الذراع التي يذرع بها الارضون ، فان زيادا وضعها فلما قدم سليمان بن علي زاد فيها وسماها الهاشمية ، فبقيت الى اليوم ، وكانت تسمى الزيادة ، وقيل : ان ذراع أيام عمر كانت ذراعا وقبضة الابهام منتصبه ، وقالوا : انه نظر الى ثلاثة نفر من أطول من يعلمه ذراعا وأوسطه وأقصره فجمعها فأخذ ثلثها ، فبعث به الى الكوفة ، وأمر سعدا حين كوف الكوفة ان يجعل سككها خمسين ذراعا بذلك .

أول من جمع العراقيين

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن المدائني ، وأخبرناه عن غيره قال : كان زياد على البصرة وأعمالها الى سنة خمسين ، فمات المغيرة بن شعبة بالكوفة ، - وهو أميرها - فكتب معاوية الى زياد بعهدده على الكوفة مع البصرة ، فكان اول من جمعنا له ، فشخص الى الكوفة ، واستخلف سمرة بن جندب ، فرجع زياد وقد قتل سمرة ثمانية آلاف رجل .

قالوا : جاء رجل فأعطى زكاة ماله ، وصلى ركعتين ، فقتله سمرة ، فأثاه أبو بكره فقال له : ثم قتلت رجلا عند أحسن عمله ، قال : أخوك زياد يأمرني بذلك ، قال : أنت وأخي في النار .

وكان رسول الله - ﷺ - قال لسمرة وأبي هريرة وأبي محذورة : آخركم موتا في النار ، فمات أبو هريرة ، وكان سمرة يسأل عن أبي محذورة ، وأبو محذورة يسأل عن سمرة ، فمات أبو محذورة ، ثم أخذ سمرة الزمهرير ^(١) فمات شر ميتة ، وكان سمرة أول من باع خمرا في الاسلام .

وأول من اتخذ الحرس والعسس ، ومشى بين يديه بالحرايب والعمد ، وجلس بين يديه على الكراسي ، وأول من اتخذ السقيف على حوانيت السوق

(١) الزمهرير : شدة البرد .

زياد وذلك حين أمر الا تغلق أبواب الجوانيت ، وكانت الكلاب تطرق الامتعة ، فأمر بمد السقف عليها ، وكان يقول : انا والله ما علونا أعوادكم ،^(١) واستحللنا فيكم الا بذنبا عن حريمكم ،^(٢) وأيما عقال^(٣) أصيب من مقامى هذا الى خراسان ،^(٤) فأنا ضامن له .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن التبوذكي عن سليمان بن مسلم عن أبيه قال : سمعت زيادا يقول : من سرق له متاع لم نسأله البينة ، فليجىء فليأخذه ، وكان الناس يغطون أمتعتهم ويذهبون .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن علي بن محمد قال : كان زياد يؤخر العشاء الآخرة ، حتى يصليها آخر من يصلى ، ثم يأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة او مثلها ، يرتل ترتيلا ، ثم يمهد قدر ما يرى ان انسانا يبلغ آخر بيت ثم يأمر صاحب شرطة بالخروج ، فيخرج ، فلا يرى انسانا الا قتله ، فأخذ ذات ليلة أعرايا فأتى به زيادا ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله قدمت بحلوبة لى فغشيني الليل فاضطرتها الى موضع ، وأقمت لاصبح ولا علم لى بما كان من الامير ، قال : أظنك صادقا . ولكن فى قتلك صلاح الأمة ، فأمر فضربت عنقه .

وزياد أول من شدد أمر السلطان ، ووكد أمر الملك وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، وخاف الناس من سلطانه حتى أمن بعضهم بعضا ، فكان الشيء يسقط من الرجل او المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق بابها عليها ، وأدر العطاء ، وبنى دار الارزاق ، فقال حارثة بن بدر الغداني : يذكر سيرته :

(١) المراد المتابر وكان لا يعلموها إلا أمير .

(٢) الذب عن الحريم الدفاع عما يجب الدفاع عنه .

(٣) العقال الحبل .

(٤) خراسان بلاد واسعة يحدها من جهة العراق يهق ومن جهة الهند طخارستان .

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَلَى زِيَادٍ
 فَنِعْمَ أَخُو الْخَلِيفَةِ وَالْأَمِيرِ
 لَأَنْتَ إِمَامٌ مَغْدَلَةٌ وَقَصْدٌ
 وَحَزْمٌ حِينَ تَحْضُرُكَ الْأُمُورُ
 أَخُوكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ بْنِ حَرْبٍ
 وَأَنْتَ وَزِيرُهُ نِعْمَ الْوَزِيرُ
 نَصَبْتَ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَمَالِي
 مَحَبَّةٌ مَا يَجُنُّ ^(١) لَهُ الضَّمِيرُ
 بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُورٌ مَعَانٍ
 إِذَا جَارَ الْبَرِيَّةُ لَا يَجُورُ

وقال في آخرها :

تَقَاسَمَتِ الرِّجَالُ بِهِ هَوَاهَا
 فَمَا تُخْفِي ضَعَائِنَهَا ^(٢) الصُّدُورُ

وكان زياد يسوى بين طعامه وطعام أصحابه ، فوضع يوما على مائدته
 شهدة ، فقال : أعلى كل مائدة مثلها ؟ قيل : لا قال : فارفعوها .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن علي ابن محمد عن
 مسلمة بن محارب قال : قال زياد لمولاه عجلان : قد وليتك حجابتي ،
 وعزلتك عن أربعة : طارق الليل ، فشر ما جاء به ، لو كان خيرا ما كنت من
 شأنه ، ورسول صاحب الثغر ، فانه ان جلس ساعة فسد عمل سنة ، والمنادى
 بالصلاة ، وصاحب الطعام ، فان الطعام اذا أعيد عليه التسخين فسد ، فأبطأ زياد
 يوما بالغذاء لشيء كان فيه من أمر الدهاقين ، فقال شعبة بن المحسن الضبي :
 الغذاء - أصلح الله الأمير - فقال رجل من الدهاقين : بأى ذنب أتيناه حتى

(١) يجن الضمير أى يكن ويستر .

(٢) الضعائن جمع ضعينة وهى الحقد .

ابتلينا بهؤلاء الكلاب ؟ فسمعها زياد ، فقال : بجرأتك على الله وشركك به ،
وكذبك عليه يا ابن المحسر ، لا تعودن لمثل هذا ، ودعا بالطعام فأكل ، وكان
أكولا ذميما ، فقال له زياد : ما لك من الولد ؟ قال : تسع بنات قال : وأين
أكلهن من أكلك ؟ قال : أنا أجمل منهن ، وهن آكل مني ، فقال زياد :
مأحسن ما سألت ! ففرض لهن ، فقال ابن محسن :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ السَّمَاخَةِ وَالتَّدَى^(١)
فَنَادِ زِيَاداً أَوْ أَخَا لِرِيَادِ
يُجِبْكَ امْرُؤٌ يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ
إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلَّ جَوَادِ
وَمَالِي لَا أَتْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
طَرِيفِي مِنْهُمْ كُلُّهُ وَتِلَادِي^(٢)
هُمَا أَصْلَحَا أَمَرَ الْبَرِيَّةِ بَعْدَمَا
تَفَانُوا وَكَادُوا يُصْبِحُونَ كَعَادِ

أول من عرف العرفاء

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن ابن سلام عن أبي المعتمر
قال : زياد اول من عرف العرفاء ،^(٣) وجعل عليهم المناكب ،^(٤) وقال :
العرفاء كالأيدي ، والمناكب فوقها ، وقيل لمعاوية : أنت أذكى الناس أم زياد ؟
فقال : انه لا يدع الامر يتفرق عليه ، وانه يتفرق على ثم أجمعه ، وقال له
معاوية : أنا أسوس منك . ضبطت سلطاني باللين ، وضبطت سلطانك
بالشدة .

(١) السماخة والتدّى : الجود والكرم .

(٢) الطريف الحديث والتالد القديم والمعنى يجب على أن أثنى عليه لان النعم التي أثقلت فيها كلها منه
قديمها وحديثها .

(٣) العرفاء جمع عريف وهي رتبة عسكرية تطلق على قائد عشرة من الجنود .

(٤) المناكب جمع منكب وهو رئيس القوم او عونهم .

وخطب زياد فقال : لا أجد ساقطاً رد على شريف ، أو حدثاً رد على ذي شيبة. إلا أوجعت بطنه وظهره ، وكتب زياد الى معاوية : أنى ضببت العراق بشمالى ، ويمينى فارغة يسأله ولاية الحجاز . فكره ابن عمر ذلك فدعا عليه فخرج فى أصبعه طاعونة ، فأراد قطعها ، فنهاه شريح عن ذلك وقال : تلقى الله أجذم ، قد قطعت يدك خوفاً من لقائه . فمات فى سنة ثلاث وخمسين ، وكانت ولايته العراق خمس سنين .

أول من أذن معه فى المقصورة أبان بن عثمان

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : قال الواقدي : أول من أذن معه المؤذنون فى المقصورة أبان بن عثمان ابن عفان ، وإنما كان يؤذن فيما مضى على المنارة ، وكان أبان سَجَلًا^(١)

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن العليمي عن المدائني عن عبد الله بن حفص التميمي ومسلمة بن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية : أن أعرايا توجه من الموسم يريد المدينة ، فكسر به بعيره ، فأقبل برحله يحمله ، حتى أتى باب أبان ابن عثمان ، وهو على المدينة ، فسأله فحرمه فأتى عبد الله ابن جعفر فقال لآذنه : ^(٢) ان معى هدية فأعلموه ، فأعلمه فقال : هدية تحملها أو يحملها غيرك ؟ قال : أحملها . قال : هات فقال :

(أَبَا جَعْفَرُ إِنَّ الْجِيَادَ تَوَاكَلَتْ

وَأَذْرَكَهَا عِنْدَ الْحَضَارِ قُثُورَ)^(٣)

أَبَا جَعْفَرُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ

وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيرُ

فقال : قد يكون ذلك . فقال : أجل . فقال :

(١) السجل الضخم .

(٢) الآذن الحاجب .

(٣) هذا البيت غير موجود بالأصل .

أَبَا جَعْفَرٍ يَا ابْنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ
جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْحَجِيجَ تَرَحَّلُوا
وَلَيْسَ لِرَحْلِي فَاعْلَمَنَّ بَعِيرُ

قال : أصبته انطلق إلى الابل ، فتخير أفضل ناقة أو جمل فخذته ، فجاء
أعرابيا بصيرا بالابل ، فتخير ناقة يعدها لرحله ، فمنعه الغلام ، فرجع الى عبد الله
فأخبره ، فوجه معه ، فقال : أعطه الناقة التي طلب ، والغلام الذي منعه ، فجاء
الغلام الى عبد الله فقال : جعلت فداك ! صحبتني . فقال : لا بأس إنه بنا
لصب ، أتبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : ثلاثمائة . قال : هي لك ،
ودونك السيف فلا تحد عنه ، فاني ابتعته بأربعمائة دينار ، وأعتق العبد وزوجه
وولده ، فقال الاعرابي :

حَبَانِي عَبْدُ اللَّهِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ بِأَغْيَسَ مَوَارٍ سَبَاطَ مَشَافِرُهُ

والاعيس الابيض تعلوه حمرة والجمع عيس ، والموار السريع السير ،
والسيوط في سائر النجائب يستحب .

وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ مُلْتَقِي عَسَاكِرِهِ^(١)
سَأَتْنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي يَا ابْنَ جَعْفَرٍ
وَمَا شَاكِرٌ غُرْفًا كَمَنْ هُوَ كَافِرُهُ

ومما روى عن أبان بن عثمان من الامثال ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الجوهري عن أبي زيد عن هارون بن معروف عن عبد الله ابن وهب قال : قال

(١) الابيض السيف ، وعساكر الليل ظلمته وسواده ، شبه السيف وهو يلمع وسط المعركة بالشهاب في
ليل دامس وهذا كقول بشار .

« كَأَنَّ مِثْرَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ »
فهو استعارة تمثيلية وكأن بشارا أخذ منه المعنى وزاد عليه فجاء بيته أجود وأروع .

حيان : أخبرني أبو عثمان أنه سمع أبان بن عثمان يقول : قال رسول الله : - ﷺ - « المجالس أمانة » وقالوا ، أحسنوا مجلس العشيرة ، فقال : الرجل اذا كان فى مجلس العشيرة لم يبال ما قال ، واذا كان فى غيره تحفظ فى كلامه .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال : حدثنا ابن ذكوان قال : حدثنى التوزى قال : لما ولى أبان بن عثمان المدينة كان يطوف بالبيوت بنفسه ليسمع ما يحدث خوفاً من أن يعاب بشيء ، فسمع قائلاً يقول : اللهم اعزل أبان ، فقال أبان : - والمدينى لا يعرفه - وما صنع بك ؟ قال : ما صنع بى شيئا ، ولكنى استطلت ولايته ومللتها ، قال له : ويحك ! أنما له ستة أشهر ، قال : ففى دون هذا نفع الملك ، والله انى لامل كنىتى^(١) فأغيرها فى كل جمعة ، وانى لأؤذن فاذا توسطته مللت ، فجئت بمن يتمه عنى .

أول من رفع يديه فى الخطبة يوم الجمعة

عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، وكان أول من حكم فى الوصية برأيه ، وكان يقول : من سمى جعلته حيث سمى ومن أوصى به حيث أمر الله جعلناه فى الاقربين ، وكان أحد الاجواد المذكورين .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الجوهري قال : قال أبو زيد : كانت لرجل جارية تعجبه ، فاحتاج الى بيعها ، فجعل يتصبر حتى اضطر ، فقالت الجارية : انى ارى ما بك ، فلو بعتنى فانتفعت بشمنى كان أمثل مما أراك تلقى ! قال : أفعل على كره . فأتى بها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، فأعجبه فقال : بكم ؟ قال : بمائة ألف درهم ، وهى خير من ذلك ، فنقده الثمن ، فلما نهض قال :

(١) الكنية ما يكتنى به الانسان كقولهم أبو عبد الله وأبو محمد .

وَلَوْلَا قُعُودُ الدَّهْرِ بِي عَنْكَ لَمْ يَكُنْ
يُفَرِّقُنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ فَأَعْذِرِي^(١)
أَرْوَحُ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ مُبْرَحٍ
أُنَاجِي بِهِ قَلْبًا قَلِيلَ التَّصَبُّرِ
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا
وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

قال : شاء ابن معمر ، خذ بيدها والمال لك .

وقالوا : أتى بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، فذكر البحتري بعد ذلك
عبيد الله فقال : وقد رد عليه الحسن بن سهل غلامه نسيما بعد أن أعطاه ثمنه :

وَأَعْطَيْتَ مَا أَعْطَيْتَ وَالْبِشْرُ شَاهِدٌ
عَلَى فَرْحِ بِالْبِشْرِ مِنْكَ مُبَشِّرٌ
وَكَانَ الْعَطَاءُ الْجَزْلُ مَا لَمْ تُحْلِهِ
بِيشْرِكَ مِثْلَ الرُّوضِ مَا لَمْ يُنْوِرْ
أَطَفَتْ لِسُلْطَانِ التَّكْبَرِ وَاللَّهِ^(٢)
وَعَاصَيْتَ سُلْطَانَ الْهَوَى وَالْتَكْبَرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي سَلَوْتَ عَنِ الْهَوَى
فَأَعْطَيْتِيهِ أَوْ حَسَدْتَ ابْنَ مَعْمَرٍ

اول من رآه الناس يتوضأ (يستحي) بالماء بالبصرة

عبيد الله بن أنى بكرة فقالوا : أنظروا الى هذا الحبشى يلوط استه بالماء ،
وكان عبيد الله أحد الصلحاء الاجواد . أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أنى

(١) فى العقد الفريد ج ١ ، ص ١٥٣ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ذكر قبل هذا البيت :

أبوح يحزن من فراقك موجه : أقاسى به ليلا يطيل تفكرى

(٢) اللهى جمع لهية وهى أفضل العطايا .

زيد عن احمد بن معاوية عن محمد بن داود قال : أتت امرأة الى عبيد الله بن
 أنى بكرة فقالت : أتيتك من بلدة شاسعة ، تحفضنى خافضة وترفعنى رافعة ،
 للملمات برين عظمى ، ^(١) وأذهبن لحمى ، فصرت ولهى ، ^(٢) أمشى
 بالحضيض ، ^(٣) قد ضاق على العريض ، فسألت فى أحياء العرب عن المحمود
 سيبه ، ^(٤) المأمون عيبه ، والمرجو نائله ^(٥) والكريم شمائله ، فدللت عليك ،
 وأنا امرأة من هوازن قد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، ^(٦) ومثلك سد الخلة ، ^(٧)
 وفك الغلة ، ^(٨) فافعل لى احدى ثلاث : إما ان تحسن صفدى ، ^(٩) او تقيم
 أودى ، ^(١٠) او تزودنى الى بلدى ، قال : بل أجمعهن لك .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أنى زيد عن الاصمعى قال : مر عبيد
 الله بن أنى بكرة بينى ضبيعة فسلم فقال رجل : وعليكم السلام ورحمة الله
 وبركاته ، فقال لمن معه احفظوا لى اسم الرجل ، فما برحوا حتى أتاه صله ^(١١)

أول من ميز العتاق والهجن المنذر بن أنى حمصة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أنى جعفر عن معاوية ابن عمرو عن أنى
 اسحاق الفزاري عن أنى عيينة عن ابراهيم ابن المنتشر عن على بن الاقمر ، أن
 الخليل أغارت بالشام وعلى الناس المنذر بن أنى حمصة الوادعى ، وأدركت

(١) الملمات جمع ملمة وهى النازلة الشديدة من نوازل الدنيا ، وبرين عظمى أى نحتته وأضعفته .

(٢) الولهى الشديدة الحزن .

(٣) الحضيض القرار من الارض الى أسفل الجبل .

(٤) السيب العطاء .

(٥) النائل المعروف .

(٦) الوافد الذى يقدم على الإنسان والمراد أهلها .

(٧) الخلة الحاجة والفقر .

(٨) الغلة العطش الشديد .

(٩) الصفد العطاء .

(١٠) الأود الأعوجاج تريد أن يعطيها ماتستطيع به اصلاح أمرها فكأنه بذلك يقيم ماعوج منها .

(١١) الصلة العطية والجائزة .

الفرات من يومها ، وجاءت الكوادر^(١) ضحى الغد فقال : لا أجعل ما أدرك
كما لم يدرك ، وكتب في ذلك الى عمر - رضى الله عنه - فقال : لقد
هبلت^(٢) الوادعى أمه ، لقد أذكرته ، أمضوا على ما قال وفي رواية أبى احمد
قال رجل منهم :

وَمِمَّا الَّذِي قَدْ سَنَّ فِي الْخَيْلِ سُنَّةٌ
وَكَاثُ سَوَاءٍ قَبْلَ ذَلِكَ سِيَاهُمَا

وقالوا : اول من ميز بينها سليمان بن ربيعة .

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر عن معاوية عن إسحاق عن
أبى رجاء عن موسى بن عثمان بن الاسود قال : بعث عمر سليمان بن ربيعة على
جيش ، وسار معه عمرو بن معد يكرب وطليحة الاسدى ، فلقوا العدو
فهزموهم وأصابوا غنائم كثيرة ، فلما قفل^(٣) قسمها ، وأمر أن تعرض عليه
الخيـل ، فكان يسهمها ولا يسهم الا لكل عتيق ،^(٤) فمر به فرس لعمرو وفيه
غلظ فقال سليمان : انه لهجين ،^(٥) وما أريد أن أسهمه ، فغضب عمرو وقال :
أجل ما يعرف الهجين الا الهجين ، فقدم اليه الاشر وكان من رهطه فقال : يا
عمرو ما تراك الا سلبت الحال التى تكون عليها بالبادية ، أما تعلم ان هذا
الاسلام ، وأن أمر الجاهلية قد اضمحل ؟ أما لو أمرنا بك لاخذناك له فقال
عمرو : ما عرفت الذل قبل اليوم . وبلغ أمرهما عمر فكتب الى سليمان : أما
بعد : فقد بلغنى صنيـعك بعمرو ، وأنت لم تحسن بذلك ولم تجمل فيه ، وإذا
كنت بمثل مكانك من دار الحرب ، فانظر عمرا وطليحة وقربهما منك .

(١) الكوادر جمع كودن وهو البرذون الهجين .

(٢) هبلته أمه أى ثكلته وهو دعاء عليه ولكنهم كانوا يستعملونه فى المدح والاعجاب والاستحسان
بمعنى - ما أعلمه وما أصوب رأيه .

(٣) قفل رجع .

(٤) العتيق الكريم الرائع .

(٥) الهجين ضد العتيق وهو غير الاصيل وهو الذى ولد من برذونه ومن حصان عربى .

واسمع منهما فان لهما بالحرب علما وتجربة ، واذا وصلت الى دار السلام ،
فأنزلهما منزلتهما التي أنزلا أنفسهما بها ، وقرب أهل الفقه والقرآن .

وكتب الى عمرو : أما بعد فقد بلغني اقتحامك ^(١) لاميرك ، وشتمك
له ، وان لك لسيفا تسميه الصمصامة ، وان لى سيفا أسميه المصمم ، وانى
أحلف بالله لو قدر لى ووضعت على هامتك ^(٢) لا أرفعه حتى أقدك ^(٣) به . فلما
جاءه الكتاب قال : والله ان هم ليفعلن .

أول من مشى الرجال معه وهو راكب الاشعث بن قيس

وكان بنو عمرو بن معاوية ملكوه عليهم وتوجوه ، أخبرنا أبو القاسم عن
الدائنى باسناده قال : قدم حجاج كندة فيهم بنو وليعة ، وهم من عمرو بن
معاوية ، ورسول الله - ﷺ - يعرض نفسه على القبائل ، فعرض نفسه عليهم
فلم يقبلوه . فلما هاجر - ﷺ - جاءه وفد كندة ، فيهم بنو وليعة
والاشعث ، فأطعم رسول الله بنى وليعة طعمة من صدقات حضرموت واستعمل
على حضرموت زياد بن ليلى البياضى ، وأجراها لهم ، ثم حدث أمر أوجب ان
يتجافوا عنها سنتهم ، فأبوا وأبى زياد أن يعطيهم إياها ، واختلفوا فارتدت بنو
وليعة ، وتوفى رسول الله - ﷺ - وهم على ردتهم ، فأظهروا الشماتة
بموته - ﷺ - ، وغت بناياهم وخضبى أيديهن له ، فأقر أبو بكر زيادا على
حضرموت ، وأمره بأخذ البيعة له على أهلها ، واستيفاء صدقاتهم ، فبايعوه غير
بنى وليعة ، ثم خرج يقبض الصدقات من بنى عمرو بن معاوية ، فأخذ ناقة لغلام
لهم ، فهتف بمسروق بن معدى كرب ، فقال لزياد أطلقها ، فأبى ، فقال
مسروق :

(١) اقتحامك لاميرك : احتقارك له وازدراؤك إياه .

(٢) الهامة الرأس .

(٣) أقدك به أشقك به وأقطعك طولا .

تَطْلَقُهَا شَيْخٌ بِحَدِيثِهِ شَيْبٌ مُلَمَّعًا فِيهِ كَتْلَمِيعِ الثَّرَبِ ^(١) مَاضٍ عَلَى الرَّيْبِ إِذَا كَانَ الرَّيْبُ

وقال للغلام : قم فأطلقها ، فلما قام أمر زياد بحبسها ، فاجتمعوا على حرب زياد ، فبيتهم زياد وهم غارون ^(٢) ، فقتل وليعة في جماعة كثيرة ، ونهب وسبي ، ولحق من نجا منهم بالأشعث ، فاستنصروه على زياد فقال : لا أنصركم حتى تملكوني عليكم ، فملكوه وتوجوه ، فخرج في جمع كثيف ، فكتب أبو بكر الى المهاجر بن أمية - وهو بصنعاء - أن يسير بمن معه الى زياد ، فاستخلف (عكرمة بن أنى جهل على الجيش ، وتعجل في كتيبة سريعة ، حتى التقى بجيش زياد وهاجم الأشعث فهزمه) وقتل مروان ، ولجأ الباقون الى حصن نجير ، فحاصرهم المسلمون ، فصالحوهم على ان ينزلوا على حكم أبي بكر ، (فأرسلوا هانيء بن مسروق بن معدى كرب ، وزرعة بن قبيصة الى أبي بكر) ^(٣) ووقتوا لهما وقتا ، فكتب معهما أبو بكر الى زياد والمهاجر ، اذا أتاكم كتابي ، ولم تحدثوا في القوم شيئا ، فخلوا سبيلهم ، على أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وأخرج معهما المغيرة بن شعبة ، فلقيهما رجل فقال لهما : قد هزم المهاجر ، فكتما المغيرة الخبر ، وتباطأ ، فقال الأشعث لأصحابه : أرى صاحبيكم لا يرجعان بخير ، فصالح الأشعث المسلمين على أن يؤمنوا منهم عشرة ، وكتب في ذلك كتابا ، فقال له الحفشيش : تكتب نفسك وتدعني ، والله لتمحون اسمك وتثبت اسمي ، ففعل خوفا منه ، واستنزل القوم ، وأخذت أسلحتهم .

وقالوا للأشعث : اعزل العشرة ، فتركوهم وقتلوا الباقين ، وكانوا

(١) الثرب : الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والامعاء .

(٢) الغارون الغافلون .

(٣) هذه الجملة غير موجودة في الاصل وأثبتناها من كتاب الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل ص

٢٠١ .

(٤) هذه الجملة غير موجودة في الاصل وأثبتناها من نسخة دار الحديث .

سبعمائة وقيل : ثمانمائة ، وقطعوا أيدي النساء اللاتي شمتن بوفاة رسول الله - ﷺ - وأرادوا قتل الاشعث فقال : أترون أني طلبت الامان لغيري وتركت نفسي ؟ قالوا : هو ما ترى ، قال : أصيروا حكمي الى أبي بكر ، فحمل الى المدينة في الحديد ، فعفا عنه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة ، وكانت مكفوفة فولدت محمدا واسماعيل ، واسحاق ، فخرج الاشعث الى السوق ، فما مر ببيعير ولا شاة ولا بقرة الا عقرها ، فصرخ الناس ، وجاءوا الى أبي بكر يخبره ، فأنكره ، فقال : يا خليفة رسول الله أنا رجل غريب ، وقد أولمت بها وأثمانها في مالي ، فدفعت أثمانها قالوا : وحج رسول الله - ﷺ - ، ^(١) وكان أسامة ^(٢) أسود أفتطس ، فقال أهل اليمن : ألهذا الحبشي جيشنا ؟ ^(٣) فارتلوا بعد وفاة الرسول - ﷺ - .

أول من ادعى نصرة أهل البيت أول من نال الرئاسة بالحيلة

المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وهو أول من نال الرئاسة بالحيلة في الاسلام .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي أحمد عن عيسى ابن دينار قال : سألنا أبا جعفر عن المختار قال : كان كذابا يكذب على الله ورسوله ، ولكنه أول من نصرنا ، ومن ملّح حيله ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي بكر الهذلي عن الاصمعي قال : أراد محمد ابن الحنفية ان يقدم الكوفة أيام المختار ، وكان المختار يدعو اليه ويزعم أنه أمره ، فبلغ المختار ذلك فقال : ان في المهدي علامة أن يضربه رجل في السوق ضربة بالسيف فلا يضره ، فلما بلغ ذلك محمدا أقام ، وانما قال ذلك لعلمه أن محمدا

(١) حجة الوداع .

(٢) المراد أسامة بن زيد الذي عقد له رسول الله وسيره أبو بكر .

(٣) جيشنا أي جمعنا .

إذا ورد الكوفة لم يكن للمختار فيها معه أمر .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن رجاله قال : قال المختار : أي عبد بايعنا فهو حر ، فسمعها عبد الله بن الزبير فقال : كان يقول : إني اعرف كلمة لو قلتها كثر تبعي ، وهي هذه الكلمة .

قال أبو هلال - أيده الله - أحب الزنج وبنى أمره على هذا فاستمال العبيد .

وكان المختار لا يقرأ حرفاً من القرآن ، وكان يصلي بالناس صلاة النهار ولا يصلي بهم صلاة الليل ، فاتهموه فكانوا يقرأون خلفه .

أخبرنا بإسناده عن أبي زيد عن رجاله عن طفيل بن جعدة ابن هبيرة قال : رأيت لجار لنا زيات كرسيا قد شربه الزيت وركبه وسخ كثير ، وكنت قد أعدمت ، فأخذته منه وجئت المختار ، فقلت : كنت اكنمك شيئا ثم لم أستحل ذلك ، معنا كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه يرى أن فيه أثره من العلم ،^(١) قال : سبحان الله ! أفأخبرته الى اليوم ؟ ابعث به ، فبعثت به وقد غسل فخرج عود نضار^(٢) أبيض ، فغشاه^(٣) وأمر لى باثنى عشر ألف درهم وخطب فقال : لم يكن فى الأمم الخالية أمر الا كان فى هذه الامة ، وكان فى بنى اسرائيل التابوت ، وفيكم هذا الكرسى ، اكشفوا عنه ، فكشفوه فكبر الناس ، ثم أقبل عبيد الله ابن زياد يريد قتاله ، فقال لابراهيم بن الاشر : أمرنى جبريل أن أوليك حربه .

فخرج فى اثنى عشر ألفا وقال له : سيكون لاصحابك جولة ، فلا تروعنك ، فعندها نزول الملائكة لنصرى ، ودفع الى مولاه طيورا ايضا وقال :

(١) أثره من علم بقية من العلم .

(٢) النضار الذهب والفضة والمراد هنا الفضة .

(٣) غشاه غطاه .

كن من ورائهم ، ولا يعلمن بك أحد ، فاذا التقوا وجالوا فأرسلها ، ففعل ، وخرج ابراهيم ، ومعه الكرسي على بغل يمسكه سبعة عن يمينه وسبعة عن يساره ، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة ، وازدادت فتنتهم بالكرسي ، وقتل ابراهيم عبيد الله ابن زياد وهو لا يعرفه .

فلما أصبحوا رأوه فاحتزوا رأسه ، وحمله ابراهيم الى المختار ، فوضعه بين يديه وهو يتغدى ، فقال : الحمد لله ، وكان قد وضع رأس الحسين (عليه السلام) بين يدي ابن زياد ، وهو يتغدى ثم بعث به المختار الى ابن الحنفية ، فأرسله ابن الحنفية الى علي بن الحسين ، فوصل اليه وهو يتغدى فقال : الحمد لله ! دخلت على ابن زياد ، وبين يديه رأس أبي وهو يتغدى ، وأتى ابن الزبير بالرأس ، ووضع بين يديه ، فخرجت حية من تحت الاستار فأخذت بأنفه ، فأمر به والقي في بعض شعاب مكة ، ثم سار مصعب من البصرة يريد قتال المختار ، فأخرج اليه جيشا فهزمهم مصعب ، وجاء فخرج اليه المختار ، فقاتله وانهزم وتمثل :

كُلُّ بُؤْسٍ وَ نَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
وَالْمَعْطِيَّاتِ شَتَاكُ يَنْتَهُمُ وَسَوَاءُ قَبْرِ مُثَرٍّ وَمَقِيلٍ

ودخل القصر ، ومعه خمسة آلاف من أصحابه ، فحاصروهم مصعب فتمثل المختار بشعر غيلان بن سلمة :

فَلَوْ رَأَى أَبُو غِيلَانَ إِذْ حَسَرَتْ
عَنِّي الْأُمُورُ إِلَى أَمْرِ لَهُ طَبَقُ^(١)
لَقَالَ رُغْبٌ وَرُهْبٌ أَلْتَ يَنْتَهُمَا
حُبُّ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ النَّفْسِ وَالشَّقَقُ^(٢)

(١) حسرت كشفت ، الى أمر له طبق أطبق عليه فلا يستطيع الخروج منه .

(٢) الرغبة الرغبة ، والرهب الرهبة ، فهو متأرجح بين حب الحياة وانتظار الموت .

إِذَا مُسِيفٌ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ أُسْوَةٌ لَكَ فَيَمْنُ تَهْلِكُ الْوَرَقُ^(١)

ثم قال لأصحابه : أخرجوا فقاتلوا ، فاما أن تظفروا أو تموتوا كراما خير لكم من أن يخرج غدا كل رجل منكم فتضرب عنقه وأنتم تنظرون ، فأبوا ، فقال : واني لا أعطى يدي وخرج في نفر يسير ، فقاتل حتى قتل ، والمختار أول من لبس الدرايع^(٢) السود بالعراق .

أول من رفع صوته بالتهليل بعد الصلاة مصعب بن الزبير

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن معاوية عن عمرو وعن زائدة عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال : مر عبيدة بالمسجد فسمع مصعبا حين فرغ من الصلاة يقول : « لا اله الا الله وحده لا شريك له » يرفع صوته بها فقال : ماله ؟ قاتله الله ! انه لغار بالبدع ، ثم صار هذا سنة في العامة يفعلونها ، الا أنهم يقولون في آخر الصلاة : يارب يارب !

أول من مشى خلف الجنازة بلا رداء بالعراق مصعب بن الزبير

مشى كذلك خلف جنازة الاحنف ، وقالوا : قدامها ، أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن يحيى بن كثير عن قرّة بن خالد عن أبي الضحّاك قال : رأيت مصعب بن الزبير يمشي قدام جنازة الاحنف في قميص واحد ، وهو أمير العراق ، وكان الاحنف مكينا منه ، قال أبو زيد : كان ابن عصفير محبوسا بمائة ألف ، فبلغه أن مصعبا يريد الكوفة ، فأمر رجلا ان يقسم الا نزل الاحنف في طريقه ، وينزله داره اذا قدم ، ففعل ، فكلم الاحنف فيه مصعبا ، فقال : عليه مائة ألف ، فقال : مثلك أيها الامير يسألها ؟ ومثلي سألها ومثله

(١) المسيف المقدم ، والورق الفضة المضروبة دراها ، فهو بين أمرين بلوغ المجد أو الموت .

(٢) الدرايع جمع دراعة وهي جبة مشقوقة المقدم .

تركت له ، فقال : هي لك ومثلها ، فلما أحرزها الاحنف جعلها لابن عصفير .

وكلم الاحنف مصعبا في عبد الله بن الحر ، وكان محبوسا ، فأطلقه ، فقال ابن الحر : ما أدري بم أكافئك ؟ الا أنى أقتلك فتدخل الجنة وأدخل النار ، فقال : لا حاجة لي في مكافأتك ، وكان مصعب من أحسن الناس وجها وأسخاهم كفا وأشجعهم قلبا ، وكان أحب عمال العراق الى الناس للينه في موضع اللين وشدته في موضع الشدة ، وكان أمر أخيه عبد الله مستقيما حتى قتل ، فاضطرب أمره وانحل نظامه والذي أنكر على مصعب ، وهجن^(١) أمره ، أنه أمن أصحاب المختار ، وهم خمسة آلاف ، فلما خرجوا اليه قتلهم ، فقال له عبد الله بن عمر : لو أن رجلا أتى غنما للزير فذبح في غداة واحدة خمسة آلاف ، أكنت تراه مسرفا ؟ قال : نعم . واستحى وقتل عمرة بن النعمان بن بشير زوجة المختار فقال عمر بن أبي ربيعة :

(٢)
إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتْلَ يَنْصَاءِ حُرَّةٍ غُطْبُولِ
كُيِّبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُخَصَّنَاتِ جُرُّ الدُّيُولِ

وبقى مصعب أميرا على العراق حتى صار اليه عبد الملك فقاتله ، فأسلمه أهل العراق ، وتفرقوا عنه ، فبقي في سبعة ، فأمنه عبد الملك ، وضمن له أن يوليه العراق فقال : ان مثل هذا الامر لا ينكشف عن مثلي الا وهو غالب او مقتول ، فأمن أهل الشام ابنه عيسى ، فقال له مصعب : صر اليهم فقد أمنوك فقال : لا تتحدث نساء قريش أنى قد أسلمتك ، قال : فتقدم احتسبك ، فتقدم فقتل بين يديه ، وشد على مصعب عبد الله بن زياد بن ظبيان ، وشد عليه مصعب ، فضربه فهشم رأسه ، فرجع وعالجه ، وجاء وشد عليه وزرقه زائده فصرع ، ونزل ديلمى - مولى عبد الله بن زياد بن ظبيان - واحتز رأسه ، وحمله عبد الله بن زياد الى عبد الملك فلما رآه سجد ، فقال عبد الله : ندمت

(١) هجن أمره قبحه وعابه .

(٢) العطبول المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

ألا أكون ضربت رأس عبد الملك حين سجد ، فأكون قد قتلت ملكي العراق
وتركتها تضطرب ، فقال الأقيشر يرثي مصعبا :

وَاللّٰهِ مَا خُدْتُ قَائِدَ جَحْفَلٍ
عِنْدَ الْوَغَى مُتَقَلِّبِ الْأَزْوَالِ^(١)
أَمْضَى وَأَكْرَمَ مَشْهَدًا مِنْ مُصْعَبٍ
لَوْلَا تَقَارُبُ مُدَّةِ الْأَجَالِ

وكان لمصعب يوم قتل نيف وثلاثون سنة .

أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة

الحجاج بن يوسف

أخبرنا أبو أحمد عن أبي زيد عن خالد بن عبد العزيز قال : سمعت أبا
محمد يقول : ان رجلا من أهل مكة يذكر ان الحجاج أول من أطاف الناس
حول الكعبة للصلاة ، وكانوا يصلون صفا فقال طاووس : كأننا كنا عن هذا
عميا .

أول من اتخذ المحامل

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أحمد بن معاوية وعن
المدائني وأخبرنا عن غير هؤلاء قال : أول من ركب المحامل الحجاج ، وكان
المحمل صغيرا مثل محمل اللين ، فراها رجل يقال له ضب فقال :

كَيْفَ تَرَاهَا بِالْفِجَاجِ تَهْضُ
بِالْغَيْدِ لَيْلًا وَالْخُدَاةَ تَقْبِضُ^(٢)

(١) الجحفل الجيش الكبير ، الوغى — الحرب ، والأزوال جمع زوال والمراد الشجاع .

(٢) الفجاج جمع فج وهو الطريق ، والغيد جمع غادة وهي المرأة اللينة البينة والحداة جمع حاد وهو الذي
يسوق الابل ويغني لها .

حَرَضٌ عَلَيْهِنَّ السَّقِيفُ النَّعْصُ
 وَالْحَشْبُ الْمَاسُورُ وَالْمَعْرَضُ^(١)
 فِيهَا غُلُوجٌ كَالْحَمِيرِ رُبُضُ^(٢)
 ذَاكَ وَإِنْ قِيلَ الْفِدَاءُ أَعْرَضُوا^(٣)

وقال الشاعر :

أَحْزَى مَلِيكَ النَّاسِ خِزْيًا عَاجِلًا
 أَوَّلَ عُنْدٍ أَخَذَتْ الْمَحَامِلُ
 عُنْدَ ثَقِيفٍ كَانَ أَرْلًا أَرْلًا

وكان مكحول يقول : ان في المحامل نعمة .

وهو اول من أجرى في البحر السفن المقيمة ،^(٣) غير
 المحنورة - المدهونة - والمسطحة - غير ذات المناحي -

وهو اول من نقش على يد كل رجل اسم قريته ، ورده اليها وأخرج
 الموالى^(٤) من بين العرب فقال الراجز :

جَارِيَةٌ لَمْ تَلِدْ مَاسُوقُ الْإِبِلِ
 أَخْرَجَهَا الْحَاجُّ مِنْ كِنٍّ وَظِلٍّ^(٥)
 لَوْ كَانَ بَلَدٌ حَاضِرًا وَإِنْ جَمَلٌ
 مَا نَقَشَتْ كَفَّاكَ فِي جِلْدِ حَمَلٍ

(١) حرض جمع حرض وهي الناقة المهزولة والسقيف السقف والمراد المحمل ، النفص جمع ناغض وهو المتحرك ، والعرض الموضوع بالعرض .

(٢) علوج . جمع علج وهو الرجل الضخم القوى ، والمقصود هنا الأعاجم ، ربض جمع رابض وهو الجالس .

(٣) المقيمة المطلية بالقار وهو الزيت .

(٤) الموالى العبيد .

(٥) الكن البيت أو كل ما يستر الانسان .

وقال آخر لنوح بن دراج حين استقضى على الكوفة .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ
إِذْ صَارَ قَاضِيَكُمْ نُوحُ بْنُ دَرَّاجٍ
لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا سَلِمَتْ
كَفَّاهُ نَاجِيَةٌ مِنْ نَقْشِ حَجَّاجٍ

وكان الذى دعاه الى ذلك ان أكثر القراء والفقهاء كانوا من الموالى ، وكانوا جل من خرج عليه مع ابن الاشعث ، فاراد أن يزيلهم من موضع الفصاحة والادب ، ويخلطهم بأهل القرى فيخلل ذكركم ، وكان سعيد بن جبير منهم - كان عبد رجل من بنى أسد اشتراه من ابن العاص فأعتقه - فلما أتى به الحجاج قال : ياشقى بن كسير ، ^(١) أما قدمت الكوفة ، وليس بها عربى ؟ واستقضيت أبا بردة بن موسى ، وامرته ألا يقطع أمرا دونك ؟ وجعلتك فى سمارى ^(٢) وكلهم من رؤوس العرب ؟ وأعطيتك ألف ألف درهم تفرقها فى أهل الحاجة لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك على ؟ قال : بيعة لابن الاشعث كانت فى عنقى . فغضب وقال : أفما كانت بيعة أمير المؤمنين فى عنقك من قبل ؟ والله لاقتلنك !

قال : انى اذا كما سميت سعيد ، دعنى أصلى ركعتين ، قال : ولوه الى قبلة التصارى ، قال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ثم بطح على الارض ، فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ ^(٤) ومدت عنقه فضربت ، فاختلط عقل الحجاج فى الحال ، فقال : قيدونا ، فظنوا أنه يريد القيود التى فى رجل سعيد ، فقطعوا ساقيه ، وأخرجوا القيود ، ومازال الحجاج مختلط العقل

(١) أراد اهانتة بهذه الجملة لان اسمه : سعيد بن جبير .

(٢) السمار جمع سامر وهو الذى يحدث صاحبه فى سهرة المساء .

(٣) سورة البقرة الآية (١١٥) .

(٤) سورة طه الآية (٥٥) .

حتى مات بعد أيام قلائل ، وما قتل بعده أحدا ، وقالوا عنه جرير بقوله :
يَأْرُبُّ نَاكِثٌ يَيْعَتَيْنِ تَرَكْنَهُ وَخَضَابٌ لِيَحْيَتِهِ دُمُّ الْأَوْدَاجِ^(١)

وكان الحجاج اذا نام رأى سعيدا متعلقا بثوبه ، ويقول له :
ياعدو الله ، فينتبه ، ويقول مالى ولسعيد بن جبير

وكان لسعيد يوم قتل ، سبع وأربعون سنة ، وقيل خمس وأربعون .
والحجاج أول من حمل الثلج ، وأول من أطعم على ألف مائدة على كل مائدة
عشرة رجال . وعليها جنب شواء وثريدة^(٢) وسمكة وبرنية^(٣) فيها عسل ،
وكان يقول للناس رسولى اليكم الشمس فاذا زالت فاغدوا لغدائكم ، واذا
جئتم^(٤) فروحوا لعشائكم وكان لا يطعم الا شاميا ، وهو أول من أجاز بألف
ألف درهم ، أجاز الجحاف السلمى فيما حمل من دماء بنى تغلب ، وهو أول
من قعد على سرير فى حرب ، وروى أن مصعبا كان يقاتل أهل الشام ومعه
سبعة ، وكان يكر عليهم فينفرجون عنه . فيجلس على مرفقة^(٥) فيروحون
اليه . فيعود اليهم فيتفرقون عنه ، فيجىء ويجلس على المرفقة ، فما زال ذلك
دأبه حتى زرقة زائدة فصرع .

ومن كلام الحجاج وهو من أوائل المعانى ، ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الجوهري عن أبي زيد عن أحمد بن معاوية عن محمد بن حرب عن الشعبي
قال : صعد الحجاج المنبر ، فتكلم بكلام لم أسمعه من أحد قبله ولا بعده ،
قال : أيها الناس كتب الله على الدنيا الفناء ، فلا بقاء لما كتب الله عليه الفناء ،

(١) الاوداج جمع ودج وهو عرق العنق ينتفخ عند الغضب وهما ودجان ويشترط الفقهاء قطعهما عند الذبح حتى تحل الذبيحة .

(٢) الثريد طعام من خبز تفتته وتبله بالمرق .

(٣) البرنية إناء من خرف .

(٤) جئتم الشمس مالت للغروب .

(٥) المرفقة المخدة .

وكتب على الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء ، فلا يغرركم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، وأقصروا الأمل لقصر الاجل ، وقال : رأيت الصبر عن محارم الله ، أيسر من الصبر على عذاب الله ، وقال يوما : لولا أهوال يوم القيامة لكان يوما نزها^(١)

أول من قتل الحجاج بالعراق عمرو بن ضايب البرجمي

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي عاصم عن عوف عن أبي رجاء عن أبي بكر الانباري عن أبيه عن أحمد بن أبي عبيد عن محمد بن زياد بن ريان الكلبي عن عبد الملك بن عمير قالوا : كان عمر وعثمان يعاقبان على الهجاء فاستعار ضايب من قوم كلبا يقال له : فرحان ، فأرادوا أخذه منه فقال :

تَجَشَّمْ نَحْوِي وَفَدَّ فَرَحَانَ حُطَّةً
تَظَلُّ بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ^(٢)
فَرَاخُوا بِكَلْبٍ مُزْدِفِهِ كَانَمَا
حَبَاهُمْ بِنَاجِ الْمَرْزُبَانَ أَمِيرُ^(٣)
فَأَمَّكُمْ لَا تَتْرَكُوهُمْ وَكَلْبَكُمْ
فَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرُ
إِذَا غَبَرَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دَحْنَةُ
يَظَلُّ لَهَا فَوْقَ الْفِرَاشِ هَرِيرُ^(٤)

(١) المك ، النزه الذى يقصده الناس لجودة مناخه وبعده عن فساد الهواء والمقصود أنه لولا أهوال يوم القيامة لقصده الناس للترفيه عن أنفسهم .

(٢) تجشم نحوى قصدى . الوجناء الناقة الشديدة ، وهى حسير متعبة وظهر عليها الاعياء .

(٣) فى نسخة دار الحديث الهرمزان بدل المرزبان وهو من ملوك الفرس .

(٤) الهرير صوت الكلب بغير نباح وجاء فى نسخة دار الحديث بعد هذا البيت فيالك من كلب تعود ماترى بصير بما فوق السرير خبير

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان ، فقال له : ويلك ! رميت أم قوم
بكلبيهم ، لو كنت في عهد رسول الله - ﷺ - لنزل فيك قرآن ، فضربه
وحبسه ، ثم عرض عليه ، فوجد عنده خنجزا أراد أن يغتال به عثمان ، فردّه الى
الحبس فقال :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي
(١) تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ بُكْبَى حَلَالِهِ
وَمَا أَلْفَتُكَ مَا أَمَرْتُ فِيهِ وَلَا أَلْدَى
تُحَدِّثُ مَنْ لَا يَتِي أُنْكَ فَأَعِلْهُ
وَمَا أَلْفَتُكَ إِلَّا لِأَمْرِي ذِي حَفِظَةٍ
(٢) إِذَا هُمْ لَمْ تَرْعَدْ عَلَيْهِ خَصَائِلِهِ

فمات ضابى في الحبس ، فلما قتل عثمان جاء عمير بن ضابى
البرجمي (٣) فوطئه ، وقالوا : لطمه .

قال عبد الملك بن عمير : فلما اشتدت شوكة أهل العراق وطال توثبهم
بالوالة ، خطب عبد الملك الناس فقال : ان العراق قد علا لهبها ، وسطع
وميضها ، (٤) لو عظم الخطب بها ، فجمرها زكى ، (٥) وشهابها وري ، (٦) فهل
من رجل ذى سلاح عتيد ، (٧) وقلب شديد ، فينتدب لهم ؟ فيحمد نيرانها ويبيد
شبابها ، فسكت الناس ، فوثب الحجاج فقال : أنا يا أمير المؤمنين للعراق ،

(١) الحلائل جمع حليلة وهى الزوجة .

(٢) الحفيظة اسم من المحافظة والحفاظ الدفاع عن المحارم ، والخصائل جمع خصلة وهى كل لحم فيه
عصب .

(٣) فى الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٧٨ ط بيروت : عمير بن ضابىء الحنظلى التميمى .

(٤) الوميض اللمعان الخفيف .

(٥) زكى نام ومتزايد .

(٦) ورأى متقد .

(٧) العتيد الحاضر المهيأ .

فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف الثقفى ابن أبى الحكم بن عقيل بن مسعود صاحب رسول الله - ﷺ - وعظيم القريتين ، فقال : اجلس فلست هناك ،

وأطرق عبد الملك مليا ،^(١) ثم رفع رأسه فقال : من للعراق ؟ فسكت الناس ، ووثب الحجاج ، وقال : انا يأمر المؤمنين . قال : ومن أنت ؟ قال : من قوم رغبت فى مناكتهم قريش ، ولم يتأبوا منهم ، واعادة الكلام مما ينسب صاحبه الى العى ،^(٢) ولولا ذلك لاعدت الكلام الاول ، فقال : اجلس ، فلست هناك ، وأطرق ثم رفع رأسه وقال : من للعراق ؟ فسكت الناس ، فقال : مالى ارى الليوث قد أطرقت ولا ارى اسدا يزأر نحو فريسته ، فسكتوا ، ووثب الحجاج فقال : أنا للعراق يأمر المؤمنين . قال : وما الذى أعددت لأهلها ؟ قال : ألبس لهم جلد الثمر ، ثم اخوض الغمرات ،^(٣) واقتحم الهلكات ، فمن نازعنى طلبته ، ومن لحقته قتلته بعجلة وريث ،^(٤) وابتسام وازورار ،^(٥) وطلاقة واكفهرار ،^(٦) وشدة ورفق ، وصلة وحرمان ، فان استقاموا كنت لهم وليا حقيقيا ،^(٧) وان خالفوا لم أبق منهم طوديا ،^(٨) ولا عليك ان تجربنى ، فان وجدتنى ، للطللى^(٩) قطاعا ، وللارواح نزاعا ، وللأموال جماعا ، والا فاستبدل بى ، فان الرجال كثير ، فقال عبد الملك . أنت لها ،

(١) العلى الزمن الطويل .

(٢) العى العجز وعدم القدرة على الكلام .

(٣) الغمرات الشدائد .

(٤) الريث البطء .

(٥) الازورار الميل والاسحراف .

(٦) الاكفهرار العبوس .

(٧) الحفى الذى يبالغ فى الاكرام .

(٨) الطود الجبل العظيم والطودى اسم منسوب الى طود والمراد أنه يتعقب المخالفين ولو كانوا معتمسين بالجبال .

(٩) الطلى الاعناق .

وقال لكاتبه : اكتب له عهده ولا تؤخره ، وأعطه من الرجال والكراع^(١) والأموال ما سأل ، قال عبد الملك بن عمير : بينا نحن جلوس فى المسجد الاعظم بالكوفة اذا أتاننا آت فقال : هذا الحجاج بن يوسف ، قد قدم أميراً على العراق فاشرب^(٢) نحوه الناس ، وأفرجوا له إفراجة عن صحن المسجد ، فاذا نحن به يتبهنس^(٣) فى مشيته ، عليه عمامة خز حمراء ، منتكبا^(٤) قوساً عربية ، يؤم المنبر ، فما زلت أرمقه^(٥) ببصرى حتى صعد المنبر ، فجلس عليه ، وما يحذر^(٦) اللثام عن وجهه ، وأهل الكوفة حينئذ لهم حال حسنة ، وهيئة جميلة ، وعز ومنعة ، يدخل الرجل منهم المسجد ومعه عشرة أو عشرون من مواليه ، عليهم الخروز والقوهية^(٧) ،

وفى المسجد رجل يقال له : عمير بن ضابى البرجمى ، فقال : لمحمد بن عمير التميمى ، هل لك أن أحصيه ؟ قال لا حتى أسمع كلامه ، فقال : لعن الله بنى أمية ! يستعملون علينا مثل هذا ، ولقد ضيع العراق حين يكون مثل هذا أميراً عليه ، والله لو كان هذا كله كلاماً ما كان شيئاً ، والحجاج ينظر يمنة ويسرة ، حتى غص المسجد بأهله ، فقال : يا أهل العراق ! انى لا أعرف قدر اجتماعكم الا اجتمعتم ، قال رجل : نعم — أصلحك الله — فسكت هنيهة لا يتكلم ، فقالوا : ما يمنعه من الكلام الا العى والحصر ، فقام فحذر لثامه ، وقال : يا أهل العراق ! أنا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل ابن مسعود .

(١) اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) اشرب مد عتقه .

(٣) يتبختر .

(٤) منتكبا قوساً القاها على منكبيه .

(٥) أرمقه ببصرى ألحظه لحظاً خفيفاً .

(٦) ما يحذر اللثام لا ينزله عن وجهه .

(٧) القوهية ثياب بيض والخروز نوع من الحرير .

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعِ الثَّنَا
مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(١)

صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلْفِي نِزَارٍ
كَتَفِصِلِ السَّيْفِ وَضَاحُ الْجَبِينِ^(٢)

وَمَاذَا تَزْدَرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي
وَقَدْ جَاوَزْتُ سَنَ الْأَرْبَعِينَ

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعَ أَشْدَى
وَنَجَّدَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّنُونِ

وَأَنِّي لَا يَعُودُ إِلَيَّ قِرْنِي
غَدَاةَ الْغَيْبِ إِلَّا فِي قِرْنِي

والله يا أهل العراق إنني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإنني لصاحبها ، والله لكأنني أنظر الى الدماء بين العمام والمحي .

هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَاشْتَدَى زَيْمٌ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ^(٣)

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍ^(٤)

وقال :

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعِصْبِي
وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ شَمْرِي^(٥)

(١) المعنى : أنا ابن رجل جلا الامور وأظهرها . واذا وضعت عمامتي وأنزلتها عن وجهي تعرفونني .

(٢) يريد أنه صلب العود قليل مثله ممن سلف وهو كحد السيف المصقول في الضياء واللمعان .

(٣) زيم اسم الناقة . حطم الراعي الظلوم للماشية الذي يهشم بعضها ببعض والمراد أنه لا يهشم الماشية ولا اللحم وإنما يفعل ذلك باعدائه .

(٤) الوضم خشية الجزار الذي يقطع عليها اللحم .

(٥) العصبي الرجل القوى الشجاع .

أَزْوَعُ خَرَّاجٍ مِّنَ الدَّوَى
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ^(١)

وقال :

مَا عَلَّنِي وَأَنَا شَيْخٌ إِدُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عَرْدُ
مِثْلُ جِرَانِ الْعَوْدِ أَوْ أَشَدُّ

ويروى مثل جران البكر أو أشد^(٢) ثم قال :

والله يا أهل العراق ، ما يغمز جانبي كنعماز التين ولا يقعقع لي
بالشنان ،^(٣) ولقد فرزت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وجريت مع الغاية ،
وان أمير المؤمنين عبد الملك نثل كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها عودا^(٤) ،
فوجدني أمرها عودا ، وأشدّها مكسا ، فوجهني اليكم ، ورماكم بي ، يا أهل
الكوفة ، يا أهل النفاق والشقاق ومساوىء الاخلاق ، انكم طالما أوضعتم في
الفتنة ، وأضطجعتم في مناخ الضلال ، وسننتم سنن الغي ، وإيم الله لالحنكم
لحو العود ،^(٥) ولأقرعنكم قرع المروة ،^(٦) ولا عصبنكم عصب السلمة

(١) الأزوع الذي يعجبك بشجاعته وحسنه . خراج كثير الخروج . الدوى الصوت والمراد أن سائقها
شجاع يخرج من المآرق ولا يتأثر بها وزاد في الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٧٥ ط بيروت بعد هذه
الآيات قوله :

ليس أوان بكرة الخلّاط جاءت به والقُلصُ الاعلاط

تهوى هوى سائق القطاط

(٢) في العقد الفريد ج ٤ ص ٢٠٧ مطبعة الاستقامة القاهرة

قد شمّرت عن ساقها فشلتوا وجدت الحرب بكم فجلوا
والقوس فيها وتر عرد شل ذراع البكر أو أشد

وزاد افى جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٢٧٥ : لايد مما ليس منه يد والمراد الصلب الشديد .

(٣) القعقة الصوت . والشنان القرية الخلقة البالية .

(٤) الكنانة جعبة من جلد توضع فيها السهام . ونثلها أخرج ما فيها من السهام .

(٥) عجم عيدانهاعضها ليعرف الصلب منها .

(٦) لحا العود : قشره والمراد إظهارهم على حقيقتهم .

(٧) المروة حجر صلب يعرف بالصوان والمراد أنزل بكم البلاء .

ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل ، ^(١) أنى والله لا أحلق الا فريت ، ^(٢) ولا أعد
الا وفيت إياى وهذه الزرافات ، وقال وما يقول ، وكان وما يكون ، وما أنتم
وذاك ؟ ^(٣)

يا أهل العراق ! انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من
كل مكان ، فكفرتم بأنعم الله ، فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوسقوا ^(٤)
واعتللوا ، ولا تميلوا ، واسمعوا وأطيعوا ، وشايعوا وبايعوا واعلموا أنه ليس منى
الاكثر والابزار والاهذار ، ^(٥) ولا مع ذلك النفار والفرار ، انما هو انتضاء هذا
السيف ، ثم لا يغمد فى الشتاء والصيف ، حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ،
ويقيم له أودكم ، وصعركم ^(٦) .

ثم انى وجدت الصدق من البر ، ووجدت البر فى الجنة ، ووجدت الكذب
من الفجور ، ووجدت الفجور فى النار ، وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم
أعطياتكم واشخاصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين ، وقد أمرت لكم
بذلك ، وأجلتكم ثلاثة أيام ، وأعطيت الله عهدا يؤاخذنى به ، ويستوفيه منى ،
لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه احد لا ضربن عنقه ، وأنهن ماله ، ثم التفت الى
أهل الشام فقال : يا أهل الشام ! أنتم البطانة والعشيرة ، والله لريحكم أطيّب من
ريح المسك الأدفر ، وانما أنتم كما قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ والتفت الى أهل العراق فقال :
لريحكم أنتن من ريح الابخروانما أنتم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

(١) المراد ضرب الابل التى شردت فهو يضربها ليردها .

(٢) فى العقد الفريد ج ٤ ص (١٨) — ولا أحلق الا فريت — والمراد لا أعمل عملاً الا وأتممته .

(٣) المراد تحذيرهم من كل كلام يمس سياسة الحكم .

(٤) فاستوسقوا انقادوا مجتمعين .

(٥) الابزار الهزر فى الكلام . والاهذار التخليط فى الكلام والمراد أن كل ما أقوله حق وسترونه بأعينكم .

(٦) الاود العوج والصعر ميل فى الوجه والمراد حتى تستقيموا لامر أمير المؤمنين .

(٧) سورة ابراهيم الآية (٢٤) .

كَشَجَرَةٍ حَيْثُ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١﴾ .

اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام : فقال القارىء : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإنى أحمد اليكم الله ، فسكتوا فقال الحجاج من فوق المنبر : اسكت يا غلام ، فسكت ، فقال : يا أهل الشقاق ، ويا أهل النفاق ومساوىء الاخلاق . يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام ؟ هذا أدب ابن أبيه ؟؟^(٢) والله لئن بقيت لكم لأودبنكم أدبا سوى أدب ابن أبيه ، ولتستقيمن لى أو لاجعلن لكل امرئ منكم فى جسده وفى نفسه شغلا .

اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما بلغ الى موضع السلام صاحوا وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ، ودخل قصر الامارة ، وحجب الناس ثلاثة أيام ، وأذن فى اليوم الرابع ، فدخل عليه عمير بن ضاى ، فقال : - أصلح الله الامير - إنى شيخ كبير وقد خرج اسمى فى هذا البعث ،^(٣) ولى ابن هو على الحرب والاسفار أقوى وأشجع عند اللقاء ، فان رأى الامير ان يجعله مكانى فعل ، فقال : انصرف أيها الشيخ راشدا ، وابعث ابنك بديلا ، فلما ولى ، قال له عنيسة بن سعيد بن العاص : أيها الامير ! أتعرف هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هو عمير بن ضاى ، الذى أراد أبوه ان يفتك بعثان ، فلم يزل محبوسا عنده حتى أصابته الدبيلة^(٤) فمات . ثم جاء هذا فوطىء أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه - وهو مقتول . فكسر ضلعا من أضلاعه ، وأبوه الذى يقول :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَتِهِ

(١) سورة ابراهيم الآية (٢٦) .

(٢) ابن أبيه هو-زياد الذى كان واليا عليهم فى عهد معاوية .

(٣) البعث الجيش الذى يبعث الى الجهات المختلفة .

(٤) الدبيلة داء فى الجوف او خراج ودمل يظهر فيه .

فقال على بالشيخ ، فلما أتى به قال له : أما يوم الدار ^(١) فتشاهده بنفسك ، وأما في قتال الخوارج فتبعث بديلا ، ان في قتلك لصلاحا لاهل المصريين . ^(٢) يا حرسى ! ^(٣) اضرب عنقه . فضربت عنقه فصاح البراجم على الباب فقال ، ارموا اليهم برأسه ، فرمى به فولوا هارين .

وكان ابن عم ^(٤) لعبد الله بن الزبير الاسدى ، قد سأله ليشفع له الى الحجاج ليأذن له في التخلف ، فلما قتل عمير بن ضابى خرج ولم ينتظر الاذن . فقال عبد الله بن الزبير :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ
أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُقْطِعاً مُتَصَعِّباً
تَجَهَّزْ فَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ
عُمَيْرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَ
هَمَّا خُطَّتَا حَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا
^(٥) زُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنْ الثَّلْجِ أَشْهَبَا
وَالْأَفْأَمَا الْحَجَّاجُ مُعَمِّدٌ سَيْفِهِ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرَكَ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ حُرَّاسَانُ دُونَهُ
رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

(١) يوم الدار هو يوم دخل الثوار على عثمان الدار وقتلوه .

(٢) المصريين الكوفة والبصرة .

(٣) الحرسى صاحب الشرطة .

(٤) هو ابراهيم بن عامر الأسدى كما جاء فى الكامل ج ٤ ص ٣٧٩ ط بيروت .

(٥) الخسف الذل والنقيصة والحولى البعير والفرس اذا بلغ سنة « والشبهة بياض فى سواد ، والمعنى : لن يقبل الحجاج من أحد عذرا فاما ان تقتل كابن ضابىء او تذهب مع الجيش الى المهلب — قائد الجيش — واذا أردت أن تهرب من الامرين فعليك بحولى يضرب بك فى الأرض على غير هدى حتى يدركك الشتاء ويسقط عليك الثلج فيصير بعيرك أشهبا .

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا تَارِكَ الْغَزْوِ بَاكِياً

تَحَمَّمْ جَنُودَ السَّرْجِ حَتَّى تَحَبَّأَ^(١)

فلما اتصلت الخيل والرجال بالمهلب عجب وقال : لقد ولى العراق رجل ذكى .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن الرياش عن الاصمعي عن أبي عمرو قال : خرج عهد عبد الملك الى الحجاج : وليتك المصريين والفوجيين وعمان والبحرين ، فسر اليها قصير العذار ، كميّش الإزار ،^(٢) واضغط الكوفة والبصرة ، والفوجان سجستان .

والحجاج أول من حبس الرجال مع النساء فى قيد واحد ، ووثاق قد شد ، وأمر السياسة متشبه فيه بزياد ، وكان من قتل أكثر ممن قتل زيادا ، وهاب الناس زيادا أكثر مما هابوا الحجاج . وذكر أنه قتل أكثر من مائة ألف رجل ، أكثرهم لم يستحق القتل ، ومات فى حبسه اثنا عشر ألف رجل أكثرهم لم يستحق الحبس ، وأخرجوا وأخرج معهم أعرابى ذكر أنه حبس سبع سنين لانه بال فى أصل ربيض واسط ، فلما انصرف قال :^(٤)

إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا مَدِينَةَ وَاسِطٍ خَرَيْنَا وَصَلَيْنَا بِغَيْرِ حِسَابٍ

أول من ارتشى من عمال العراق ابن هيرة

وكان نصب ظاهر العراق ، وهو أعرابى أُمى ، وقتله المنصور بواسط ، فقال أبو عطاء السندى :

(١) تحب اعوج والمراد لزوم ركوب الخيل حتى اعوجت رجلاه .

(٢) العذار الحياء . يقال : خلع فلان عذاره : أى اتبع هواه وانهمك فى الغى وصار يقول ويفعل وما يبالي بشئ .

(٣) الكميّش القصير والمراد رفع الحياء والاستعداد لانزال البلاء بالناس والضغط عليهم .

(٤) الربيض سور المدينة . واسط بناها الحجاج بن يوسف تقع على نهر دجلة وهى قرية الآن ويبقى من آثارها بابها والسجن الذى كان يسجن فيه الحجاج وتبعد على مدينة الحى عشرة كيلو مترات .

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ
 عَلَيْكَ بَجَارِي دَمْعَهَا لَجْمُودُ
 عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ
 جُيُوبَ بَأْيَدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ

أول من ضرب باب القسطنطينية بالسيف عبد الله بن طليب

وكان معه مسلمة فأخذه قيصر بعد ذلك ، وأراد قتله فقال : ان قتلتي ما بقيت بيعة في بلاد الاسلام الا هدمت ، ولا نصراني الا قتل فخلاه .

أول من عبر نهر بلخ سعيد بن عثمان بن عفان

أخبرنا أبو القاسم باسناده عن أبي الحسن قال : قدم سعيد ابن عثمان - وأمه أم عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وافدا على معاوية . فسأله ان يوليه العراق ، فأبى ، وغضب سعيد ونهض ، فلما كان من الغد . صلى الغداة معه ، فلما انقفل اخذ بطرف ثوبه وتمثل :

ثُكِّلَتْكَ أُمُّكَ أَيُّ سَيِّدٍ مَعْشَرٍ يَضَعُ الْكَبِيرَ وَلَا يُرَبِّي صَغِيرًا

فقال معاوية : أما والله لقد أخرجتها شعاء عظيمة ، تتبعها ضحكة لا يعرق لها جبينك ، ودخل ودعا سعيدا ، فسبقه الى الكلام فقال : أما والله لقد رفاك أبي ، واصطنعك حتى بلغت الذى لا تجارى اليها ، ولا تسامى فيها ، فما شكرت بلاءه ، ولا جازيت بآلائه ، انك قدمت على هذا - يعنى يزيد - والله لانا خير منه أبا وأما ونفسا ! قال معاوية : أما سالف بلاء أهلك فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان شكرى لذلك أنى طلبت بدمه حتى انكشفت الامور ، ولست بلائم لنفسى فى التشمير ، واما فضل أهلك على أبيه فلا ينكر ، هو والله أفضل منى قدما ، واقرب برسول الله - ﷺ - قرابة ، وأما فضل أمك على أمه فلعمرى لامرأة من قریش خير من امرأة من كلب ، وأما أنت وهو ، فوالله لا

أحب أن الغوطة ^(١) دحست - أى ملئت - ويقال : ملئت دحاس اذا كان مملوءا ناسا رجالا كلهم مثلك لى به ، فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ابن أختك ، وله حق ورحم ، وقد عتب فاعتبه ، وسأل أمرا فسوغه ، فولاه خراسان ، فسار حتى قدم نيسابور ، ^(٣) وكان معه مالك بن الريز ^(٤) فقال :

رَأَيْتُ سَنًا نَارَ بَيْرَيْنِ ^(٥) أَوْقَدْتُ وَرَجُلِي بَيْسَابُورِيَا بَعْدَ مَنْظَرِي

ثم قطع النهر ، وأول من قطعه من أصحابه رفيع أبو العالية ، فقال سعيد : رفعه وعلا ، ثم أتى سمرقند ، ^(٦) وأقام عليها ، وحلف لا يبرح حتى يدخلها ، ويرمى القهندر ، فخرج اليه أهلها ثلاثة أيام ، فقاتلوه ، فقال بعض أصحابه :

فَبَاشَرَ فِي الْحَرْبِ الْمَنِيَا وَلَا تَرَى

لِمَنْ لَمْ يُبَاشِرْهَا مِنَ الْمَوْتِ مَهْرَبَا

أَخْوَعَمَ غَمَرَاتٍ لَا يُرَوِّغُ جَأَشُهُ ^(٧)

إِذَا الْمَوْتُ ارْزَأَدَى وَتَعْصَبَا

ففقت عین المهلب بالطالقات ، ثم لزم العدو المدينة فلم يخرجوا لقتاله ، وطال مقامه ، فدل على حصن فيه أبناء ملوكهم ، فصار اليهم فحاصرهم ، فخاف العدو أن ظفر بهم أن يقتلهم ، فصالحوه على أن يدخل البلد ، ويرمى القهندر ، ^(٨) وأعطوه رهنا ، فدخل ورماه بحجر فدخل فى بعض كواته ، فتطيروا منه ، وقالوا : قد ثبت أمر العرب ، ثم قفل حتى أتى

(١) الغوطة المكان المظلم من الأرض والمراد غوطة دمشق .

(٢) سوغه أعطه ماطلب واتركه له .

(٣) نيسابور إحدى مدن إيران .

(٤) فى الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٣ : مالك بن الريب .

(٥) شبه شدة النار بالثوب الذى ينسج على نيرين أى خيطين .

(٦) ولاية من ولايات الاتحاد السوفيتى الآن .

(٧) الجأش القلب .

(٨) القهندر قصر أو حصن فى سمرقند .

مرو ، ومعه الرهناء ، وورد عليه سليمان ابن فته فحجبه ولم يأذن له ، وكان سعيد بخيلا ، فهدده ابن فته بالهجاء ، فقال سعيد : يهجوني وأنا بن عثمان بن عفان ؟ فقال : صدق . ان الناس جميعا ولد آدم ، ذهبوا فضة ونحاسا ، وهو من نحاس بنى آدم ، وقال يهجوهُ :

سَأَلْتُ قُرَيْشًا عَنْ سَعِيدٍ فَأَجْمَعُوا
عَلَيْهِ وَقَالُوا مَعْدُنُ ^(١) اللُّؤْمِ وَالْبُخْلِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي حِينَ أُحْبِزْتُ أَلَّهُ
بَخِيلٌ أَلَا أَلَيْسَ ابْنُ عُثْمَانَ مِنْ شَكْلِي ؟
وَقَالَتْ لِي النَّفْسُ اللَّجُوجُ طَمَاعَةٌ
أَلَيْسَ ابْنُ عُثْمَانَ بِنِ عَفَّانَ ذَا فَضْلٍ ؟
فَقُلْتُ : بَلَى كَمْ مِنْ كَرِيمٍ مُهَذَّبٍ
سَلِيلٌ لَيْسَ عَاجِزٌ حَامِلٌ الْأَصْلِ
وَكَمْ مِنْ فَتَى كُنَّ الْيَدَيْنِ مُدْمَمِ
وَكَانَ أَبُوهُ عِصْمَةَ النَّاسِ فِي الْمَحِلِ ^(٢)
فَأَخْضَعْتُ يَأْسًا حِينَ أُتْقِنْتُ أَلَّهُ
بَخِيلٌ وَقَدْ أَلْقَوْا عَلَى غَارِبِي خَبْلِي
وَوَجَّهْتُ عِيسَاءَ نَحْوَ عَمْرٍو فَأُحْمَدْتُ
مُؤَاشِكَةً نَفَرًا تَهَيَّأَ كَالْفَحْلِ
مُرْمَدٌ فِي عَيْنِ الزَّمَانِ كَأَنَّهَُا
خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ تَهْرُبُ مِنْ وَبْلِ ^(٣)

(١) المعدن مكان كل شيء فيه أصله ومركه .

(٢) كن اليدين المراد بخيل ، والمحل — الجذب .

(٣) يريد أنه وجه بعيره نحو عمرو فصادفت كريما مستعدا للقائها كأنها فارة من المطر ومالت الى نار تصطلي بها .

إلى ما جِدَ الْخُدَيْنِ سَبْطَ بَنَائِهِ
إِذَا سِيلَ الْمَعْرُوفُ يَهْتَزُّ كَالْبُصْلِ^(١)
فَالْقَيْثُ عُمْراً لَا بَخِيلاً بِمَالِهِ
وَلَا مُغْلِقاً بَابَ السَّمَاحَةِ بِالْقَفْلِ

ثم خرج سعيد الى الشام ومعه الرهناء ، ثم خرج الى المدينة بهم وأخذ سيوفهم ، وما كان عليهم من حرير وديباج ، ومناطق الذهب والفضة ، وألبسهم الصوف ، وكان يستعملهم في الحرث والبناء ، فاجتمعوا عليه في بيت فقتلوه وقتلوا أنفسهم ، فقبل لسعيد : قتيل الصفد ،^(٢) قال أبو الحسن : قتلوه في مجلسه ، وصاح أهله ، فركب أهل المدينة ، وأطافوا بالبيت والصفد في البيت قد أغلقوه ، فكشطوا ظهر البيت ، فاذا هم قد قتلوه وقتلوا أنفسهم .

وقالوا : أول من شرب من نهر بلخ ، مولى للحكم بن عمرو .

أول من صلى وراء النهر من المسلمين

أخبرنا أبو القاسم باسناده عن أبي الحسن قال : قال زياد لحاجبه : ادع لي الحكم ، وهو يريد ابن الحكم بن أبي العاص فدعا الحاجب ابن عمرو بن مجدع ، فلما رآه تيمن به . وقال له : صحبة من رسول الله - ﷺ - ، فاستعمله على خراسان وقال : مأردتك ، ولكن الله أرادك ، فسار حتى قدم خراسان ، ففرق العمال ، وغدا فقطع النهر ، وكان أول من شرب منه بعد قطعه مولى له واستسقه الحكم ، فسقاه في ترسة ،^(٣) وصلى ركعتين ، فكان أول من صلى وراء النهر . ثم قال له المهلب : النجاة أيها الأمير ، فلا خير في المقام والعدو مطل عليك ، ففعل ، وكتب اليه زياد : ان أمير المؤمنين كتب الى

(١) ماجد الخدين حسن الوجه ، سبط بناته كريم .

(٢) الصفد القيد والمراد أنهم أغلقوا الباب بقيد فلم يستطع الانسان فتحه من الخارج .

(٣) الترس صفحة من فولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

يأمرني ان أستصفي له الصفراء والبيضاء ، ^(١) فقال الحكم : كتاب الله قبل كتاب معاوية ، والله لو كانت السموات رتقا ^(٢) على عبد واتقى الله لجعل له مخرجا ، ثم قال للناس : اغدوا على غنائمكم فغدوا ، فعزل الخمس وقسم الباقي بينهم ، فعظم في أعين المسلمين ، ولم يضره مخالفته زيادا ثم دعا يوما فقال : (اللهم إني مللتهم وملوني فأرحني منهم وأرحهم مني) فلم يلبث ان مرض ومات سنة خمسين .

أول من أمر الناس بالتهاهد في الغزو الربيع بن زياد ^(٣)

وكان أميرا على خراسان ، ولاه أياها زياد سنة احدى وخمسين ، فتوجه اليها في خمسين ألفا ، فجاشت الترك والهياطلة ، ^(٤) بناحية قوهستان ، ^(٥) فسار اليهم فكان الناس يتبارون في النفقات ، فعظم عليهم المؤونة ، فأمرهم الربيع أن يتناهلوا ، فيخرج كل واحد منهم شيئا معلوما ، ويولونه رجلا ثقة عليهم ، فاذا نفذ أخرجوا مثله . ثم أوقع بالترك فهزمهم ، ونكث أهل بلخ فغزاهم ، فعادوا الى الصلح ، ودخل صاحبه على رئيسهم وطالبه بالجزية ومنعه ، فقال : ما هذا ؟ قال : أمرنا ان نستأديكم بالصغار وهذا هو الصغار ، وكان الربيع يقول : من أراد النجاة فعليه بجسام النساء وقصارهن كتائب الجماع .

وكان زياد معجبا بالربيع يقول : من يلومني على الربيع ؟ ما ناظرته في أمر الا وجدته قد سبق اليه ، ولا أتاني منه كتاب الا في جر منفعة للناس ، او دفع مضرة عنهم ولا سألته عن شيء الا وجدت علمه عنده ، ولا أصابت ركبته

(١) المراد ان يختار للأمير الذهب والفضة ويبيع بها إليه .

(٢) رتقا أى ملتصمة ليس بها منفذ .

(٣) التهاهد الاشتراك في النفقة بين القوم .

(٤) جاشت تجمعت ، والهياطلة جنس من الهند .

(٥) قوهستان بلاد مما وراء النهر .

ركبتى فى مسيرى ، ووجه الربيع عبد الله بن أبى عقيل الى خوارزم ، فقتلوه ،
وأصيب رجال من المسلمين ثم ظهر عليهم ، فقال يونس بن سعيد :

فَجَاشَتْ مِنْ قُصُورِ الرِّىِّ نَفْسِي وَطَارَتْ مِنْ جِبَالِ خَوَارِ رِزْمِ

وبعث الربيع الى زياد مرزيان مرو ، فلما قدم عليه أمر زياد الناس فأظهروا
السلاح والعدة ، فلما وصل إليه ، قال : كيف ترى عدتنا مع قرب عهدنا
بالسلطان ؟ قال : رأيت هذه العدة لمن كان قبلكم ، فما أغنت عنهم حين أدبر
أمرهم ، وما ضركم اذا لم تكن معكم مع اقبال دولتكم ؟ قال : صدقت .

ودعا الربيع فقال : اللهم ان كان لى عندك خير ، فاقبضنى عاجلا ، فقد
مللت الحياة ، وصلى الجمعة وخرج فسقط فمات سنة ثلاث وخمسين رحمه
الله تعالى .

أول من حذا الخيل ، وأول من اتخذ ركب الحديد
المهلب بن أبى صفرة

وكانت ركب العرب من الخشب فقال فيه الشاعر :

ضَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِمَارَتِهِمْ وَضَرَبَتْ لِلْحَدَثَانِ وَالْحَرْبِ
حَلَقًا تُرَى فِيهَا مَرَاقِفُهُمْ كَمَنَّاكِبِ الْحَمَالَةِ الْجُرْبِ

وذلك ان الفارس يصل الراجل بركابه فيوهن مرفقه ، وكان المهلب
أفضل رأيا وعزيمة وكرما وشجاعة ، ونظرا بالجواب وكان يقاتل الخوارج
ببعض النواحي ، وقد خندق على عسكريه وبقره أجمة ^(١) فدخلها يوما ،
فطافها ، فلما عاد ، قال لاصحابه : زيدوا فى عرض الخندق ذراعا ، فقالوا : لا
حاجة الى ذلك قال : لا بد منه ، فزيد فيه ، فلما كان الغد ، رأوا شجرة طويلة

(١) الاجمة الغابة بها كثير من الأشجار .

قد طرحت في الخندق ، واذا العدو قد عضدوها ^(١) من تلك الاجمة ، وأرادوا نصبها على الخندق ، والعبور عليها .

وكان يقول لولده : مارأيت أحدا قط بين يدي ، الا أحببت أن يكون ثنائي عليه ، واعلموا يا بني أن ثيابكم على غيركم احسن منها عليكم ، وذكر أبو تمام هذا في قصيدة يخاطب بها علي بن مرو ويستهديه فروا .

- دَنَا سَفَرٌ وَالذَّارُ ثَنَى وَتَصَقَّبُ
(٢) وَيَنْسَى سُرَاهُ مَنْ يُعَافَى وَيَصْحَبُ
وَأَيَّامُنَا خَزَرُ الْعُيُونِ عَوَاسُ
(٣) إِذْ لَمْ يَخْضَهَا الْحَازِمُ الْمُتَلَبِّبُ
وَلَا بُدَّ مِنْ قَرَوٍ إِذَا اجْتَابَهُ امْرُؤٌ
(٤) غَدَا وَهُوَ سَامٍ فِي الصَّنَابِرِ أَغْلَبُ
أَمِينُ الْقَوَى لَمْ تَخْصُصْ الْحَرْبُ رَأْسَهُ
وَلَمْ يَنْضِ عُمَرَا وَهُوَ أَبْيَضُ أَشْيَبُ (٥)

قال أبو هلال : يقول . لم يطل لبسه وهو أسود لانه اذا كثر بياضه كان أسرى له .

يَسْرُكُ بَأْسًا وَهُوَ غَيْرُ مُعَمَّرٍ وَيَعْتَدُّ لِلْأَيَّامِ حِينَ يُجَرَّبُ
تَظْلُ الْبِلَادُ تُرْثَمِي بَضْرِيهَا وَتُشْمَلُ مِنْ أَفْطَارِهَا وَهِيَ تُجْبِبُ

قال أبو هلال : يقول : اذا صارت الريح شمالا ذموا صاحبها فكان الريح

(١) عضدوها قطعوها .

(٢) تنأى وتصقب تبعد .

(٣) خزر العيون — ضيقة العيون ، والمتلبب : الذي يمسك التلايب والمراد المتمكن .

(٤) الصنابر : الريح الشديدة يقول اذا ليس الفرو انسان تغلب على هذه الريح الشديدة .

(٥) الحصص : قلة شعر الرأس ، ولم ينض عمرا لم يطل لبسه وفي الديوان ص ٥٢ ط لبنان (وهو أشمط

أشيب) :

إِذَا الْبَدَنُ الْمَقْرُورُ أَلْبَسَهُ غَدَا
 لَهُ رَاشِحٌ مِنْ تَحْتِهِ يَتَصَبَّبُ ^(١)
 إِذَا عَدَّ ذَنْباً ثِقْلَهُ مِنْكَبٍ أَمْرِي
 يَقُولُ الْحِشَا إِحْسَانُهُ حِينَ يُذْنِبُ
 يَرَاهُ الشَّفِيفُ الْمُرْتَعِنُ فَيَتَثَبَّى
 حَسِيرًا وَتُغْشَاهُ الصَّبَا فَتَكْبُ ^(٢)
 إِذَا الْيَوْمُ أَمْسَى وَهُوَ غَضَبَانُ لَمْ يَكُنْ طَوِيلَ مَبَالَاةٍ بِهِ حِينَ يَغْضَبُ
 كَانَ حَوَاشِيَهُ الْعُلَى وَخُصُورُهُ
 وَمَا الْخَطُّ مِنْهُ جَمْرَةٌ تَلْهَبُ
 فَهَلْ أَنْتَ مُهْدِيهِ لِمِثْلِ شَكِيرِهِ
 مِنَ الشُّكْرِ يَعْلُو مُصْعَدًا وَيُصَوَّبُ
 لَهُ زَبَرٌ يَحْمِي مِنَ الدَّمِّ كُلَّمَا
 تَجَلَّيْتَهُ فِي مَحْفَلٍ مُتَجَلِّبٍ ^(٣)
 فَأَنْتَ الْعَلِيمُ الطَّبُّ أَيْ وَصِيَّةٌ
 بِهَا كَانَ أَوْصَى بِالْيَابِ الْمُهْلَبِ

أول من اتخذها سفندرورى فيروز حصين

سمعت أبا أحمد - رحمه الله - يقول : قال الجاحظ : لما حرم
 الحجاج آنية الذهب والفضة ان يؤكل فيها ويشرب ، قال فيروز : - وكان من
 أشرف أبناء ملوك فارس - فى أى الآنية آكل وأشرب ؟ قيل : فى آنية

(١) المقرور : الذى أصابه البرد ، والراشح : العرق .

(٢) الشفيف : الرقيق ، المرتعن المطر اذا ثبت وجاد ، والصبا ريح تهب من جهة الشرق .

(٣) الزئير مايبدو من خياطة الثوب ، تجلببه لبسه ، محفل مكان الاحتفال والمراد فى حفل .

القوارير . قال : تلك يعمل منها المحاجم ، ^(١) لا أتهنى بأكل وشرب فيها ، ثم خلط الذهب والفضة بالنحاس ، وسماه سفندرورى ، واتخذ منه آنية يأكل فيها ويشرب ، وكان فيروز من أجلاء الموالى ، وكان له محل فى الفرس ، وفضل فى نفسه .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو اسحاق العبشمى قال : أخبرنا محمد بن يزيد قال : كان فيروز حصين جيد البيت فى العجم ، كريم المحتد ^(٢) مشهور الالباء ، فلما أسلم والى حصين ابن أبى حر العبرى ، فنسب اليه ، وكان جوادا شجاعا نبيل الصورة ، ومن محاسنه ، ان الحجاج لما جارب ابن الاشعث نادى منادى الحجاج ، من أتانى برأس فيروز فله عشرون ألف درهم ، ففصل فيروز من الصف ، وصاح ، من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالى ووفائى فمن أتانى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم ، فقال الحجاج : فو الله لقد تركنى كثير التلفت وأنا بين خاصتى ، ثم أنه أتى به بعد ذلك الى الحجاج ، فقال : يا فيروز ! بذلت فى رأس أميرك مائة ألف درهم ؟ قال : قد فعلت ، قال : والله لأمدنك ثم لأسلخنك ! أين المال ؟ قال : عندى ، فهل الى الحياة من سبيل ؟ قال : لا . قال : فأخرجنى الى الناس حتى أجمع لك ، فلعل قلبك ان يرق على ! ففعل الحجاج ذلك ، فخرج فأحل الناس من ودائعه ، واعتق رقيقه ، وتصديق بماله ، ثم رد الى الحجاج فقال : الآن اصنع ماشئت ، فشد فى العصب الفارسى ثم شرح لحمه ، ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات .

وقريب من هذا ما أخبرنا به أبو احمد قال : أخبرنا أبو اسحاق قال :

(١) المحاجم جمع محجم وهو آلة كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيجا ويجذب الدم بقوة .

(٢) كريم المحتد كريم الاصل .

أخبرنا محمد بن يزيد قال : حدثني مسعود ابن بشر قال : قال محمد بن المنتشر الهمداني : دفع الى الحجاج أزد مرد بن الهزير ، وأمرني أن استخرج منه وأغلظ عليه ، فقال لي : يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لأعطي على القوة شيئا ، فاستأدني في رفق ، ففعلت ، فأدى الى في أسبوع خمسمائة ألف درهم فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبه وانتزعه من يدي ، ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب ، فذق يديه ورجليه ، ولم يعطهم شيئا ، قال محمد : فإني في السوق يوما فإذا صائح ينادي بي ، يا محمد ! فإذا هو معرض على بغل مدفوق اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج ان آتية ، فدنوت منه وملت اليه ، فقال : انك وليت مني ما ولي هذا فأحسنست ، وانهم صنعوا بي ماترى ، ولم أعطهم شيئا ، ولي عند فلان خمسمائة ألف درهم ، فخذها فهي لك ، فقلت : ما كنت لآخذ على معروفى شيئا ، ولا أرزئك^(١) على هذه الحال شيئا ، قال : فأما اذا أيت فاسمع أحدثك .

حدثني بعض أهل دينك ، عن نبيك أنه قال : اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر في وقته ، وجعل المال عند سمحائهم ، واستعمل عليهم خيارهم ، واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم ، وأمطرهم المطر في غير حينه ، قال : فانصرف ، فما وضعت ثوبي حتى وافاني رسول الحجاج ، فدخلت اليه والسيف بيده فقال : ما كان من حديث الخبيث ؟ فقلت : أيها الأمير ! ما غششتك منذ استصحبتنى ، وما كذبتك منذ استخبرتني ، ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت الى ذكر الرجل الذى عنده المال ، أعرض عني وأومأ إلى يده ، وقال : ان للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث .

(١) الرزء المصيبة والمراد لا أفجعك فى مالك وأنت فى هذه الحال .

أول من اتخذ الدفاتر للحساب فى الديوان خالد بن برمك

وكان قبل ذلك فى أدرج ، وهو أول من رسم ديوان الخيل على ماهو عليه اليوم ، وجدت بخط أبى أحمد لما استخلف السفاح ، أقر خالد بن برمك على ماكان اليه من أمر الغنائم وقسمها . وضم اليه ديوان الخراج والجند فحسن أثره وكان الديوان صحفا مدرجة ، فجعلها دفاتر فخص بأبى العباس وعرض اليه بعد أبى سلمة ، وقال الشاعر فى آل برمك :

وَزَارَةُ تَشْغُلُ عَقْدَ الْعَاقِدِ
وَرِثْمُهَا عَنْ أَيْكُمُ خَالِدِ
قَدْ أَحْكَمْتَ بِالشَّدِّ وَالْوَطَائِدِ
لِلْوَلَدِ الْغَابِرِ بَعْدَ الْوَالِدِ^(١)

قال ابراهيم السندى : كان خالد بن برمك مع قحطبة وقد نزل قريبا من العدو فى حرب ، فنظر خالد الى الصحراء وقال : أيها الأمير ! ناد فى الناس بالركوب والاستعداد للحرب قال : وماذا ؟ ثم طلع سرعان^(٢) حبل العدو ، فصادفوا منهم هيئة واستعدادا ، فدفعوهم ، فعجب قحطبة وقال : كيف عرفت ذلك ؟ قال : رأيت الوحش مقبلة اليها فعرفت أنها لم تصل الى غير شأنها الا لجيش قد غص^(٣) الفضاء ، وملأ الصحراء ، قال : أمتعنى الله بك ، فلولا فطنتك لا صطلمنا^(٤) .

(١) الوطائد جمع وطيد وهى قواعد وأسس البنيان . والغابر الباقي من الاولاد .

(٢) سرعان اسم فعل بمعنى سرع والمراد خرج عليهم العدو بعد لحظات .

(٣) غص ملأ .

(٤) أصطلم استوصل والمعنى لولا فطنة خالد لقضى عليهم العدو .

وهو أول من سمى سؤال الملوك روادا .

وجدت في خطبة بعض الشيوخ . صار عبد الله بن شريك النميري في جملة من أهل البيوتات ، الى خالد بن برمك يستميحه^(١) فقالوا له : قد حضر سؤالك : فقال : انى والله استقبح لهم هذا الاسم ، وقال : رأيت ان أسميهم روادا . فقال عبد الله بن شريك : والله ماندرى أى يدريك عندنا أجل ، صلتك أم تسميتنا ؟ وقال يزيد بن خالد الكوفى :

حَذَا خَالِدٌ فِي بَذْلِهِ حَذْوَ بَرْمَكٍ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْبَازِلِينَ عَدِيلُ
وَكَانَ بَنُو الْأَمَالِ^(٢) يَغْزُونَ قَبْلَهُ
إِلَى اسْمٍ عَلَى الْإِغْدَامِ فِيهِ ذِيلُ
يُسَمُّونَ بِالسُّؤَالِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنْ كَانَ فِيهِمْ فَاضِلٌ وَجَلِيلُ
فَسَمَّاهُمُ الرُّوَادَ سِتْرًا عَلَيْهِمُ
كَذَاكَ فَعَالَ الْأُبْلَى نَيْلُ

وكان خالد بن برمك يأمر باجراء الانزال على من يقدم عليه من الزوار ، ويتعاهدهم بأنواع التحف ، وينزلهم المنازل الواسعة ، فاذا تراخت أيام الواحد منهم ، أمر له بجارية ناهد^(٣) بكر فقدم عليه أبو جيش النمرى وأنشده شعرا منه :

(١) يستميحه يسأله العطاء .

(٢) بنو الأمال الذين يؤملون فى عطايا الامراء .

(٣) الناهد المرأة التى نهى ثديها أى ارتفع .

وَمَا أَنَا إِذْ زُرْتُ الْأَعْرَبَ ابْنَ بَرْمَكٍ
 مِنَ التَّاهِدِ الْبَيْضَاءِ بِالْمُتَبَاعِدِ
 وَزَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ لَهُ
 يَدٌ فَضَّلَتْ فِي الْجُودِ كُلِّ مُجَاوِدِ

فقال : لاتنصرف الا وهى معك ، وكان وقت العشاء الآخرة وقال
 لوكيله : أحضر وصيفة بيضاء ناهدا . قال : من أين لى ذلك فى هذا الوقت ؟
 قال : لابد ، وكان لايراجع قال : فجئته بوصيفة كانت لى ، فدفعها اليه
 واحتسبتها بثمانها لى .

وقيل ان المساور بن النعمان — وكان على كورة فارس — أول من
 سمى السؤال زوارا ، وأنشدوا :

إِنَّ الْمَسَاوِرَ أَعْطَى اللَّائِذِينَ بِهِ
 مَعَ اللَّهِى أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ لِلْبِشْرِ
 كَانُوا يُسَمَّوْنَ سُؤَالاً فَصَيَّرَهُمْ
 ذُونَ الْبَرِّيَّةِ زُورَاراً وَلَمْ يَجْرِ

أول من اتخذ الجربانات العراض جعفر بن يحيى

وكان طويل العنق ، فأراد ان يسترها بعرض الجربان ،^(١) ومدح أبو
 نواس يحيى بن خالد فأراد أن يجيزه بجائزة سنية ، فمنعه جعفر لميلة كانت الى
 أبان اللاحقى ، وكان أبانا يعادى أبا نواس ، فقال أبو نواس يهجو :
 (١) الجربان طوق القميص .

قَالُوا امْتَدِّحْ فَمَاذَا اغْتَضَتْ قُلْتُ لَهُمْ
 خَرَقَ النَّعَالِ وَاخْلَقَ السَّرَائِلِ
 قَالُوا فَسَمِّ لَنَا الْمَمْدُوحَ قُلْتُ لَهُمْ
 أَوْ وَصِفْهُ يَعْذِلُ التَّفْسِيرَ فِي الْقِيلِ
 ذَاكَ الْأَمِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلَاقَتُهُ
 كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّولِ
 وقال فيه :

عَجِبْتُ لِهَارُونَ الْإِمَامِ وَمَا الَّذِي
 يَرَى وَيُوجِي مِنْكَ يَا خِلْقَةَ السَّلَاقِ
 قَفَا خَلَفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ
 قَفَا مَلِكٍ يَقْضِي الْهُمُومَ عَلَى بَثْقِ (١)
 وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذُبَابٍ عَلَى خَرَأٍ
 وَالْأُمُّ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عِرْقِ (٢)

قال أبو هلال : وقد ظلمه قبحه الله ! فما كان في الارض أفضل من
 برمك وبنيه ، ولا أتم آلة في كل فضيلة منهم ، ولكن الشاعر كذبه ، وقد قيل :

وَأَمَّا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلَبٌ (٣) أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ

ووجدت بخط بعض العلماء قال اسحاق الموصلي : ولد لي مولود
 فحمل الى عبد الله بن مالك عشرة آلاف درهم وقال : اصرفها في ثمن
 ظفر ، (٤) فقبضتها ثم جثته يوما فاحتبسني ، وأحضر الطعام والشراب وقال :

(١) البثق : السرعة .

(٢) الزهو التكبر ، العقور : هو كل ما يخرج من الحيوان وغيره ، العرق : العظم اذا أخذ منه معظم لحمه .

(٣) الكلب داء يشبه الجنون تصاب به الكلاب فتعض الناس ، فيكلب الناس اذا لم يستعملوا لقاح باستور .

(٤) الظفر المرضعة لولد غيرها .

لم تمسك عندنا كانبساطك عند غيرنا ؟ قلت : كأنك تريد البرامك ؟ قال :
اياهم أردت ، قلت : فاسمع حديثا من أحاديثهم ، قال : هات .

قلت : كنت في ابتداء أمرى في منزل ضيق ، ولى حمار ليس له مربوط ،
فكنت أربطه في دهليز^(١) فأتأذى بأقذاره ، فوقف يحيى بن خالد على ذلك ،
فقال : ان لوما بنا ان يكون من نخسه ونوده ليس له منزل يصح ان نزوره فيه
عند توانيه ، ودعا بوكيل له وقال : ابن لاني محمد دارا تصلح أن نجتمع معه فيها ،
فأومأت الى عدة دور حوالى فأحضر أربابها ، وأوقفهم على أثمانها ، وانصرف
ليحمل لى المال ، فحضرته من الغد ودعاهم فقالوا : جاء البارحة رجل
أصفهاني ووفانا وأشهد علينا ، وما شككنا أنه رسولك ، ونحن في ذلك إذ حضر
الاصفهاني ، ومعه الفعلة ، وأخذوا في الهدم ، فاغتمت غما لا كفاء له ، وقلت
للوكيل : تبتاع من الجانب الآخر . وابتعنا دويرتين^(٢) وامتنع بقية جيرانى من
بيع دورهم . فجعلت أبني دارا صغيرة ، وجعل الاصفهاني يبنى دارا ليس لها
نظير حسناً وسعة ونفاة ، وجعل يسابقنى الى مأريد ، من باب حسن وخشب
نادر ، وبناء مجيد ، ونقاش حاذق ، فنغصنى عيشى ، فلما تم البناء أعلمت
يحيى ، فقال للوكيل : اشتر لكل دار من دارى أبى محمد ما يصلح له من الفرش
الصيفى والشتوى ، وما يحتاج اليه من الآلات والاونى والخدم والغلمان .
والوصفاء والوصائف ، ما يومىء اليه ، ففعل .

ثم قال : لابد ان تعودنا يوما ، قلت : متى شئت ، فحمل الى مائة ألف
درهم وسمى يوما يحضر فيه ، فهيأت جميع ما يصلح لمثله . فحضر هو وولده
محمد وجعفر والفضل وجماعة ندمائه وخواصه . فطاف فى الدار ، ثم صعد
الى السطح ، وأشرف على دار الاصفهاني ، وقد ارتفع بناؤها وفرشت وزينت

(١) الدهليز المسلك الطويل الضيق الذى يكون بين الباب والدار .

(٢) دويرتين تصغير دارين مثنى دار وذلك لان الدار اسم ثلاثى مؤنث مجازى خال من التأنيث فتلحقه التاء

عند التصغير فيقال فى تصغير دار دويرة فاذا ثنيها قلنا دويرتان .

فقال : لمن هذه الدار ؟ قلت : لرجل أصفهاني ، صبه الله على بنصب وعذاب ، وقصصت عليه قصته فنزل وقال : يا غلام ، الفعلة فأحضروا فقال : انقبوا في هذا الحائط بابا ، فنبقوا ، ودخلوا ! ودخلت معه ، واذا فيها عدد ما أعدته من الجوارى والغلمان والفرش والآلات والاونى ، ومثل ما اتخذت من الطعام والشراب ، فأكل وأكلنا وقال : لولده : هديتكم الدار الجديدة . فأحضر كل واحد منهم عشرة آلاف دينار . وقال : خذوها وتمتع بهذه الدار ، ولا تسب الاصفهاني ، فانه كان يعمل ما يعمل لك .

فقلت هذا واحد من أحاديثهم ، وما صار الى منهم في دفعة واحدة . فمن فعل مثل فعلهم ، فعلت به مثل فعلى بهم ، والا فلا ، فما أجاب عبد الله جوابا .

وذكر أحمد بن حذيفة ان المنصور هم بهدم ايوان كسرى ، واستعمال آجره^(١) في بناء بينيه ببغداد ، فقال له خالد بن برمك : لا ينبغي ان تفعل ذلك لان هذا البناء ، وان كان فخرا للاعاجم ، فان ذكره وفخره قد عاد الى أهل الاسلام وذلك أنهم غلبوا على ملك من كان يفتخر بهذا البناء ، والغالب أحق بالفخر ، فقال له المنصور : أبيت الانصرة الاعاجم ، وأمر بهدمه ، فهدم منه ثلثة^(٢) ، وحمل آجره الى بغداد ، فنظر ، فاذا كل آجرة تقوم عليه بلرهم ، فأضرب عن هدمه .

فقال له خالد : أما الآن فينبغي أن تهدمه ، لئلا يقال : أنه لم يسعه ان يهدم ما وسع الاكاسرة بناءه ، فضاقت نفسه عن النفقة فتركه ؟ وقالوا : ان ايوان كسرى يحتاج في هدمه من النفقة الى مثل ما احتاج اليه في بنائه ، وهذا معلوم فيما سواه من الابنية ، الا ما يقال في هرمى مصر .

(١) الآجر جمع آجرة وهو الطين المشوى الذى يستعمل فى البناء .

(٢) الثلثة الخلل والمراد مكان الخلل .

أول من سمى وزيرا أحمد بن سليمان الخلال

وزر لابي العباس السفاح ، وسمى خللا لانه كان يجلس عند الخلاين ، كما سمى واصل بن عطاء الغزال ، وما باع غزلا قط ، وانما كان يجلس فى بعض حوانيت الغزالين ، ومثل هذا كثير .

وقد وزر احمد لابي العباس السفاح ستة اشهر ، وقيل أربعة أشهر ، ثم قتل ، وكان حسن البيان ، قال يوما لابي العباس وقد هم بالعفو عن جماعة من بنى أمية : العفو مقرب من الله ومباعد من النار اذا قصد طريقه ، وأصيب به أهله ، فأما هؤلاء الذين تضمر قلوبهم غدرا ، ويورى رمادهم جمرا لم تقل ضغائنهم ،^(١) ولا فنيت بوائقهم ،^(٢) فالقتل لهم أشفى والراحة منهم أعفى ، فقتلهم أبو العباس .

وكان توقيعه ، آمنت بالله وحده . فخرج لابي اللفائف صلة من أبى العباس ، وتأخر توقيع أبى سلمة فيها فأنشده :

قُلْ لِلْوَزِيرِ أَرَأَهُ الْإِلَٰهَ فِي الْحَقِّ رُشْدَهُ
الْبَازِلِ التَّصْنِجِ طَوْعًا لِّأَلِ أَحْمَدَ جُهْدَهُ^(٣)
يَا وَاحِدَ النَّاسِ وَقَّعَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ

فوقع فيه ، وأجازه بأربعمائة درهم من ماله .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عمرو بن تركى عن الوليد بن هشام عن القحدمى قال : بلغت أبا سلمة فوارض من أبى العباس ، فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ! ان أمية بن الأسكر وقف على ابن عم له فأنشده .

(١) ضغائنهم أحقادهم .

(٢) بوائقهم مهلكاتهم .

(٣) فى نسخة دار الحديث زيادة البيت الآتى بعد البيت الثانى :

أطلت جبس كتابى وختمته ثم رده

نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
 رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
 فَإِنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَنِي هَلْ وَجَدْتَنِي
 أَعَيْنُكَ فِي الْجُلِيِّ ، وَأَكْفِيكَ جَانِبِي
 وَإِنْ مَعَشَرَ دَبَّتْ إِلَيْكَ عَدَاوَةٌ
 عَقَارِيهِمْ دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِي

قال : اللهم نعم . قال : فما بال سيرك الى دسيسا ؟ قال : لا تنكرني
 والله بعدها ! ومن ضمن بالعلق النفيس أشفق من تلونه .^(١) والله ما سار فكرى الى
 مجازاتك عن ابلاتك عندنا الا رجع حسيرا عن بلوغ استحقاقك فقال أبو
 سلمة : كذا الظن بأمر المؤمنين ، والأمل فيه والمرجو عنده ، ودنا فقبل يده ،
 وكان قتله بعد ذلك بأسبوع .

كتب أبو العباس الى أبي مسلم : ان أبا سلمة قد نافق فوجه أبو مسلم
 عزار بن أنس في جماعة ، فلما خرج أبو سلمة من عند أبي العباس ليلا ، وثبوا
 عليه وأحكموا ، ثم ضربوه فقتلوه ، فقال الناس : قتله الخوارج ، فقال سليمان
 بن المهاجر :

إِنَّ الْمَسَاءَةَ قَدْ تَسُرُّ وَرَبَّمَا كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا
 إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْذَى فَمَنْ يَشْتَاكُ^(٢) كَانَ وَزِيرًا

أول من افتتح المكاتبه في تهنئة النيروز والمهرجان
 أحمد بن يوسف الكاتب

أهدى الى المأمون سفط^(٣) ذهب ، فيه قطعة عود هندي في طوله

(١) العلق النفيس من كل شيء لعلق القلب به . وأشفق خاف والمعنى ان الذي يعرف قيمة الشيء النفيس
 الغالي يخشى عليه مما يذهب قيمته .

(٢) يشتوك يفضلك مع عداوة وسوء خلق .

(٣) السفط وعاء كالقفة يعبأ فيه الطيب وما شابهه من أدوات الزينة للنساء .

وعرضه ، وكتب معها : هذا يوم جرت فيه العادة بالطف العيد والسعادة ، وقد قلت :

عَلَى الْعَبْدِ حَقٌّ فَهُوَ لَا بَدَّ فَاعِلُهُ
وَإِنْ عَظُمَ الْمَوْلَى وَجَلَّتْ فَضَائِلُهُ
أَلَمْ تَرْنَا نُهْدَى إِلَى اللَّهِ مَا لَهُ
وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غَيٍّ فَهُوَ قَابِلُهُ
وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ
لَقَصَّرَ عَلَى الْبَحْرِ عَنْهُ وَنَاهِلُهُ^(١)
وَلَكِنَّا نُهْدَى إِلَى مَنْ نُجِلُّهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِنَا مَا يُشَاكِلُهُ

يقول سعيد بن حميد : على مثل هذا المنظوم والمنثور ، فكتب الى أبي صالح بن يزداد ، وكان خلفه على ديوان الرسائل : النفس لك ، والمال منك ، والرجاء موقوف عليك ، والأمل مصروف اليك ، فما عسانا ان نهدي لك في هذا اليوم ، وهو يوم قد شملت فيه عادة الانبعا الاولياء باهدائهم السادة العظماء ، وكرهنا أن نخليه من سنة ، فنكون من المقصرين ، او ندعى أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين ، فاقصرنا على هدية تقضى بعض الحق ، وتقوم عندك مقام أجمل البر ، وجمعنا فيها ما تحب من الرفق بنا وسلوك طريق أوليتنا ، وهو الشاء الجميل ، والدعاء الحسن فقلت :

لا زلت أيها السيد الكريم — دائم السرور والغبطة — في أتم العافية ، وأعلى منازل الكرامة ، تمر بك الاعياد الصالحة ، والايام المفرحة ، فتخلقها وأنت جديد .

قال أحمد بن طاهر : أخذ صدر هذا الكلام من المعلى ابن أبي أيوب

(١) العلل الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الاول والمراد لو كانت الهدايا على قدر المهدي اليه لما وفي البحر بحقك مهما أخذنا منه أولا وثانيا .

للمعتصم ، — وقد طلب منه مالا ليضمن لأمير المؤمنين — والمال منه ، وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد منا غضاضة^(١) وباقية من كلام أحمد بن يوسف وغيره ، حتى لو ألحق كل كلام بصاحبه لعري منه سعيد ، فلم يكن له الا بالثقة .

أول من وزر لثلاثة من ولد العباس محمد بن عبد الملك الزيات

وزر للمعتصم والواثق والمتوكل ، وكان سبب وزارته ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن الطيب بن محمد الباهلى عن أحمد بن سعيد بن مسلم قال : ورد كتاب من الجبل على المعتصم ، يوصف فيه خصب السنة وكثرة الكلا ، فقال لأحمد بن عمارة : ما الكلا ؟ فلم يعرفه فدعا محمد بن عبد الملك فسأله عنه فقال : ما رطب من النبات فاذا جف فهو حشيش ، ويسمى أول ما نبت الرطب والبقل ، فقال لأحمد : أنت انظر فى الامور والدواوين والأعمال ، وهذا يعرض عليه ، فعرض عليه أياما ، ثم استوزره ، وعزل أحمد .

وكان محمد قبل ذلك يلى أمور المطبخ والفرش وكان كثير الادب جيد الشعر ، فمن شعره فى جاريته شكرانه أم ابنه عمرو — وقد ماتت — وهو أجود شعر علمته فى معناه .

ثَقُولَ لِي الْخِلَانُ لَوْ زُرْتُ قَبْرَهَا
فَقُلْتُ : وَهَلْ غَيَّرَ الْقَوَادِ لَهَا قَبْرُ ؟
عَلَى حِينٍ لَمْ أَحْدِثْ فَأَجْهَلَ قَدْرَهَا
وَلَمْ أَبْلُغِ السَّنَ الَّتِي مَعَهَا الصَّبْرُ

وكان أبوه زياتا الا أنه كان كثير المال .

(١) الغضاضة الذلة والمنقصة .

وأما أحمد بن عمارة فكان أبوه طحانا من أهل المدائن ، أتى البصرة فاتخذ بها ضياعا فكثرت ماله .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن احمد بن محمد بن محمد بن اسحاق عن محمد بن على كاتب على بن صالح الثعلبى قال : جلس أحمد بن عمارة للمظالم أيام وزارته ، فتقدم اليه رجل فقال : ان كاتب عجيف وجه غلمانته فهبوا منزلى ، وأخذوا منه قيمة ثلاثين ألف دينار ، فأنكر كاتب عجيف ذلك ، وقال : من أين كان لك هذا المال ؟ قال : أنى أقيم البينة على صحة ما أقول ، فقال أحمد : لعمري ان هذا مال جليل ، ولكل شىء دليل ، فمن أبوك حتى نستدل على صحة قولك ؟ قال : كان أنى طحانا من أهل المذار ، انتقل الى البصرة ، فاتخذ بها ضياعا ، ففتح الله عليه ، وعلى من بعده ، حتى ملكت هذا المال ، وأكثر منه ، فتغامر أهل المجلس ، فقال : ما علينا من أيك هات بينتك ، فقال الرجل : نعم ، كان عمى زياتا كثير المال ، ولا ولد له فمات ، فورثته ، فبلغ الخبر المعتصم ، فضحك وأمر أن ينصف من كاتب عجيف ، وتحدث الناس بما كان من أمر الرجل ، وعجبوا من جدله وفطنته .

وكان عبد الملك الزيات يلوم ابنه محمدا على شغله بالادب وتركه للتجارة ، فقال له يوما : ما أرى ما أنت فيه ينفعك ، فقال : لتعلمن أنه ينفعنى ، وخرج الى الحسن بن سهل ، فمدحه بقصيدة أولها :

كَأَنَّهَا حِينَ تَنَاءَى خَطُوهَا أَخْنَسُ مَوْشَى الشَّوَى يَرْغَى الْقُلْلَ^(١)

فأعطاه عشرة آلاف درهم فقال له أبوه : لا ألومك بعدها على شغلك بالادب .

وأخذ عليه فى هذا البيت مأخذان : أحدهما قوله : كأنها حين تناءى خطوها ، فابتدأ بمضمر ووصف شيئا لم يذكره ، والآخر قوله : أخنس موشى

(١) الاخنس : الثور ، والشوى البدان والرجلان ، والقلى : قمم الجبال .

الشوى يرعى القلل ، ذكر أن الثور يرعى قمم الجبال ، وهذا خطأ فاحش ، وإنما الثور يرعى فى السهل ، والاولعـال تكون فى رؤس الجبال ، وله فى الأول حجة ، وليس له فى هذا حجة . وقال فى هذه القصيدة :

إلى الوزير الحسن استجلبتها
أى مناح ومراج ومحل
سيف أمير المؤمنين المنتضى^(١)
وحصن ذى الريـاستين المعتقل
أنتم يد الملك الذى صال بها
خليفة الله على حين وهل^(٢)
وهضبة الدين وأنصار الهدى
وعصمة الحق وفرسان الثقل
فأين لا أين وأئى مثلكم
وأنتم الأملاك والناس حول^(٣)

فدخل يوما الحسن بن سهل على الواثق ومحمد وزيره ، والواثق عليل فجعل الحسن يصف له العلل والاعذية ، فقال محمد : إني لك يا أبا محمد الطب ؟ قال : قد خدمنا من كل علم رؤساء أهله . فقال محمد : متى كان ذاك ؟ — واراد الوضع منه — فقال الحسن : كان ذلك أيام .

فأين لا أين وأئى مثلكم وأنتم الأملاك والناس حول

فانخزل محمد وخجل ، ولم يرد جوابا .

ومن جيد شعر محمد قوله :

(١) المنتضى المسلول .

(٢) الوهل الضعف والفرع .

(٣) الخول جمع خولى وهم العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية ، ويستعمل بلفظ واحد للجميع وقد يقال للواحد خائل .

مَا زَالَ يَقْصُرُ كُلُّ حُسْنٍ دُونَهُ حَتَّى تَطَاوَلَ عَنْ صِفَاتِ النَّاعَةِ

وقوله :

كَأَنَّ مَجَالَ الطَّرْفِ مِنْ كُلِّ نَاطِرٍ عَلَى حَرَكَاتِ الْعَاشِقِينَ رَقِيبٌ

ومثل خبره هذا مع الحسن بن سهل خبره مع اسحاق ابن الجنيد . قال
لاسحاق : يا لوطى ! فقال اسحاق : انما حقق على اللواط عندك قولى

قَبْلَ اللَّزْمِ وَالْعَذْلِ وَتَخْلَى عَنِ الْعَزْلِ

فاستحيى محمد وخجل .

وهذا الشعر لـ محمد ويصف فيه الغلمان ومنه :

وَأَرَى الْبَيْضَ قَدْ قَطَعْنَ مِنَ الْحَبْلِ مَا وَصَلَ
فَأَبْتَغِ وَصَلَ كُلِّ ذِي هَيْفٍ مُشْرِفِ الْكَفْلِ^(١)
لَا يُبَالِي مَنْ شَابَ مِنْ عَاشِقِيهِ أَوْ اكْتَهَلَ
كُلَّمَا قُلْتُ سَيِّدِي جَدَّدِ الْوَصَلَ قَدْ فَعَلَ

وبعد هذا أبيات سخيصة تركها لسخفها .

وكان محمد يقول : مارحمت شيئا قط ، وانما الرحمة خور في الطبيعة ،
وضعف في البنية ،^(٢) ومت^(٣) اليه رجل بجوار كان بينه وبين آبائه فقال : وما
الجوار ؟ انما الجوار قرابة بين الحيطان .

فلما أراد المتوكل قتله أحضر تنورا حديدا — كان محمد اتخذده ليعذب فيه
ابن اسباط المصرى — فأجلس فيه فقال : ارحموني يا هؤلاء ، قالوا : هل الرحمة
إلا خور في الطبيعة ، وضعف في البنية ؟ أجرينا فيك حكمك في الناس .

(١) الهيف : ضمور البطن يقال غلام أهيف وفناة هيفاء ، مشرف : عال ، الكفل : المعجز .

(٢) فى مختار الأغاني ج ١١ ص ٧٢ (وضعف فى المُنَّة) والمنة القوة .

(٣) مت إليه وصل إلى وتوصل .

فأجلس فيه الى أن مات بعد ثلاث فدفن فلم يعمق قبره ، فنيشته الكلاب
فأكلته .

وكان الجاحظ منقطعا اليه ، فخاف ان يؤخذ مع أسبابه ، فلم يتعرضوا له
لعلمه ، وتقدمه .



الباب السابع

فى ذكر القضاة والعلماء والأدباء
والقصاص وأصحاب المذاهب
ومصنفى الكتب .

أول قاض فى الإسلام عمر بن الخطاب

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد قال أيوب بن محمد الرقي عن أبي المعافى عن مسعر عن محارب ابن دينار قال : لما ولى أبو بكر قال : أعينوني ، فولى عمر القضاء ، وأبا عبيدة بيت المال ، فمكث عمر سنة لا يأتيه أحد فى قضية ، وهذا خلاف ما روى أن أبا بكر لم يتخذ بيت مال ، قال : وأول من اتخذ عمر .

أول قاض بالمدينة عبد الله بن نوفل

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : حدث مصعب بن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن أبيه قال : أول قاض بالمدينة عبد الله بن نوفل ، استقضاه مروان ، وكان أول ما قضى به حقا على آل مروان ، فزاده ذلك عند مروان خيرا .

أول قاض بالكوفة جبير بن القشعم

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : أول من قضى بين أهل الكوفة جبير بن القشعم بالقادسية ، ثم قضى بينهم سليمان بن ربيعة .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن الحسن ابن عثمان عن أبي زيادة عن الحجاج عن القاسم ابن عبد الرحمن قال : ضرب رجل دابة فنفتحت^(١) رجلا فقطعت أذنه ، فاختصموا الى سليمان بن ربيعة ، وهو على

(١) نفتحت رجلا ضربته بحد حافرها .

القضاء بالقادسية ، فقضى أن الضمان على الراكب فبلغ ذلك ابن مسعود فقال :
الضمان على الضارب لانه انما أصابته النفحة من ضربته .

وقالوا : أول من قضى بين أهل الكوفة أبو قرة الكندى .

أول قاض بالبصرة أبو مريم الحنفى

واسمه أياس بن صبيح بن محرس .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن الحسن ابن عثمان عن
أبي عبيدة قال : أول من قضى بين أهل البصرة أبو مريم الحنفى لعتبة بن غزوان ،
عند قتلومه البصرة سنة أربع عشرة ، فلم يزل قاضيا حتى مات عتبة فى سنة
خمس عشرة ، وولى المغيرة بن شعبة فأقره ، حتى عزل ، فلم يقض بعده الا
يسيرا ، حتى شكى الى عمر ضعفه فعزله .

وكان أبو مريم قتل زيد بن الخطاب أخا عمر ، وكان لعمر شدة عليه .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي عاصم عن أبي عون
عن محمد قال : خرج عمر من الخلاء وهو يذكر شيئا من القرآن ، فقال له أبو
مريم : انك خرجت من الخلاء ، قال عمر : أمن فتيا مسيلمة هذا ؟^(١)

وكانوا يقولون ان فى عمر شدة عليه لانه قتل أخاه زيدا يوم اليمامة ، فلما
كان بعد جعل يقول : ان الله أكرم زيدا ييدى ، ولم يهنى ييده ،^(٢) قال له
عمر : أقتلته ؟ لأحبك حتى تحب الارض الدم ، قال : او يمنعنى ذلك حقى
عندك ؟ قال : لا . قال : لاضير اذا^(٣) وقالوا أول من قضى بالبصرة لعمر سليمان
ابن ربيعة وقتل بلنجر من أرض الترك . فى خلافة عثمان (رضى الله عنه)
وعظامه عند أهلها يستسقون بها .

(١) لان أبا مريم كان من أنصار مسيلمة .

(٢) لان زيدا (رضى الله عنه) قتل شهيدا ولو قتل أبو مريم لمات على الكفر حيثذ .

(٣) لاضير اذا لاضرر .

قال ابن حمانة :

وَأَنَا لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرًا بِلَنْجَرٍ
وَقَبْرًا بِأَعْلَى الصَّيْنِ يَالِكَ مِنْ قَبْرِ
فَهَذَا الَّذِي بِالصَّيْنِ عَمَتْ قُتُوحُهُ
وَهَذَا الَّذِي بِالتُّرْكِ يُسْقَى بِهِ الْقَطَرُ

أراد بالذى فى الصين قبر قتيبة بن مسلم ، قيل بفرغانه^(١) فجعله فى
الصين .

وقالوا : أول من قضى بالبصرة كعب بن سور ؟

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري قال : حدثنا الحسن بن عثمان عن
اسماعيل بن ابراهيم عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي ان كعب بن سور
كان جالسا عند عمر ، فجاءت امرأة فقالت : ياأمير المؤمنين ! مارأيت رجلا
قط أفضل من زوجي ، انه يبيت ليله قائما ، ويظل نهاره صائما فى اليوم الحار
ومايفطر ، فاستغفر الله لها ، وأثنى عليها ، وقال : مثلك أثنى الخير ، فاستحيت
المرأة وقامت راجعة .

فقال كعب : ياأمير المؤمنين ! هلا أعديت^(٢) المرأة على زوجها إذ
جاءتك تستعديك ؟ قال : أوداك أرادت ؟ قال : نعم . قال : ردوا على المرأة ،
فردت ، فقال : لا بأس بالحق أن تقولي ، هذا زعم انما جئت تشكين زوجك أنه
تجنب فراشك ، قالت : أجل ، أى امرأة لا تبتغى مايبتغى النساء ؟

فأرسل إلى زوجها فجاء فقال لكعب : اقض بينهما ، قال أمير المؤمنين
أحق بالقضاء بينهما ، قال : انك فهمت من أمرها ما لم أفهم ، قال : فانى أرى
كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هذه رابعتهن ، فأقضى له ثلاثة أيام ولياليهن يتعبد

(١) فرغانة فى معجم البلدان فرغان بلون هاء قال وهى من قرى مرو .

(٢) أعديت المرأة على زوجها نصرتها عليه .

فيهن ، ولها يوم وليلة ، فقال عمر — رضى الله عنه — والله مارأيك الاول أعجب^(١) الى من الآخر ! اذهب فأنت قاض على البصرة ، فقتل يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنها .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد ، وذكر عبيدة ولم يسنده : أن صاحب عين هجر^(٢) أتى عمر وعنده كعب بن سور فقال : ياأمير المؤمنين ! ان لي عينا فاجعل لي خراج ماتسقى ، فقال : هولك ، فقال كعب : ياأمير المؤمنين ! ليس ذلك له ، قال : ولم ؟ قال : لانه يفيض ماء عن أرضه فيسيح في أرض الناس ، ولو حبس ماؤه في أرضه لغرقت ، فلم ينتفع بمائه ولا بأرضه ، فمره فليحبس ماءه ان كان صادقا ، قال عمر : أتستطيع أن تحبس ماءك ؟ قال : لا . فكانت هذه لكعب مع الأولى وبمثل هذه القصة استقصى عمر شريحا على الكوفة .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي يزيد عن الحسن ابن عثمان عن اسماعيل بن ابراهيم عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي : ان عمر اشترى من رجل فرسا أن رضيه فحمل عليه رجلا فغيب الفرس ، فجاء به صاحبه ، فقال : لا أقبله ، دفعته اليك صحيحا وتدفعه الى كسير ؛ فقال عمر : اجعل بيني وبينك شريحا ، قال : لا أعرفه ، ثم أتاه فقص عليه القصة ، فقال : ان كنت حملت عليه بأمره فاردده عليه ، والا فقد ضمنته حتى تدفعه اليه كما دفعه اليك ، فقال عمر : ماله حق الا هذا ، اذهب فأنت قاض على الكوفة ، هذا معنى الحديث . وقال له حين استقضاه : لا تشار ولا تضار ، ولا تشتري ولا تباع ، ولا ترتش ، فقال عمرو بن العاص : ياأمير المؤمنين ! ان القضاة اذا توخوا عدلا ،

(١) أعجب الى أحب الى .

(٢) هي قاعدة البحرين وسميت باسم هجر بنت المكفف وكانت تجلب القلال منها الى المدينة .

وزحزحوا بالعلم عنهم جهلا ، كانوا كغيث قد أصاب محلا .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبى زيد عن أحمد بن معاوية عن ابن الكلبي عن الشرقى قال : كانت عند شريح امرأة قد ولدت له ، وله وصيفة يحبها ، فانصرف فى يوم حار فوجد امرأته نائمة ، فأمر الوصيفة فصارت الى بيت فخلعت قرقلها^(١) ، وخلع قميصه ، ودنا منها ، وانتبهت المرأة فاقتفت أثره ، وأحس بها فذهب عقله ، فلبس القرقل ، وليست الجارية القميص ، وأكب على البساط يشير ، فقالت ، ماتصنع ؟ قال : زعمت الجارية ان طوله كذا ، وزعمت أنه كذا ، قالت : فقرقلها : عليك ، قال : من هذا أعجب أنا أيضا ، فذهبت تلومه ، فقال : هى حرة .

وبعضهم ذهب الى ان عمر لم يكن ليولى شريحا الكوفة وفيها المهاجرون والانصار ، وليست له صحبة . وقيل ان شريحا قضى سبعا وخمسين سنة — الى فتنة ابن الزبير — وتوفى فى سنة ثمانين ، وهو ابن مائة وثمانين سنين .

أول قاض جار فى القضاء بلال بن أبى بردة

أخبرنا أبو أحمد باسناده أن رجلا قدم الى بلال رجلا فى دين له عليه ، فأقر الرجل به ، — وكان بلال يعنى بالرجل — فقال المدعى : يعطينى حقى أو تحبسه باقراره ، قال القاضى : انه مفلس ، قال : لم يذكر افلاسه ، قال : وما حاجته الى ذكره ، وأنا عارف به ؟ فان شئت أحبسه فالتزم نفقة عياله ، قال : فانصرف الرجل وترك خصمه وكان بلال معروفا بالجور .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبى زيد عن محمد بن أيوب عن عقيل عن أبى عمرو الضرير قال : أمر بلال داود بن هند أن يحضره عند تقدم الخصوم اليه ، فان حكم بخطأ رمى بحصاة فيرجع بلال قال : فتقدم اليه مولى له ينازع

(١) قرقلها القرقل قميص أو ثوب لا كم له .

رجلا ، فحكم لمولاه ظلما ، فرمى داود بحصاة فلم يرجع ، ثم بأخرى فقال له بلال : ليس هذا مما يرمى له الحصاة ، هذا مولاي .

وكان بخيلا على الطعام ، أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن علي عن محمد قال : كان أبو موسى استرضع لابنه أبي برده في بني فقيم في آل العرق فلما قدم بلال البصرة قيل له : لو وليت أبا العجوز ابن أبي شيخ بن العرق ، قال : اني رأيت منه خللا ثلاثا رأيتُه يحتجم في بيوت اخوانه ، ورأيتُه جالسا في الظل وعليه مظلة ، ورأيتُه يتأذن بنص القيلة ،^(١) قال : وكان أصابه داء فوصف له السمن يجلس فيه ، فكان يجلس فيه ، ثم يأمر ببيعه ، قال : فترك أهل البصرة أكل السمن ، وكان يحيى بن نوفل يمدحه ، ثم بدا له فجعل يهجوهُ ، فمما قاله يمدحه فيه قوله :

وَكُلُّ زَمَانٍ الْفَتَى قَدْ لَبِسْتُ
خَيْرًا وَشَرًّا وَعِلْمًا وَمَالًا
فَمَا الْفَقْرُ كُنْتُ لَهُ ضَارِعًا
وَلَا أَلْمَالُ أَظْهَرُ مِنْهُ اخْتِيَالًا
وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ شَرْقَ الْبِلَادِ
وَمَغْرِبَهَا وَبَلَوْتُ الرَّجَالَ
وَزَزْتُ الْمُلُوكَ وَأَهْلَ النَّدَى
أَتَوُّلُ إِلَى ظِلِّهِمْ حَيْثُ مَالًا^(٢)
وَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِّحًا لِلنَّوَالِ
فَتَى لَأَمْتَدِّحْتُ عَلَيْهِ بِلَالًا

(١) يتأذن يقسم ، والقيلة الناقة التي تحلب وسط النهار ونص القيلة حثها على السير والمعنى أنه كان يحلف بسير الناقة السريع .

(٢) في نسخة دار الحديث .

أزول الى ظلهم حيث زالا

وَلَكِنِّي لَسْتُ مِنْ يُرِيدُ
بِمَدْحِ الْمُلُوكِ لَدَيْهِمْ . سَوَالاً

ومما هجاه به على روى هذه القصيدة ووزنها قوله :

وَأَمَّا بِلَالٌ فَبِنْسِ الْبِلَالِ
أَرَانِي بِهِ اللَّهُ ذَا عَضَالٍ
وَأَمَّا بِلَالٌ فَذَاكَ الَّذِي
يَمِيلُ بِهِ الشَّرْبُ حَيْثُ اسْتَمَالاً^(١)
فَيَصْنَحُ مُضْطَرِباً نَاعِساً
تُخَالُ مِنَ السُّكْرِ فِيهِ اخْوَالاً
وَيَمْشِي بِزَيْفٍ كَمْشَى التَّزْيِيفِ
كَأَنَّ بِهِ حِينَ يَمْشِي شِكَالاً^(٢)
وقال :

أَقُولُ لِمَنْ يُسَائِلُ عَنْ بِلَالٍ
وَعَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ ثَنَا الرِّجَالِ
بِلَالٌ كَانَ الْأُمُّ مَنْ رَأَيْتَا
وَعَبْدُ اللَّهِ الْأُمُّ مِنْ بِلَالٍ
هُمَا أَحْوَانِ أَمَّاذَا فَجَوْنُ
وَأَمَّاذَا فَأَصْهَبُ ذُو سِبَالٍ^(٣)

(١) في نهاية الأرب ج ٤ ، ص ٩٣ ، ط دار الكتب المصرية : يميل الشراب به حيث مالا وزاد بعد

ذلك : بيت يمس عتيق الشراب كمص الوليد يخاف الفصلا

(٢) الزيف التبخر في المشي ، والتزيف الذي سال دمه كثيرا حتى ضعف كأنه من شدة ضعفه يتبختر في

مشيته ، والشكال حبل تشد به قوائم الدابة والمراد القيد وفي المرجع السابق :

ويمشي ضعيفا كمشي التزيف تخال به حين يمشي شكالا

وفسر في الهامش التزيف بالذي ذهب عقله .

(٣) الجون الاسود ، والأصهب من في يياضه حمرة والسبال الشعر الذي ينبت على الشارب .

فَجَزَّئُهُمَا يُشْبَهُ نَسْلَ حَامٍ
وَأَصْنَهُهُمْ يُشْبَهُ بِالْمَوَالِي^(١)
وَكَانَ أَبُوهُمَا فِيمَنْ رَأَيْنَا
أَسِيلَ الْوَجْهِ مُكْتَسَى الْجَمَالِ^(٢)
فَقَدْ فَضَحَا أَبَا مُوسَى وَشَالَا
بَيْنَهُمَا بِالتَّهَوُّرِ وَالضَّلَالِ

وكان بلال محتالا خبيثا . أخبرنا أبو احمد عن الجوهرى عن أبى زيد
قال : ولى يوسف بن عمر صالح بن كريز او كروم على العنب فبقى عليه
ثلاثون ألفا ، فحبس بها ، وبلال محبوب فقال له بلال : ان على العذاب
سالما ، ويلقب بزنييل ، فياىك أن تقوله : وجعل يكرر زنييل حتى علقها ، فعذبه
سالم ، فنسى اسمه وكنيته ، وجعل يقول : اتق الله يازنييل ! فيقول : أقبل ، فلما
خلى سبيله قال له : ألم أنهك عن زنييل ؟ فقال : وهل القانى فى الزنييل غيرك ؟
أنا لم أعرف مازنييل لولاك ، وما تدع شرك فى سراء ولا ضراء .

وكان بلال يقول : ربما تقدم الى الخصمان ، فأجد أحدهما أخف على
قلبي من الآخر فأحكم له .

أول ما ظهرت الخارجية حين حكم الحكمان

أخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال : التقى
على — عليه السلام — ومعاوية بصفين فى ذى الحجة سنة سبع وثلاثين ، وقيل
فى محرم^(٣) ، وعلى فى مائة ألف ، وقيل سبعين ألفا ، ومعاوية فى سبعين ألفا
من أهل الشام ، فقتل من الفريقين سبعون ألفاً ، خمسة وأربعون ألفاً من أهل

(١) حام هو ابن نوح عليه السلام وجاء فى سمط النجوم العوالى ج ١ ص ١٠٨ أنه أبو سكان السواحل من
أفريقيا .

(٢) أسيل الوجه طويله مع لين فيه واستواء .

(٣) فى سمط النجوم ج ٢ ص ٤٤٨ (فكانت وقعة صفين لسبع بقين من المحرم من سنة سبع وثلاثين) .

الشام ، وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق .

فلما كان اليوم الثالث اقتتلوا نهارا ، ووصلوه بليتهم ، وهى ليلة الهرير ، فقال معاوية لعمره لئن أصبح الناس على ما هم عليه انه لفناء العرب ، أو ظهور ابن أبى طالب ، فهل من رأى ؟ قال : نعم . تأمر اذا أصبحت برفع المصاحف ، بيننا وبينكم كتاب الله .

وقيل : ان معاوية هو الذى استخرج هذا رأى وقال : والله لا رمينهم غدا فليعلقه برأى لم يشهد ابن أمه ،^(١) فلما أصبح نادى من كان عنده مصحف فليعلقه فى رمحه او عنق دابته ، فأصبحوا وقد علقوا مائتى مصحف^(٢) بالرماح وأعناق الخيل ، وأمر ابن لهيعة ، او ابن لينة ، فأوفى على شرف ، ونادى : يا أهل العراق اذا قتلنا وقتلتم فممن يدفع الترك والروم عن حريمنا وحريمكم ؟ بيننا وبينكم كتاب الله ، فقال أهل العراق أجبننا ، وأمسكوا عن القتال ، فلم يقاتل أحد إلا الأشر ، وقال على للناس : أمضوا على أمركم ، فانما رفعوا المصاحف ضجرا من الحرب ، وان عمرا ومعاوية والضحاك وابن أبى سرح ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، قد عرفتهم صغارا وكبارا فلم أعرفهم بخير .

قالوا : لا يحل لنا قتالهم وقد دعونا الى كتاب الله ، لنجيبهم أو لننايذك^(٣) قالوا : وبعث الى الاشر فكفه عن القتال ، فلما رجع الاشر قال لهم : شامت الوجوه ، أحين علوتم ظفرا ، وظنوا أنكم قاهرون ، رفعوا المصاحف وهنا وضجرا ، فرهبتم كتاب الله يريلونه وقد تركوا سنة من أنزل عليه ؟ أخبروني ، متى كنتم محقين ؟ أحين تقاتلون من حين أمسكتكم ؟ فقتلكم الذين لا تشكون فى فضلهم عليكم إذا فى النار ؟ والله لكنتم خدعتم فانخدعتم يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا ، وشوقا

(١) لم يشهد ابن أمه المراد ليس له نظير حيث لم يوجد له أخ يراه .

(٢) فى سبط النجوم ج ٢ ص ٤٥٠ « فوجد فى العسكر أكثر من خمسمائة مصحف » .

(٣) نايكة فارقة وخالفه عن عداوة .

الى لقاء الله ، فلا أراكم تفرون الا الى الدنيا من الموت ، ما أنتم براملين ، بعد .
هذا اليوم غدا ، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فأتى الاشعث بن قيس معاوية فقال : ماأردت برفع المصاحف ؟ قال :
أردت أن نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله ، فتبعثون رجلا منكم ، ونبعث رجلا
منا ، فيختارا لهذا الامر رجلا تصلح عليه الامة ، قال : أنصفت ، فرجع وأخبر
الناس بقوله ، فاختلفوا ، فكان رأى الجمهور ، وقد أنكره آخرون وهم
عبادهم ، وأهل البصائر منهم ، وأرادوا معاودة الحرب ، فأبى الناس وفارقوا
عليها ، وهم أربعة آلاف ، وأراد الباقيون عليا للتحكيم ، فقال : أحكم ابن
عباس ، فقال : الاشتر أو الإخنف ، فأبى أصحابه ، وقالوا : ان لم تحكم أبا
موسى لم نرم معك بسهم ، فحكمه على كره منه له وللتحكيم .

وحكم معاوية عمرو بن العاص ، فكتبوا بينهم كتابا فى ذلك ، ورجع
على — رضى الله عنه — الى الكوفة ، فأقام والناس مختلفون ، منهم من يرى
التحكيم خطأ ، ومنهم من يراه صوابا ، ومعاوية بدمشق لاينكر عليه أحد شيئا
ثم اجتمع الحكماء ،^(١) فخلع أبو موسى عليا — عليه السلام — وأقر عمرو
معاوية ، فقال الذين فارقوا عليا وأنكروا التحكيم^(٢) قالوا لعلى : حكمت فى دين
الله فنب ، فقال : ما أذنبت فأتوب ، وانما غلبنى الناس ، فأتيت مأتيت من ذلك
كرها ، ولو أردت الحرب لكان أصحابي أشد على من أهل الشام ، ففارقوه
وقالوا : لاحكم الا الله .

وأول من قالها بصفين عروة بن جديم^(٣) وقيل يزيد بن عاصم

(١) فى سمط النجوم ج ٢ ص ٤٥٦ ان اجتماع الحكمين كان فى دومة الجندل .

(٢) فى سمط النجوم ج ٢ ص ٤٥٤ ان عدد الخارجين ستة آلاف او اثنا عشر ألفا قال : ونزلوا حروراء
من قرى الكوفة وأمروا عليهم شبيب بن ربيع التميمي .

(٣) فى الملل والنحل ج ١ ص ١١٨ وأول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن حدير (وأغلب
الظن أنه هو المسمى هنا ابن جديم) . وفى سمط النجوم ج ٢ ص ٢٥٢ إن أول من قال ذلك عروة بن
أدبة .

المحاربى ، ثم قاتلهم على — عليه السلام — على النهر فهزمهم ،^(١) وكان أميرهم أول ما اعتزلوا ابن الكواء ، ثم بايعوا لعبد الله ابن وهب الراسى ، وكان أحد الخطباء الاجواد ، فقال لهم عند بيعتهم إياه : إياكم والرأى الفطير ، والكلام القصير ، دعوا الرأى يغب ،^(٢) فان غبوه يكشف للمرء عن حقيقته ، وكان يقول : ان ازدحام الجواب مضلة للصواب ، وليس الرأى بالارتجال ، ولا الحزم بالاعتصاب ، فلا تدعونكم السلامة من خطأ موبق ، وغنيمة تليها من غير صواب الى معاودته ،^(٣) والتماس الريح من جهته ، ان الرأى ليس ينتهى ،^(٤) ولا هو ما أعطتك البديهة وانتزاع الخاطر ، وخمير الرأى خير من فطيره ،^(٥) ورب شئ غابه خير من طريه ، وتأخيرته خير من تقديمه وانما ذم الناس البديهة لان الهوى يقابلها ، ومدحوا الفكر لان الرأى استيقظ له ، فإذا كان الرأى هو المشاورة ، فحق لما نتج ان يكون حكمة لاتخطىء ، وصوابا لايفل ، وحقا لا ينازع ، وكان الخوارج يذهبون الى ان كل ذنب صغير أو كبير كفر ، ويرون قتل الجمهور من التابعين .

ثم تأول نافع بن الازرق — وهو الذى نسب اليه الأزارقة — قول الله تعالى ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ تأول هذه الآية على ان قتل الأطفال ، وبقر النساء عن الاجنة حلال ، فلما أظهر ذلك ، فارقه طائفة من أصحابه ثم قتل

(١) فى الملل والنحل ج ١ ص ١٥١ أنهم كانوا اثني عشر ألفا ورأسهم ابن الكواء وهم أهل صلاة وصيام وكان ذلك يوم النهروان .

(٢) غب الرأى أى تأنى فيه ليكشف حقيقته .

(٣) المراد اذا سلمتم من خطأ فلا يدعونكم ذلك الى معاودة الخطأ رجاء السلامة ثانيا .

(٤) هكنا جاءت فى الاصل ولعلها مأخوذة من نهت التى تدل على الصوت فكأنه يقول : ليس الرأى يرفع الصوت .

(٥) خمير الرأى خير من فطيره المراد الرأى الذى يتأنى فيه الانسان حتى يمحصه خير من المبتوت فيه بسرعة .

(٦) جاء فى الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ وبدع الأزارقة ثمانية وعد منها اباحة قتل أطفال المخالفين والنسوان معهم ، والآية التى استدلت بها من سورة نوح رقم (٢٦ ، ٢٧) .

برستقباد^(١) فولى عبد الله بن بشير فانحاز بهم الى دولاب^(٢).

وكان الخوارج أشد الناس جلدا ومصابرة للأقران وكلبا اذا رأوا فرصة ،
فما زالوا يظهرون على كورة كورة ويليههم منهم أمير بعد أمير حتى صار الامر
الى قطرى بن الفجاءة ، ثم اختلفوا عليه وهو بجيرفت^(٣) ، فارتحل بمن معه الى
طبرستان وأقام طائفة منهم مع عبد ربه الصغير بجيرفت ، فصار اليهم
المهلب ، فارتحلوا يريدون سجستان ، واتبعهم فليحقهم فى بعض الطريق بعد
قتال شديد^(٤) ، وأمر فى الناس والنجدة عجيب ، وخرجت طائفة منهم مع
عمرو الصبا ، حتى دخلوا قوس^(٥) ، فبعث اليهم الحجاج سفيان بن الابر
فحاصرهم ، (حتى جعلوا يأكلون خيولهم ، ثم خرجوا اليه بأسيا فهم ،
فقاتلوهم حتى قتلوا)^(٦) والتقى سورة بن الجرد مع قطرى وهو شيخ كبير ،
فوقعت أبهام قطرى فى فم سورة ، فما زال يلوكها حتى أثخنه ، وصاحت
جاريتها ، وأمير المؤمنين ! فعرف أنه قطرى فأقبل باذان مولى الاشاعرة ، فأعان
سورة عليه فقتلاه ، واختلفا فى حمل رأسه ، فقال رجل من الجند : ضع رأسه
على يدي حتى تتفقا ، فوضعه على يده فطار بالرأس الى سفيان بن الابر ،
فأوفده الى الحجاج ، فأعطاه عشرة آلاف درهم (ثم قدم باذان على الحجاج
فصدقه ، وأعطاه أربعة آلاف درهم)^(٧) وأمر لسورة بعشرة آلاف درهم ،
وذلك فى سنة تسع وتسعين ، وروى ان معاوية أول من زعم ان الله يريد أفعال
العباد كلها ، وانه اول من ترك القنوت فى صلاة الغداة .

(١) موضع من أرض دستو ببلاد الفرس .

(٢) دولاب من قرى الرى بينهما وبين الاهواز اثنا عشر ميلا .

(٣) مدينة بكرمان فيها خيرات كثيرة فتحت فى عهد عمر بن الخطاب .

(٤) فى الملل والنحل ج ١ ص ١٢٠ ان الحرب بين الازارقة والملهب دامت تسعة عشر عاما .

(٥) ناحية كبيرة فى نهاية جبال طبرستان على قرى ومزارع كثيرة .

(٦) هذه الفقرة ليست موجودة فى الاصل واثبتها من نسخة دار الحديث .

(٧) هذه العبارة ليست موجودة فى الاصل ونقلتها من نسخة دار الحديث .

أول من أظهر الرفض^(١) ابن سبأ

وذلك أنه أظهر الطعن على السلف ، وبلغ من ذلك مبلغاً أنكره عليه على — عليه السلام — فنفاه من الكوفة ، فلما قتل على رجع إليها ودعا الناس الى مقالته ، فأجابه بعضهم وثبتت الى اليوم .

أول ما اختلف الناس في خلق القرآن أيام أبي حنيفة

فسئل عن ذلك أبو يوسف ، فأبى ان يقول انه مخلوق ، وسئل عنه أبو حنيفة فقال : انه مخلوق ،^(٢) لان من قال ، والقرآن لا أفعل كذا فقد حلف بغير الله ، وكل ما هو غير الله فهو مخلوق ، فأخرجها من طريقته في الفقه ، وأجاب عليها على مذهبه .

أول من زعم أن الله لم يزل متكلماً جهنم بن صفوان

ومما تفرد به فيما ذكره أبو القاسم البلخي قوله : إن الجنة والنار تفتنيان ، وإن الإيمان هو المعرفة فقط دون الاقرار وسائر الطاعات ، وهو من أهل ترمذ — بلدة على شاطئ نهر بلخ — وخرج مع الحارث بن شريح ينتحل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقتل بمرور ، قتله سالم الجوني في آخر ملك بني أمية .

أول من قص في مسجد رسول الله ﷺ تميم الداري

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن محمد بن يحيى عن عبد الله بن مسلم التيمي عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب قال : اول من قص في

(١) الرفض فرقة من الشيعة تقول بغية الامام ورجعته لاهوته كما تقول بالبلاء والتناسخ والحلول والتشبيه . والملل والنحل ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) في سمط النجوم ج ٣ ص ٢١٦ ان القول بخلق القرآن كان سنة ٢١٢ هـ . في خلافة المأمون وامتحان العلماء في القول به كان سنة ٢١٨ هـ . والمعلوم ان الامام أبا حنيفة ولد سنة ٨٠ هـ . وتوفي سنة ١٥٠ هـ . في سجن أبي جعفر المنصور حينما امتنع عن تولي القضاء فكيف يكون أدرك القول بخلق القرآن ؟

مسجد رسول الله ﷺ — تميم الداري ، استأذن عمر أن يذكر بالله فأبى ، ثم استأذن أخرى فأبى ، حتى كان آخر ولايته فأذن له ان يذكر يوم الجمعة ، قبل أن يخرج عمر للصلاة ، فكان عمر يمر به فيشير الى حلقة هذا الذبيح ، ثم توفي عمر . فاستأذن عثمان بن عفان ، فأذن له ان يذكر يومين في الاسبوع ، فكان يفعل ذلك ، وقد روى غير ذلك .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهرى عن أبى زيد عن احمد بن حباب عن عيسى بن يونس عن أبى بكر بن أبى مريم عن حبيب ابن عبيد عن عصيف بن الحارث الثمالى ان عبد الملك بن مروان سأله عن القصص ورفع الايدى على المنابر فقال : انه لمن أمثل ما أحدثتم ، واما أنا فلا أجيبك اليهما ، انى حدثت عن النبى ﷺ — أنه قال « مامن أمة تحدث فى دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة » والتمسك بالسنة أحب الى من إحداث بدعة .

وقالوا : اول من قص قص عبيد بن عمير الليثى بمكة ويقال : أول من قص الأسود بن سريع التميمى صحابى وكان يقول فى قصصه :

فَإِنْ تَنَجُّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَالْأَفَانِيُّ لَا أَخَالَكَ نَاجِيَا

وسمع أبو نواس أن القصص بدعة فسار الى مسجد بعض القصاص ليعبث به ، ومعه أصحاب له ، فجلس وأخرج يده من ذيله ينتف أبظه فقال له القاص — ما هذا موضع ذا ، فصاح به أبو نواس ويلك ! وقال : أترد على وأنا فى سنة وأنت فى بدعة ، فضحكوا منه .

أول من حكم فى ننف اللحية مسروق

ننف كوسج لحية الألحى فرفع الى مسروق فدعا بالميزان فنتف لحية الكوسج ووزنها فنقص عما ننف من لحية الألحى ، فتممه من رأس الكوسج حتى استوى الميزان .

أول من وضع الإعراب أبو الاسود الدؤلى

وهو ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان بن كنانة ، وأمه من بنى عبد الدار .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن حباب بن بشير عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال : أول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلى وجاء به الى زياد بن ابيه — فقال : انى ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم ، وقد تغيرت ألسنتها ، افتأذن لى أن أضع كلاما يقيمون به كلامهم ؟ فقال : لا . فجاء رجل الى زياد : بالبصرة فقال : أصلح الأمير ! توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : توفي أبانا ، وترك بنون ؟ ادعوا أبا الاسود ، فقال ضع للناس الذى نهيتك ان تضعه لهم .

وأخبرنا أبو احمد عن أبي زيد عن أبي حاتم عن محمد بن عباد عن أبيه قال : سمع أبو الاسود رجلا يقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بكسر رسوله فقال : لا يستغنى الا ان أصنع شيئا أصلح به نحو هذا فوضع النحو وأبو الأسود اول من قال بالقدر ،^(١) أو المسلمون كلهم ينتفون من هذا الاسم فبعضهم يقول : ان اسم القدر انما يلحق من يكثر من ذكر القدر . (فلا يفعل فعلا محمودا أو مذموما ولا يأتى عليه حسنة ولا سيئة الا قال : هذا بقدر الله ، وهكذا قدر الله ، وقالوا : يقول أهل اللغة لمن يكثر من ذكر الشيء فى حينه وفى غير حينه)^(٢) مثل من يكثر من ذكر العسل ، انه عسلى أو يكثر من ذكر المساجد انه لمسجدى ، قالوا : فهكذا من يكثر من ذكر القدر انه قدرى ، وسمى قدريا . وقال آخرون : بل القدريه الذين يزعمون أنهم يقدرون أفعالهم وأمورهم وقد فرغ المتكلمون من هذا الباب فتركت الاستقصاء .

(١) فى هامش الملل والنحل ج ١ ص ٤٧ : ذكر بعض المؤرخين ان معبدا الجهنى المتوفى سنة ٨٠ هـ . كان أول من تكلم فى الاسلام بالقدر وذكروا أنه أخذ ذلك عن نصرانى من الاساورة .

(٢) هذه الفقرة التى بين القوسين ليست موجودة فى الاصل واثبتنا من نسخة دار الحديث .

وأبو الاسود أول من نقط المصاحف ، وكان فصيحاً حازماً عاقلاً شاعراً
مجيداً ، وهو أحد البخلاء المذكورين ، وأحد البخر المشهورين .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن احمد بن معاوية عن
الاصمعي خدماً لنا قال : سأل أبو الاسود أعرابياً ، كيف أبوك ؟ قال :
أخذته الحمى ، ففضخته فضخاً ففتحته فتحاً^(١) فطبخته طبخاً فتركته فرخاً ،
قال : فما فعلت امرأته التي عهدتها تهاؤه وتمارؤه وتضاره ؟ قال : طلقها^(٢)
وتزوج غيرها فحظيت ورضيت وبطيت ، قال : وما بطيت ؟ قال : حرف من
العربية لم يبلغك قال الاصمعي : هي مثل رضيت .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد قال : تنازع أبو الاسود
وامرأته في ولد منها الى زياد فقال : أنا أحق به منها حملته قبلها ، ووضعته
قبلها . فقالت : حملته خفاً ، ووضعته شهوة ، وحملته ثقلاً ووضعته كرها ، قال
زياد : صدقت أنت أحق به مالم تزوجى ، أما لو أدركتنا يا أبا الاسود ودونك قوة
لاستعملناك على بعض أمورنا . فقال أللصراع تريدني ؟ وكان مما يدل على
بخله قوله لولده : لاتجاروا الله فانه أجود وأمجد ، ولو شاء ان يوسع على الناس
كلهم حتى لا يكون محتاج فعل ، ولا تجهدوا أنفسكم في التوسع على الناس
فتهلكوا هزلاً .

وقال له بعض الامراء : سمعت أنك شديد على حقلك وأنه لا يذهب لك
شيء على أحد ، فمم ذلك ؟ قال : من سوء ظني بالناس ، ومجانيتي أهل
الافلاس وقيل له : ما كان أظرفك لولا بخل فيك ! فقال : ماخير ظرف لا يحفظ
ما فيه ؟ .

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن موسى ابن اسماعيل عن
عسل بن مضمهر عن سعيد بن يزيد عن بعض أصحابه قال : قال أبو الاسود لمعاوية :

(١) فضخته كسرتة ، فتخته أى أرخت مفاصله .

(٢) تهاؤه تكرهه وتمارؤه تتحين الفرصة للتغلب عليه ، وتضاره تسبب له الضرر .

لو كنت مكان أبى موسى ماصنعت كما صنع ، قال : وما كنت تصنع ؟ قال : كنت أنظر عدة من المهاجرين وعدة من الانصار ، ثم أشهدهم بالله تعالى ، المهاجرون أحق بالخلافة أم الطلقاء ؟ فقال معاوية : أقسمت عليك بالله لاتذكرها أبدا ما عشت ! وباسناد لنا عن سفيان الثورى قال : جاء أبو الاسود الى قومه ومات عريفهم ، وقد أجمع رأيهم ان يعرفوا رجلا فقال : لاتعرفوا فلانا فانه أهوج أحق يأكل طعامكم ، ويتناقل عن حاجاتكم ، ولكن عرفوا فلانا فانه أهوس أهيس ، ملك ملحس ،^(١) ان طمع انتهز وان سأل أرز^(٢) — والاهوس والاهيس الجواد السمح — وسمع أبو الاسود قوما يستشيرون فى تزويج امرأة وخاطبها فقال : زوجوها من عاقل ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها أنصفها .

أول من صنف فى الفقه مالك بن أنس صنف الموطأ

وهو مالك بن أنس بن عامر من حمير ، وعداده فى بنى تميم بن مرة من قریش ، وكان أبوه أنس بن عامر يروى عن عمر وعثمان وطلحة وأبى هريرة ، وحمل مالك ثلاث سنين ، وكان شديد البياض ، أصلع عظيم الهامة ، وكان يأتى المسجد ويقيم صلاته فيه ويقضى حقوق اخوانه فى التهاني والتعازى ثم ترك ذلك فقليل له فيه ، فقال : ليس كل الناس يقدر ان يخبر بعذره ، وكان يكره حلق الشارب ، ويراه مثله ، وسعى به الى جعفر بن سليمان ، وقالوا : انه لا يرى ان يبعثكم هذه شيئا ، فغضب جعفر ، ودعا به فجرده وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى انخلعت كتفه ، فلم يزل بعد ذلك الضرب فى العلو والرفعة ، وكأنما كانت تلك السياط حلما حلما بها ، وبلغ من منزلته فى الناس أن أهل المدينة كانوا يستسقون بقلنسوته ، ومات سنة تسع وسبعين ومائة ، وله خمس وثمانون سنة ودفن بالبقيع .

(١) فى المنجد الاهوس الاهيس الشجاع الكثير الاكل . والملحس الشجاع .

(٢) وان سأل أرز : ثبت ولم ينثن عن عزمه .

أول من صنف الكلام أبو حذيفة واصل بن عطاء

الجاهل

قال أبو عثمان : لم يعرف في الاسلام كتاب كتب على أصناف الملحدين ، وعلى طبقات الخوارج ، وعلى ^(١) غالبية الشيعة والمشايخين في قول الحشوية قبل كتب واصل بن عطاء ، وكل أصل نجده في أيدي العلماء في الكلام والاحكام فانما هو منه ، وهو أول من قال : الحق يعرف من وجوه أربعة : كتاب ناطق ، وخبر مجتمع عليه ، وحجة عقل ، واجماع وأول من علم الناس كيفية مجيء الاخبار وصحتها وفسادها وأول من قال : الخبر خبران ، خاص وعام ، فلو جاز ان يكون العام خاصا ، جاز أن يكون الخاص عاما ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون الكل بعضا والبعض كلا ، والامر خبرا والخبر أمرا ، وأول من قال : إن النسخ يكون في الأمر والنهي دون الاخبار . وأول من سمى معتزليا ، ^(٢) وذلك لمجانبته تقصير المرجئة ^(٣) . وغلو الخوارج ، ^(٤) وكل من نبز ^(٥) بشيء أنف منه ، مثل الرفض والجبر ^(٥) والرافض يسمى نفسه شيعي ، والمجبر يقول : أنا سني ، ولذلك المرجيء يسمى نفسه شاري . والمعتزلي راض باسم الاعتزال غير نافر منه ، ولا كاره له ولا مستبدل به ، لما رضى له سلفه

وكان أبو حذيفة واصل خطيبا راوية قد لقي الناس ، وجالس ابن الحنفية وسمع منه ، واختلف الى الحسن ، وكان طويل الصمت ، وكان يظن به الخرس ، ف قيل لعمر بن عبيد : انه أعلم الناس بالرد على أهل البدع والملحدة

(١) لما ترك مجلس الحسن البصري قال الحسن اعتزلنا واصل .

(٢) المرجئة الذين يؤخرون حكم صاحب الكبرة الى يوم القيامة .

(٣) الخوارج كل من خرج على الامام الذي اتفقت عليه الجماعة .

(٤) نبز بشيء لقب به .

(٥) الجبرية فرقة لانتبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا .

فقال عمرو : لا يأتي هذا العنق بخير ، وكان واصل العنق ،^(١) مضطرب الخلق ، فلما اجتمع عمرو معه وناظره واصل في المنزلة بين المنزلتين^(٢) لزم عمرو الحجة ، فترك مذهبه ، وكان يذهب الى ان الفاسق منافق على قول الحسن ، ورأى عمرو من غزارة علم واصل ونفاذه في وجوه المعرفة ما هاله فقال : أشهد ان الفراسة باطل ، والزكن خطأ^(٣) وكان مع كماله واجتماع خصال الفضل فيه قبيح اللثغة ،^(٤) لم تسمع الرأى من أحد أفحش مخرجاً منه من فيه ، وهو شيء لا يتصور في كتاب ، فما زال يروض نفسه حتى أخرج الرأى من كلامه ، فقال الفضل ابن عيسى الرقاشي :

ان كان قد أعد لكل ما يمتحن فيه على جهة التخلص في غير استكراه ، والتوقى من غير تكلف انه لعجيب ، وخطب هو وشيب بن شيبه ، والفضل بن عيسى الرقاشي عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأتى الفضل ابن عيسى ، وشيب بن شيبه بكل عجيب من اللفظ ، وبديع من المعنى ، ثم خطب واصل فانتظم معانيهما في ألفاظ يسيرة ، ثم افتن فيما لم يخطر لهما على بال ، ولم يسنح^(٥) لهما في وهم فقال شيب : أيها الأمير ! لو قطع كلامه على أول ابتدائه لقليل : هذا ممن نقل اللحن ، ويصيب المفصل ، وأما الآن فهل سمعت للشيخ وحده ؟ فأسنى لهما الجائزة فقبلاها ، وردھا واصل ، فتوهم عبد الله ان يسويه من التفضيل في الجائزة على قدر فضله في البراعة ، فأضعفها له ، فلم يقبلها ، وقال : اجعل جائزتك نبش القبص^(٦) لاهل هذا البلد ، فزاد عجبه من تركه الرأى في الحفر ، وتناوله النبش ليتخلص منها . وكان مرة في بعض الثغور ، ففاجأهم

(١) هكذا جاءت في الاصل ولعل هنا كلمة محذوفة والاصل وكان واصل (طويل) العنق .

(٢) المنزل بين المنزلتين ذلك قول واصل ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً ولا كافراً مطلقاً بل هو منزلة بين المنزلتين .

(٣) الزكن الثفرس والظن .

(٤) اللثغة ثقل اللسان بالكلام كأن ينطق بالراء كالغين أو كالياء أو كاللام الى غير ذلك .

(٥) سنح الامر عرض .

(٦) القبص مجتمع الرمل .

العدو ليلا فسمعوه يقول لغلامه : ألبد الجواد^(١) فاستظرفوا توقيه الرء ، وهو يكلم غلامه والاظرف أنه كان على ذلك الحال من المخافة والانزعاج .

وبلغه ان بشار بن برد الشاعر ذكر عنده عمر فتال منه ، وعثمان فشتمه ، ثم على رضى الله عنهم جميعا فأنشد :

وَمَا خَيْرُ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تُصْحِيْنَا

فقال واصل : اما ها هنا أحد يذهب الى هذا الاعمى المشنف المكنى بأبى معاذ فيبيع بطنه على مهاده ، فقال : الاعمى ولم يقل : الضرير ، وقال المكنى بأبى معاذ ولم يقل : بشار ، وقال : المشنف ولم يقل : المرعث — وذلك ان بشارا كان يلقب المرعث ، والمرعث المقرط ، والرعث القرط ، والمشنف المقرط أيضا ، والشَّنْفُ القرط الذى يعلق فى أعلى الأذن — وقال : يبيع ولم يقل : يقرر ، وترك الفراش ، وقال : المهاد .

واما قولهم : واصل الغزال ، فلم يكن غزالا ، ولكن كان يجلس الى أبى عبد الله الغزال مولى قطن الهلالى ، وكان رضيعه ومن مستحييه ، وذلك مثل ما قيل لابراهيم بن يزيد الخوزى ، ولم يكن خوزيا ، وانما كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبرى ليس بنسب ، ولكن كان ينزل المقابر ، وقد أجمع أصحابنا أن واصل لم يمس يده دينار ولا درهما قط ، ولذلك قال الاسباط بن واصل الشيبانى فى كلمة يرثى فيها واصل :

وَلَا صَرْدِيْنٌ^(٢) أَرَأَوْا لَأَمْسَ دِرْهَمًا

وَلَا عَرَفَ الثَّوْبَ الَّذِى مَرَّ قَاطِعُهُ

يقول : لم يدر كم شيئا يقطعه ، كما تعرف التجار وقد علمنا ان دعاة واصل فى الآفاق ، ورسله الى الاطراف ، أنبل من جميع رؤساء النحل . وكان

(١) استعمل هذه الجملة بدل « أسرج الفرس » .

(٢) صر الدينار وضعه فى الصرة .

قد جهز الى افريقية والى خراسان والى الجبال والى السند والى الثغور والحجاز رجالا يدعون الى مقاله ، فهجروا له الاوطان ، وخلفوا الأزواج والولدان ، واهملوا الاموال ، وصبروا عن مجالسة الاخوان ، وليس هذا بصفة غزال ، ولا أحد ممن يعالج الحرف ، وقال أبو الطروق يردد ذلك المعنى :

مَتَى كَانَ يَبَاغُ الْعُزُولُ مَقْدَمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الرَّهَانِ وَسَابِقِ
مَتَى اجْتَمَعَ الشَّرْقُ الْمُنبِيرُ وَغَرْبُهُ لِيَبَاغَ غَزَلُ حَامِلِ الْأَصْلِ مَارِقِ

أول من وضع اللغة على الحروف وأول من عمل العروض
أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد

وكان من فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد صريح فيهم ، وقيل هو مولاهم ، وأصله من الفرس ، — والفراهيد غنم صغار ، واحدها فرهود — وكان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا ، وأشدهم تعففا وكان الملوك يقصدونه متعرضين له لينال من دنياهم فلم يكن يفعل ذلك ، وكان يعيش من بستان له خلفه أبوه بالجزيرة ،^(١) وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى جاءه الموت .

حدثنا أبو احمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه قال : حدثنا خالد بن خدش قال . كان الخليل ابن أحمد يحب ان يرى عبد الله ابن المقفع ، وكان عبد الله يحب ذلك ، فجمعهما عباد بن عباد المهلبى ، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن ، ثم افترقا ، ف قيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : مارأيت مثله قط ، وعلمه أكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : مارأيت مثله قط ، وعقله أكثر من علمه .

قال المغيرة : وصدقا فى ذلك ، فقد أدى عقل الخليل الى أن مات أزهد الناس ، وجهل ابن المقفع فكتب أمانا لعبد الله بن على على المنصور ، فقال فيه

(١) الجزيرة بين دجلة والفرات وهى مجاورة للشام .

ماكان مستغنيا ان يقوله مما لاتتحمل الامراء فضلا عن الخلفاء مثله ، فكتب المنصور حين قرأ قوله : « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ، فساؤه طوالتي ، ودوابه حبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته » فاشتد ذلك على المنصور جدا ، وخاصة أمر البيعة ، فكتب الى سفيان بن معاوية — وهو أمير على البصرة — أن اقتل ابن المقفع ، فقتله .

ولم يكن في العرب أزكى من الخليل بن احمد ، وهو مفتاح العلوم ومصرفها .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال : سمعت احمد بن يحيى يقول : انما وقع الغلط في كتاب العين لان الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو حشاه مابقي فيه شيئا ، لان الخليل لم ير مثله ، وقال : حشا الكتاب قوم علماء ، الا انه لم يؤخذ عنهم رواية ، وانما وجد بنقل الوراقين ، فاختل الكتاب لهذه الجهة .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي ، عن محمد بن يحيى الادمي عن عبد الله بن الفضل عن أبيه قال : كان عندنا رجل يعطى دواء لظلمة العين ، ينتفع به الناس فمات . فأضر ذلك بمن كان يستعمله . فذكر ذلك للخليل فقال : أله نسخة ؟ فقالوا لم نجد نسخة . قال : فهل كانت له آنية يعمل فيها ؟ قالوا : نعم . قال : فجيئوني بها ، فجاءوه بها ، فجعل يتشممه ويخرج نوعا نوعا ، (حتى ذكر خمسة عشر نوعا ،)^(١) ثم سأل عن جمعها ، ومقاديرها ، فعرف ذلك ممن يعالج مثله ، فعمله وأعطاه الناس ، فانتفعوا به ، مثل تلك المنفعة ، ثم وجدت النسخة في بعض كتب الرجل ، فوجد الاخلاط ستة عشر خلطا كما ذكر الخليل ، لا يغفل منها الا خلطا واحدا .

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن اسحاق بن ابراهيم القزاز عن ابراهيم التيمي قال : سمعت عبد الله بن داود الحرسى يقول : قال الخليل بن احمد :

(١) هذه الجملة ليست في الاصل وأثبتها من نسخة دار الحديث .

ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسى ولمن أحب رشده : أحب أن أكون بينى وبين ربى
من أفاضل عبادى ، وأكون بينى وبين الخليفة من أوسطهم ، وأكون بينى وبين
نفسى من شرهم .

قال عبد الله : لو كتب شيء بالذهب لكتب هذا . وقال الخليل : اذا
أردت ان تعرف خطأ معلمك فجالس غيره .

وحدثنا الصولى عن محمد بن يزيد قال : نما الى أن الخليل بن أحمد
قال : اذا خرجت من منزلى لقيت أحد ثلاثة : اما رجل أعلم منى بشيء فذلك
يوم فائدتى ، او مثلى فذلك يوم مذاكرتى ، أو دونى فذلك يوم ثوابى .

وقال الخليل : أكثر من العلم لتفهم ، واختر منه لتحفظ ، وقال : أنا أول
من سمي الاوعية ظروفًا ، وانما قيل للانسان ظرف وهو ظرف ، لحفظه الادب
وقال : أثقل ساعاتى على ساعة آكل فيها .

وأول من سمي بأحمد بعد النبى — ﷺ — والد الخليل .

وأول من سمي عبد الصمد مؤدب لآل مروان .

روى أن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان كان فى مكتب عبد الصمد ،
فساومه بشيء كرهه ، فدخل سعيد — وهو غلام — على بعض خلفاء بنى
مروان فشكاه اليه فقال :

إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَنْجُ مِنِّي سَالِمًا عَبْدُ الصَّمَدِ
إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي حَظَّهُ لَمْ يَرْمَهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ
فَهُوَ فِيمَا رَامَ مِنِّي كَالَّذِى يَطْلُبُ الثَّغْلَبَ فِى حَبْسِ الْأَسَدِ

فطرده الخليفة واختار لولده مؤدبا غيره .

حدثنا أبو احمد عن الصولى عن المبرد عن الحرمى قال : قال الخليل بن
احمد : رتبت البيت من بيوت العرب — يريد الخباء — فسميت الاقواء ماجاء

من المرفوع في الشعر والمخفوض في قافية واحدة نحو قول النابغة .

أَمِنْ آلِ مِئَةٍ رَائِحٍ أَوْ مُغْدِيٍّ^(١)
ثم قال :وَبِذَاكَ خَبْرُنِي الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

قال : انما سميته أقواء لتخالفه ، لان العرب تقول أقوى القاتل اذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى .

قال : وسميت تغير ما قبل حروف الروى سنادا من مساندة بيت الى بيت اذا كان كل واحد منهما ملقيا على صاحبه ليس مستويا ، ومثل ذلك من الشعر :

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِي فَإِنْ كُنْتَ غَضْبِيٍّ فَاَمْلَأْنِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ حُدُوشَا
ثم قال وَبِنَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا^(٢)

قال : وسميت الاكفاء ما أظطرب حرف رويه ، فجاء مرة نونا ومرة ميمًا ، والعرب تفعل ذلك لقرب مخرج الميم من النون مثل قوله :

بَنَاتٌ وَطَاءٌ عَلَى حَدِّ الظُّلُمِ لَا يَشْتَكِينَ عَمَلًا مَا أَتَقَيْنَ

مأخوذ من قولهم : بيت مكفاء اذا اختلف شقاه ، واللقاء الشقة في مؤخر البيت ، والايطاء من طرح بيت على بيت ، وأصله طرح شيء فوق شيء ، فكأنه أوطأه اياه ، والايطاء رد القافية مرتين .

(١) في مختار الأغاني ج ٥ ص ٣٤١ قال :

أَمِنْ آلِ مِئَةٍ رَائِحٍ أَوْ مُغْدِيٍّ عَجْلَانِ ذَا زَادٍ غَيْرِ مَزُودٍ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلْتَنَا غَدَا وَبِذَاكَ تَعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
وعلى هذه الرواية لا يكون هناك إقواء لأن الغراب — أى الغراب — يكون مضافاً إلى تعاب فتكون القافية كلها بالكسر .

(٢) في كتاب القوافي ص ١٣١ أول البيت الثاني

نحن كنا سُكَّانَهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَبِنَا

قال الحرى : والاخفش يضع الاكفاء فى موضع السناد ، والسناد فى موضع الاكفاء على هذا الاستشقاق قال الخليل : وسمى البيت الذى نصفه مثل آخره مصرع وشطره مصراع ، كقول امرئ القيس .

فَقَاتَبَكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ بِسِقْطِ اللّوَى يَنْنِ الدُّحُولَ فَحَوْمِلِ
فَكَأَنَّهُ بَابٌ عَلَى مَصْرَاعَيْنِ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

وَشِعْرِى قَدْ أَرَقْتُ لَهُ ظَرْيْفٍ أَجَبْتُهُ الْمَسَانِدَ وَالْمَحَالَ
وقال جرير :

وَلَا إِاقْوَاءَ أَوْ مَرَسَ الْقَوَافِىَ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ وَلَا سِنَادًا^(١)

أول من ترجم له الطب والنجوم خالد بن يزيد

وكان شاعرا فصيحاً جواداً قيل له : جعلت أكثر شغلك فى طلب الصنعة ، قال : أطلب بذلك أن أغنى الإخوان وأصل الأقارب والجيران ، انى طمعت فى الخلافة وأختزلت دونى ، فلم أجد منها عوضاً الا أن أبلغ آخر هذه الصنعة ، فلا أحوج أحداً عرفنى أن يقف بباب السلطان رغبة أو رهبة .

قال أبو هلال — أيده الله — ليس من يعتقد ان الكمياء يصح ، ويطمع فى قلب الفضة ذهباً أو النحاس فضة بتمام العقل ، لانه يطمع فى قلب الاعيان ، وقلب الطبائع والجبيلات عن أصولها ، ولا يكون ذلك الا من سخافة العقل وعدم التمييز .

أول من صنف فى غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى

صنف كتاب المجاز ، وأخذ ذلك من ابن عباس حين سألته نافع بن

(١) الاقواء اختلاف حركة الحرف الاخير فى الشعر من الرفع الى الجر مثلاً . والمرس حبل البكرة اذا خرج عن مجراه والمراد التعقيد الذى يحصل فى قافية الشعر والسناد : كل عيب فى القافية قبل حرف الروى وهو الحرف الأخير .

الازرق عن أشياء من غريب القرآن ، ففسرها له واستشهد عليها بأبيات من شعر العرب ، وهو أول ما روى في ذلك ، وهو خبر معروف .

وكان من عدم معرفته وتقدمه في العريية ربما لم يتم البيت من الشعر حتى يكسره ، ويخطيء إذا قرأ في المصحف ، وكان يبغض العرب ويؤلف في مثالبها الكتب ، ويرى رأى الخوارج ، ويرمى باللواط ، فبعث به أبو نواس فقال :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى لُوطٍ وَشَيْعِهِ أَبِي عُيْدَةَ قُلْ بِاللَّهِ آمِينَ

وكان مولى لتميم ، ومات سنة عشر ومائتين او احدى عشرة ، وقد قارب المائة ، وكثير من العلماء والرؤساء المعروفين رموا بذلك ، حكى عن الحجاز أنه قال : غلام في محله أنفع من حوض في جب ، ودخل الجاحظ على المازني وعنده المبرد — وهو غلام — فأخفى شخصه في جب عن الجاحظ ، وجلسا يتحدثان فعطس المبرد من مكمنه ، فقال الجاحظ : من هذا المبرد منا ؟ فسمى بذلك . وقال الشاعر :

وَيَوْمَ كَنَّا الشُّوقَ فِي الصَّدْرِ وَالْحِشَاءَ عَلَى آلِهِ مِنْهَا أَجْرٌ وَأَوْقَدَ
ظَلَمْتُ بِهِ عِنْدَ الْمُبْرَدِ قَائِلًا فَمَا زِلْتُ مِنَ الْفَاطِمَةِ أَبْرَدُ

ودخل البحترى مسجد المبرد ، فرأى غلمانا ملاحا فقال : ما أحسن المسجد بقناديله !

وفى نحو ذلك يقول بعضهم في مجلس ابن دريد :

مَنْ يَكُنْ لِلطَّبَاءِ طَالِبَ صَيِّدٍ فَعَلَيْهِ بِمَجْلِسِ ابْنِ دُرَيْدٍ
إِنْ فِيهِ لِأَوْجِهَاءَ قَيْدُنِي عَنِ طِلَابِ الْعَلَى بِأَوْثَقِ قَيْدٍ

وأخبرنا أبو أحمد قال : كنا في مجلس نفطويه ، وهي يملئ ، فدخل غلام وضئ ، فقطع الاملاء ، وقال : قال رجل من أهل عصرنا :

كَمْ نَحَاسٌ^(١) مِمَّا ذَكَ بِأَمْعِلُفْ كَمْ نَخْلِفُ الْوَعْدَ نَخْلِفُ
قَدْ صِرْتُ لَا أَذْغُو عَلَى كَاذِبٍ وَلَا ظَلُمُ الْفِئْلَ لَا يَنْصِفُ

فما شك أحد ممن حضر ان الغلام كان قد وعده فأخلفه ، وان الشعر له .

وأخبرنا أبو أحمد قال : كنا في مجلس ابن دريد وكان يتضجر ممن يخطيء في قراءته ، فحضر غلام وضئ ، فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه ، فتعجب أهل المجلس ، فقال رجل : يا أهل المجلس ! لاتعجبوا فان في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد ان يقرأ قال : هات يامن ليس في وجهه غفران ذنوبه ، فعجبوا من صحة سمعه ، مع علو سنه .

وأخبرنا أبو القاسم بن شيراز — رحمه الله — قال : أخبرنا أبو بكر الجوهري قال : حدثنا بعض أصحابنا قال : كان سعيد بن حميد الكاتب قد هوى غلاما من أبناء الاتراك — بسر من رأى^(٢) — بارع الجمال ، فبذل له خمسين دينارا ليحضره فقال : على أنى اذا أذن العشاء الآخرة انصرفت ، فلما وافى أمر بوضع فما فرغوا حتى كان وقت صلاة العشاء الآخرة ، فقال سعيد : يا غلام ! اللواة والقرطاس ، فكتب الى المؤذن :

قُلْ لِرَاعِي الظَّلَامِ أَخْرَ قَلِيلًا قَدْ قَضَيْنَا حَقَّ الصَّلَاةِ طَوِيلًا
لَيْسَ فِي سَاعَةٍ تَوَخَّرَهَا وَزُرْ نَكَافًا بِهَا وَتَأْتِي جَمِيلًا
وَلِرَاعِي حَقَّ الْفَتْوَةِ فِينَا وَتُعَافَى مِنْ أَنْ تَكُونَ ثَقِيلًا

أول مظاهر اللواط حين كثر الغزو في صدر الاسلام

وطالت غيبة الناس عن أهلهم ، وذلك حين افتتح خراسان ، وجمع البعوث في ثغورها ، وسبوا ذراري المشركين فيها ، واتخذوهم وصفاء ،

(١) خاس بالمهد نكت وغدر ، وبالوعد أخلف .

(٢) سر من رأى هي الآن سامراء وهي من مدن العراق .

يخدمونهم فى خاص أنفسهم ، وطالت الخلوة معهم والصحة لهم ، وعلى حسبها يكون الانس ، ورأوهم يجرون مجرى النساء فى بعض صفاتهم ، فطلبوا منهم ذلك الفعل فأجابوهم ، وأطاعوهم للأنس الذى بينهم ، لما عودوهم من شدة الانقياد لهم .

وكان ابتداءه اول مظهر من خراسان فى صدر الاسلام ولم يعرف أهل الجاهلية من العرب والعجم أصلا ، والدليل على ذلك أنه لم يرو فيه شعر ولا مثل ، وكان من عادتهم ان يقولوا الاشعار الكثيرة فى الشيء الزهيد كقولهم فى الفأر والجوز ، وحكايتهم عن لسان الضب^(١) واليربوع^(٢) وغير ذلك ، ولو كان معروفا ذلك الفعل عندهم لعيروا به أو وصفوه ، فأنهم يصفون مادونه ، اما ماروى عن النبي ﷺ — او عن أمير المؤمنين على — عليه السلام — انه رأى رجلا ينكح رجلا فالقى عليهما حائطا ،^(٣) فان المنكوح كان مبتلى بالداء الذى يسمى الأُبنة ولم يكن ذلك لشهوة النكاح ، وقد ذكر جماعة من رؤساء العرب فى الجاهلية بهذا الداء ، منهم أبو جهل ، وكانت الفرس ترى على من به هذا الداء ثم مكن من نفسه ضرب الرقة ، وعلى من فعل به ذلك مثله أيضا ، وكانوا يجعلون الناكح بمنزلة القاتل لانه ضيع نطفة كان يكون منها انسان ، فكانوا يرون قتله لذلك .

أول من صنف فى صنعة عبد الله بن المعتز

الف كتابا صغيرا سماه كتاب البديع ،^(٤) وذكر أن اسم البديع اسم لفنون

(١) الضب حيوان من الزحافات ذنبه كثير العقد .

(٢) اليربوع نوع من الفار قصير اليدين طويل الرجلين .

(٣) لم يصح الحديث والذى جاء فى اللواط قول النبي ﷺ : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به : وفى سنده مقال .

(٤) البديع قسم من أقسام البلاغة وهى تنقسم الى ثلاثة أقسام الاول علم البيان ويبحث فى الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية الخ والثانى علم المعانى ويبحث فى أضرب الخبر والخبر والانشاء والتقديم والتأخير والذكر والحذف والمسلاوة والايجاز والاطناب الخ والثالث علم البديع ويبحث فى المحسنات

من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأخرين بينهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم ، فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو ؟ وقال : وما جمع فنون البديع غيرى ، ولا سبقنى إليه أحد ، وألفته فى سنة أربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه منى على بن يحيى بن أبى منصور المنجم .

وكان عبد الله كثير الادب ، بارعا فى الفضل ، كامل الأداء فى المعرفة ، وهو غاية فى الشعر لا يلحقه فيه أحد من بنى هاشم ، وربما ادعى قوم لعلى بن محمد بن طباطبا مشاكلة عبد الله بن المعتز فى الشعر ، وذلك أنهم رأوا لعبد الله تشبيهات فى فنون الأشياء ، ورأوا لعلى بن محمد كلاما فى بعضها ، فظنوا أنهما اتفقا من هذه الجهة وما كل سمراء تمره ^(١) والشأن فى الالفاظ وتسويتها وسلاستها وحلاوتها ، فأما المعانى فمطرحة يتناولها كل أحد . وقد يستوى معنى كلامين وبينهما كما بين الثرى والثريا ، وأين تقع ألفاظ على من ألفاظ عبد الله ؟ وألفاظ على ظاهرة التكلف تعلوها مجاجة أهل الخبل ، وألفاظ عبد الله فيها سلاسة أهل العراق وجزالة أهل الحجاز ، فمن ذلك قوله فى متنزه ذكره :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ لَبِسْتُ ظِلَالَهُ
كَمَا أَغْمَدَ الْقَيْنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا ^(٢)
وَأِنْ تَقَبَّضَتِ الْعَيْنُ لَأَقْتُ قَرَارَهُ
تُخَالُ الْحَصَى فِيهَا نُجُومًا رَوَاسِيَا
إِذَا مَا تَمَشَّتْ فِي غَيْنٍ خَرِيدَةٍ ^(٣)
فَلَيْسَتْ تُحْطَانِي إِلَى مَنْ وَرَائِيَا

كالحناس والتورية والسجع الخ .

(١) أصل المثل مائل يضاء شحمة . ولا كل سمراء تمره ويضرب فى موضع التهمة . مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٣٩ كما يجوز أن يضرب فى الأشياء المتشابهة المظهر المختلفة الجوهر .

(٢) فى ديوان ابن المعتز ص ٤٦٦ ذكرت القصيدة تحت عنوان : وادى الاحباب ومطلعها :

أَيَا وَادَى الْإِحْبَابِ سَقَيْتِ وَادِيَا وَلَا زِلْتَ مَسْقِيَا وَإِنْ كُنْتَ خَالِيَا

(٣) الخريفة الفتاة البكر لم تمس قط .

وَلَيْلٍ كِجْلَبَابِ الشَّبَابِ قَطَعَهُ
 بِفَيْثَانٍ صَدِيقٍ يَقْبَلُونَ الْأَمَانِيَا
 وَأَنَا رَأَيْتَا الْمَشْرِقِيَّاتِ وَالْقَنَا
 (١) وَبَذَلَ النَّدَى لِلْمَكْرُمَاتِ مَرَايَا
 وَجَمَعَ سَقَيْنَا أَرْضَهُ مِنْ دِمَائِهِ
 وَلَوْ كَانَ عَاقَانَا قَبْلَنَا الْعَوَافِيَا
 وَدُسْتَاهُمْ بِالضَّرْبِ وَالطُّغْنِ دَوْسَةً
 أَمَاتَتْ حُقُودًا ثُمَّ أَخِيَتْ مَعَالِيَا

وقوله :

إِذَا لَأَحَ رَوْضٌ مِنْهُ ظَلَّلَ رَوْضَهُ
 نَسِيمٌ ضَعِيفُ الْجَانِيَيْنِ رَقِيقُ
 تَرَى هَاجِعَ الْأَنْوَارِ تَرْفَعُ جَفْنَهُ
 كَذَى الْعَشَى يَلْقَى رَاحَةً قَيْفِيقُ (٢)

وقوله :

وَالرَّيْحُ تَجْدِبُ أَطْرَافِ الرِّدَاءِ كَمَا
 أَفْضَى الشَّقِيقُ إِلَى ثَنِيهِ وَسْتَانِ

وقوله :

وَحَلَّتْ عَلَيْهَا لَيْلَةٌ رَحِيَّةٌ (٣)
 إِذَا مَا صَفَا فِيهَا الْعَدِيدُ تَكْدُرَا

(١) المشرفيات السيوف منسوبة الى قري على مشارف الشام أو الى موضع باليمن . والندى الكرم والمراد ان الاسلحة والكرم من أسباب الرقي والرفعة .

(٢) الهاجع النائم ، والانوار جمع نور وهي الازهار او الابيض منها خاصة شبه تفتح الازهار بانسان مغشى عليه حين يفيق .

(٣) ليلة رحيية طويلة .

طَوِيلَةٌ مَايْنِ الْيَاضِينَ^(١) لَمْ يَكُنْ
لَيَصْدُقَ فِيهَا صَبْحُهَا حِينَ بَشَرَا
كَانَ الرَّبَابُ الْجَوْنَ دُونَ سَحَابِهِ
خَلِيعٌ مِنَ الْفَتَيَانِ يَسْحَبُ مِثْرَا^(٢)
إِذَا لِحِقَّتْهُ لَوْعَةٌ مِنْ وَرَائِهِ
تَلَفَّتْ وَاسْتَلَّتْ الْخُسَامُ الْمُدْكُرَا^(٣)

وقوله :

وَقَدْ عَلَا الطَّوْدُ نَيْلًا مِنْ أَصَاتِلِهِ
كَمَا يُصَفِّرُ فَوْدَى رَأْسِهِ الْخُرْفُ^(٤)

الى محاسن كثيرة يضيق الوقت عن استيعابها والاحاطة بكلها او بجلها
وانظر الآن الى تكلف على بن محمد فى قوله يصف النجوم :

نُجُومٌ أَرَاغَى طَوْلَ لَيْلٍ بُرُوجَهَا
وَهُنَّ لِبَعْدِ السَّيْرِ ذَاتُ لُغُوبِ
كَأَنَّ الَّتَى حَوْلَ الْمَجْرَةِ أوردَتْ
لِتَكْرَعَ^(٥) فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَيِّبِ
وَلَا صَبَحَ إِلَّا رَائِدَ الرِّيعِ^(٦) إِذْ رَأَى
أَوَائِلَ مَرْعَى اللَّيْلِ غَيْرَ خَصِيبِ

(١) الياضين المراد بياض النهار السابق وبياض النهار اللاحق .

(٢) الرباب السحاب الابيض ، والجون الاسود أو الأبيض لانها كلمة من الاضداد والمراد هنا الاسود .

(٣) الخسام المذكر السيف الصارم .

(٤) الطود الجبل ، أصائل جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب ، الفود الشعر الذى على جانبي الرأس مما يلى الاذنين الى الامام الخرف الذى فسد عقله من الكبر ، والمعنى ان شمس الاصيل تركت أشعتها الصفراء على جانبي الجبل فظهر كرجل كبير السن أبيض فوداه فصبغهما بالحناء .

(٥) التكرع فى ماء كرع أى مد عنقه ليشرب من الماء وهو فى مكانه .

(٦) الربيع المكان المرتفع .

كَأَنَّ رَسُولَ الْفَجْرِ يَخْلُطُ فِي الدَّجَى
شَجَاعَةً مِقْدَامِ بَجْبَنِ هَيُوبِ

وهذه الألفاظ لا ماء لها ولا طلاوة ^(١) عليها وقال :

وَأَصْبَحَ كَالسَّمَاءِ الْأَرْضُ لَوْنًا
وَقَدْ أَخَذَتْ تَقَطَّرُ مِنْ جُمُودِ
رُخَامًا سَقْفُهَا يَخْكِي رُخَامًا
فَمِنْ ثَلَجٍ وَغَيْمٍ ذِي رُكُودِ
كَأَنَّ الشَّمْسَ مِرَاةَ ثَرَاءِ
لَنَا وَلَهَا شِعَاعُ ذُو حُمُودِ
مَتَى تَرَى شَمْسَ دُخْنٍ خَلْفَ غَيْمٍ
تَرَى الْمِرَاةَ فِي كَفِّ الْحُسُودِ
تُقَابِلُهَا فَتَلْبَسُهَا عَشَاءً
بِأَنْفَاسِ تَرَايِدُ فِي الصُّعُودِ

وهذا كما ترى شعر ساقط لاخير في لفظه ووصفه ، وكذلك أكثر شعره
الا ماندر ، وهو قليل . ولعبد الله من النثر ما لايتعلق به شيء من الكلام ، فمن
ذلك قوله :

« العاقل من عقل لسانه ، والجاهل من جهل قدره ، اذا الباغي بغى
عليك ، قام الداعى بك ، العقل غريزة يزيناها التجارب ، الحكمة شجرة تنبت
فى القلب ، وتثمر فى اللسان ، النفس أدنى عدو ، النصيح بين الملاء تقريع ،
المتواضع فى طلب العلم أكثر علما ، كما أن المنخفض من الارض أكثر البقاع
ماء ، اذا زاد العقل نقص الكلام ، نَعَمْ الجهال كرياض المزابل ، ^(٢) الشفيع
جناح الطالب ، منع الحافظ خير من عطاء المضيع ، الآمال لاتنتهى ، والحي

(١) الطلاوة الحسن والبهجة .

(٢) المراد أن النعم عند الجاهل كالبساتين فى أمكنة القمامة ، والمزابل جمع مزبلة وهى مكان الزبل .

لايكفى ، فى العواقب شاف او مريح ، الدار الضيقة العمى الاصفر ، المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح ، المعرفة بالفضيلة عليك فضيلة منك ، ثب على الفرصة او دع ،^(١) قلوب الاخيار حصون الاسرار ، أهل الدنيا كصورة فى صحيفة لاينشر بعضها الا اذا طوى البعض ، من لم يتعرض للنوائب تعرضت له ، أفترك الولد وعاداك ، من تكلف مالا يعنيه فاته مايعنيه ، الغضب ضد العقل ، النار لاينقصها ما أخذ منها ، ولكن يخدمها الا أن تجدد خطبها ، وكذلك العلم لايفنيه الاقتباس منه ، ولكن فقد الحاملين سبب عدمه ، المعروف غل^(٢) لايكفه الا الشكر او المكافأة ، لا راحة لحاسد ، ولا حياة لحريص ، الحرمان مع الحرص ، الذل مع الدين ، لايكفيك من لم تكفه « وله شئ من هذا المعنى كثير .

ولما توفى المكتفى قام العباس بن الحسن ، فأمر المقتدر ، وأخذ البيعة له بالخلافة ، فاستخلف وهو صبي لم يبلغ ، ثم قتل طائفة من الجند العباس بن الحسن ، واخلعوا المقتدر ، وبايعوا عبد الله بن المعتز ، واستوزروا له محمد بن داود بن الجراح ، فمكث بذلك ليلة ، فلما كان من الغد ، أنفذ عبد الله الحسين بن حمدان ، فى جند الى دار المقتدر بالله ، فخرج اليه الخزر والأتراك ، وأخذه العامة بالضجيج وانهزم ، وخرج عبد الله هاربا الى البردان ، ثم جلس فى زورق صياد فعاد الى بغداد ، فأدخل دار المقتدر فكان آخر العهد به ، فورد على الناس مالم يروا أعجب منه قط ، وهو رجوعه الى بغداد على غير عهد ولا عقد بها ، وكان قد بويع له بالخلافة ، وخرج معه وجوه القواد ، وكبراء الناس .

فقال الناس : لم يكن به بأس ، ولكن أدركته حرفة الأدب .

(١) ثب : أنهض والمراد اهتبل الفرصة فى حينها او اتركها .

(٢) الغل : القيد .

(٣) فى القاموس البردان قرية قريبة من بغداد .

الباب الثامن
فيما جاء من ذكر النساء

أول امرأة خففت وثقبت أذنها هاجر أم اسماعيل

أخبرنا أبو احمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن ابراهيم بن سعيد الجوهري عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أكرم ابراهيم النبي — ﷺ — هاجر ، فشق ذلك على سارة ، قالت : تصنع بأمتي هذا ؟ فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أطراف ، فخاف ابراهيم أن تمثل بها ، قال : الا أدلك على ماتبرين به يمينك ؟ قالت : بلى . قال تخفضينها وتثقبين أذنيها ، فكانت هاجر أول من خففت وثقبت أذناها فجعلت فيها قرطين ، فقالت سارة : ما أرى هذا زادها الا حسنا .

أول امرأة اكتحلت بالاثمد زرقاء اليمامة

واسمها طسم ، وسميت بلدها بها ، قال محمد بن حبيب : كانت تبصر من مسيرة أيام ، وكانت من جديس طسم ، ^(١) خرج قوم من طسم الى حسان تبع ، فاستجاشوه على جديس ، فجهز اليهم جيشا ، فلما صاروا في الجو على مسيرة ثلاثة أيام ، صعدت فرأت الجيش ، وقد حمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها ، فقالت : قد أتتكم الشجر ، وأتتكم حمير قد أخذت شيئا شجرة ، فلم يصدقوها ، فقالت : أحلف لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف

(١) في الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٢٠٣ قال : طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح (عليه السلام) وجديس بن عامر بن أزهر بن سام بن نوح عليه السلام فهما أبناء عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة .

نعلا ! فلم يصدقوها فصبحهم حسان فاجتاحهم وأخذ الزرقاء ، فشق عينها ، فاذا
فيها عروق سود من الاثمد فقال الاعشى يصفها :

إِذَا نَظَرْتُ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ
وَرَفَعَ الْأَلَّ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَ
قَالَتْ : أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَيْفَ
أَوْ يَخْصِفُ التَّغْلَ لَهْفًا أَيْةً صَنَعَ

أول من غنى الغناء العربي طويس

وقالوا جرادة جارية ابن جدعان ، فمن قال ان طويسا أول من غنى قال :
كانت الفرس والروم فى أيام ابن الزبير — لما هدمت الكعبة — بينونها ويغنون
بألحانهم ، فسمعها المغنون فنقلوها الى العربى ، وكانوا قبل ذلك لا يتجاوزون
الرمل والهزج^(١) وأول من ابتدأه طويس ، وطويس أول مشعوم ولد فى الاسلام ،
ولد يوم توفى — صلى الله عليه — وفطم يوم مات أبو بكر — رضى الله عنه — وبلغ الحلم
يوم قتل عمر — رضى الله عنه — وتزوج يوم قتل عثمان — رضى الله عنه — وولد له
يوم قتل على — رضى الله عنه — وكان يكنى أبا عبد النعيم^(٢) ، وكان يقول : أنا أبو
عبد النعيم ، وأنا طاوس الجحيم ، واحتج من قال : ان أول من غنى جرادة ، بأن
اسحاق الموصلى ذكر للجرادتين ، جاريتى عبد الله بن جدعان فى المائة المختارة لحنا
من الثقيل الاول وهو :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَصِيفُ قَبْطُنُ نَحْلَةٍ فَالْعَرِيفُ
هَلْ تُبْلِغُنِي دِيَارَ قَوْمِي مُهْرِيَّةً سِيرَهَا لَفِيفُ^(٣)
يَا أُمَّ عُثْمَانَ نَوَلِينَا قَدْ يَنْفَعُ السَّائِلَ الطَّفِيفُ
أَعْمَامُهَا الشَّمُّ مِنْ لَوْيِّ صَيْدٍ وَأَحْوَالُهَا ثَقِيفُ^(٤)

(١) الرمل بحر من أبحر الشعر وزنه فاعلتن فاعلتن فاعلن . والهزج ضرب من الاغانى فيه ترنم .

(٢) فى الأغانى ج ٣ ، ص ٢٧ ، ط بيروت يكنى ابا عبد المنعم .

(٣) المهرية أبل منسوبة الى مهرة بن حيدان وكانت شديدة السرعة .

(٤) الشم السيد ذو الانفة . الصيد جمع أصيد وهم الملوك لانهم لا يلتفتون لزهوهم يمينا ولا شمالا .

ولم تزل الجرادتان في ملك ابن جدعان حتى أسن فوهبهما لامية ابن أبي الصلت .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الزبير بن بكار عن جعفر ابن الحسن عن ابراهيم بن أحمد قال : قدم أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان فلما دخل عليه قال له عبد الله : أمر ما أتى بك ! قال : كلاب غرماء نبحتني ونهشتني ، فقال له عبد الله : وأنا على حقوق لزممتي ، فأنظرني قليلا أنجم^(١) مافي يدي ، وقد ضمنت قضاء دينك ، ولا أسألك عن مبلغه ، فأقام أياما ثم أتاه ، فأنشأ يقول :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي
حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْأُمُورِ فَأَنْتَ قَرَمٌ
لَكَ الْحَسَبُ الْمُهْدَبُ وَالسَّيِّئُ
كَرِيمٌ لَا يَخِيرُهُ صَبَاحٌ
عَنِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُوداً^(٢)
إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجَحَرَهُ الشَّيْءُ
إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّيْءُ

فلما أنشده هذا الشعر ، كانت عنده قيتتان قال : خذ أيهما شئت ، فأخذ احدهما وانصرف ، فمر بمجلس من مجالس قريش ، فلاموه على أخذها ، فقالوا : قد ألفتته عليلا ، فلو رددتها عليه ، فانه يحتاج الى خدمتها كان ذلك أقرب لك عنده ، وأكثر من كل حق ضمنه ، فوقع الكلام من أمية موقعا ، فرجع

(١) نجم اللّذين أداه في نجوم أى في أوقات معينة .

(٢) أجحره أدخله جحره .

ليردها ، فقال له ابن جدعان : لعلك انما تردها لان قريشا لاموك على أخذها ،
فقال : ما أخطأت يازهير ، وأنشد :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرِي إِنْ حَبَوْتُهُ
كَسَيْبٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَمْرِي بِذُلٍّ وَجْهَهُ
إِلَيْكَ كَمَا بَغَضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

فقال عبد الله خذ الاخرى ، فأخذهما وخرج ، فلما صار الى القوم أنشأ
يقول :

وَمَالِي لِأَخِيهِ وَعِنْدِي
مَوَاهِبُ يَطْلَعْنَ مِنَ التَّجَادِ
لِأَيْضٍ^(١) مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ
وَهُمْ كَالْمَشْرِقَاتِ الْجِدَادِ
لِكُلِّ قَيْلَةٍ هَادٍ وَرَأْسُ
وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادِي
عِمَادُ^(٢) النَّيْتِ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدُ
وَأَنَّ الْبَيْتَ يُرْفَعُ بِالْعِمَادِ
لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ^(٣)
وَأَخْرُ فَوْقَ دَارِهِ يُنَادِي
إِلَى رُدْجٍ مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا
لُبَابُ الْبُرِّ يُلَبِّكَ بِالشَّهَادِ^(٤)

(١) في هامش البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ، ص ٣٦ ، ط القاهرة (الأيض من بني تيم بن كعب) .

(٢) في هامش البيان والتبيين ج ١ ، ص ٣٦ ، ط القاهرة (له بالخيف قد علمت معد) .

(٣) الداعي المشمعل الجاد في المعنى .

(٤) الردح الجفنة الكبيرة والشيزي خشب الابنوس تصنع منه القصاع . لباب البر خالصه . يلبك يخلط

وقال فيه :

ذُكِرَ ابْنُ جُدْعَانَ بِخَيْرٍ كُلَّمَا ذُكِرَ الْكِرَامَ
مَنْ لَا يَخُونُ وَلَا يَعُوقُ وَلَا يُخْلِلُهُ الْإِنَامُ^(١)

يَهْبُ النَّجِيَّةُ وَالنَّجِيبُ لَهُ الرَّحَالَةُ وَالزَّمَامُ^(٢)

وذكر أبو اسحاق الموصلي ان اول من غنى الغناء العربى سعد بن منجج
أبو عثمان^(٣)، وقالوا : أبو عيسى مولى لبنى مخزوم ومن عنائه :

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي
قَدْ يَمْلِكُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجَحُ^(٤)

مُنَى عَلَى عَائِنِ أَطْلَبَ عَنَاءُهُ فِي الْغُلِّ عِنْدَكَ وَالْعُنَاءُ تُسَرِّحُ^(٥)
إِنِّي لِأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَنْ يَعُشُّ وَيَنْصَحُ

والذى عليه أكثر العلماء أن طويسا أول من غنى الغناء العربى .

أول امرأة بايعت النبى من نساء الأنصار أم عامر الأشهلية

أخبرنا أبو احمد عن عبد الله بن العباس عن الفضل بن عبد العزيز عن
ابراهيم الجوهري عن الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن داود بن حصين عن
أبى سفيان مولى أبى أحمد قال : سمعت أم عامر الأشهلية تقول : جئت أنا
وليلي بنت الحطيم وحواء بنت يزيد بن السكن ، فدخلنا عليه ، يعنى على

والشهاد العسل والمعنى ان القصاع مملوءة بخالص البير المختلط بالشهد الذى لم يعصر من شمع .

(١) فى الأغاني ج ٨ ، ص ٣٣١ ، ط دار الثقافة بيروت : من لا يخون ولا يعوق .. ولا تغيره اللام .

(٢) النجيب والنجية الفاضل النفيس فى نوعه . والزمام المقود وفى المرجع السابق (نجيب النجبة)

(٣) فى نهاية الأرب ج ٤ ، ص ٢٣٣ ، ط دار الكتب المصرية : أبو عثمان سعيد بن مسجح .

(٤) اسجحي أى أحسنى العفو .

(٥) العانى الاسير أو المكبل بالقيد .

النبي ﷺ — ونحن متلفعات بمروطنا^(١) بين المغرب والعشاء ، فسلمت ونسبني فانتسبت ، ونسب صاحبتى فانتسبتا ، فرحب بنا ثم قال : حاجتك ، فقلت : يا رسول الله ! جئنا نبايعك على الاسلام ، فقد صدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به حق ، فقال رسول الله ﷺ — قد بايعتكن ، قالت أم عامر : فدنوت منه ، فقال : انى لأصافح النساء ، قولى لالف امرأة كقولى لامرأة واحدة .

وقد روينا ان عليا — عليه السلام — قال لمعاوية فى بعض منازعاتهما : يا ابن اللخناء ،^(٢) فقال معاوية : دع أبا الحسن ذكر أمى ، فما هى بأخس نسائكُم ، وقد بايعت النبي ﷺ — فصافحها ، وما رأيته صافح امرأة غيرها ، فعلى مقتضى هذا الخبر ، تكون هند أول من صافحها رسول الله ﷺ — من النساء^(٣) .

وقالوا : أول من بايعت النبي ﷺ — أم سعد كبشة بنت رافع ، وأم عامر بنت يزيد بن السكن وحواء بنت يزيد بن السكن .

أول امرأة قطعت فى السرقة قلابه بنت سفيان المخزومية

قطعها النبي ﷺ — وشفعوا لها ، فقال — : ﷺ — لو سرت فاطمة لقطعتها .

أول امرأة حدت فى القذف حمنة بنت جحش

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد عن حسين بن ابراهيم عن فليح بن سليمان الأسلمى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص الليثي وعبيد الله ابن عبد الله قالوا : قالت عائشة : كان

(١) المروط جمع مرط وهو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .

(٢) اللخناء المرأة المنتنة المغايب وهى مطاوى الجسد .

(٣) لم يرد فى الكتب الصحيحة أن الرسول ﷺ — صافح امرأة عند بيعة النساء .

النبي — ﷺ — اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت معي بعد ما أنزل الحجاب ، فاتخذ لي هودجا ، وسرنا ثم نزلنا عند القفول منزلا ، فلما حان الرحيل قمت فمشيت ، فلما قضيت حاجتي وأقبلت مسست صدري ، فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمسته ، واحتمل هودجي ، فرحلوه وهم يحسبون اني فيه — وكان النساء اذ ذاك خفافا ، إن إحداهن تأكل العلقه من الطعام^(١).

فأقبلت وقد ارتحلوا ، فجلست ، ثم غلبتني عيناي فممت ، وكان صفوان بن المعطل من وراء الجيش ، فلما أصبح رأى سوادا ، فاسترجع ، فاستيقظت باسترجاعه^(٢) ، ثم ركبت راحلته حتى أتيت الجيش بعد ما نزلوا في نحر الظهيرة^(٣) ، فتكلم المنافقون ، والذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول ، وقدمنا المدينة ، واشتكت شهرا لا أشعر بما يفيض فيه أصحاب الافك ، ثم خرجت مع أم مسطح ، فعثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح^(٤) فقلت : بئس ما قلت ! أتسيين رجلا شهد بدرا ؟ قالت : ياهنتاه ! ألم تسمعي ما يقولون ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك ، فازددت مرضا .

واحتبس الوحى ، فاستشار النبي — ﷺ — على بن أبي طالب وأسامه ابن زيد — رحمه الله — في فراقى ، فقال أسامة : مانعرف الا خيرا ، وقال على : يا رسول الله ! لاتضييق على نفسك ، فان النساء كثر ، ثم انزل الله تعالى

(١) العلقه القليل من الشيء .

(٢) فى مختصر السيرة ص ٢٦٨ بعد هذا : فخرت وجهي بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه .

(٣) نحر الظهيرة وقت القائلة .

(٤) تعس هلك .

(٥) يا هنتاه ياهذه أو يامرأة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ... ﴾^(١) الآيات الى آخر القصة ، فأتاها رسول الله — ﷺ — فقالت: بحمد الله لا بحمدك ، ثم أمر رسول الله بحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثه ، وحمنة بنت جحش فجلدوا ثمانين ثمانين . فهؤلاء أول من جلد في القذف ، ثم قال حسان : يعتذر عما كان منه ، ويمدح عائشة — رضى الله عنها —

حَصَانٌ رَزَانٌ لَا تَزْنُ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٢)

فقالت عائشة : — رضى الله عنها — لكنك يا حسان لست كذلك ، وكان أبو بكر — رضى الله عنه — ينفق على مسطح ، فحلف ليقطعن عنه النفقة ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ... ﴾ الى قوله تعالى : وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا . أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ^(٣) فقال أبو بكر : بلى نحب ذلك ، وعاد في النفقة هذا معنى الحديث .

أول امرأة حملت في نعش من العرب

زينب بنت جحش زوج النبي — ﷺ — ورضى الله عنها ، وقد ذكرنا أمر النعش فيما تقدم .

أول ظعينة هاجرت^(٤) الى المدينة

أم سلمة زوج النبي — ﷺ —

(١) سورة النور الآيات من (١٠ - ٢٠) .

(٢) حصان عفيفة . وزان وقورة . لاتزن بريبة لاتتهم بشر . غرثي جائعة . الغوافل جمع غافلة يعنى أنها لاتتكلم فى غيرها بسوء .

(٣) سورة النور الآية (٢٢) .

(٤) الظعينة : المرأة مادامت فى اليهودج أو الزوجة .

أول بكر هاجرت

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، فتزوجها زيد بن حارثة ، ثم تزوجها الزبير بن عبد الرحمن بن عوف ابن عمرو بن العاص .

أول امرأة نبئت سجاح بنت سويد بن خالد

أخبرنا أبو احمد عن رجل نسيت اسمه قال : قال عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن عوانة أو غيره قال : كان من حديث سجاح بنت سويد بن خالد ابن أسامة بن العنبر بن يربوع التميمية ، وتكنى أم صادر ، وأخوها عتبان وكانوا من بني تغلب ، فلما قبض النبي ﷺ — واستخلف أبو بكر ، وكانت الردة ، نبئت سجاح ، وخرجت من بني تغلب ، فبعها أناس كثيرون من النمر ابن قاسط وأياد . ومن بني تغلب الهذيل بن عمران . فخرجت تسير بهم الى بلاد بني تميم ، فلقيها بنو حنظلة فقالت : انا امرأة منكم ، والملك ملككم ، وقد بعثت نبية ، قالوا ، مرينا ، قالت : ان رب السماء والتراب يأمركم ان توجهوا الركاب ، وتستعدوا للنهاب ، ثم تغيروا على الرباب ،^(١) فليس دونهم حجاب .

فسارت بنو حنظلة الى بني ضبة ، وهم من الرباب ، وسارت سجاح ومن معها من بني تغلب والنمر ابن قاسط الى حفر التيم ، وعليه من الرباب بنو عدى وثور ، فأما بنو حنظلة فلقوا بني ضبة ، فهزمتهم ، ولقيت سجاح ومن معها تيما وعديا وثورا ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وجاءتهم وفود بني تغلب والنمر وأياد ، وأرسلت بنو ضبة يطلبون الى حنظلة أن يودوا^(٢) قتلاهم ، ويصالحوهم ، فقالت : لاتعجلوا على الرباب فانهم يحشون نحوكم الصعاب .

(١) الرباب : قبيلة معروفة في العرب .

(٢) الاصل في هذا الفعل حذف الواو لانه مثال مكسور العين في المضارع وكل فعل كذلك تحذف واوه في المضارع والامر فالأصح ان يقول (ان يلدوا قتلاهم) أى يدفعوا دية القتلى منهم .

ثم قالت : عليكم باليمامة ، فانها دار اقامة ، نلقى أبا ثمامة ، فان كان نبيا ففى النبى علامة ، وان كان كذوبا فله ولقومه الندامة ، ولا يلحقكم بعد ملامة ، فخرجوا نحوها ومعها عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد ، وعمرو بن أهثم ، والاقرع بن حابس وشيث بن ربيع وهو مؤذنها — فساروا حتى نزلوا الصمان ^(١) ، فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب — وكان قد تنبأ — فتجسس أهل اليمامة لها — فقال مسيلمة : دعونى ورأى ، فأهدى لها ، وكتب اليها ، ان موعدنا يوم كذا نلتقى فيه ، ونتدارس ، فان كان الحق بيدك بايعناك ، وان كان فى أيدينا بايعتنا ، فخرجت فى أربعين ، فلما جلسوا أحصاهم ، ثم قال ليقيم من ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، حتى ننظر من صاحب الأمر ، فقاموا .

فقال مسيلمة لغلामه : عثن لها لتذكر الباه — والعثان الدخان — أى بخر لها بشئ من الطيب — فقال مسيلمة : لنا نصف الارض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا لا يعدلون ، رحم الله من سمع ، ومازال أمره فى كل ماشاء مجتمع ، وأطمع فى الخير فطمع ، أراكم الله محياكم ، ومن رجز ^(٢) خلاكم ، ويوم القيامة نجاكم ، علينا صلوات من معشر أبرار ، لا أشقياء ولا نجار ، يصلون بالليل ، ويصومون بالنهار ، ولربهم الكبار ، رب النور والأمطار ، ولما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفت ، وأيديهم انبسطت ، النساء يأتون ، والخمر يشربون ، أنتم معشر الابرار ، سبحان ربى كيف يحيون ، والى رب السماء يرقون ، لو أنها حبة من خردلة فى جندلة ^(٣) لقام عليها شهيد ، يعلم ما فى الصدور ، أكثر الناس ، يومئذ المثبور ^(٤) ، قالت : أشهد أنك نبى ، وآمنت به .

(١) الصمان أرض غليظة فيها خيرات كثيرة تكفى العرب جميعا فى ذلك الحين وهى لبني حنظلة متاخمة للدهناء .

(٢) الرجز الائم والذنب .

(٣) الجندلة الصخرة العظيمة .

(٤) المثبور الهالك .

فقال : انكن — معشر النساء — خلقتن لنا أفراجا ، وخلقنا لكم أزواجا ،
 فاذا ملكناكن أرجن لنا ارتجاجا ،^(١) فنولجه فيكن ايلاجا ، فتخرجن أولادا
 انتاجا ، قالت : صدقت .
 ثم قال :

أَلَا قَوْمِي إِلَى الْبَيْتِ فَقَدْ هِيَ لَكَ الْمَضْجَعُ
 فَإِنْ شِئْتَ بِثُلَاثِيهِ وَإِنْ شِئْتَ بِهِ أَجْمَعُ
 وَإِنْ شِئْتَ سَلَفْتَاكِ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى أَرْبَعِ

قالت : بذلك أوحى الى . قال : هل لك أن تزوجيني نفسك ، فيكون
 الملك بيننا ، ونخفف عن عشيرتنا ؟ قالت : نعم . فتزوجها وانطلق الى
 اليمامة ، وتركت الجمع الذي كان معها بالصمان ، ورفع مسيلمة عن بنى تميم
 صلاة الغداة^(٢) والظهر والعشاء ، وقال : ان بنى تميم لقاح لا أتأوة عليهم —
 يعنى الخراج — فعامه بنى تميم لا يصلون هذه الصلوات الى اليوم فلم تزل عند
 مسيلمة الى ان قتل ، فهربت فلم توجد ، ثم أسلمت فتزوجها رجل من قومها ،
 فولدت له ثلاثة وماتت بالبصرة .

قالوا : ولما وقع عليها مسيلمة ، خرجت الى قومها وهى تنظف عرقا ،
 قالوا : ما عندك ؟ قالت : وجدته أحق بالامر منى ، فبايعته ، وزوجته نفسى ،
 قالوا : ومثلك لايتزوج بغير مهر ؟ فقال مسيلمة : جعلت مهرها ان رفعت
 عنكم صلاة الغداة والعتمة ،^(٣) فقد أوحى الى بذلك . قالوا : وما هو ؟ قال :
 ضفدع بنت ضفدعين رأسك فى الماء ورجلك فى الطين ، لاماء تكدرين ، ولا
 شارب تنفضين ، سجاج بنت الاكرمين ، قومي ادخلى الثيطون ، فقد وضعنا
 عن قومك صلاة المعتمدين ، فرضوا ، فلما عرف قومها حالها قال عطارد بن

(١) الارتاج الاغلاق والمعنى اذا ملكناكن كتنن وفقا علينا .

(٢) الغداة الصبح .

(٣) العتمة صلاة العشاء .

حاجب بن زرارة :

أَضَحْتُ نَيْتًا أَنِّي يُطَافُ بِهَا
وَأَصْبَحْتُ أُنِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا
فَلَعَنَهُ اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ كُلَّهُمْ
عَلَى سَجَاحٍ وَمَنْ بِالْإِلْفِ أَغْوَانَا
أَعْنِي مُسَيِّلَةَ الْكَذَّابِ لَا سَقَبَتْ
أَصْدَاءَهُ غَيْثُ مُزْنٍ حَيْثُ مَا كَانَا^(١)
وقال الاغلب العجلي :

إِنَّ سَجَاحًا لَأَقِيَتْ الْكَذَّابَا سَأَلَهَا فَأَعْيَتِ الْجَوَابَا
وَهَتَّكَتْ عَنْ سِرِّهَا الْحِجَابَا فَلَا أَهْلًا لَقِيَتْ وَلَا رَحَابَا

أول امرأة لبست المصبغات في الإسلام شميلة

أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبي زيد عن شباب بن خياط عن
الهيثم بن عدي عن ابن عباس عن الشعبي قال : كانت شميلة أول من لبست
المصبغات ، وعملت السقوف ، وعبأت الطيب ، وكانت تحت ابن عباس ،
فربما أخذ دملجها^(٢) فتأتى به امرأة ذرعة بنت مشرح أم علي فتقول : هذا طوق
شميلة ، فتقول : انه لحسن فتقول : انه والله دملجها ، فتقول : لا بارك الله لك
ولا لها !

وكان ابن فسوة وهو عتيبة بن مرداس قد أتى ابن عباس فحجبه ،^(٣)

(١) الاصداء جمع صدى وهو العطش الشديد . والمزن السحاب ذو الماء .

(٢) الدملج حلى يلبس في المعصم كالاسورة .

(٣) حجبه لانه كان هجاء خيث اللسان مقيما على معصية الله ، فقال له : والله لئن أعطيتك لاعينك على
الكفر والعصيان ، والله لئن هجوت أحدا لأقطعن لسانك وحبسه ثم أخرجه من البصرة . مهذب الاغانى ج
٢ ص ١٥٥ بتصرف .

فجعل يهجوهُ ، ويذكر شميلة ، فمما قال :

أَيْثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَرْجَى نَوَالَهُ
فَلَمْ يَرْجُ مَعْرِفِي وَلَمْ يَخْشَ مُنْكَرِي
وَقَالَ لِبَوَائِيهِ : لَا تَدْخُلْنِي
وَسَدَّ خُصَّاصَ الْبَابِ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
وَيَسْمَعُ أَصْوَاتِ الْخُصُومِ وَرَاءَهُ
كَصَوْتِ حَمَامٍ فِي الْقَلْبِ الْمَعُورِ
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ زُهْرَانَ قَضَيْتُ حَاجَتِي
وَلَكِنِّي مَوْلَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ
فَلَيْتَ قُلُوصِي غُرَيْثَ أَوْ رَحْلَتَهَا
إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنِ جَعْفَرٍ
إِذَا هِيَ هَمَّتْ بِالْخُرُوجِ يَصُدُّهَا
عَنِ الْقَصْدِ مِصْرَاعًا مُنِيفٍ مُحِيرٍ
يُطَالِعُ أَهْلَ الشَّوْقِ وَالْبَابُ دُونَهُ
بِمُسْتَفْلِكِ الذَّفَرَى أَسِيلِ الْمَذْمَرِ^(١)

أول ما عرفت الجمازات

ان أم جعفر أمرت الرجالين في بعض مسيرها خلف الرشيد ، أن يزيدوا في سير البختية ، وخافت فوت الرشيد ، فلما حركت مست ضروبا من المشي من المرفوع وجمزت^(٢) في خلال ذلك ، ووافقت امرأة حسنة الاختيار ، تفهم الامر ، فوجدت لذلك الجمز رائحة ، ومع الراحة لذة ، فأمرتهم ان يسيروها تلك المسيرة ، فمزالوا يقربون ويعملون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى فى

(١) المستفلك المستدير الذفرى جمع ذفرى العظم الذى خلف الاذن وهو أول ما يعرق من البعير .

(٢) الجمز ضرب من العدو السريع .

خلال ذلك تخطئهم وتصوبهم ، حتى شلوا من معرفة ذلك شدوا ،^(١) ثم انها قرعتهم لاتمام ذلك حتى تم واستوى ، وقد تقع مثل هذه الامور اتفاقا ، كما سقط الناطق^(٢) من كف الاجير فى الصفر^(٣) المذاب فخاف أهله فساده ، ثم رأوا ما أعطى من اللون فعملوا فى الزيادة والنقصان ، وكان ذلك فى دولة الاسلام ، ولم يكن أهل الجاهلية يعرفون الشبه البتة .

أول امرأة جلدت فى زنييل أم جعدة الليثي

وهى جلة بنى جعدة ، أخبرنا أبو احمد عن الجوهري عن أبى زيد عن محمد بن يحيى بن أبى غسان عن بحر بن على ، ان ابنة لعثمان بن عفان كانت تحت مروان بن الحكم ، — وهو يومئذ أمير على المدينة — وكانت تحب الحديث ، وكان ممن يحدث اليها رجل من بنى ليث ، ثم أحد بنى سجع يقال له : عبد الرحمن بن عمر بن شيبية ، وكان يلقب خان الجمال وكان ذلك يبلغ مروان فيكذب به ، وكان أخوا مروان عبد الرحمن ويحيى يطالبان أن يخلى بينه وبينهم ، فبينما هم على ذلك إذ خرج مروان حاجا ، فبلغ أخوته حين دخلوا مكة ان قد أدخلته ، فرفعوا ذلك الى مروان .

وقالوا : ائذن لنا ننهض اليه فنقتله ، فزجرهم عن ذلك فألحوا عليه ، حتى اذا كان يوم النفر الأول ألحوا عليه فقال : دونكم وما تريدون ، فخرجوا ، وسمع ذلك خصى على رأس مروان فانسئل ، وجعل يسأل عن منازل بنى ليث ، حتى دخل عليهم ، فوجد عبد الرحمن بن جحش ، — وهو ابن عم الرجل — فقال له : تعرف ابن عمك خان الجمال ؟ قال : نعم . قال : تعلم ان بنى الحكم ، قد استأذنوا الامير ان يخرجوا ليقبضوا عليه فى دار مروان ؟ قال وما علمك بذلك ؟ قال :

(١) الشدو القليل من الشيء الكثير والمراد أنهم عرفوا طرقا من ذلك الضرب من العدو .

(٢) الناطق نوع من الحلوى كالرغوة البيضاء .

(٣) الصفر النحاس .

كفيتك . أنه عندها فر رأيك . ثم ولى .

قال فقلت : أبعده الله وأسحقه ! ثم أدركتني الرحم فقممت الى ناقتي الزلوج فارتحلتها ، ثم أخذت بزماتها حتى جثت العقبة ، فسألت عندها : هل رمى أحد ؟ قالوا : نعم . من الآن ركب متكرون فرموا ثم ولوا سراعا . فرميت ثم مضيت سريعا ، حتى دخلت المسجد الحرام ، فسألت أهل الطواف عنهم فقالوا : نعم طاف الآن بنو الحكم وغللمان لهم ، ثم مضوا على رواحلهم ، فركبت ، فلا أمر على أحد الا قالوا : مروا سراعا ، حتى نزلت السرج ،^(١) فأشير لى اليهم ، أنظر الى عمائمهم ، فسرت حتى أمسيت ، وجاوزت بريديدة ،^(٢) نظرت الى بياضهم معرسين ، قال : فنزلت وعلقت الزمام الى عنق راحلتى ، ثم خرجت وخرجت وراءها ، وعدلت ذات الشمال عن المحجة ، فاستيقظ رجل منهم فقال : من هذا ؟ قلت : فحام ، قال : أمض راشدا حتى اذا تواريت منهم أنخت وركبت ، ووضعت السوط فى الراحلة ، فجئت المدينة من الغد ، حيث صليت العتمة ، فأنخت عند باب المسجد الذى عند باب مروان — والقاضى أبو هريرة — فسألت عنه فقيل : انصرف ، وأخذت بحلقة المسجد ، وصحت بأعلى صوتى — أنا عبد الله بن جحش وقد سبقنا الحاج ، وتركت الامر صالحا ، لايقولن أحد انى كنت قبله ، ورددت ذلك مرارا حتى علمت أن من فى الدار قد سمع صوتى ، فلما رأيت ذلك قلت أيضا :

أنا ابن جَحْشٍ وَهِيَ الزَّلُوجُ
حَمَرَاءُ فِي حَارِكِهَا دُمُوجُ^(٣)
كَأَنَّ فَاهَا قَتَبٌ مَفْرُوجُ
يَأْيُهَا الْفَوَاقَةُ وَالْوُلُوجُ^(٤)

(١) السرج موضع عن العمرانى وقيل ماء لينى العجلان .

(٢) بريديدة : اسم موضع .

(٣) الحارك أعلى الكاهل .

(٤) القتب بردعة الحمار يشبه فاه ناقة بفتحة البرذعة التى تكون على ظهر الحمار والفواقه صيغة مبالغة

أُخْرِجْ فَقَدْ آنَ لَكَ الْخُرُوجُ
أَتَاكَ بِالْقَوْمِ مَطَايَا عُوجٍ^(١)
لَهُنَّ مِنْ طُولِ السُّرَى ضَجِيجُ

قال : وكان مروان قد اتهم أم جعدة التي تمشى بين خان الجمال وبين زوجته ، فأخذها — وكانت عظيمة ذات خلق — وأمر بها فجعلت فى مكمل ، ثم ربط عليها وهى فيه — فكانت أول امرأة جلدت فى مكمل .



لكثرة تفوقه ، والولوج الكثير الولوج .
(١) أى أبلى حنا مرة سريعة .

الباب التاسع
فيما جاء عن العجم خاصة

أول من اتخذ النيروز عيداً

أجمعت الفرس ان جم الملك أول من اتخذ النيروز^(١) عيداً ، وجعل تعظيمه ديناً ، وهو الذى بنى مدينة طوس^(٢) وقال النسابون : فى زمانه بعث الله تعالى هودا الى عاد ، وصالحا الى ثمود ، وولد قحطان أبو اليمن ، وكان الدين قد تغير قبله ، فلما ملك جده وأظهر العدل ، فسمى اليوم الذى ملك فيه نوروز — أى اليوم الجديد — ثم عربته العرب فقالوا : نيروز الحق ببناء طيقور وزعمت الفرس ان ذلك اليوم كان معظما عند أهل المعرفة قبل جم ، لأنه اليوم الذى خلق الله فيه الخلق ، قالوا : ولذلك جعل الله فى وقته ابتداء الشور النامى^(٣) ، وهيج تناسل الحيوان وجعل المهرجان^(٤) دليل القيامة ، لتناهى جمهور النامى فيه وانقطاع النماء عنه ، ووقوف معظم الحيوان عن التناسل .

وذكروا ان سبب رفعهم النار فى ليلته قصدا لتحليل العفونات والزلوجات التى أبقاها الشتاء فى الهواء ، وأرادة التنويه بذكره وشهرة أمره ، ورش الماء فيه انما هو بمنزلة النشرة^(٥) ، وهو أيضا تطهير مما قد انضاف الى الابدان من دخان النيران فى ليلته ، وسبب اهداء السكر فيه ان قصب السكر ظهر فى زمن جم ، ولم يعرف قبله ، فوقع لبعض الناس ذواقه بالاتفاق ، فلما وجد حلاوته احتال

(١) النيروز أول يوم من أيام السنة الشمسية .

(٢) طوس مدينة فى ايران توفى فيها هارون الرشيد فى حملة على ايران وتسمى الآن مشهد وهى فى الشمال الشرقى لايران .

(٣) المراد فصل الربيع .

(٤) المهرجان أول نزول الشمس فى برج الميزان وهو من أعياد الفرس .

(٥) النشرة رقية يعالج بها المريض أو المجنون .

لاستخراج مائه وطبخه ، فوقع الفراغ منه فى يوم النيروز ، فأهداه الى الملك فيما أهدى اليه ، فتبرك به وجعل اهداءه سنة ، وكان الملك من ملوك الفرس يجلس فى النيروز ، فيقوم رئيس الكتاب فيقول بعد الحمد لله ومدح الملك : أيها الملك ! الرفق يمن ، والخرق ^(١) شؤم ، وصالحوا الاعوان محتاجون الى مايقيمهم فى أفعالهم ، ويفضل عنهم لعطلتهم ، فان ضيق عليهم كان معولهم على مال السلطان ، فيكون من حيث يرتجى الربح يقع الخسران ، وحيث تكون الخيانة ، يكون التمتع ^(٢) ، وحيث الامانة ، تتم البركة ، والفجور يقلل قطر السماء ، ومع الخيانة تعدم الزكاة ، الخراج يدر الاموال ، والاموال تكون الجنود ، وبالجنود يقمع العدو ، فيتم العدل ، ثم يمسك .

ويقوم المؤيد ، ويقدم هديته ، فيثنى على الله ثم على الملك ويقول : بقليل الغفلة يطول العناء ، فأشرف على أمرك أيها الملك ، حتى لا يستتر عليك ما تحتاج الى معرفته ، قدم الحزم فى أمورك تتم وتسلم فى عواقبها ، أكظم الغيظ تحمد صغبتة فى أمرك ، وكن برعيتك رعوفا ، تكثر محبتهم لك ، أصفح عن المسىء فليس كل الاوقات تلوم لك الطاعة ، لاتوقع فى غير موضع الايقاع فتظلم ^(٣) ، ولا تتركه فتستضعف لايمزح بحضرتك فتنتقض جلالتك ، ويجترىء الاخساء فى مجلسك ، فتذهب هيبتك ، ثم يجلس .

ويقوم الوزير ، ويقدم هديته ، ويقول بعد الثناء على الله عز وجل ثم على الملك : بسط العدل ، وتقويه الجند ، واعطاء المستحق ، وتأديب المسىء ، ترغيب فى احسان من ليس محسنا ، ويزع عن الاساءة من كل مسيئا ، واذا انصرف المحسن عن بابك بغير مكافأة ، والمسىء بغير عقوبة ، أو شك الا يرى فيه محسن ولا يغيب عنه المسىء ، بدرور ^(٤) الارزاق تصفو ضمائر الاجناد ،

(١) الخرق الحمق .

(٢) التمتع زوال البركة من الشيء .

(٣) المراد العقوبة فى غير موضعها .

(٤) درور الارزاق كثرتها .

وبسط العدل تكثر العمارة ، وبتوفر الخراج تسلم قلوب الرعية ، ثم يجلس .

ويقوم رأس المرازية ، ويقدم هديته ، ويقول بعد الشاء على الله تعالى ثم على الملك : الجنود جناح الملك ، وسداد الثغر ، ومفاتيح الحصون ، وبهم قمع الاعداء ورفع الاولياء ، وحقيق برفع المنزلة ، واسناد العطية من بذل دمه ، ولم يضمن عن الملك بنفسه ، بالسرور تكون النجدة ، وبالسرور تكون الكفاية ، وبحق أقول : ان حسم العادة ، ومنع الواجب مما يوغر الصدر حتى يصير الولي عدوا فيحتاج الى الاحتراس ممن يحترس به ، ثم يقدم الناس هداياهم ، فيأمر بالخلع والجوائز ، ومكافأة كل مهد على قدره .

وكان من سير ملوكهم ان يتأملوا هدايا الاولياء ، ويعرفوا مقاديرها ، ويأمروا باثباتها فى الديوان ، فمن أهدى مالا يترقب أحواله ، فاذا اتفق له او لاقاربه أعراس أو املاك أو غير ذلك مما يحتاج فيه الى نفقة أضعف له قيمة ما أهده أضعافا مضاعفة وحمل إليه ، ومن أهدى سهما حمل له من فاخر الثياب ما يعلو السهم اذا أقيم ، ومن أهدى تفاحة أو أترجه أعطى زنتها ذهبا ، أو غرز فيها الدنانير حتى تعمها ، وتحمل اليه ، ومن أغفل مكافأته على مأهده لعارض يعرض ثم لا يذكر بنفسه دفع حقه الى علوه وحرم منه .

أول مآظهر المهرجان على عهد أفريدون

وذلك ان الدين قبل أيامه فسد ، أفسده الضحاك فوثب به أفريدون فقيده ، فسمى اليوم الذى ظفر فيه المهرجان ، والمهر الوفاء ، وجان : سلطان فكان معناه سلطان الوفاء ،^(١) وكان سبيل الملك فيه سبيله فى النيروز ، القتل والأسر .

(١) فى المنجد : المهرجان مكونه من كلمتين مهر أى محبة ، جان أى روح فيكون معناه : محبة الروح .

أول من وضع العصور الضحاك

وهو نمرود وهو أول من تغنى له ، وأول من لبس التاج ، وفي زمانه ولد ابراهيم عليه السلام ، وقصته ما قصه الله تعالى في القرآن .

أول من نظر في الطب افريدون

وفي زمانه ظهرت الفلاسفة ، وتكلم في فنونهم ، والله أعلم بحقائق هذه الاشياء .

أول من جمر البعوث فرعون

والتجمير ان يلزم الامير الجيش الثغر ، ولا يأذن لهم في القبول ، قال الشاعر :

مُعَاوِيَ اِمَّا اَنْ تُجَهِّزَ اَهْلَنَا
اِلَيْنَا وَاِمَّا اَنْ تُؤَوِّبَ مُعَاوِيَا
اَجْمَرْتَنَا تَجْمِيرَ كِسْرَى جُنُودَهُ
وَمَنْيَتَنَا حَتَّى مَلَكْنَا الْاَمَانِيَا
مُعَاوِيَ لِلْحَبْسِ الْمُحَجَّرِ قَدْ اَتَى
لَهُ سَتَانِ فِي خُرَاسَانَ نَاوِيَا
مُعَاوِيَ كَمْ ذِي زَوْجَةٍ قَدْ تَرَكْنَاهُ
وَمِنْ ذِي اَخٍ لَا يَرْجُوَنَّ التَّلَاقِيَا
وَإِنْ لَا تَلْدَغُ تَجْمِيرَنَا عَنْ نِسَائِنَا
نُعِدْ لَكَ اَيَّاماً تُشِيبُ التَّوَاصِيَا

وكان عمر رضى الله عنه يجمر الجيش ، حتى سمع امرأة تنشد ليلا وهو الذى أخبرناه أبو احمد عن أبي روق عن الرياشي عن أيوب بن الحسن الهاشمي عن ابن أبي أويس عن مالك عن عبد الله بن دينار قال : خرج عمر ليلة فسمع امرأة تقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَ جَانِبُهُ
وَأَرْقَى أَنْ لَاخِيلَ الْأَعْبَهُ
فَوَ اللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
لَحَرَّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلَكِنِّي أَحْشَى الْإِلَهَ وَأَتَّقِيهِ
وَأَحْفَظُ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَائِبُهُ

فسأل حفصة — رضى الله عنها — ، كم تصبر المرأة على زوجها؟
فقالت : أربعة أشهر أو ستة أشهر — شك مالك — فقال : لا أحبس جيشاً أكثر
من هذا .

والتجدير فى غير هذا الموضع روى الجمار . قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَوْقِفَ سَاعَةٍ
يَبْطِنُ مِنِّي تُرْمَى جَمَارُ الْمُحْصَبِ
وَيُبْدَى الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَدَفْتُ بِهِ
مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

والإجمار السرعة فى السير ، ويقال لليلة قبل السرار : ليلة جمير ،
ويقال : جمرت المرأة شعرها اذا ضفرته وتجمر القوم اذا صار لهم بأس ،
وخف مجمر أى مجتمع ، وأجمر حيله جعلها جملة ، والجمرات من العرب
عبس وضبة ونمير والحارث .

أول من طبخ الآجر هامان

قالوا : وهو قوله تعالى ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، فَاجْعَلْ لِي
صَرْحاً ﴾ ^(١) والصرح القصر . ولمح بعضهم بآيات فيها ذكر هامان ، وتشديد

(١) سورة القصص الآية (٢٨) .

الصرح ، وهو قوله :

إِنْ كَانَ فِي آيَةِ اللَّهِ مُعْتَبَرٌ
فَأَنْتَ مُعْتَبَرٌ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ
جِسْمٌ نَحِيفٌ وَأَلْفٌ قَدْ صَفَا عَظْمًا
كَأَنَّهُ جَبَلٌ فِي رَأْسِ ثُعْبَانٍ
لَوْ كَانَ فِرْعَوْنُ إِذْ رَامَ السَّمَاءَ سَمَا
فِيهِ لِأَغْيَاهُ عَنْ تَشْيِيدِ هَامَانَ

ومثله في المبالغة قول الاعشى : واستغفر الله منه .

لَأَتَرَى جِسْمَهَا مَعَ الْأَلْفِ إِلَّا
بِدَلِيلٍ وَسِمْعَةٍ وَمُنَادٍ
لَأَتَلَمَّنِي رَبَّ الْعِبَادِ فَمَا كُنْتُ إِلَّا سُحْرِيَّةً لِلْعِبَادِ
وقال آخر :

فَلَوْ جُعِلَتْ إِمَامِي وَذَلِكَ دِينَ الْيَهُودِ
لَكَانَ حِصْنِي مِمَّا أَخَافُ أَلْفَ سَعِيدِ
وَكَانَ أَحْفَى لِشَخْصِي عَنِ الْعَدُوِّ الْحَسُودِ
مِنْ خَنْدَقٍ دُونَ حِصْنٍ عَلَيْهِ بَابَا حَدِيدِ

أول من غير سنة آل ساسان يزدجرد الاثيم

سمى أثيما لكثرة مقابحه ، كانت ملوك الفرس يتوخون المعدلة والانصاف ، ويزيحون أسباب الظلم والعدوان في جميع متصرفاتهم ، وينصرون المظلوم وان كان دنيا على الظالم وان كان شريفا ، ويقولون : اذا لم يكن الملك منصفاً عادلاً فهو لص متغلب ، حتى ولى يزدجرد الاثيم فأزال هذه وقال : ليس على الرعية أن تعترض على الراعي في شيء مما يريد ، وليس للرعية أن تشكوه ، وتكر شيئا من أمره .

وكان ذات يوم واقفا في جنده ، فأقبل فرس من أحسن ما يكون من الخيل ، عليه سرج ولجام ، ولم ير أحسن منه ، فتبادر القوم نحوه ، فكل من قرب منه رمحه ،^(١) وهو في ذلك يوم^(٢) يزدرج ، فقال : دعوه فانه يريدني ، وتقدم اليه وأخذ بلجامه ومسحه ، وانقاد له الفرس ، فبينما هو يدور به ، ويمسحه ، رمحه فأصاب قلبه ، فمات من وقته ، فقالت الفرس :

ذلك الملك الموكل بالعدل ، لما كثر من يزدرج الجور بعثه الله اليه فقتله .

أول من جعل للضيف صدر المجلس

بهرام جور وهو أول من سماه مهمان ، ومعناه عظيم وذكر في مفاخرات العرب والعجم عربيا وفارسيا تفاخرا ، فغلب العربي الفارسي في كل خصلة ذكرها ، حتى ذكر القرى والضيافة فقال الفارسي : لنا في ذلك ما ليس للعرب ، نحن نسمى الضيف مهمان أى عظيمنا أو كبيرنا ، فنجعل أنفسنا نضافة إليه ، وانتم تسمونه الضيف ، فتجعلونه مضافا اليكم ، فغلب الفارسي العربي في هذه الخصلة .

أول من وضع الخراج

وقالوا : أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة أنو شروان ، مر بغلة يتناول منها صبي شيئا وأمه تمنعه فقال : لم تمنعيني ؟ فقالت : ان فيها حقا للملك ، فلا نستحلها لأنفسنا حتى نؤدى حقه فيها ، فقال : قد ضيقنا على الناس ، لو أخذنا عن كل غلة شيئا معلوما ، وخلينا بينها وبين صاحبها كان أمثل ، فجمع وزراءه ليوافقهم على استبداء الخراج وترك المقاسمة ، فقام بعض

(١) رمحه رفسه .

(٢) يوم يزدرج يقصده .

الكتاب فقال : أيها الملك ! أعيذك بالله أن تضع مايبقى على مايفنى ! فقال للكتاب : أقتلوه ، فقاموا اليه بالدوى ،^(١) فضربوه حتى قتلوه ، وهو أول من قتل بالدوى .

أول من مسح الأرض

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : أول من مسح الارضين ، ووضع الدواوين وجدد الخراج ، ووظف على البلاد ، قباذ ، فضير لذلك ديوانا بحلوان سماه ديوان العدل ، وكان كل شيء يجبي من مملكة الفرس عشر مرات مائة ألف ألف^(٢) مثقال ، وكان الملك اذا أخذ نصف الجباية ، وترك النصف للناس ، كان الناس متماسكين — ليست بهم سعة ولا ضيق — فان أخذ أكثر من النصف أضر ذلك بهم بقدر أخذه ، فجباهم قباذ ستمائة ألف ألف ، وذلك تسعمائة ألف ألف درهم ،^(٣) فأضر ذلك بالناس وكان العراق يجبي أيام أنو شروان ستمائة ألف ألف مثقال .

وأما أبرويز فانه أحرز في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف ،^(٤) وترك في أيدي الناس في المملكة مائة ألف ألف فهلك الناس ، حتى كانت الجارية تقام فتياب بلرهم .



(١) الدوى جمع دواة وهي أداة يوضع فيها الحبر .

(٢) يعني ان دخل الدولة في ذلك الحين كان ألف مليون مثقال .

(٣) يعني ان قباذ كان يأخذ ثلثي الدخل ويترك للناس الثلث .

(٤) يبدو أن الرقم تسعمائة ألف ألف بدليل مايعده من الكلام وحينئذ يكون أبرويز يحصل من الشعب تسعة أعشار الدخل ويترك لهم العشر وذلك تضرر الناس كثيرا .

أول ما عمل القورج (١)

لما عمل كسرى القاطول (٢)، انقطع الشرب على أهل السافل فخرجوا يتظلمون إليه ، فوافقوه في متنزه له راكبا ، فقالوا : أيها الملك ! جئنا متظلمين منك ، فنزل وجلس على التراب وقال : لا أبرح حتى أزيل ظلامتكم ، فذكروا قصتهم فأمر بسد القاطول فقالوا : لانجشم الملك في ذلك ، ولكن تجعل لنا ماء يجرى إلينا من فوق القاطول ، فأمر بعمل قورج أجرى فيها الماء إليهم ، فكان أول ما عرف القورج .



(١) لم أعثر له على معنى ولعله الماصورة التي يجرى الماء خلالها .

(٢) القاطول موضع على نهر دجلة بناه كسرى فمنع دخول الماء عن أهل الأماكن المنخفضة ولهذا تضرروا وشكوا .

الباب العاشر

في ذكر أنواع مختلفة من أحاديث
جاءت عن العرب والعجم قصر
على نوع منها أن يعقد له باب وفي
ذكر أشياء عثرت بها بعد نظم
أبواب الكتاب فجمعتها في هذا
الباب .

أول شيء بناه الله تعالى

قال العتبي : وجدت في التوراة أول شيء بناه الله تعالى السماء .

أول قرية بنيت على الارض

قرية يقال لها : ثمانين ، بناها نوح — عليه السلام — وجعل لكل رجل ممن معه بيتا وكانوا ثمانين فهي الى اليوم تسمى ثمانين .

أول بيت بنى الكعبة

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ ^(١) وبكة موضع البيت ، ومكة اسم البلد .

أول من خاط الثياب ولبسها ادريس

وكانوا يلبسون الجلود ، وهو أول من خط بالقلم على ما قالوا والله أعلم .

أول من عملت له النورة سليمان (عليه السلام)

كذا قيل ، والنورة عربية صحيحة .

أخبرنا أبو احمد قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أضل الكذاب ناقة ، فاتهم بنى عميرة ، فتجوع لهم ، ليتشوه ^(٢) على ماء لهم ، فلما كان يوم ورودها تعرى ثم رجز :

لَهُمْ إِنْ كَانَتْ بُنُو عَمِيرَةَ

رَهْطُ الثَّلَاثِ هَذِهِ مَقْصُورُهُ

قَدْ حَشَدُوا الْعُدْرَةَ مَذْكُورُهُ

وَأَصْبَحُوا كَأَنَّهُمْ قَاوُورُهُ ^(٣)

(١) سورة آل عمران الآية (٩٦) .

(٢) تشوه لفلان رفع طرفه اليه ليصبيه بالعين يعني ليحسده .

(٣) القارورة اناء يجعل فيه الشراب والطيب ونحوه .

مِنْ إِبْلِ وَغَمٍ كَثِيرٍ
فَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سَنَةً قَاشُورَةً^(١)
تُخْتَلِقُ الْمَالَ اخْتِلَاقَ التَّوْرَةِ^(٢)

فقالوا : كم ثمن ناقتك ؟ قال : ثلاثون درهما فأعطوه إياها .

التشوة : ان يقف الرجل بحذاء ابل يريد ان يصيبها بالعين ، فيقول :
مأحسنها ما أسمنها ، والتجوع تفعل من الجوع ، وعندهم أنه اذا جاع كان
ذلك أنكى فيها ، ومن أحسن ماشبه به النورة اذا طلى بها قول بعض المحدثين :

وَمُجَرَّدُ الْأَبْوَابِ أَسْلَمَ نَفْسَهُ
لَمَجَرَّدٍ يَكْسُوهُ مَالًا يَنْسُجُ
ثَوْبٌ تُمَرِّقُهُ الْأَنَامِلُ رِقَّةً
وَيُزِيلُهُ الْمَاءُ الزُّلَالُ قَيْهَجُ
فَكَأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ فِي مُحَضَّرَةٍ
نِصْفَانِ ذَا عَاجٍ وَذَا قَيْرُورَجٍ^(٣)

أول من عمل الصابون سليمان (عليه السلام)

والصابون اسم أعجمي ، وان كان موافقا لبعض أبنية العرب مثل ياعور
وساجور .

أول من عمل القراطيس

وقالوا : أول من عمل القراطيس يوسف (عليه السلام) والقرطاس عربي
وكانت الاغراض^(٤) تعمل من القراطيس ، فسمى الغرض قرطاسا ، ويقال

(١) السنة القاشورة : المجذبة .

(٢) تحتلق المال تزيله كما يفعل الحلاق بالشعر .

(٣) العاج سن الفيل وأنيابه . والقيروزج حجر كريم أزرق اللون .

(٤) الاغراض جمع غرض وهو الهدف الذى يرمى عليه بالبندقية او نحوها .

قرطست اذا أصبت القرطاس ، وهو الغرض ، ومن بديع ماجاء فى ذلك قول أبى تمام :

قَرُطَسْتُ عَشْرًا فِي مَوْذِنَةٍ فِي مِثْلِهَا مِنْ سُرْعَةِ الطَّلَبِ
وَلَقَدْ أَرَانِي لَوْ وَقَفْتُ يَدِي شَهْرَيْنِ أَرَمِي الْأَرْضَ لَمْ أَصِيبِ

أول من ركب الخيل إسماعيل (عليه السلام)

وكانت الخيل قبل ذلك وحشا ، فأخذها وصنعها ، فأنست وتعلم ولده صنعتها منه ، فبقى علمه فيهم ، ولهذا اختصت العرب بالمعرفة بها ، وهى مما يتمدح بارتباطها ، قال النبى : — عليه الصلاة والسلام — « الغنم بركة ، والإبل جمال ، والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » وقال فى أنثاها : « ظهورها حرز ، ويطونها كنز » وقال : « خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة » والسكة السطر من النخل ، والمأمورة المصلحة المعلمة ، قال الأسعر الجعفى يصف الخيل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَوَقُّي الرَّذَى
أَنَّ الْخُصُونَ الْخَيْلَ لَأَمْدَرَ الْقَرَى
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ غَوَاسًا
كَأَنَامِلِ الْمَقْرُورِ أَقْمَى فَاصْطَلَى (١)

وهذا أحسن ما قيل فى اصطفاف الخيل ، والعرب تفتخر باتخاذ الخيل والابل ، وتذم الغنم ، على ان النبى — ﷺ — قال : « السكينة فى أهل الغنم ، والخيلاء فى أهل الخيل والابل ، وفى الفدادين أهل الوبر ، والحكمة يمانية » الفداد الخافى الصوت .

وقيل لابنة الخس : ماتقولين فى مائة من الابل ؟ قالت : منى . قيل فمائة

(١) الانامل أطراف الأصابع . المقرور الذى أصابه البرد . أقمى جلس على رجله ملصقا مقعدته بالارض ، اصطلى تدفأ بالنار .

من المعز ؟ قالت : قنا قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : عنا .^(١) قيل : فمائة من الخيل ؟ قالت : لاتحس ولا ترى . قيل . فمائة من الحمير ؟ قالت : أخزى الله الحمير من مال ! فى ظهره دبيرة ، وفى بطنه كمره ، قموص الحنجرة ،^(٢) ان أرسلته ولى وان ربطته أدلى .

أول شعر قيل فى الإسلام قول ضرار بن الخطاب

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد قال : أول شعر قيل فى الإسلام قول ضرار بن الخطاب الفهرى :

تَدَارَكْتُ سَعْدًا غَتَوَةً فَأَسْرَتُهُ
وَكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتُ مُنْذِرًا
فَلَوْ نَلْتُهُ طُلْتُ^(٣) دِمَاءَ جِرَاحِهِ
وَكَاثُ حَرَامًا أَنْ تُطَّلَ وَتُهْدَرَا

قوله : تداركت سعدا ، يعنى سعد بن عبادہ ، والمذر هو ابن عمرو من الخزرج ، كانا من الانصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ — ليلة العقبة الثانية ، وكانوا سبعين رجلا ، فلما نفر الناس من منى ، خرجت قريش فى طلبهم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو كلاهما ، ثم أعجزهم المنذر ، وأخلوا سعدا ، فربطوا يديه الى عنقه ، ودخلوا به مكة يضربونه ويجذبونه بحمية .

قال سعد : فانى لفى أيديهم اذا طلع رجال من قريش ، فيهم رجل مضىء شعشاع^(٤) حلو ، فقلت فى نفسى : ان كان عند أحد من القوم خير فعند هذا ، فلما دنا منى ، رفع يده فلطمنى لكمة شديدة . فقلت فى نفسى : ما عندهم بعد

(١) متى جمع أمانة يتمناها الانسان ، قنا : مال يحرص الانسان على جمعه ، عنا : تعب ومشقة .

(٢) قموص الحنجرة مثل يضرب للكتاب .

(٣) طلت أهدرت ولم يثار لها .

(٤) الشعشاع الطويل .

هذا خير ، واذا هو سهيل ابن عمرو ، ثم هتفت بجبير بن مطعم ، والحارث بن أمية ابن عبد شمس فجاء فخلصاني ، فقال ضرار هذا الشعر ، فأجابه حسان .

وَلَسْتُ إِلَى سَعْدٍ وَلَا الْمَرْءِ مُنْذِرٍ
إِذَا مَا مَطَايَا الْقَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمُرًا
وَأَنْتَ وَاسْتِضَاعُكَ^(١) الشَّعْرُ نَحُونَا
كُمُسْتَبْضِعٍ ثَمْرًا إِلَى أَرْضٍ خَيْرًا

أول جيش خرج من المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ — جيش
أسامة

أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني عن رجاله قال :
لما كان يوم الاثنين لثلاث بقين من صفر سنة احدى عشرة ضم رسول الله ﷺ — جيشا الى أسامة ، فيهم أبو بكر وعمر والزبير ، وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم من المهاجرين الاولين وكان لأسامة ثمانية عشر عاما ، فتكلم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ — عاصبا رأسه فخطبهم ، وقرط^(٢) أسامة ، وذكر حسن منزلته عنده ، فسكنوا وخرج أسامة فعسكر في الجرف ، على فرسخ من المدينة ، ورسول الله ﷺ — مريض ، فاستأذنه أسامة أن يقيم إلى أن يعافى ، فلم يأمره ولم ينهه ، ثم توفي رسول الله ﷺ وبويع أبو أبكر — رضى الله عنه — ، فخلف أسامة عمر والزبير وأبا عبيدة ، وسار الجيش حتى أغار على بلاد الشام ، وكان ذهابه ومجيئه أربعين يوما ، وقيل سبعين يوما ، وكان سعد يلقي أسامة بعد ذلك فيسلم عليه بالامرة ، فهذا هو الاصل في التسليم بالامرة والوزارة والقضاء على المعروفين من هذه الأعمال .

(١) الاستبضاع جعل المال بضاعة له .

(٢) قرط أسامة مدحه .

أول يوم انتصفت فيه العرب يوم ذى قار

ويسمى يوم ذى قار ، ويوم ذات العجوم ، ويوم البطحاء ، ويوم الجبانات ،^(١) ويوم ذى الحنو ، ويوم قراقر ، وكان حديثه أن النعمان بن المنذر قتل عدى بن زيد ، وكان فى تراجمة كسرى ، فقام ابنه زيد بن عدى مقامه ، فما زال يفسد على النعمان عند كسرى أبرويز حتى تنكر له ، وأمره بالوفود عليه ، فاستودع النعمان حلقه ونعمه هانىء بن مسعود الشيبانى ، ورحل الى كسرى ، فقتله ، واستعمل أياس بن قبيصة على الحيرة ، وأمره أن يضم ماكان للنعمان فيبعث به إليه ، فبعث إلى هانىء ، أن أرسل بودائع النعمان الى ، فلم يجبه الى ذلك .

وغضب كسرى ، وأظهر أنه مستأصل بكر بن وائل ، وقال له النعمان بن زرعة التغلبى : أمهلهم حتى يقيظوا ،^(٢) فانهم اذا قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له : ذو قار ، فتأخذهم كيف شئت ، فلما نزل بكر بن وائل ذا قار أرسل اليهم النعمان ابن زرعة أن اختاروا احدى ثلاث : اما ان تعطوا بأيديكم فيحكم الملك فيكم كيف يشاء ، وإما أن تخلوا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب ، فتأمروا وولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلاني فقال لهم : إن أعطيتم بأيديكم قتلتم وسييت ذرايركم ، وإن هربتم قتلكم العطش ، فلتاكرم تميم فتهلككم ، فليس لكم الا الحرب .

فبعث كسرى هامرزا التستري ، وكان على أسلحته بالقطقطان^(٣) وإلى والى جلايزين — وكان بيارق —^(٤) فانضما الى اياس ابن قبيصة ، وأمر قيس بن مسعود — وكان استعمله على الطف^(٥) — بالانضمام اليهم ، فاجتمعوا بصحراء

(١) الجبانات فى الاصل الصحراء .

(٢) يقيظوا دخلوا فى القيظ وهو شدة الحر .

(٣) فى معجم البلدان القطقطان عين ماء فى بادية الطف .

(٤) بارق ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة .

(٥) الطف أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية قتل فيها سيدنا الحسين بن على رضى الله عنه .

ذی قار فانفتل مسعود بن قیس لیلًا ، فأتی هانیء بن مسعود وقال : أعط قومك سلاح النعمان ، ففعل ذلك .

فلما دنا الجمعان قال هانیء : یامعشر بکر ! لا طاقة لنا بجنود کسری ، ومن معه من العرب ، فاركبوا الفلاة فتسارع الناس الى ذلك ، وردهم حنظلة بن ثعلبة ، وقطع وذن الهوداج^(١) لئلا يستطيعوا سوق نسائهم فسمى مقطع الوذن ، ونادت نساء بکر ، أتدعوننا للقلف وتنصرفون ؟^(٢) فحمى الرجال وقطع سبعمائة منهم أيدي أقييتهم من قبل مناكبهم لتخف أيديهم بالضرب بالسيوف ، فجالوا وضرب حنظلة على نفسه قبة ، وقال : والله لأأفر حتى تفر القبة ، فرجع أكثر الناس ، واستقوا لنصف شهر ، والتقوا فعضشت الفرس ، فهربت الى الجبانات ، فتبعتهن عجل ، فقاتلوا فی الجبانات ، فعضشوا فمالوا الى بطحاء ذی قار ، فأرسلت ایاد — وهی مع الفرس — الى بکر بن وائل سرا أنا ننهزم اذا التقيتم ، وقويت نفوس بکر وکمنوا کمینا ، وباکروهم فالتقوا فقال حنظلة :

قَدْ جَدَّ أَشْيَاغُكُمْ فَجِدُّوا
مَا عَلَتْنِي وَأَنَا مُؤَدِّ^(٣) جَلْدٍ
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ غَرْدٌ
مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

(١) وذن الهوداج الحزم .

(٢) المقصود من هذه العبارة تحميس الرجال للدفاع عن حريمهم وعن رجولتهم ، والقلف جلدة عضو التناسل ، وفي أيام العرب ص ٣١ فقالت امرأة من عجل :

ان تَهْزَمُوا نَعَانِقُ ونَفْشَرُش النَمَارِقُ
او تَهْزَمُوا نَفَارِقُ فَرَاقُ غَيْرَ وَامِقُ
الوامق المحب . وقالت ابنة القرين الشيبانية :

أَيُّهَا بَنِي شِيَّانَ صَفَا بَعْدَ صَفٍّ ان تَهْزَمُوا يَصْبِغُوا فِينَا الْقُلْفُ
(٣) في أيام العرب : المؤدّي الذي عنده اداة الحرب كاملة .

قَدْ جَعَلْتُ أَخْبَارُ قَوْمِي تُبْدُو
إِنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ (١)

وقال أيضا :

مَنْ قَرَّ مِنْكُمْ قَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ
وَجَارِهِ الْأَدْنَى وَعَنْ نَدِيمِهِ (٢)
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ
إِنَّ الشَّرَّاءَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ
وَكُلُّهُمْ يَجْرَى عَلَى قَدِيمِهِ

ونادى هامرز بُردا ، فقال برد (٣) بن حارثة اليشكري : ماتقول ؟ قيل :
رجل يدعو الى المبارزة . قال : وأيكم قد أنصف . وبرز له برد فقتله . وقال
حنظلة : يا قوم ! لاتقفوا لهم فيسبغوكم النشاب ، فحملت ميسرة بكر وميمنتها
على الفرس وخرج الكمين من ورائهم ، وفشل اياس بن قبيصة وهو فى القلب ،
وولت اياد منهزمة فانهزمت الفرس . فقتلوا مايين بطحاء ذى قار حتى بلغوا
الراحضة ، (٤) وقتل حنظلة بن ثعلبة والى حلايزين ، وأسر النعمان ابن
زرعة (٥) وقال :

(١) زاد فى أيام العرب :

هذا عمير حية الد يقدمه ليس له مرد
حتى يعود كالكميت الورد خلوا بنى شيبان فاستبدوا
نفسى فداكم وأبى والجد

(٢) فى أيام العرب ص ٣٢ : وجاره وفر عن نديمه ، ثم زاد بعد هذه الايات : من قارح الهجعة أو
صميمه .

(٣) فى أيام العرب ص ٣٢ ط الحلبي بالقاهرة إن الذى برز له هو يزيد بن حارثة .

(٤) مكان قريب من ذى قار فى العراق .

(٥) فى المصدر السابق ص ٣٣ أن الذى أسره هو أسود بن بجير العجلي وانه جز ناصيته وخلقى سبيله .

رَجَعْتُ بِنُغْمَانَ بْنِ زُرْعَةَ مُزْدِفًا
 عَلَى سَابِغِ يَهْدَى الرَّعِيلِ الْمُقَدَّمَا ^(١)
 وَأَبْكْتُ عُيُونََ مِنْ زُهَيْرٍ وَأَشْلَلْتُ
 كِنَانَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرِّ أَقْتَمَا

ثم من عليه فخلى عنه .

وقال بكير أصم بنى الحارث

إِنْ كُنْتُ سَابِغَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا
 فَاسْقَى عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
 ضَرْبُوا بَنِي الْأَخْرَارِ يَوْمَ لَقَوْهُمْ
 بِالْمِشْرِفِيِّ عَلَى مَقِيلِ الْهَامِ ^(٢)
 وقال الأغلب العجلي :

قَدْ عَلِمُوا يَوْمَ خَنَابِزِينَ
 إِنْ مَالَتْ الْأَحْيَاءُ مُقْبِلِينَ
 وَطَارَتْ الْجُفُونُ وَالْقَضِيْنَا
 أَنَا بَنِي عَجَلٍ إِنْ التَّقِيْنَا
 نَدْفَعُ عَنَّا حَدَّ مَنْ يَلِينَا
 الْعَمَرَاتِ ثُمَّ تُنْجِلِينَا
 عَنَّا وَنِيرَانٍ تَأْخُرِينَا

قال العدِيل بن فرج العجلي :

وَمَا يَعْدُو مِنْ يَوْمٍ سَمِعْتُ بِهِ
 فِي النَّاسِ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمٍ بَدَى قَارِ

(١) السابغ الفرس ، والرعيال الجماعة المتقدمة من الخيل او الرجال .

(٢) الهام جمع هامة وهي الرأس .

وقال الاخطل :

هَلَّا لَقِيتُمْ مَعَدًّا كُلَّ مُعْضِلَةٍ
كَمَا لَقِينَا مَعَدًّا يَوْمَ ذِي قَارِ

وروى عن النبي — ﷺ — أنه قال : « اليوم ينتصف العرب من العجم » فنظروا فإذا هو يوم ذى قار .

أول من علم المثلثات من الجوارى الغناء ابراهيم الموصلى

أخبرنا أبو القاسم بن سيران — رحمه الله تعالى — عن شيخ له عن عمر بن شبة قال : حدثني اسحاق قال : لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء ، وانما كانوا يعملون الصفر والسود ، وأول من علمهن أبى ، فبلغن كل مبلغ ، وأول من بلغ فيهن الثمن الوافر أمان جارية قرين النحاس ، بلغت مائة ألف درهم ، وكان ابن أبى عيينة يهواها فقال لاي :

قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ أَمَانَ قَدْ طَعَى سَوْمُهُ بِهَا طُعْيَانَا

لَأَجْزَى اللَّهِ الْمُوصِلَى أَبَا إِسْحَاقَ عَنَّا خَيْرًا وَلَا إِخْسَانًا
جَاءَ مِنْ مُوصِلٍ بُوخَى مِنَ الشَّيْطَانِ أَغْلَى بِهِ عَلَيْنَا الْقِيَانَا^(١)
مِنْ غِنَاءٍ كَأَنَّهُ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ يُصْبِي الْقُلُوبَ وَالْأَذَانَا

وقال ابن سيابة :

يَا أَبَا إِسْحَاقَ قَدْ تَفَقَّتْ أَسْوَأُ الْقِيَانِ
وَجَعَلَتْ الْقَيْنَةُ الشَّوْهَاءَ فِي حَدِّ الْحِسَانِ

(١) فى الأغاني ج ٥ ، ص ١٥٦ ، ط بيروت

جاء مرسلًا يوحى من الشيطان أغلى به علينا القيانا
من غناء كان سكرات الحب يصبى القلوب والأذانا .

بِأَغَانِيكَ الَّتِي يَزُونُهَا خَيْرَ الْأَغَانِي
كَمْ شَقَى بِكَ فِيهِنَّ وَمُفْتُونٍ وَغَانِي
مَا لِإِبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّانِ ثَانِي
إِنَّمَا عُمَرُ أَبِي إِسْحَاقَ رَيْنٌ لِلزَّمَانِ
جَنَّةُ الدُّنْيَا أَبُو إِسْحَاقَ فِي كُلِّ زَمَانِي^(١)

قال ابراهيم : أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له : هب لي درهما فان الخليفة قد حبس يده عنا فقال : ما عندي مأرضاه لك ، أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه ، ومعه خمسون ألف دينار يشتري لنا بها ، ثم قال : ما فعلت ضيا جاريتك ؟ قلت : هي عندي قال : أقول له : يشتريها منك ، فلا تنقصها عن خمسين ألف دينار ، فقبلت رأسه وانصرفت .

فبكر على رسول صاحب اليمن ، ومعه صديق لي ، فقال جاريتك ضيا فأخرجتها ، واستتممت بها خمسين ألف دينار ، فقال : هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة ؟ قال : وكان شراؤها على أربعمائة دينار ، وأخذني زمع^(٢) لما سمعت ذكر ثلاثين ألف دينار ، وخفت أن يحدث عليها أو على المشتري أو على الفضل حادثة فيفوتني ذلك ، فسلمتها اليه وأخذت المال ، وبكرت على الفضل ، فلما نظر الى ضحك وقال : يا ضيق الحوصلة ! حرمت نفسك من عشرين ألف دينار ، فقلت له : دعني والله ! لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه ، فبادرت بقبول المال .

فقال : لاضير ! يا غلام ! هات الجارية ، فجيء بها على حالها ، فقال خذها ، انما أردت نفعلك ، فلما نهضت قال : ان صاحب أرمينية^(٣) قد جاءنا فقضينا حوائجه ، ونقد ما كتبه ، ومعه ثلاثون ألف دينار يشتري لنا بها ما نريد ،

(١) في الاغانى ج ٥ ، ص ١٥٧ ، ط بيروت (في كل مكائى)

(٢) الزمع رعلة تعترى الانسان اذا هم بالامر .

(٣) أرمينية اسم لصقع عظيم واسع من جهة الشمال وهى من بلاد الروم .

فاعرض عليه جاريته ، ولا تنقصها عن ثلاثين ألف دينار ، فانصرفت ، وبكر على صاحب أرمينية ، فساومني الجارية ، فقلت : لا أنقصها عن ثلاثين ألف دينار ، فقال : معى على الباب عشرون ألف دينار مسلمة ، خذها ، فدخلني — والله — مثل الذى دخلني فى المرة الاولى ، وخفت مثل خوفى الاول ، فسلمتها اليه ، وأخذت المال ، وجهت الفضل فقال : ويلك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار ، وضحك وضرب برجله ، فقلت : خفت والله ما خفت فى المرة الأولى ، قال : جاريته يا غلام ! فجىء بها ، فقال خذها ، مأردنا الا منفعتك ، فقلت : أشهدك — جعلت فداك — أنها حرة ، وأنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، قد كسبت لى فى يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها الا هذا .

أول من غنى من الأنصار

رجل يقال له : أحمد النُصْبِيّ الهمداني من أهل الكوفة كان يغنى فى أشعار أعشى همدان ، وكانا ينتجعان^(١) بشعره (هذا يقوله) وهذا يغنى به ، ثم خرجا مع عبد الرحمن بن الاشعث ، فقتلا ، وتُرك النصب^(٢) فلم يذكر حتى إعادة جحظة ، فأبدع فيها ، وأعجب الناس بها وأخذوها عنه ، والنصب ضرب من النشيد ، والنشيد على ثلاثة أضرب : أولها الاستهلال وهو أن يكون النشيد فى بعض البيت الاول ، ثم يكون باقى البيت مبسوطة ، والضرب الثانى أن يكون فى بيت تام ، وربما كان فى بيتين ، والتشبيه قد يتكرر فى الشعر مرتين ، فيكون البيت الاول نشيدا ، والثانى نشيطا ، والثالث نشيدا أيضا ، والنسب^(٣) ان يكون النشيد فى عدة أبيات ، قال : ولا يكون الا على الطنبور^(٤) .

(١) ينتجعان بالشعر أى يتكسبان به .

(٢) النصب ضرب من الغناء .

(٣) وهذا هو الضرب الثالث من أضرب النشيد .

(٤) الطنبور آلة طرب ذات عنق طويل لها اوتار من نحاس .

أول من قصد القصائد مهلهل

يقول الفرزدق : (وَمُهْلَهُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ) وهو خال امرئ القيس ، واسمه عدى بن ربيعة ، وأسر يوم قضة ، وهو آخر أيام بكر وتغلب ، وكان على تغلب فأسره الحارث بن عباد — وهو لا يعرفه — فقال له : تدلنى على عدى بن ربيعة — المهلهل — وأنت آمن ، فقال له المهلهل : ان دلتك عليه فلى دمي ؟ قال : نعم . قال : فأنا عدى بن ربيعة ، فجز ناصيته وخلاه ، وقال :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ
أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

ثم خرج مهلهل فلاحق باليمن ، فنزل فى جنب فخطب اليه رجل منهم ابنته فقال : انى غريب طريد فيكم ، وان أنكحتكم قال الناس : اقتسروه فأكرهوه حتى زوجها ، وكان المهر أدما فقال :

أَنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ^(١)
لَوْ ثَائِي مِنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا زُمْلٌ مَا أَنْفَ خَاطِبُ بَدَمَ^(٢)

ثم انحدر ، فأسره عوف بن مالك بن ضبيعة فمات فى اساره .

(١) الأرقام حى من تغلب ، وجنب حى من مذحج وهم ستة إخوة سموا بذلك لأنهم جانبوا أخاهم صداء ، والحباء العطية والمراد المهر ، والأدم الجلد المدبوغ ، وفى نهاية الأرب ج ٣ ، ص ٦٥ ، ط دار الكتب المصرية : وكان الخباء ، بدل الحباء والخباء ما يتخذ للسكن .

(٢) فى المرجع السابق

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج مأنف خاطب بدم وزاد :

ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من ذلة ولا عدم وفى الأغاني ج ٥ ، ص ٤٤ ، ط بيروت : يغنون من غيلة ولا عدم وأبانان جبلان ، والعيلة الفقر .

أول من أطال الرجز الاغلب

وقيل العجاج أخبرنا أبو احمد عن الشطبي قال : حدثنا محمد بن احمد ابن الحسن قال : حدثنا أبو اسحاق السبيعي قال : ذكروا الرجز والرحاب فقالوا : كان الرجز يقول منه الرجل في الجاهلية في الحرب واذا خاصم او شاتم او فاخر يقول : البيتين أو الثلاثة ونحو ذلك ، فكان العجاج أول من رفع الرجز وشرفه ، وفتح أبوابه ، وشبهه بالشعر ، فجعل له اوائل وتشبيه ، ووصف فيه الديار وأهلها وذكر ما فيها ، وذكر الرسوم^(١) والقلوب ، ونعت الابل والطلول^(٢) وكان يشبه العجاج بامرئ القيس ، وفي أول الاسلام كانوا يقولون العجاج وابنه رؤية ، ثم اختلفوا ، فقال تميم : أولهم العجاج ثم حميد الارقط ثم رؤية وقالت ربيعة أولهم الاغلب ثم أبو النجم ثم العجاج ، واحتجت بقول العجاج : (إِنِّي أَنَا الْأَعْلَبُ حَيًّا قَدْ نُشِرُ) ، قالوا : وانما قال حكيم بن متعة من بني تميم .

قالوا : وأرجز الرجز ثلاث أرجوزات ، ليس في الجاهلية والاسلام ، أمدح من أرجوزة العجاج (قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهُ فُجِبِرَ) .

ولا أرجوزة في وصف رام وقانص وحمير رجز من أرجز رؤية (وَقَائِمُ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقِ) . ولا أرجوزة في وصف الابل ورعاتها ورعيها أرجز من أرجوزة أبي النجم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوُحُوبِ الْمُجَزِلِ) وقد فضلت هذه الاراجيز لانها جمعت جودة مع طول .

أول من وقف على الديار وأبكى واستبكى امرؤ القيس بن حجر

وقالوا : امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام ، وأياه عنى امرؤ القيس بن حجر في قوله :

(١) الرسوم جمع رسم وهو ماكان لاصقا بالأرض من مكان النار .

(٢) الطلول جمع ظل وهو المكان المرتفع الشاخص من الآثار .

يَا صَاحِبِي قَفَا التَّوَاعِجِ ^(١) سَاعَةً نُبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَمَامٍ

وقال ابن حذام ، وانشدوا لامرئ القيس :

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمَحِيلِ ^(٢) لَعَلَّنَا نُبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِزَامٍ

وامرؤ القيس اول من قال : (دع ذا) فى الخروج عن النسيب الى المديح وغيره ، وأول من شبه الخيل بالعصا والقوة ^(٣) والسباع والطير ، (واول من شبه النساء بالظبي ، وأول من شبه بشهين فى بيت واحد وهو قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي ^(٤)

واول من شبه الحمار بمقلاة الوليد — وهو عود يضرب بالقللة يلعب بها الصبى — وأول من شبه بكراً الاندرى — وهو الحبل — وهو أول من شبه الطلل بالوحى وبالزنبور فى العشب .

أول من خاطب بأطال الله بقاءك عمر بن الخطاب

حدث على بن حرب الموصلى يرفعه الى عبيد بن رفاعه عن أبيه قال :
جلس على — عليه السلام — والزيبر وسعد فى جماعة الى عمر — رضى الله عنهم أجمعين — فتذاكروا العزل ^(٥) فقال : لا بأس به فقال رجل : أنتم تزعمون انه الموعودة الصغرى ، فقال على — رضى الله عنه — : لا تكون موعودة حتى تمر بالتارات السبع ، تكون سلالة من طين ، ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ولحما ثم خلقا آخر ، فقال عمر صدقت — أطال الله بقاءك — فجرى من يومئذ .

(١) التواعج جمع ناعجة وهى الناقة السريعة التى يصاد عليها النعاج .

(٢) عوجا قفا ، المحيل الذى تجمعت فيه مياه الأمطار .

(٣) اللقوة أنثى العقاب .

(٤) هذه الفقرة ليست موجودة فى الاصل واثبتها من نسخة دار الحديث .

(٥) العزل ان ينزع الرجل بعد الايلاج لينزل خارج الفرج . فى سبل السلام ج ٣ ص ١١٧ قال بعد ان

ذكر أكثر من حديث : والحديث دليل على جواز العزل ولا ينفيه كراهة التنزيه .

أول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان

أبي بن كعب

وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ — حين قدم المدينة .

أول من قال : جعلت فداك عبد الله بن عمر

قال يونس بن عمران : ذكر رسول الله ﷺ — الفتنة ، أو ذكرت له فقال : اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم ،^(١) وضعفت أمانتهم ، واختلفوا فصاروا هكذا — وشبك بين أصابعه — فقال ابن عمر : جعلت فداك يا رسول الله ! فكيف أصنع ؟ قال : الزم ييتك ، وعليك بما تعرفه ، ودع ماتنكر ، وعليك بخاصة نفسك ، ودع العامة .

وقالوا : أول من قالها علي — رضى الله عنه — لما دعا عمرو ابن عبدود العامري الى البراز يوم الخندق فلم يجبه أحد ، فقال علي — رضى الله عنه — جعلت فداك يا رسول الله ! أتأذن لي ؟ قال : انه عمرو بن ود فقال : وأنا علي ابن أبي طالب ، فخرج اليه فقتله .

وأما من أشار الى هذه اللفظة فأخذها الناس منه حاتم الطائي وهو يقول :

إِذَا مَا أُمِّي يَوْمَ يُفَرَّقُ بَيْنَنَا بِمَوْتٍ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ

أول من أجرى على العميان والزمنى وأقام طعمة

« شهر رمضان الوليد بن عبد الملك »

أول من طرد الخيل طرفة

فقال :

فَقُلْ لِحَيَالِ الْخَنَظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مِّنْ وَصَلٍ

فتبعه جرير فقال :

(١) مرجت عهودهم لم يفوا بها .

طَرَقَتْ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

قال أبو هلال : وهذا باب ان أوردناه احتجنا الى افراد كتاب له .

أول من خرج اللطيف وعقد المعاني مسلم بن الوليد

قال بعضهم : هو أول من أفسد الشعر ، وجاء بالفن الذي سماه الناس بالبديع ، ثم جاء بعده الطائي ، فخير فيه وليس ذلك عندنا كذلك ، انما تلك طريقة تستظرف ، ومسلك يستظرف ، وكيف يقال لمثل قوله :

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيجٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ
وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَّالِ فِي عَدَلٍ

ولقوله فيها :

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ
كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ ^(١)
يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ
وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ ^(٢)

ولممثل قوله :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا
وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وقوله :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وَدَاعِهِ لَكَالْغَمْدِ يَوْمَ الرُّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ ^(٣)

(١) المهج الارواح ، والرهج الفتنة والشغب .

(٢) القنا الذبل الرماح الدقيقة .

(٣) في البيان والتبيين ج ٣ ، ص ٣٦٩ ، ط القاهرة (واني إسماعيل عند فراقنا كالجنف — وفي

طبقات الشعر (زايله النصل)

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَرْوَرَهُمْ^(١) فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْإِنْسِ الْمَخْلُ

كيف يقال لهذا القول انه فاسد ، لا يقول ذلك الا من لا علم له بجواهر الكلام :

أول من رثى نفسه يزيد

وهو ابن حذاق العبدى ، وشعره اول شعر قيل فى ذم الدنيا .

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ

أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ

قَدْ رَحَّلُونِي وَمَا رُحِّلْتُ مِنْ سَعَبٍ

وَالْبُسُونِي ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلَاقِي

وَرَفَعُونِي وَقَالُوا : أَيُّمَا رَجُلٍ

وَأَذْرَجُونِي كَأَنِّي طِيُّ مُخْرَاقٍ^(٢)

وَأَرْسَلُوا فِتْنَةً مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَباً

لِيَسْتَدُوا فِي ضَرْبِ الثَّرْبِ أَطْبَاقِي^(٣)

وَأَقْسَمُوا الْمَالَ وَأَرْقَضَتْ عَوَائِدُهُمْ

وَقَالَ قَاتِلُهُمْ : مَاثِ ابْنِ حَذَاقٍ

هُوَ عَلَىكَ وَلَا تَوَلَّغْ بِاشْفَاقٍ

فَأَلَمَّا مَالَتْ لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

كَأَنِّي قَدْ رَمَانِي الدَّهْرُ مِنْ غِرَضٍ

بَنَاتِ فِدَاتٍ بِلَا رِيْشٍ وَأَفْوَاقٍ^(٤)

(١) وفى البيان والتبيين ج ٣ ، ص ٣٦٩ ، ط القاهرة وفى طبقات الشعراء (أو أزرهم) بالجزم عطفاً على الفعل السابق .

(٢) المخراق منديل يلف ليضرب به يفصل بين كل فقارين من السهم كأنه يقول :

رمانى الدهر بسهم لاريش فيه ولا وتر له .

(٣) أطباق، جمع طبق وهو هنا عظم رقيق .

(٤) افواق جمع فوق وهو موضع الوتر .

أول من قال أيدك الله عمر بن الخطاب

قال عمر — رضى الله عنه — ذلك ، لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه —

أول أطم^(١) بنى بالطائف

أخبرنا أبو احمد قال : حدثنا الجلودى قال : حدثنا المغيرة ابن محمد قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن قال : حدثنا العتيبي عن أبيه قال : خرج أبو سفيان بن حرب وركب من قریش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم ، فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان ، فقال : انا فى مسيرنا هذا لعلى خطر ، قدومنا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه ، وليس لنا بمتجر ، فأیکم يذهب بالغير ، فان أصيب فنحن براء من دمه ، وان يغنم فله نصف الربح ، ؟ فقال غيلان بن سلمة الثقفى : أنا أمضى بالغير ، فقال :

فَلَوْ رَأَى أَبُو غَيْلَانَ إِذْ حَسَرَتْ

عَنْى الْأُمُورُ بِأَمْرِ مَالِهِ طَبَقُ

لَقَالَ رُغْبٌ وَرُهْبٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا

حُبُّ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ النَّفْسِ وَالشَّفَقُ

إِمَّا مُسِيفٌ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ

(٢) أَوْ أَسْوَةٌ لَكَ فَيَمْنُ يَهْلِكُ الْوَرَقُ

وخرج بالغير ، وكان أبيض طويلا جعدا ، فتخلق ولبس ثوبين أصفرين ، وشهر نفسه ، وقعد بباب كسرى ، حتى أذن له فدخل عليه ، وشباك من ذهب بينه وبينه ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : ما أدخلك بابى بغير اذننى ؟

(١) الأطم القصر أو الحصن المبنى من الحجارة والبيت المربع المسطح .

(٢) فى الاغانى ج ١٣ ، ص ٢٠٧ ، ط دار الثقافة بيروت :

ولو رأى أبو غيلان إذ حصرت عنى الامور الى امر له طبق
لقال رغب ورهب يجمعان معا حب الحياة وهول النفس والشفق
اما بقيت على مجد ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

فقال : لست من أهل عداوة أكن جاسوسا ، وانما حملت تجارة ، فان أردتها فهي لك ، وأن كرهتها رددتها ، قال : وانه ليتكلم اذا سمع صوت كسرى ، فخر ساجدا فقال له الترجمان : يقول لك الملك : ماأسجدك ؟ فقال : سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترفع الاصواب ، فظننته صوت الملك ، فسجدت ، فشكر ذلك له ، وأمر له بمرققة توضع تحته ، فرأى فيها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فقال له الحاجب : الملك يقول لك : إنما بعثنا بها اليك لتقعد عليها ، فقال : قد علمت ، ولكنى رأيت عليها صورة الملك ، فوضعتها على أكرم أعضائي ، فقال له : ماطعامك فى بلادك ؟ قال : الخبز . قال : هذا عقل الخبز ، ثم اشترى منه التجارة بأضعاف أثمانها ، وبعث معه من بنى له أطما بالطائف ، فكان أول أطم بنى بالطائف .

قال أبو هلال — أيده الله — : فى هذا الخبر دليل على ان الامر الذى عقده نوفل بن عبد مناف بين العرب والفرس ، كان قد انقضى .

قال : وهذا آخر ماخرج الينا من الاوائل وان خرج شئ آخر ألحقناه به وبالله التوفيق . وفرغنا من أملائه يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من شعبان ، سنة خمسة وتسعين وثلاثمائة وحسبنا الله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الاكرمين وسلم .



خاتمة

وهذا آخر ماتوفقت اليه ، ويعلم الله أنى لم أضن بجهد ، ولم أقصر فيما
تمكنت منه ، راجيا المعذرة عما يجده القارىء من تقصير فى التعليق ، فقد
بذلت أقصى الجهد ، مع قلة المراجع ، وضيق الوقت .

وقد فرغت من التعليق عليه صباح يوم الأحد ٢٨ من شهر ذى القعدة سنة
١٣٨٥ هـ . الموافق ٢٠ من شهر مارس سنة ١٩٦٦ م .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه الاكرمين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

المدينة المنورة

٢٨ من ذى القعدة سنة ١٣٨٥ هـ .

٢٠ من مارس سنة ١٩٦٦ م .

المحقق

محمد السيد الوكيل

مراجع التصحيح والتحقيق والتعليق

المؤلف	اسم الكتاب	مسلسل
لأبى الفرج الأصفهاني	الأغاني	١
محمد جاد المولى وزميله	أيام العرب فى الجاهلية	٢
لابن كثير	البداية والنهاية	٣
للألوس	بلوغ الأرب فى معرفة	٤
	أحوال العرب	
للجاحظ	البيان والتبيين	٥
للزبيدي	التاج العروس	٦
ابن جرير الطبرى	تاريخ الأمم والملوك	٧
لأبى يوسف	الخراج	٨
أبو تمام حبيب الطائى	ديوان أبى تمام	٩
حسان بن ثابت الأنصارى	ديوان حسان بن ثابت	١٠
للصنعاني	سبل السلام	١١
لعبد الملك بن حسين	سمط النجوم العوالى	١٢
العصامى		
لعبد الملك بن هشام	سيرة الرسول	١٣
للخفاجى	شفاء الغليل	١٤
لمحمد حسين هيكل	الصدىق أبو بكر	١٥

مؤلف	اسم الكتاب	مسلسل
لمحمد الهاشمي	عدى بن زيد	١٦
للصنعاني	العدة على إحكام الأحكام	١٧
لابن عبد ربه	العقد الفريد	١٨
للفيروز آبادي	القاموس المحيط	١٩
لأبي يعلى التوخي	القوافي	٢٠
لابن الأثير	الكامل في التاريخ	٢١
لملا كاتب جلي	كشف الظنون	٢٢
للثعالبي	لطائف المعارف	٢٣
للميداني	مجمع الأمثال	٢٤
لابن منظور	مختار الأغاني	٢٥
لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	مختصر سيرة الرسول	٢٦
للمسعودي	مروج الذهب	٢٧
للسيوطي الرحباني	مطالب أولى النهى	٢٨
لياقوت الحموي	معجم الأدباء	٢٩
لياقوت الحموي	معجم البلدان	٣٠
لشهرستاني	الملل والنحل	٣١
للويس معلوف	المنجد	٣٢
للقسطلاني	المواهب اللدنية	٣٣
للتويري	نهاية الأرب	٣٤
بمكتبة شيخ الإسلام	نسخة خطية	٣٥
عارف حكمت بالمدينة المنورة		
بمكتبة مدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة	نسخة خطية	٣٦

كتب للمؤلف

- ١ — هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه
الطبعة الثانية
مزيدة
- ٢ — أسس الدعوة وآداب الدعاة
الطبعة الثانية
مزيدة
- ٣ — القيادة والجندية في الإسلام (جزآن)
الطبعة الأولى
- ٤ — عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها
الطبعة الأولى
- ٥ — الترويح في المجتمع الإسلامي
الطبعة الأولى
- ٦ — جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين
الطبعة الأولى
- ٧ — موسوعة المدينة المنورة التاريخية (٤ أجزاء)
الطبعة الأولى
- ٨ — كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر
الطبعة الأولى

كتب تحت الطبع والإعادة

- ١ — المستشرقون والإسلام
- ٢ — لمحات من تاريخ الدعوة
- ٣ — قواعد البناء في المجتمع الإسلامي
- ٤ — الحج الميسر الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى	٧
مقدمة المؤلف	١٥

الباب الأول

فيما جاء من ذلك عن قريش

- ١ — أول ماتحرك أمر قريش ٢١
- ٢ — أول من أخذ الايلاف من قريش ٢٦
- ٣ — أول من سن الدية مائة من الابل ٢٨
- ٤ — أول من خضب بالوسمة ٣١
- ٥ — أول ما عظم أمر قريش فسميت آل الله ٣٢
- ٦ — أول من أوقد النار بالمزدلفة ٣٥
- ٧ — أول من سمي الجمعة جمعة ٤٣
- ٨ — أول قسامة كانت ٤٦
- ٩ — أول من خلع نعليه لدخول الكعبة ٤٨
- ١٠ — أول من حرم الخمر في الجاهلية ٤٩
- ١١ — أول من قطع في السرقة ٥٣
- ١٢ — أول من كسا البيت ٥٤
- ١٣ — أول من نسا النسيء ٥٥
- ١٤ — أول من بوب بمكة بابا ٥٦

- ١٥ — أول من اتخذ بها بيتا ٥٧
 — أول من اتخذ بها روشنا ٥٧
 — أول من بنى بها بيتا مربعا ٥٧
 ١٦ — خير حلف الفضول ٥٨
 ١٧ — أول من أهدى البدن الى البيت ٦٠
 ١٨ — أول من غير الحنيفة وعبد الأوثان ٦٠

الباب الثانى

فيما جاء من ذلك عن عامة أهل الجاهلية

- ١ — أول ما قيل (الجاهلية) ٦٥
 ٢ — أول من خطب على العصا والراحلة ٦٧
 ٣ — أول من قال أما بعد ٦٧
 ٤ — أول من كتب من فلان إلى فلان ٦٨
 ٥ — أول من قضى فى الخنثى ٧٠
 ٦ — أول من رجم فى الزنا ٧٠
 ٧ — أول من حكم أن الولد للفراش ٧٣
 ٨ — أول خلع كان ثم أثبتته الإسلام ٧٤
 ٩ — أول من رفع له الشمع ٧٥
 — أول من ملك قضاء جريمة الأبرش ٧٥
 — أول من احتذى بالنعال ٧٥
 — أول من وضع المنجنيق ٧٥
 ١٠ — أول عربى لبس الطوق ٨٢
 ١١ — أول من اتخذ السياط ٨٣
 ١٢ — أول من وضع الكتاب العربى ٨٤

- ١٣ — أول من قال مرجبا ٨٦
 ١٤ — أول من حرم القمار ٨٧
 ١٥ — أول من أحدث الحذاء ٨٨
 ١٦ — أول عربي قتل خنقا ٩١
 ١٧ — أول من خرج من تهامة ٩٥
 ١٨ — أول من جليت له السيوف ٩٨

الباب الثالث

فيما جاء من ذلك منسوباً إلى النبي (ﷺ)

- ١ — أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ١٠١
 ٢ — أول من ختم الكتب من قريش ١٠١
 ٣ — أول ما أوحى الله تعالى إلى النبي ١٠٣
 ٤ — أول صلاة صلاها ١٠٥
 ٥ — أول صلاة صلاها جماعة ١٠٩
 ٦ — أول جمعة صلاها وصلاة الخوف ١١٠
 ٧ — أول امرأة تزوجها ﷺ ١١٢
 ٨ — أول ولد ولد له ١١٦
 ٩ — أول ما تكلم به حين قدم المدينة ١١٧
 ١٠ — أول هدية أهديت له بالمدينة ١١٨
 ١١ — أول غزوة غزاها بنفسه ١١٩
 ١٢ — أول لواء عقده ١٢٠
 ١٣ — أول خمس خمسه ١٢١
 ١٤ — أول قتيل من المشركين ١٢٢
 ١٥ — أول ما قاتل جمهور المشركين ١٢٢

- ١٦ — أول ما جالت خيله ١٢٦
 ١٧ — أول من قتله بيده الشريفة ١٢٧
 ١٨ — أول صدقة أثنه ١٢٨
 ١٩ — أول من أجلى من اليهود ١٢٩

الباب الرابع

فيما روى عن الصحابة والتابعين

- ١ — أول من أسلم من المهاجرين ١٣٣
 ٢ — أول من أسلم من الأنصار ١٤٢
 ٣ — أول من سمى القرآن مصحفا ١٤٣
 ٤ — أول خليفة فرض له العطاء رعيته ١٤٥
 ٥ — أول خليفة ولي وأبوه حي ١٤٥
 ٦ — أول من سمى خليفة ١٤٥
 ٧ — أول من هنى وعزى فى مقام واحد ١٤٦
 ٨ — أول ما ورد على أبى بكر حين استخلف ١٤٧
 ٩ — أول ما ظهر الإسلام بمكة ١٤٩
 ١٠ — أول من سمى أمير المؤمنين عمر ١٥٠
 ١١ — أول من كتب التاريخ الهجرى ١٥١
 ١٢ — أول من اتخذ بيت مال ١٥٢
 ١٣ — أول من سن قيام رمضان ١٥٢
 ١٤ — أول من عس بالليل ١٥٣
 ١٥ — أول من عاقب على الهجاء ١٥٧
 ١٦ — أول من ضرب فى الخمر ثمانين ١٦٠
 ١٧ — أول من حرم المتعة ١٦٢

- ١٨ — أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ١٦٣
- ١٩ — أول من جمع الناس فى صلاة الجنائز ١٦٤
- ٢٠ — أول من اتخذ الديوان ١٦٤
- ٢١ — أول من فتح الفتوح ١٦٦
- ٢٢ — أول وشاية كانت بالعمال ١٦٨
- ٢٣ — أول من انتقش على خاتم الخلافة ١٧٣
- ٢٤ — أول من ارتشى حاجب عمر (يرفأ) ١٧٤
- ٢٥ — أول من حمل الطعام من مصر ١٧٥
- ٢٦ — أول من احتبس فى الإسلام صدقة ١٧٦
- ٢٧ — أول من أعال الفرائض ١٧٦
- ٢٨ — أول من أخذ زكاة الخيل ١٧٧
- ٢٩ — أول من أقطع القطائع ١٧٧
- ٣٠ — أول من حمى الحمى ١٧٨
- ٣١ — أول من خلق المسجد ١٨٠
- ٣٢ — أول من ارتج عليه فى الخطبة ١٨١
- ٣٣ — أول من قدم الخطبة فى صلاة العيدين ١٨١
- ٣٤ — أول من فوض للناس اخراج زكاتهم ١٨٢
- ٣٥ — أول ما وقع الاختلاف من الأمة ١٨٣
- ٣٦ — أول خليفة ولى وأمه تحيا ١٩٥
- ٣٧ — أول من خلع عثمان فى حياته ١٩٨
- ٣٨ — أول من بايع عليا ١٩٩
- ٣٩ — أول من بايع من أهل مصر ٢٠٠
- ٤٠ — أول قتال كان بين فريقين من أهل القبلة ٢٠٢
- ٤١ — أول من عمل بآية النجوى ٢٠٥
- ٤٢ — أول من اتخذ بيتا يطرح فيه القصص ٢٠٦

- ٤٣ — أول من فرق بين الخصوم ٢٠٨
- ٤٤ — أول من سن صلاة الركعتين عند القتل ٢٠٨
- ٤٥ — أول من بايع رسول الله بيعة الرضوان ٢١٠
- ٤٦ — أول من شهر سيفه في سبيل الله ٢١١
- ٤٧ — أول من أراق دما في سبيل الله ٢١٢
- ٤٨ — أول من جمع بالمدينة ٢١٣
- ٤٩ — أول من أفشى القرآن بمكة ٢١٣
- ٥٠ — أول من رمى بسهم في سبيل الله ٢١٣
- ٥١ — أول من استشهد في الإسلام ٢١٤
- ٥٢ — أول من دفن بالبقيع ٢١٥
- ٥٣ — أول من أتى أرض الحبشة من المهاجرين ٢١٥
- ٥٤ — أول من قدم من المهاجرين إلى المدينة ٢١٦
- ٥٥ — أول من ضرب على يد رسول الله ليلة العقبة ٢١٦
- ٥٦ — أول من أذن في الإسلام ٢١٧
- ٥٧ — أول مولود ولد قبل الهجرة ٢١٩
- ٥٨ — أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة ٢٢٠
- ٥٩ — أول مولود ولد من الأنصاز ٢٢٣
- ٦٠ — أول مولود ولد بالبصرة ٢٢٣
- أول من لاعن في الإسلام ٢٢٣
- ٦١ — أول من ظاهر من امرأته ٢٢٥
- ٦٢ — أول من رجم في الإسلام ٢٢٦
- ٦٣ — أول من توجه إلى الكعبة ٢٢٦
- ٦٤ — أول ما حرمت الخمر ، أول من جلد فيها ٢٢٧
- ٦٥ — أول فرس عقر في الإسلام ٢٢٨

الباب الخامس

فيما جاء من ذلك عن الملوك في الإسلام

- ١ — أول من بايع لولده ٢٣٣
- ٢ — أول من وضع البريد في الإسلام ٢٣٧
- ٣ — أول من سمي الغالية غالية ٢٣٨
- ٤ — أول من عمل المقصورة معاوية ٢٤٠
- ٥ — أول من نقص التكبير وأول من خطب جالساً ٢٤٠
- ٦ — أول ملك عبثت به رعيته ٢٤١
- ٧ — أول من أقر التسليم على الملوك ٢٤١
- ٨ — أول من استلحق في الإسلام ٢٤٤
- ٩ — أول من أخرج المنبر في العيد ٢٤٧
- ١٠ — أول غدر كان في الإسلام ٢٤٨
- ١١ — أول من نهى عن الأمر بالمعروف ٢٥٠
- ١٢ — أول من نهى الناس عن الكلام بحضرة الخلفاء ٢٥١
- ١٣ — أول خليفة بخل ٢٥١
- ١٤ — أول من ضرب الدرهم في الإسلام وعملت الأوزان ٢٥٤
- ١٥ — أول من شدد في أمر العيار ٢٥٥
- ١٦ — أول من نقل الديوان من الفارسية ٢٥٦
- ١٧ — أول من أخذ الجار بالجار ٢٥٦
- ١٨ — أول من لبس النعال الصراره ٢٥٧
- ١٩ — أول من رد فدكا ٢٥٨
- ٢٠ — أول من لبس السواد ٢٥٩
- ٢١ — أول من ظهر لندمائه من ملوك بني العباس ٢٦٠
- ٢٢ — أول من زاد في الكتابة بعد حمد الله الصلاة على رسول الله ٢٦٣

- ٢٣ — أول من دعى إلى بيعته على المنبر ٢٦٦
 ٢٤ — أول من اتخذ الأتراك المنصور ٢٦٨
 ٢٥ — أول كتاب صدر من ملوك بني العباس فيه شعر ٢٦٩
 ٢٦ — أول من أخرج النيروز ٢٧٠
 ٢٧ — أول من أمر أهل الذمة بتغيير زيهم ٢٧٢

الباب السادس

فيما جاء من ذلك عن الأمراء والوزراء والجلساء

- ١ — أول الأمراء على مكة ٢٧٧
 ٢ — أول الأمراء على المدينة ٢٧٨
 ٣ — أول الأمراء على مصر ٢٧٨
 ٤ — أول الأمراء على البصرة ٢٨٠
 ٥ — أول الأمراء على الكوفة ٢٨١
 ٦ — أول الأمراء على الشام ٢٨٣
 ٧ — أول من سلم عليه بالأمرة ٢٨٧
 ٨ — أول أمير أخذ ماجبي وهرب ٢٨٧
 ٩ — أول رأس ثقف في الإسلام ٢٩٠
 ١٠ — أول أمير مات بالبصرة ٢٩٢
 ١١ — أول أمير مات بالكوفة ٢٩٣
 ١٢ — أول ماسميت العطيات جوائز ٢٩٣
 ١٣ — أول من صلب رجلاً في الإسلام ٢٩٤
 ١٤ — أول من وضع الكسور والتوابع على أهل الخراج ٢٩٦
 ١٥ — أول من جمع العراقيين ٢٩٩
 ١٦ — أول من أذن معه في المقصورة ٣٠٣

- ١٧ — أول من رفع يديه في الخطبة يوم الجمعة ٣٠٥
- ١٨ — أول من ميز العتاق والهجن ٣٠٧
- ١٩ — أول من مشى الرجال معه وهو راكب ٣٠٩
- ٢٠ — أول من ادعى نصرة أهل البيت ٣١١
- ٢١ — أول من نال الرئاسة بالحيلة ٣١١
- ٢٢ — أول من رفع صوته بالتهليل بعد الصلاة ٣١٤
- ٢٣ — أول من مشى خلف الجنازة بلا رداء بالعراق ٣١٤
- ٢٤ — أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة ٣١٦
- ٢٥ — أول من اتخذ المحامل ٣١٦
- ٢٦ — أول من قتل الحجاج بالعراق ٣٢٠
- ٢٧ — أول من ضرب باب القسطنطينية بالسيف ٣٣٠
- ٢٨ — أول من عبر نهر بلخ ٣٣٠
- ٢٩ — أول من صلى وراء النهر من المسلمين ٣٣٣
- ٣٠ — أول من أمر الناس بالشهادة في الغزو ٣٣٤
- ٣١ — أول من حذا الخيل ، وأول من اتخذ ركب الحديد ٣٣٥
- ٣٢ — أول من اتخذ اسفندروزي فيروز حصين ٣٣٧
- ٣٣ — أول من اتخذ الدفاتر للحساب في الديوان ٣٤٠
- ٣٤ — أول من اتخذ الجربانات العراض ٣٤٢
- ٣٥ — أول من سمي وزيراً ٣٤٦
- ٣٦ — أول من افتتح المكاتب في تهنة النيروز والمهرجان ٣٤٧
- ٣٧ — أول من وزر لثلاثة من ولد العباس ٣٤٩

الباب السابع

في ذكر القضاة والعلماء والأدباء والقصاص
وأصحاب المذاهب ومصنفى الكتب

- ١ — أول قاض فى الإسلام ٣٥٧
- ٢ — أول قاض بالمدينة ٣٥٧
- ٣ — أول قاض بالكوفة ٣٥٧
- ٤ — أول قاض بالبصرة ٣٥٨
- ٥ — أول قاض جار فى القضاء ٣٦١
- ٦ — أول ما ظهرت الخارجية حين حكم الحكمان ٣٦٤
- ٧ — أول من أظهر الرفض ٣٦٩
- ٨ — أول ما اختلف الناس فى خلق القرآن ٣٦٩
- ٩ — أول من زعم أن الله لم يزل متكلماً ٣٦٩
- ١٠ — أول من قص فى مسجد رسول الله ﷺ — ٣٦٩
- ١١ — أول من حكم فى تنف اللحية ٣٧٠
- ١٢ — أول من وضع الإعراب ٣٧١
- ١٣ — أول من صنف فى الفقه ٣٧٣
- ١٤ — أول من صنف الكلام ٣٧٤
- ١٥ — أول من وضع اللغة على الحروف ، وأول من عمل العروض ٣٧٧
- ١٦ — أول من ترجم له الطب والنجوم ٣٨١
- ١٧ — أول من صنف فى غريب القرآن ٣٨١
- ١٨ — أول من صنف فى صنعة ٣٨٤

الباب الثامن

فيما جاء من ذكر النساء

- ١ — أول امرأة خففت وثقبت أذنها ٣٩٣
- ٢ — أول امرأة اكتحل بالأنمد ٣٩٣
- ٣ — أول من غنى الغناء العربى ٣٩٤

- ٤ — أول امرأة بايعت النبي من نساء الأنصار ٣٩٧
- ٥ — أول امرأة حدت في القذف ٣٩٨
- ٦ — أول امرأة حملت في نعش من العرب ٤٠٠
- ٧ — أول ظعينة هاجرت إلى المدينة ٤٠٠
- ٨ — أول بكر هاجرت ٤٠١
- ٩ — أول امرأة نبئت ٤٠١
- ١٠ — أول امرأة لبست المصبغات في الإسلام ٤٠٤
- ١١ — أول ما عرفت الجمازات ٤٠٥
- ١٢ — أول امرأة جلدت في زنبيل ٤٠٦

الباب التاسع

فيما جاء عن العجم خاصة

- ١ — أول من اتخذ النيروز عيداً ٤١١
- ٢ — أول ما ظهر المهرجان ٤١٣
- ٣ — أول من وضع العشور ٤١٤
- ٤ — أول من جمر البعوث ٤١٤
- ٥ — أول من طبخ الآجر ٤١٥
- ٦ — أول من جعل للضيف صدر المجلس ٤١٧
- ٧ — أول من وضع الخراج ٤١٧
- ٨ — أول من مسح الأرض ٤١٨
- ٩ — أول ما عمل القورج ٤١٩

الباب العاشر

في ذكر أنواع مختلفة

- ١ — أول شيء بناه الله تعالى ٤٢٣

٤٢٣	٢ — أول قرية بنيت على الأرض
٤٢٣	٣ — أول بيت بنى
٤٢٣	٤ — أول من خاط الثياب ولبسها
٤٢٣	٥ — أول من عملت له النورة
٤٢٤	٦ — أول من عمل القراطيس
٤٢٥	٧ — أول من ركب الخيل
٤٢٦	٨ — أول شعر قيل فى الإسلام
٤٢٧	٩ — أول جيش خرج من المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ —
٤٢٨	١٠ — أول يوم انتصفت فيه العرب
٤٣٢	١١ — أول من علم المشمنات
٤٣٤	١٢ — أول من غنى من الأنصار
٤٣٥	١٣ — أول من قصد القصائد
٤٣٦	١٤ — أول من أطال الرجز
٤٣٦	١٥ — أول من وقف على الديار وأبكى واستبكى
٤٣٧	١٦ — أول من خاطب بأطال الله بقاءك
٤٣٨	١٧ — أول من كتب فى آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان
٤٣٨	١٨ — أول من طرد الخيل
٤٣٩	١٩ — أول من خرج اللطيف وعقد المعانى
٤٤٠	٢٠ — أول من رثى نفسه يزيد
٤٤١	٢١ — أول من قال أيدك الله
٤٤١	٢٢ — أول أطم بنى بالطائف
٤٤٣	خاتمة
٤٤٥	مراجع التصحيح والتحقيق والتعليق
٤٤٧	كتب للمؤلف
٤٤٩	الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧١٢ / ٨٧

الترقيم اللولى ٨ — ٦ — ١٥٤٠ — ٩٧٧